

الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ

«صَدُرُ المشرق، وتاريخ المجد، وغُرَّةُ الزمان،
وينبوع العدل والإحسان، ومَن لا حَرَجَ في
مَدْحِهِ بِكُلِّ ما يُمدح به مخلوق، ولولاه ما
قامت للفضل في دَهْرِنَا سوق».

الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٢٥

«أشهر من أن يحتاج إلى وَصْفِهِ جَاهاً وَرِفْعَةً
وِدْرَايَةً، وَكَفَتْ مَوْلَفَاتُهُ وَرَسَائِلُهُ وَأَشْعَارُهُ
وَكَلِمَاتُهُ السَّائِرَةَ، وَمَنَاظِرَاتُهُ دَالَّةٌ عَلَى قَدْرِهِ
وَرُتْبَتِهِ. وفيما قيل فيه نظماً ونثراً، وَصُنِّفَ لَهُ فِيهِ
عَلَى كَثْرَتِهِ وَانْتِشَارِهِ أَصْدُقُ شَاهِدٍ عَلَى نُبْلِهِ
وَوَخْطَرِهِ».

الرافعي، التدوين في أخبار قزوين، ج ٢، ص ٢٩٣

«كَانَ نَادِرَةَ الدَّهْرِ، وَأَعْجُوبَةَ الْعَصْرِ فِي فَضَائِلِهِ
وَمَكَارِمِهِ وَكَرَمِهِ».

ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٢٨

وقال صاحبه أبو العباس الضبي:

أكافي كُفَاة الأرض مُلْكُكَ خَالِدٌ
نثرت على القرطاس دُرّاً مبدداً
جواهر لو كانت جواهر نُظِّمَتْ
وعزُّكَ موصولٌ فأعْظِمَ بها نُعمى
وآخر نظماً قد فرغت به النجما
ولكنها الأعراض لا تقبل النظم^(١)

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٣٤٤.

مقدمة المحقق

أبو القاسم إسماعيل بن عَبَّاد بن العباس بن أحمد الطَّالْقَانِي الأَصْفَهَانِي، أحد أهم وزراء البُويهيين وكتَّابهم. اختاره مؤيِّد الدولة - وهو الأمير أبو منصور بُويْه بن ركن الدولة - مرافقاً له وكتّاباً حينما قام بزيارة بغداد سنة ٣٤٧هـ^(١). ثم حصل له «عنده بِقَدَم الخدمة قَدَم، وأنس منه مؤيِّد الدولة كفايةً وشهامةً؛ فلَقَّبه بالصَّاحِب كافي الكُفَّة»^(٢).

وقيل: إنَّما لُقِّب بالصَّاحِب لأنه صاحب ابن العميد^(٣).

وكان قد اتَّصل في بداية حياته بأبي الفضل محمد بن العميد وزير البُويهيين الشهير، وتدرَّب على يديه في شؤون الكتابة والوزارة والإدارة والحُكْم.

وبسبب المؤامرات الداخلية، و التَّنَافس على النفوذ، قُتل ابنُ العميد، واستُدعي ابنُ عَبَّاد فوُلِّي الوزارة مكانه.

وظلَّ مؤيِّد الدولة محتفظاً بالصَّاحِب وزيراً ومشيراً، لا ينافسه أحدٌ على مكانته وحُظوته عند الأمير.

ولما توفِّي مؤيِّد الدولة سنة ٣٧٣هـ، وكان قد رفض أن يعهد لمن يخلفه في الحُكْم^(٤)،

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٦، ص ٢٠٧.

(٢) ياقوت، معجم الأدباء، ج ٢، ص ٢١٦.

(٣) الصفدي، الوافي، ج ٩، ص ١٢٧.

(٤) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ص ١١٥-١١٦.

عمل الصّاحب على تنصيب أخيه فخر الدولة^(١) ابن ركن الدولة الذي حفظ له هذا الصّنيع؛ فأبقاه في الوزارة، وقربه، «وأكرمه بما لم يُكرّم وزيرٌ بمثله»^(٢).

وبقي وزيراً مبجّلاً لفخر الدولة، والأمرُ تصدر عن أمره، والمُلكُ يُدبّر برأيه، والكتبُ تخرج بلفظه^(٣)، إلى وفاته سنة ٣٨٥هـ^(٤).

كان للصّاحب بن عبّاد حضورٌ متميز، وزيراً ومشيراً وسياسياً ومدبراً وكاتباً وأديباً وشاعراً ومُصنّفاً، فقد كان الوزير الذي لا تُردّ له كلمةٌ ولا رأي.

وكان يُعدّ - أو يعدّ هو نفسه - واحداً من كُتّاب الدنيا وبلغاء العصر الأربعة، إضافةً إلى أستاذه ابن العميد، وأبي إسحاق الصّابي، وأبي القاسم عبد العزيز بن يوسف الشيرازي. وكثيراً ما كان يُقارَن ببلاغة أبي إسحاق الصّابي، لكن يُحسَبُ له دائماً أنه كان يكتب كما يريد، أما الصّابي فيكتب كما يؤمر. وبين الحالين بَوْنٌ بعيد^(٥).

وكان هو والصّابي مضربَ المثل في الكتابة والبلاغة، قال أبو الحسن البُنْدَاري: أكتُبُ أهل العصر الصّادان: الصّاحب والصّابي.

(١) العتبي، اليميني، ص ٧٠.

(٢) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ص ١١٧، ص ١١٩.

(٣) انظر على سبيل المثال: العتبي، اليميني، ص ٥٧، ص ٧٨، ص ٨١، ص ٣٧٦.

(٤) يُذكر أن الصّاحب لم ينبج إلا بنتاً واحدةً، وكم كان مفتخراً بأنه زوّجها لأحد الأشراف العلّويين؛ فوجدنا من أحفاده: الشريف السيد أبا هاشم زيد الحسني العلّوي، رئيس همّذان، وقد توفي سنة ٥٠٢هـ. ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٣٤.

(٥) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٩٢؛ الثعالبي، الكناية، ص ٦؛ الجاجرمي، نكت الوزراء، ص ١٤٥؛ الكلاعي، إحكام صناعة الكلام، ص ١١٦؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج ١، ص ٢٠١.

وقال أبو سعد بن دوست:

الصَّبرُ في أول مرَّاتِهِ مرُّ كطعم الصَّبر والصَّابِ
وغبُّه أعذب للمرء من رسائل الصَّاحب والصَّابي^(١)

وحينما أراد الباخريزي أن يظهر فضل أحد الكتاب، قال: «ورسائله ألدَّ في الأسماع من عهود التَّصابي، وأضيد للقلوب من كلام الصَّادِّين: الصَّاحب والصَّابي»^(٢).

وقال ابن الأزرقي الفارقي: «كان الصَّابي وابن عبَّاد قلائد الدهر، وفرائد العصر. وكان الله سبحانه أدبهما وخصَّهما بالفضل والأدب والشعر والرسائل»^(٣).

لقد ترك الصَّاحب - بالإضافة إلى رسائله الكثيرة - ديوان شعرٍ وعدداً من المؤلفات، منها:

- أسماء الله تعالى وصفاته.
- الإبانة عن مذهب أهل العدل بحُججٍ من القرآن والعقل.
- الأعياد وفضائل النيروز.
- الإقناع في العروض وتخريج القوافي.

(١) الثعالبي، برد الأكباد، ص ١٣.

(٢) الباخريزي، دمية القصر، ج ٢، ص ٧٢٠.

(٣) تاريخ الفارقي، ص ٧٠.

- الأمثال السائرة من شعر المتنبي.
- التذكرة في الأصول الخمسة.
- جوهرة الجوهرة.
- وهو مختصر جمهرة ابن دريد.
- رسالة في أحوال عبد العظيم الحسني وثواب زيارته.
- رسالة في الطب.

وأغلب الظن أن رسالته في الطب هذه هي المنشورة في هذا المختار من الرسائل^(١)، والتي أورد الثعالبي جزءاً منها، بعد أن قال: «سمعتُ أبا جعفر الطبري الطبيب المعروف بالبلاذري يقول: إن للصاحب رسالة في الطب لو عَلِمَهَا ابنُ قَرّة وابنُ زكرياء لما زادا عليها. فسألته أن يُعيرنيها إن كانت عنده،... إلى أن ظفرتُ في نسخة الرسائلِ المبوبة للصاحب برسالةٍ قدّرتها تلك التي ذكرها أبو جعفر، ووجدتها تجمع - إلى ملاحاة البلاغة ورشاقة العبارة - حُسنَ التصرف في لطائف الطب وخصائصه، وتدللّ على التبحر في علمه وقوة المعرفة بدقائقه. وهذه نسختها، وأكثر ظنّي أنه قد كتبها إلى أبي العباس الضّبي»^(٢).

- رسالة في الهداية والضلالة.
- الرُّوزنامجة.
- عنوان المعارف وذكر الخلائف.

(١) ص ٤٨٥

(٢) يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٣٧.

- الفرق بين الضاد والظاء.
- الفصول الأدبية.
- القضاء والقدر.
- كتاب الوقف والابتداء.
- الكشف عن مساوئ شعر المتنبي.
- المحيط في اللغة.
- المقصور والممدود.
- الوزراء.

ويُسمَّى (أخبار الوزراء) أيضاً. وكان أحد مصادر ابن خلكان حينما كتب ترجمة الوزير عليّ بن الفرات وزير المقتدر بالله، كما صرّح هو نفسه بذلك^(١). واقتبس منه الصّفدي نصّاً عن أبان بن صدّقة أحد كُتّاب الخلفاء العباسيين الأوائل^(٢).

إنّ كتابه (الرّوزنامة) يُعدّ من أوائل المذكرات الشخصية اليومية التي عرّفها الأدب العربي. وهو مجموعة رسائل يومية أرسلها من بغداد لما زارها صحبة الأمير البُوَيْهي سنة ٣٤٧هـ إلى أستاذه ابن العميد؛ ليُطلعه فيها على مشاهداته ومُطارحاته واجتماعاته برجال السياسة والعلم والأدب، وفيها كثيرٌ من الأخبار والقصص، بل والاعترافات بتصرّفاتِه الخاصّة ومجالسه البعيدة عن أنظار الناس،

(١) وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٢٥.

(٢) الوافي، ج ٥، ص ٣٠١.

وهي ميزة لا تتأتى لكثيرين من الكُبراء^(١).

ومؤلفاته التي تتراوح بين ١٨-٣٧ مؤلفاً^(٢)، تُنبئ عن اطلاعٍ واسع، وثقافةٍ عالية، وتمكّن من ناصية أكثر من علم، وأسلوبٍ أدبي ولُغوي متميّز، فقد كتب في مجالاتٍ كثيرة، كما يتّضح من عُنوانات كتبه. وله آراءٌ فلسفية ونقدية خاصة به.

ولأدبه وكرمه ومجاليه العلمية ومعرفته أقدار الناس، أضحى الصّاحبُ محطَّ احترامٍ وإعجابٍ وارتحالٍ إلى حضرته، رغم ما ناله من شتمٍ وسبابٍ من الأديب الكبير أبي حَيَّان التَّوحيدي، وهو النّاقمُ على الدنيا، والمستمرئ شتم الفضلاء. فالظاهر أنّ التَّوحيدي حينما ذهب إليه، لم يفد منه ثروةً كما كان متميّناً، وذلك لأسبابٍ يبدو أنها تتعلق بالاختلاف الفكري الحاد بين الرّجلين؛ لذا عاد إلى بغداد، واستنفر كلّ مواهبه وقدراته اللغوية والبلاغية والبيانية ليسيّء للصّاحب في خلّقه وأدبه وعِلْمه وعِرْضه وفِكره؛ فظهرت للوجود تلك التحفة الأدبية التي صنّفها في ثَلْثه وثَلْب أسَاده ابن العميد (مثالب الوزيرين)^(٣).

وقد أسهب بعضُ الكتّاب في ترجمة حياته، وإبراز فضائله، والتّنويه بمكارمه وحُسن أخلاقه، وذكر سِمات أدبه، ومكتبته الضخمة.

(١) الصّاحب بن عبّاد، الروزنامة، مقدمة المحقق.

(٢) تختلف قائمة مؤلفاته بين من ترجم له. وهي بين مطبوع ومخطوط ومفقود. انظر قائمة مؤلفاته عند: النديم، الفهرست، ج ١، ص ٤١٩؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج ٢، ص ٢٦٢؛ الصّفي، الوافي، ج ٩، ص ١٣٨؛ صالحية، المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، ج ٣، ص ٤٣٣-٤٣٧.

(٣) انظر كتابيّه: مثالب الوزيرين، مقدمة المحقق؛ الإمتاع والمؤانسة، ج ١، ص ٥٤.

وممن توسّع في ترجمته: الثعالبي^(١)، وياقوت^(٢)، والصّفدي^(٣)، والعبّاسي^(٤). كما ترجم له: أبو نعيم الأصبهاني^(٥)، وأبو شجاع الرّوذراوري^(٦)، وابن الأنباري^(٧)، وابن الجوزي^(٨)، والقفطي^(٩)، وابن السّاعي^(١٠)، وابن خلكان^(١١)، والسّيوطي^(١٢)، وابن طولون^(١٣)، وخواندمير^(١٤)، وابن العماد الحنبلي^(١٥). وأخباره مبثوثة في كتاب (محاسن أصفهان) للمافروخي^(١٦)، وكتاب (إحكام صناعة الكلام) للكلاعي^(١٧)، وتُنظر بعضُ مُراسلاته وبلاغته الأدبية، وبعضُ فقره، وكلماته السّائرة كالأمثال

(١) يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٢٥-٣٣٧.

(٢) معجم الأدباء، ج ٢، ص ٢١٣-٢٩٠.

(٣) الوافي بالوفيات، ج ٩، ص ١٢٥-١٤١.

(٤) معاهد التنصيص، ج ٤، ص ١١١.

(٥) تاريخ أصفهان، ج ١، ص ٢٥٨.

(٦) ذيل تجارب الأمم، ص ٣٠٩.

(٧) نزهة الألباء، ص ٢٨١.

(٨) المنتظم، ج ١٤، ص ٢٧٥، وانظر: ص ٣٨٠.

(٩) إنباه الرواة، ج ١، ص ٢٠١.

(١٠) الدر الثمين في أسماء المصنفين، ج ٢، ص ٢٢٩.

(١١) وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٢٨.

(١٢) بغية الوعاة، ج ١، ص ٤٤٩.

(١٣) إنباء الأمراء، ص ٤٨.

(١٤) دستور الوزراء، ص ٢٢١.

(١٥) شذرات الذهب، ج ٤، ص ٤٤٩.

(١٦) انظر فهرس الأعلام.

(١٧) انظر فهرس الأعلام.

في: (رسائل الشيرازي) ^(١)، و(الإعجاز والإيجاز)، و(سحر البلاغة)، و(خاص الخاص) للثعالبي ^(٢)، و(نكت الوزراء) للجاجرمي ^(٣)، و(الدَّعَوَات والفصول) للواحدي ^(٤)، و(زَهْر الآداب) للحُصْري القيرواني ^(٥)، و(جمهرة الإسلام) للشَّيْزَري ^(٦).

وأفرد له مهذَّبُ الدين ابن الحَيِّمي القامغار الحليّ المزيدي (ت ٦٤٢ هـ) كتاب (الديوان المعمور في مدح الصَّاحِب المذكور) ^(٧)، كما أفرد له ابن السَّاعي (ت ٦٧٤ هـ) واحداً من كتبه أسماه (حصول المراد من أخبار ابن عَبَّاد) ^(٨). وكذلك محمد عليّ الزاهدي الأصفهاني (ت ١١٨١ هـ) الذي ألَّف كتاباً بعنوان (أخبار الصَّاحِب بن عَبَّاد). كما وضع أحمد بن محمد القُوبائي الأصفهاني سنة ١٢٥٩ هـ رسالةً أسماها (الإرشاد في أحوال الصَّاحِب الكافي إسماعيل بن عَبَّاد) جعلها في أربعة عشر باباً، وذكرها في مقدِّمته: الباب الأول: في مولده ومنزله وأيام عمره، الباب الثاني: في نسبه وشأنه، الباب الثالث: في عدد تلاميذه وخليفة

(١) انظر فهرس الأعلام.

(٢) الإعجاز، ص ١٠٨؛ سحر البلاغة، ص ١٨٨؛ خاص الخاص، (فهرس الأعلام).

(٣) ص ١٠١.

(٤) انظر فهرس الأعلام.

(٥) انظر فهرس الأعلام.

(٦) ص ٨٩٩.

(٧) الصفدي، الوافي، ج ٤، ص ١٨٢.

(٨) ابن الساعي، الدر الثمين، ج ٢، ص ٢٣١.

عصره، الباب الرابع: في أحواله وأخلاقه، الباب الخامس: في أقواله الحسنة الجميلة نظماً ونثراً، الباب السادس: في أفعاله الحميدة، الباب السابع: في كتبه المؤلفة منه والمؤتلفة له، الباب الثامن: في استمساكه بحبل طاعة الأئمة الاثني عشر واستحلاله بحلية التشيع، الباب التاسع: في مدائحه، الباب العاشر: في نقش خاتمه، الباب الحادي عشر: في مماته وما وقع فيه، الباب الثاني عشر: في مدفنه، الباب الثالث عشر: في مراثيه، الباب الرابع عشر: في واقعة تخريب بقعته، وبعض كراماته.

ومن المعاصرين، خصّص له خليل مرّدم بك كتاباً باسم (الصّاحب بن عبّاد)، وبدوي طبانة (الصّاحب بن عبّاد الوزير الأديب العالم)، وكذلك محمد حسن آل ياسين (الصّاحب بن عبّاد - حياته وأدبه)، وقد اهتمّ به وبتراثه اهتماماً كبيراً؛ فنشر ديوانه وبعض مؤلفاته.

والبُويهيّون الذين خدم الصّاحبُ في دواوينهم: أسرةٌ من الدَّيْلَم الذين كانوا يقطنون السُّهول الواقعة جنوبي بحر قزوين، مع أبناء عُمومتهم الجبل سكّان الجبال المنيعّة من ذلك الإقليم المسمّى ببلاد الدَّيْلَم^(١).

(١) عنهم، انظر: مجهول، حدود العالم، ص ١٥٣؛ الإصطخري، المسالك والممالك، ص ٢٠٤؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣١٨؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٥٣؛ الصّابي، المنتزع من كتاب التاجي، ص ٢٥؛ البيروني، الآثار الباقية، ص ١٣٣؛ الرافعي، التدوين، ج ١، ص ٢٢؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٣٣٠، ص ٤٣٤؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج ٨، ص ٣٥٨؛ جوزجاني، طبقات ناصري، ص ٢١٨؛ البناكتي، روضة أولي الألباب، ص ٢٣١؛ ميرخوند، روضة الصفا، ج ٤، ص ٦١٢؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٠٦.

وقد تملك رجالهم الأوائل طموحٌ سياسيٌّ كبيرٌ؛ فاتَّصلوا بالدَّولة العَلَوِيَّة التي قامت في طَبَرِستان، ثم بذلوا أنفُسَهم في خدمة الدَّولة السَّامانية التي حكمت معظم أرجاء المشرق الإسلامي، ثم التحقوا بخدمة القوى السياسيَّة المحليَّة، مُتربِّصين للوثوب.

واستطاعوا بفضل جُهودهم ومُسابرتهم واستغلالِ الظروف السياسيَّة المضطربة من إرساء مُلكٍ لهم في بلاد فارس أوَّلاً، ثم الانقضاض على بغداد التي كان الأتراك المتولَّون إمرة الأمراء يُحكمون سيطرتهم عليها وعلى الخلفاء العباسيين^(١)؛ فأَنهَوا عهدهم، وشكَّلوا أسرةً حاكمةً توارثت حكمَ بغداد والسيطرة على الخلافة والخليفة^(٢).

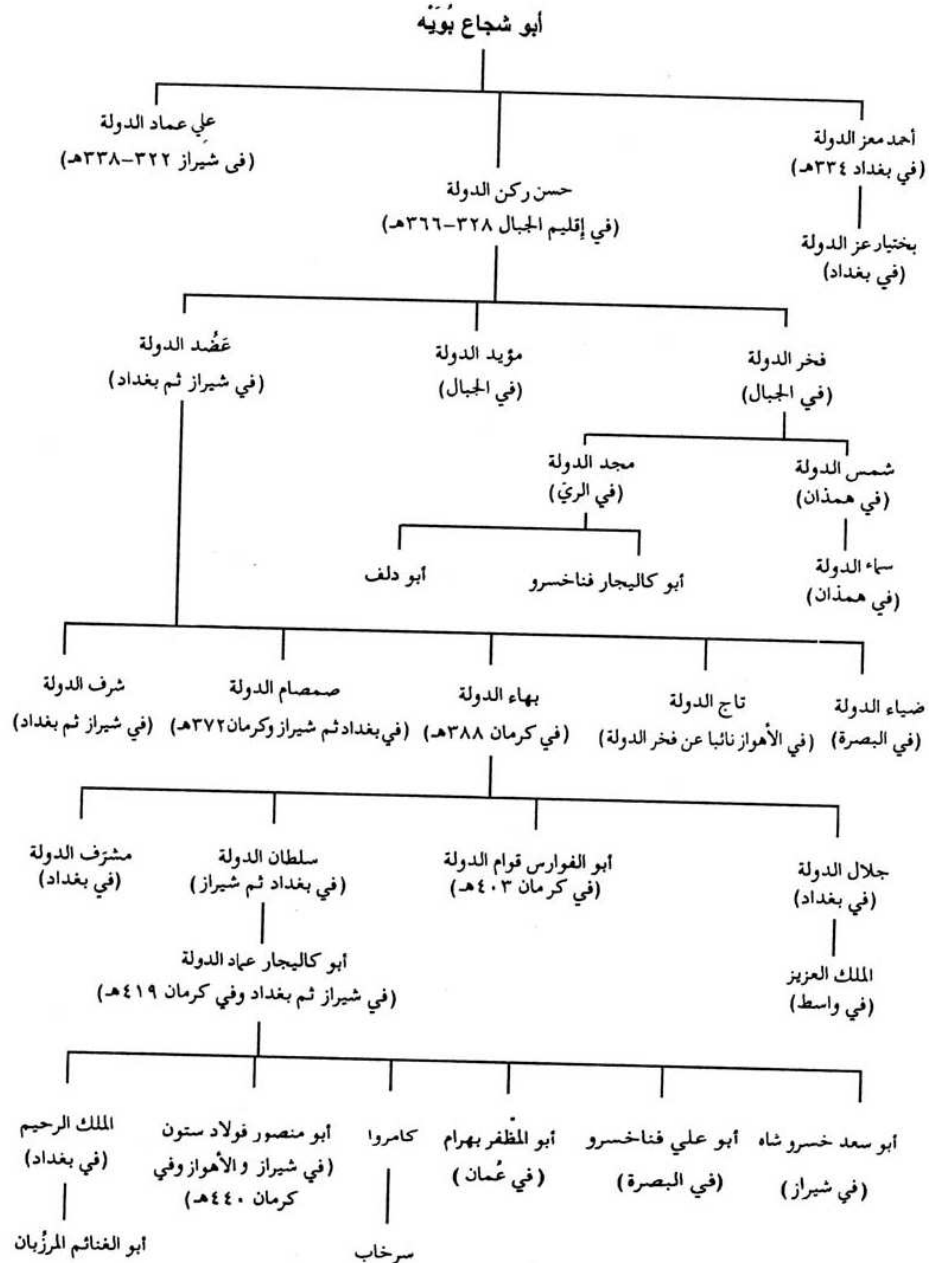
وبالإضافة إلى تحكُّم البُويهيِّين بالخلافة والخليفة، فقد خاضوا صراعاً مَريراً فيما بينهم على النفوذ والثروة، وكذلك مع القوى السياسيَّة المحيطة بهم كالحَمْدانيين والسَّامانيين والبريديِّين والزَّياريين والقرامطة وبني حَسَنَوَيْهِ الأكراد وبني شاهين أمراء البطائح وبني مروان بمَيِّافارقين^(٣).

(١) عن حقبة إمرة الأمراء، انظر: الدوري، عصر إمرة الأمراء في العراق.

(٢) انظر: صدِّيقِي، الخلافة والملكيَّة في إيران، ص ٦٧.

(٣) في هذا الموضوع، انظر: الكروي، البويهيون والخلافة العبَّاسية، ص ٩١، ص ١٢١، ص ١٢٧، ص ١٣٣، ص ١٧٢، ص ١٨٩، ص ١٩٤.

مشجر الأسرة البويهية



ومن هنا تأتي أهمية رسائل الصّاحب بن عبّاد، فهي رسائل سُلطانية ديوانيّة، تُظهر بوضوح تسلّط البويهيين على دولة الخلافة، وتوثّق كثيراً من جوانب العلاقات السياسية التي كانت تربط البُويهيّين بحُلفائهم وخصومهم. وهي وثائق تاريخية تسجّل تفاصيل كثيرة عن دولة البُويهيّين وشؤونهم الداخلية والخارجية، وإدارتهم، ورُسومهم، وعهودهم، ومناشيرهم، وبعض الأحوال الاجتماعية. وبعض هذه الرسائل يتعلّق بالإجراءات الاقتصادية، والتنظيمات الإدارية والمالية، في غاية الأهمية بالنسبة لدراسة التاريخ الاقتصادي، ولها أهمية كبرى في دراسة تاريخ المصطلح الإداري والاقتصادي. كما أنّ فيها غير ذلك مما يساهم في فهم تلك الحقبة المهمّة من تاريخنا، ويساعد في كتابتها.

وفيها أيضاً رسائل إخوانية توضّح بعض العلاقات الاجتماعية، الرّسمية والشخصية، وتحمل مشاعر تختلف درجة صدقيّتها.

وبالإضافة إلى ذلك، تُقدّم رسائل الصّاحب صورة واضحة لما وصل إليه فنّ الرّسائل الأدبية في القرن الرابع الهجري، يمكن من خلالها دراسة جانب من جوانب النثر الفنّي، وسماته^(١).

والحقّ أنّ دراستها بإمعان توفّر مادة خصبة للباحثين في تاريخ وحضارة القرن الرابع الهجري، لا يمكن إغفالها، بما فيها من مصطلحات، ومدلولات وأسماء تتعلّق بدراسة تاريخ المجتمع والاقتصاد والثقافة والأدب وغير ذلك.

(١) كالمحاولة التي قام بها زكي مبارك في كتابه النثر الفني في القرن الرابع، ج ٢، ص ٢٩٦.

وقد وصف الثعالبي كتابة الصّاحب بقوله: «ومحاسن فقر الصّاحب تستغرق الدفاتر، وتستنزف في الانتخاب منها الخواطر، وليس يتسع هذا الكتاب لغيض من فيضها، وقطرة من سيحها»^(١).

إنّ أصل هذه الرسائل محفوظ في المكتبة الوطنية بباريس، برقم (٣٣١٤). وهي نسخة وحيدة، فيما أعلم. وتتألف من ١١٦ لوحاً، في كلّ لوح ورقتان، وعدد سطور كلّ ورقة يتراوح بين ٢٢ و ٢٤ سطراً، وفي كلّ سطر ١٠-١٢ كلمة في الغالب.

ناسخها شخص أفصح عن اسمه ولقبه في نهاية المخطوط، وهو أبو الحسن علي بن أحمد بن زكريا، المعروف بابن الشّصاص البغدادي. وقد فرغ من كتابتها في رمضان من سنة ٥٧٧هـ، بهمّذان، كما قال هو نفسه في خاتمة المخطوط. وقد كتب في صفحة العنوان: «كتاب المختار من رسائل كافي الكفاة أبي القسم بن عبّاد رحمة الله عليه وبرّد مضجعه».

خطّها نسخيّ معتاد واضح، إلّا عُنواناتها فكُتبت بخطّ الثلث، وهي قليلة الأخطاء، لكن طريقة النسخ (أو الجامع إنّ صدق الظن) في الإملاء عليها بعض الملاحظات، وهي:

(١) يحذف الألف المتوسطة في كلمات: أمثلة: بسكنيها = بساكنيها / السلم = السلام / القسم = القاسم / إبراهيم = إبراهيم / إسماعيل = إسماعيل /

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٩٦.

ثلاثة = ثلاثة / السموات = السماوات... وفي أغلب الكلمات المشكلة يثبتها. (وقد أثبتناها، ولم نشر للحذف).

(٢) يزيد ألفاً في «مئة»: مائة = مئة (أثبتناها «مئة» ولم نشر للزيادة).

(٣) يثبت ألف «هؤلاء»: ها ولا = هؤلاء (أثبتناها «هؤلاء» ولم نشر للاختلاف).

(٤) يسهّل الهمزات: توثل = تؤثل / استخذنا = استخذاء / إنشا = إنشاء / العوايد = العوائد / المنايح = المنائح... (أثبتنا الهمزات، ولم نشر لتسهيلها).

(٥) في كثير من المواضع يهمل الحروف المعجمة: تول = تؤثل / عفه = عقبه... (لم نشر لذلك).

(٦) ينقط الألف المقصورة: علي = على / تعالي = تعالى / إلي = إلى... (لم نشر لذلك، وأثبتنا الصواب).

(٧) يصل بين بعض الكلمات: ثلثاية = ثلاث مئة (رسمناها وأمثالها برسمنا الحديث، ولم نشر). ألا = أن لا (وأحياناً يفصلها: أن لا)، (أثبتناها دائماً: «ألا»، ولم نشر). فيمن = في من (أثبتناها دائماً متصلة).

(٨) يفصل بين بعض الكلمات: طال ما = طالما (وصلنا، ولم نشر). كيف ما = كيفما (وصلنا، ولم نشر).

(٩) يرسم الواوي يائياً والعكس (في بعض المواضع): مرقا = مرقى / الحجى = الحجا (أثبتنا الصواب، ولم نشر).

(١٠) يرسم - أحياناً - بحسب أصل الكلمة (يزيل الإبدال): التوازر =
التآزر (رسمناها مبدلة، ولم نشر).

(١١) يرسم الهمزة المتطرفة الموصولة على حرف مناسب لحركتها: بدؤوا
(رسمناها كرسمننا، ولم نشر).

(١٢) يفتح - في القليل النادر - التاء المربوطة: رحمت = رحمة (رسمنا
الصواب، ولم نشر).

(١٣) يرسم كلمات الآيات كرسم المصحف - أحياناً -: الصلوة = الصلاة
/ أتقكم = أتقاكم... - وقد يرسم بحسب القراءة: يوم ينادي المنادي
= ينادِ المناذِر.

(١٤) «الصلوة» يرسمها دائماً: الصلوة (كرسم المصحف)، (رسمناها
كرسمنا، ولم نشر). «الحياة» يرسمها دائماً: الحياة (كرسم المصحف)،
(رسمناها كرسمننا، ولم نشر).

(١٥) يضع أحياناً بعد الواو المتطرفة الأصلية ألف الفرق! يبدو = يبدو /
تصفوا = تصفو (رسمناها على الصواب، ولم نشر).

(١٦) كثيراً ما يخبر عن المؤنث بصيغة المذكر، وعن المذكر بصيغة المؤنث:
فيؤمن عوادي = فتؤمن عوادي... (رسمنا بما يناسب، وهذا ما أشرنا
إليه - فقط - في الهوامش).

وهذا المجموع من رسائل الصّاحب لا يشكّل كلّ رسائله التي كانت

تبلغ عشر مجلدات^(١)، وإنما هي مختارات لا نعلم مَنْ اختارها. وقد صرّح مَنْ قام بهذا العمل في مقدّمته التي كتبها لهذا المختار بذلك، حيث وجّه عمله لشخصٍ - نجهله أيضاً - هو مَنْ طَلَب منه القيام بهذا الاختيار، فقال: «ذكرت - أطل الله بقاءك - شديد حرصك على تحفّظ بعض رسائل الصّاحب كافي الكفاة رضي الله عنه، واحتياجك إلى مَنْ تستعين به على جمع ذلك مُبَوَّباً، مُختاراً.. فوعدتك القيام لك به، وجردتُ له عنايتي، وخرّجتُ من كلّ بابٍ من أبواب ديوان رسائله العشرين عشرَ رسالاتٍ،... وقد رجوتُ أن يقع ذلك منك موضع الوفاق».

وعلى الرغم من محاولاتنا التوصل إلى شخصية مَنْ انتقى هذا المجموع، إلّا أن كلّ المحاولات لم تجدِ نفعاً، لكنّ إشارة وردت عند الثعالبي، وهو المتوفى سنة ٤٢٩هـ، تؤكّد أن هذا العمل قد تمّ مبكراً، حيث يقول في معرض حديثه عن إحدى رسائل الصّاحب: «إلى أن ظفرتُ في نسخة الرسائل المؤلّفة المبوّبة للصّاحب برسالة...»^(٢). ولولا هذه الإشارة، لذهب الظنُّ إلى ابن الشّصّاص البغداديّ ناسخ هذه الرسائل.

ويبدو أنّ هذا المختار هو نفسه الذي كان بين يديّ عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) صاحب (خزانة الأدب)، حين قال: «ورأيتُ في رسائل الصّاحب بن

(١) ابن الساعي، الدر الثمين، ج ٢، ص ٢٣١.

(٢) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٣٨.

عَبَاد رسالة مُداعبة^(١)، جمع فيها نظائر هذا الشعر، وهي رسالةٌ جيّدةٌ أُحِبْتُ أَنْ أوردَها هنا»^(٢).

والكتابُ عبارة عن عشرين باباً في الفتوح والعهود وغيرها من المراسلات الرسمية والإخوانية. وهذه التقسيمات العشرون من أصل ديوان رسائله الكامل، والمتألف من عشر مجلدات، وهذا يتّضح من مقدّمة مَنْ اختار هذا المختار.

إنَّ أهمية هذا المختار من رسائل الصّاحب، والتي نوّنها إليها قبل قليل، هي ما دعّني إلى تحقيقها ونشرها، إضافةً إلى رغبتني في المساهمة في الحفاظ على تراثنا العظيم، وبذلِهِ مُهيّاً للباحثين والمهتمّين.

وكان هذا المجموعُ قد نشرته قديماً دار الفكر العربي (؟)، بتصحيح وتقديم الأستاذين العالمين الكبيرين عبد الوهاب عزّام وشوقي ضيف، رحمهما الله. وقد أفلدْتُ - شخصياً - من نشرتهما - جزاهما الله كلّ خير - كغيري ممّن اشتغل بدراسة التاريخ. لكنّ تلك النشرة أصبحت الآن عزيزةً جداً حتى على بعض أعرق مكتبات الجامعات العربية، يُضاف إلى ذلك بعض الهَنَات التي شابتَ عملَ الأستاذين الجليلين، والتي لا تُنقص من أهميّة عملهما وقيمتيه، والعذرُ كلّ العذر لهما فيما جانبا به الصّواب؛ إذ لم تكن معظم المصادر الأولى قد نُشرت بعد.

وكان الأستاذان قد نشراه تحت عنوان (رسائل الصّاحب بن عبّاد)، لكنّني

(١) وهي المنشورة في هذا الكتاب، ص ٣٣٣.

(٢) ج ٦، ص ٢٧٦.

التزمتُ بعنوان المخطوطة؛ لما في ذلك من أمانةٍ علميّة، ودقّةٍ في مطابقة العنوان للمُحتوى.

لذلك كلّهُ، هممتُ بإعادة نشر هذه الرسائل محقّقةً تحقيقاً جديداً، معتمداً على النسخة الخطيّة، وهي ذاتها التي كانا قد اعتمداها، ومستفيداً مما نُشر من التراث العربي المخطوط.

وقد ألحقتُ شرقي هذه ملحقاتٍ جمعتُ فيه بعض رسائل الصّاحب الأخرى الماثورة في المصادر، والتي لم ترد في هذا المختار؛ إكمالاً للفائدة، وزيادةً في المادة الأولية المقدّمة للباحثين. ثم صنعتُ عدداً من الفهارس والكشّافات تسهّل عمل الباحثين والمهتمّين، وخاصّة فهرس الألفاظ والمصطلحات الحضارية.

وإني إذ أقدم هذا العمل للمكتبة العربية، لأرجو أن يحوز رضا من يُطالعُه. والحمد لله العالم بمصادر الأمور وسرائر الصُّدور.

إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري



بسم الله الرحمن الرحيم
الباب الأول

في البشائر والفتن

كتابنا الامام الله عزك من المعسكر بظاها واسترا باذ وقد اترك الله علينا النفس
وسهل لنا بعد وجدهم ولا نالنا الملك السيد لعلوا والتموا والجليلة رب العليم في صلواته على النبي
محمد وآله اجمعين واجسن نعم الله تعالى علينا واولها واولها واولها واولها واولها واولها واولها واولها
اذا تصفحت المواهب اخرا انما السائق واولها اذا اتبعت المنافع فورا ما لغير الناس
واجراها بان تنبي عليها السنة الايام والليل وتنبي اليها اعتنا والحمد والمعا
لنعمه صلوات حمد وشكر او جمعت فحوا ونصر ونظمت لحجاء فحوا واستدلت بممط
الحجود لاهيا غير غير مستشرا في العوط عاد الطورين ن فتلك النعم عند مولانا
الملك السيد اذ عضد الدولة ونوح المله وحسن الامه وحجج الفقه ورفد الخلافة
وبسط العدل والرافة وطهر البلاد وعمر الحج والجماد وسائر الجهور وسد الثغور
فشهدت فتوحه بانه مويد عند الله وبحوط الملك بيد الله لا ينافع رايه منافع الا
تلك الحينه وعمره بقطع ويند ولا ينافع رايه مما منع الا علت يده دون مطلبه
واقطع امد عن حربه ولم يفر بالخص عليه مارق والتمتع دونه مشاق مفاقر
الا استولى عنوا على ايات احباله واقاضيه ومكن منه القضا سحفا سنازل
عن معاقلة وصباضيه وعيان ذلك المشاهد قبل اقامة شواهد طارث ما اجرا
الله عليه في ظله وباعنلاق حبله في امير العالم طابوس في تمكين الامضا اخو
وكان للطايع عبدا ومع ابي ابيها بيدا وهذا الجليل مخور في اهله
مخفور في نفسه وفعله تكل صغورا القدر خفي شخصه وغموض الذكر بتوث اعصه
واستحازنا وهو في قران هول وضمان محول فظنناه اذا اصطغناه لمولانا
الملك السيد ولنا منتصين له من عند الامتهان والابتدال ومستشلين من عاله
الا متحار والاحلال واستخلفناه على بلاد جرجان وطبرستان بشكر النعمة

نموذج من المخطوط

فما احب اني عنها فستبين الاحساب من لفظها على ما قدمت به والسلام

و

غاية لذي الحجرات

والله تبارك وتعالى اختلف درجات ومن اهلهم يحق الخطوع واجرامهم يتقدم
الخطوة من ورد أعذب من رعيه بالوكذ ذريعة وحمل فلان كتاب فلان الى حضرة مولانا
في التي نماظر موانه وجز مائة التي فلما خيرة في نوازع الامد ومضات بل العمل كان
افضل من ان ومنه ان بيان ان الخاطبة مولاي يذكره واستكني غنايته لاهتمام
لعمري هذا له لدية ذمام البلية الى دواعي حكيمه رعيه فليوله مولاي من اقباله
واستماله ما يظفر بامانه واثماله فلولاً رجاوه الذي لم يزع الا الى رجاويه
ولم يحوم الا على فثايه لكان فيما اورد من متجوع محض تنامير وظل من الاجتنان ظليل
والله تعالي محسن توفيق سيدي بلارطيب ذكره ويعرف بشره منده

و

التوقيع

اذا اجمع الى ان هذه السيله وجاهة المرات الوكيد كان بل الاصل ربي فيه
مشجبا عن كت فليتع مولاي لهذا الفتي حسن ازيان والتماسه ولبهته
تقديمه واحتصاصه فقد ربي بعد نجز الكتب من الحشر بان تكون ثمرة سفره
وعايد امه ملاظ طيبه سيدي في معناه وحقيق مثله بان لا خطبه
منه وسيدي ادام الله عيتي ملي بخلا في في فضا حقه واضافه من ربه

و

تقرظ وغنايه واخبار عن شكر بجل نعمه

اما اجد الله الكرام اذا طلقوا لاسنة مناقب مولاي تابعة للاجاء آمنه من
النزاع حتى البعيدا لرا منه ينشر ما ينشر الدليل الجوار وقد لا داء الغرض
المكتوب مني الى فلان وهو من اجبان كتاب في اسنان ومن اسنان نواحي الا باح
في مهمات ذلك الديوان فزابت منه مجاشع درايه وصيانه وداينه وزراند

نموذج من المخطوط

مكتبة
قزوين
أبو القاسم

[١ ب] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكرت - أطلال الله بقاءك - شديد حرصك على تحفظ بعض رسائل
الصاحب الجليل كافي الكفاة رضي الله عنه، واحتياجه إلى من تستعين به على
جمع ذلك مبوباً، مختاراً الأشف فالأشف منه؛ فوعدتك القيام لك به، وجردت له
عنايتي، وخرجت من كل باب من أبواب ديوان رسائله العشرين عشر^(١)
رسالات؛ ليخف حجم هذا المجموع، ولا يعتاص تحفظه. وقد رجوت أن يقع
ذلك منك موضع الوفاق، والله ولي التوفيق والإرشاد.

فالباب الأول: في البشائر والفتوح.

والباب الثاني: في العهود.

والباب الثالث: في الأمان والأيمان والموافقات والمناشير.

والباب الرابع: في أمر الحجيج والمصالح والثغور.

(١) لم يلتزم بهذا العدد؛ فزاد في الأبواب: التاسع والعاشر والخامس عشر رسالة؛ ليصبح الباب
مشمئلاً على إحدى عشرة رسالة، في حين قلص الباب السابع عشر إلى أربع رسائل فقط.

والباب الخامس: في الاستعطاف وما يُجانسه.

والباب السادس: في إصلاح ذات البين، وتهجين العقوق.

والباب السابع: في المدح والتعظيم.

والباب الثامن: في الذمّ والتّهجين وما يجري مجراه.

والباب التاسع: في التّهاني.

/ [٢ أ] والباب العاشر: في التّعازي.

والباب الحادي عشر: في الإخائيّات والمداعبات.

والباب الثاني عشر: في التّشكُّر.

والباب الثالث عشر: في الاستزادة والتّفريع.

والباب الرابع عشر: في التّنصّل والاسترضاء.

والباب الخامس عشر: في الشفاعات.

والباب السادس عشر: في توصية العُمال بتجلّب المال وإظهار العفاف وحُسن السّياسة.

والباب السابع عشر: في الأدب والمواعظ.

والباب الثامن عشر: في فُصولٍ وغُررٍ، وتوقيعاتٍ ودُررٍ.

والباب التاسع عشر: في الفوارد^(١)، وهي الكتب النادرة.

والباب العشرون: في الشوارد؛ و[هي]^(٢) الكتب المختلفة المعاني.

(١) جمع فارد، ويقصد به الفرد الذي لا نظير له، أي الفريد.

(٢) زيادة مقتضاة من الأصل أول الباب.

[٢ب] ————— ألفه العز

الباب الأول

في الاستدلال

[٤٧] (١)

كتابنا^(٢) - أدام الله عزك - من المعسكر بظاهر إستراباذ^(٣)، وقد أنزل الله علينا النصر، وسهل لنا - بعلو جد مولانا الملك السيد^(٤) - العلو والقهر، والحمد لله رب العالمين، وصلواته على النبي محمد وآله^(٥) وصحبه أجمعين.

وأحسن نعم الله تعالى غرراً وأوضاحاً، وأبينها فلَقاً وصباحاً، وأولاهها إذا تُصَفِّحت المواهب أخذاً بحظ السابِق، وأدلاها إذا تُتَبَّعت المنائح فوزاً بالعز الشاهق، وأخراها بأن تُثْنِي عليها ألسنة الأيام والليالي، وتُثْنِي إليها أعناق المحامد والمعالِي: نعمة صادقت حمداً وشكراً، وجمعت فتحاً ونصراً، ونظمت نجحاً وقهراً،

(١) زيادة متاً.

(٢) كتب هذا الكتاب أثناء الحرب الدائرة بين عضد الدولة وأخيه فخر الدولة المتحالف مع قابوس ابن وشمكير الزيارى، أحد أمراء الدولة الزيارية التي قامت في جرجان وطبرستان من عام ٣١٦ إلى عام ٤٧٠ هـ. وقد انتهت بهزيمتهما على باب إستراباذ. انظر: العتبي، اليميني، ص ٥٠؛ الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ص ٢٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٣٨٨، ص ٣٩٧، ص ٤٩٥.

(٣) بلدة من أعمال طبرستان، بين سارية وجرجان. السمعاني، الأنساب، ج ١، ص ١٣٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ١٧٤.

(٤) يريد الصَّاحِبُ - في رسائله دائماً - بالملك السيد: عضد الدولة. انظر ص ٦١ على سبيل المثال.

(٥) أقحم أحدهم بعدها: و«أصحابه»، وهي ليست من كلام الصَّاحِب، ولا ناسخ الكتاب؛ فهي ليست على السطر، وليست بخط الناسخ ولا حجم خط الكتاب، فأمارات الإقحام واضحة بيّنة. ولعلّ الأصل كان قد وقع بحوزة سنّي؛ فزادها، فالصَّاحِب والبويهيون كانوا من الشيعة. وللأمانة العلمية والتاريخية رأيت أن لا أضعها في متن الكتاب.

واستندلت ممتطياً للجُحود لاهياً عن غوره، مُستشرياً في الغموط عادياً لَطُوره؛ فتلك النعمة عند مولانا الملك السيّد؛ إذ عَصَدَ الدَّوْلَة، وتَوَجَّ المِلَّة، وحرَسَ الأُمَّة، وزَحَزَحَ الغُمَّة، ورَفَدَ الخلافة، وبَسَطَ العَدْلَ والرَّافَةَ، وطَهَّرَ البِلَادَ، وعَمَرَ الحَجَّ والجهاد، وساسَ الجمهور، وسدَّ الثغور؛ فشهِدَتْ فتوحُه بأنه مُؤَيَّدٌ من عند الله، ومحوطُ الملكِ بيدِ الله، لا يُنَازِعُ رأيُه منازِعُ إلا تَلَّ لجبينه، وعُوِجِلَ بقطعِ وتينِه^(١)، ولا يُمانِعُ رأيتهُ ممانِعُ إلا غُلَّتْ يدهُ دونَ مَطْلَبِهِ، واقتطِعَ أمدُه عن مَهْرَبِهِ، ولم يعزَّ بالتَّحَصُّنِ عليه مارقٌ، والتمنَّعِ دونه مشاقُّ مُفَارِقٌ، إلا استولى عفواً على غَاياتِ احتياله وأقاصيه، ومكَّن منه القضاء سمحاً فاستنزل عن معاقِلِهِ وصياصيه. وعيانُ ذلك لمشاهدِهِ، قبل إقامة شواهدِهِ: حادثُ ما أجرانا الله عليه في ظلِّهِ، وباعتلاقِ حَبْلِهِ، في أمرِ الغامِطِ قابوس بن وشمكير؛ إذ مَضَى أخوه^(٢) وكان للطَّاعَةِ عَبْدًا، ومع أيدي أوليائها يداً، وهذا الجاحِدُ مغمورٌ في أهْلِهِ، مخفورٌ في نَفْسِهِ وفَعْلِهِ، يكادُ ضُمُورُ القَدَرِ يُخْفِي شخصَه، وغموضُ الذِّكْرِ يتولَّى غَمَصَه، واستجارَ بنا وهو في قِرانِ ذهولٍ، وضمانِ حُمُولٍ، فظنَّاهُ إذا اصْطَنَعْنَاهُ لمولانا الملك السيّد ولنا^(٣)، مُتَّضِينَ له من غمدِ الامْتِهانِ والابتدالِ، ومُسْتَلِينَ^(٤) من عاديَةِ

(١) الوتين: عِرْقٌ في القلب إذا انقطع مات صاحبه. لسان العرب، ج ١٣، ص ٤٤١ (وتن).

(٢) هو بيسُتون بن وشمكير الذي توفي عام ٣٦٦هـ، فخلفه أخوه قابوس أميراً على طبرستان.

انظر: ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٣٧٥.

(٣) يكتب الصاحبُ هنا على لسان مؤيد الدولة، وكان الصاحب وزيره ومشيره.

(٤) في الأصل: ومستسلين، وهو تصحيف.

الامتحان والاختلال، واستخلفناه على بلاد جرجان وطبرستان - يشكر النعمة / [٣ أ] ويرتونها، ويدمن الخدمة ويحسنها، فرفعنا خسيسته، وجبرنا نقيصته، وجمعنا له بين التمكن من هذه الأعمال والبقاع، والإيثار بما فيها من المعامل والقلاع، فحين رأته عيناه، ما لم يبلغه منها، واتسعت نعمته، بحيث لم تنله همته، وقد نقلناه إلى رتبة لم يدركه راق إلى سماوتها، وأثقلناه بنعمة لم يأمل أن يتعلق بعلاوتها - نفخ الشيطان في سحره ومناخره، وضرب بالأسداد بين أوائل أمره وأواخره، وحَبَبَ إليه العناد حتى سيط بلحمه ودمه، وكره إليه الرِّشَادَ حتى ألقاه وراء ظهره وتحت قدميه، وأقبل على الشروط ينقضها، والمواثيق يرفضها، والرعية تحتكها، والدماء يسفكها، وسنن الظلم يحميها، وسير العدل يميته، والنفس البريئة يرتونها، ثم يعتالها ويفيتها.

ومولانا الملك السيِّد في كل ذلك يؤليه صفحة صفحة، ويؤليه العفو من عفو، فيتجاوز عنه حلماً، ولا يتجاوز به التنبيه كظماً، ونسلك فيه هذا المذهب ونعمته، ونحذر في أثناء الإغضاء ونرشده؛ رجاء أن ينزع أو يتزع، أو يقلع أو يرتدع، إلى أن عاد بدو شره فادحاً، وفتى جهله قارحاً، فاستبدَّ استبداد المطاع لا الطائع، والمخدوم والمتبوع لا الخادم التابع، واستلان لبس المخازي ومدَّ سُجُوفها، وتلقَّب (شمس المعالي)^(١) وكان كسوفها، صنيع من لم يؤت بسطة في علمه ولا جسمه، واستولى البؤس على عيشه واسمه، وما غادر مع ذلك من

(١) لقَّبه به الخليفة العباسي على عادته في تلقيب أمراء الدول الإسلامية التي نشأت في ذلك العصر.

انظر: البيروني، الآثار الباقية، ص ١٣٣.

المروق مناطاً إلا بلغه ولجج^(١)، ولا باباً من الفسوق إلا قرعه وولجج، إلى أن صار السبب في استزلال فلان^(٢)، فدلاه بغروره، واستهواه إلى جانب ثبوره، كأن لا رقة عليه ولا محاسبة، ولا عصمة بينه وبين الطاعة ولا مناسبة، ولم ترضه هذه المساوي التي لا مساوي له في ارتكابها، وقد ملأ حقائبه من اجترامها واحتقابها؛ فأخرج فلاناً إلى جبل شهريار^(٣)، وبها^(٤) أخونا أبو الحسن علي بن كامه^(٥) مولى أمير المؤمنين - أدام الله عزه - من لا يضطلي المخالفون بناه، حتى تحرقهم بشراره، وقد نسخ الجبل^(٦) قرناً بعد قرن، وأوسع أركانهم وهنا بعد وهن، فردوا^(٧) ناكسين على الأعقاب، متقمصين لباس الخسر والتباب.

(١) كذا، وصوابها: ولجج.

(٢) يقصد هنا فخر الدولة؛ فقد خرج على أخيه عضد الدولة؛ وذهب إلى قابوس مستنجداً به، فحماه، وكانت حمايته له سبب هذه الحرب.

(٣) أحد جبال طبرستان المنيعه، ويسمى شهريار كوه. انظر: ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان، ج ١، ص ٧٥.

(٤) كذا، ولعله أراد: الأرض؛ فأنثها.

(٥) علي بن كامه من رجال دولة آل بويه الكبار، وصهرهم. وله عندهم منزلة عظيمة. مات مسموماً سنة ٣٧٤هـ. عنه وعن أسرته وأولاده، انظر: ابن فندق، تاريخ بيهق، ص ٢٦٠. وانظر كذلك: العتبي، اليميني، ص ٥٤؛ الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ص ١١٩، ص ١٢٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٢٣١، ص ٢٤٣، ص ٢٦٣، ص ٤١٩.

(٦) الجبل - ومنهم قابوس - سكان إقليم جيلان وراء طبرستان. انظر: الصابي، المنتزع، ص ٢٩ وما بعدها؛ العتبي، اليميني، ص ٢٥٠.

(٧) في الأصل: فرددوا، والصواب ما أثبتناه.

ثم تَصَدَّعَ شَمْلُ المَقِيمِ عَلَى العُقُوقِ^(١)، والمَدِيمِ لِلْمُرُوقِ^(٢)، تَصَدَّعًا
تَتَجَتَّهُ الخِيفَةُ والمَهَابَةُ، لَا الرُّجْعَى / [٣ ب] والإِنَابَةُ، فَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ وَكَّلَهُ إِلَى
حَوْلِ نَفْسِهِ وَخَلَاءِهِ، وَخَافَ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ وَقَدْ أَمْلَاهُ. وَقَرَّرَ مَوْلَانَا^(٣) بِحَضْرَةِ
سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْأَمِيرِ^(٤) وَقَتًا وَقَتًا حَالَ النُّوَاحِي وَمَنْ كُنَّا وَلِيِّنَاهُ، وَدَفَعَهُ بِيَدِ
الْكُفْرِ فِي صَدْرٍ مَا أَوْلَيْنَاهُ^(٥). فَكَاتَبَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَشَعْتُ مِنَ
الذِّكْرِ، وَأَشْبَعْتُ مِنَ النَّشْرِ، مُسْتَكْفِيًا، وَأَهَابَ بِي لَارْتِجَاعِ الْوَدِيعَةِ مِنْ
جَاحِدِهَا مُسْتَصَفِيًا، وَرَأَى أَنْ تَكُونَ جُرْجَانُ وَطَبْرِسْتَانِ مُضَافَتَيْنِ إِلَى مَا نَلِيهِ^(٦)
حَاضِرَ النَّظَرِ، وَنُدَبَّيْرُهُ تَدْبِيرَ الْعِيَانِ^(٧) دُونَ الْخَبَرِ^(٨).

(١) يقصد فخر الدولة.

(٢) يقصد قابوس بن وشمكير.

(٣) يقصد مؤيد الدولة.

(٤) يقصد عضد الدولة.

(٥) يقصد قابوس.

(٦) في الأصل: نلبسه.

(٧) في الأصل: العينان.

(٨) يشير هنا إلى ما كان من سؤال عضد الدولة الخليفة الطائع لله - حين حمى قابوس فخر الدولة - أن يعقد لمؤيد الدولة على أعمال جرجان وطبرستان، وينفذ إليه العهد واللواء والخلع السلطانية؛ فأجابه إلى ذلك، وذلك سنة ٣٧١هـ. انظر: ذيل تجارب الأمم، ص ٢٤.

ووافانا من حَضْرَةِ مَوْلَانَا^(١) أَبُو حَرْبٍ زِيَادُ بْنُ شَهْرَاكُويَه^(٢) مَوْلَى أَمِيرِ
المؤمنين - أدام الله عِزَّهُ - وعينه فِرَارُهُ، واختاره حيث اختيارُهُ، قد نَجَّدَتْهُ
الحروبُ، وخَفَّتْ عليه الخطوبُ، زَعِيماً على مَنْ ضامَّهُ من خيلٍ، كقطع اللَّيْلِ،
ورجالٍ، خُلِقُوا لِقَطْعِ الآجالِ، مَقْرُوناً من فلان بالسَّديد رأياً ورويةً، الشهير في
مَجاري التَّدبيرِ مَشُورَةً ناصعةً وبَصيرةً قويَّةً، فنهَضنا وقد ضَمَمْنَا الخيلَ الوارِدَةَ إلى
جيوشِ تَرْجِفُ - بعونِ الله - لها الأرضُ، وَيَسْتوي بها - والمنَّةُ لله - النَّشْرُ والحَفْضُ.

وراسَلْنَا المغرورَ نُنَاشِدُهُ حَقَّ الصَّنِيعَةِ، وَنُبَصِّرُهُ فَرَضَ الشَّرِيعَةِ، وَنُعَلِّمُهُ أَنَّ
هَوَاءَ الغَمَطِ وَيٍّ، وفِنَاءَ النِّكَثِ فَنَاءٌ وَحِيٍّ، وَأَنَّهُ - إِذَا حَلَلْنَا بَعْقَوْتِهِ - غَرَضُ
الْخَوَازِمِ، وَهَدَفُ الْخَوَاطِفِ^(٣)، وَأَنَّ أَتْبَاعَهُ رِجْلُ جَرَادٍ وافَتْ بها الرِّيحُ في يومٍ
عاصِفٍ، وعادت عنه أجوبةٌ حَقَّقَتْ أَنَّ الغَاطِطَ مَسوقٌ إلى جزاءِ أَعْمَالِهِ، مَسْبوقٌ
بقضاءٍ لا مَطْمَعَ في انحلاله، إلى أَنَّ شافَهنا طَبَرِستانَ وقد طارَ عنها أخوه^(٤)،

(١) يقصد عضد الدولة.

(٢) في الأصل: أشهراكويه، والتصحيح من: رسائل الشيرازي، ص ٣٨. الروذراوري، ذيل تجارب
الأمم، ص ٢٤؛ الكامل، ج ٧، ص ٤١٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٢٠. وهو من
كبار قواد عضد الدولة، ثم ابنه صمصام الدولة. وانظر علاقته بأكراد ميافارقين في تاريخ
الفارقي، ص ٥٣.

(٣) الخوازم: جمع مَخْدَم، وهو السيف القاطع. لسان العرب، ج ١٢، ص ١٦٩ (خدم). والخواطف
هنا: الرماح.

(٤) جركاس بن وشمكير. انظر: ذيل تجارب الأمم، ص ٢٦.

والآخرون ذووه، واقينَ بظهورهم صُدورهم، وبأصلاهم نحورهم، فَبَسَطْنَا بها
المَعْدَلَةَ سُهولاً وجبالاً، وأَقْصَيْنَا فيها الإحسانَ يميناً وشمالاً، وأَلَّفَ الجاحد
بِإِسْتِرَابَازٍ عَدِيدِهِ، وَأَرْهَفَ حَدَّهُ وَحَدِيدَهُ، مُسْتَوْتِقاً من مَضَائِقِهَا، مُعَمِّقاً لِحَنَادِقِهَا،
مُقَدِّراً أَنَّ الحِصُونَ واقيةٌ مَنْ يَطْلُبُهُ جُنْدُ اللَّهِ وَحِزْبُهُ، وَحَامِيَةٌ مَنْ يَدْهُمُهُ سَخَطُ اللَّهِ
وَحَرْبُهُ. والمستأمنة منذ أول حطنا بويمة^(١)، إلى أن أمضينا في المناجزة العزيمة،
يتقاطرون نافضين أيديهم بالخذلان وزعيمه^(٢)، آيضين^(٣) إلى ذمام التوفيق
وَحَرِيمِهِ.

وقد كان المشورُ حَسِبَ المجاهدةَ تقَعُ على بابِ إِسْتِرَابَازٍ المُفْضِي إلى سَمَتِ
سارية^(٤)، وهو ضَنْكٌ على الفارس والراجل، وضيقٌ / [٤ أ] على الزَّارِقِ والنَّابِلِ؛
رجاءً أن يتدارك المدافعة، أو تتماسك الممانعة، وتأميلاً لأن تكونَ جُرْجَانُ وراءَ
ظَهْرِهِ، وباقية مَدَّةٌ مُطَاوَلَتِهِ تحتَ أَمْرِهِ. وأَمَلْنَا عنه أَعْنَةَ الخيولِ إلى بابِ إِسْتِرَابَازٍ
المواجهِ جُرْجَانِ برأي صائبٍ سافرٍ، على طريقٍ بِكْرٍ لم يُفْتَرَعِ^(٥) بخفٍّ ولا حافرٍ،

(١) ويمة: بلدة صغيرة في الجبال بين الرِّيِّ وطبرستان، ومقابلها قلعة حصينة يقال لها: فيروزكوه
من أعمال دُنباوند. السمعاني، الأنساب، ج ٥، ص ٦٢٢؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٥،
ص ٣٨٦.

(٢) يقصد بالزعيم: قابوس.

(٣) أي: عائدتين وراجعين. لسان العرب، ج ٧، ص ١١٦ (أيض).

(٤) إحدى مدن طبرستان المهمة. ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٠.

(٥) في الأصل: يفتزع. والصواب ما أثبتناه. فالافتراع: فُضَّ البُكْر. لسان العرب، ج ٨، ص ٢٥٠ (فرع).

فبردت أزواح الضلال، وعلّموا أنّ سعيهم في خبالٍ ووبال. وشحنّا جرجان
 بخيلٍ سرّبناها إليها، وضمّناها إلى أبي الوفاء بكتكين الحاجب مولى مؤيد الدولة
 - أيده الله - ليطنب عليها؛ فقد كان أهلها من عسف المارق وخبطه، فيما ضاعفه
 عند نهوضنا لمحاصرته وضغطه، فأرّخي من خناق تلك الرعيّة، واستخلصت من
 أنياب العسف ومخالب الأذية، وخيمنا فأعدنا الذكرى على الغار مع الاقتدار،
 وحذرناه العقبى على قرب الدار، آخذين بإذن الله، عند مقاتلة البغاة، ومقابلة
 الحوارج العتاة، فخيّل إلى المضعوف أنّ تركنا التّسرّع إلى قصده، استصعاب
 للخطب دون حصده، ناسياً أنّ الحتف يتأخّر دفعة فلا يّقي ولا يذر، والحين يساق
 ضربة فلا يؤخّر ولا ينظر. ورصد في بعض أيامه لطليعة خفيفة قربت منه فتلقّاها
 بأصحابه جميعاً، وطمع في أن يركب منها مركباً فظيعاً، فلم يكتسب بطلب
 الفرصة، إلا تجرّع الغصة، ولا من تتبّع الغرّة، إلا تدرّع الحرّة، فتحققنا - عند
 ذلك - أنّ تركه في اغتراره، غلوّ في تأخيرهِ وإنظارهِ، لا سيّما وقد بدأ وهو
 مطلوب، وتعرض وهو مغلوب، فصمّمنا على اللقاء ووجوبه وقد استعدنا من
 البغي وركوبه، وزحفنا يوم كذا مُستظهرين بعادة الله وعِدته، مُعلنين بشعار أمير
 المؤمنين ودعوته، ومُستنجحين بدولة مولانا الملك السيّد وكلمته.

وأطاع الغامط أذهب نفسه مع الغرّة، وأقضاها بالشقوة المستمرة، وأقدم
 على المساورة، وحض أصحابه على المصابرة، وخفّ الأولياء إليهم فخيّلت الجبال
 سائرة، والبحار نائرة، والأسلحة تبصّ عليهم لمعان الشموس، وتروغ أطباق

الْقُلُوبِ قَبْلَ إِزْهَاقِ النَفُوسِ، وشاهد المخاذيلُ منهم ما أطارَ العيونَ عن حِجاجِها، وأطاحَ القلوبَ من انزعاجِها، وشمرت الحربُ عن ساقِها، وتنمّرت بحُمْرةِ أحداقِها، ودارتْ كأسُ الموتِ دِهَاقاً، وعاد لقاءُ القَرْنِ للقَرْنِ عِناقاً، فكسّرنا المدابيرَ بالدَّيْلَمِ زَرْقاً، وبالغلمانِ رَشَقاً، ومُلِكْ عليهم الخندقُ^(١) بعد أن جُعِلَ قَتْلُهُمْ / [٤ ب] مَعَابِرَ، وَجَرَّ حَاهِمَ قَنَاطِرَ، فَمَا انْتَصَفَ النَّهَارَ إِلَّا وَقَدْ انْتَصَفَ اللَّهُ لِلْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَكُنِفْنَا بِالْأَيْدِ الْقَاهِرِ وَالنَّصْرِ الشَّامِلِ، واقتَسَمَتِ المخاذيلُ الهزيمةَ بَيْنَ قَتْلَى أَجْرُوا مِنْ دِمَائِهِمُ الْجَدَاوِلَ، وَأَسْرَى اسْتَنْفَدُوا الْكِبُولَ وَالْحِبَائِلَ.

وكان من وجوه المأسورين وأعيانهم، والمعدودين في جمهور أعضادهم وأركانهم: لشكرستان بن لُنكرين، وفلان وفلان، فأما من سِوَاهُم فلم يتميز بعد مجهولهم عن معروفهم؛ لدخول مئيمهم في أضعاف ألوفهم.

وأفلت المغرور، في فلّ الثبور، مفرداً مزووداً^(٢)، موحداً مهدوداً، قد عرّف نفسه أو عرّفها، وجمعت بين عينيّه مساويه التي اقترَفها، وهو متبوعٌ إلى أن يُذيقه الله بأسه وإن كان قد أذاقه، ويلقيّه جزاء كُفْرِهِ وقد شدّ له نطاقه. فأما ما ملكه هو

(١) يشير إلى الخندق الذي حفره قابوس بظاهر إستراباذ سنة ٣٧١هـ، وكان قد أجرى فيه المياه، وبنى عليه أبراجاً رتب فيها الرماة. انظر تفاصيل هذه الواقعة في ذيل تجارب الأمم، ص ٢٤؛ الكامل، ج ٧، ص ٣٩٧.

(٢) مذعوراً. لسان العرب، ج ٣، ص ١٩٢ (زأد).

وأشياؤه من مالٍ وكُراعٍ ورقيقٍ وسلاحٍ فإنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - أفاءَ منه غنماً على الأولياء، ما سبقَ يدَ الحُصْرِ والإحصاء.

وقد تقدَّمنا بالمرنَّ على الأسرى اقتداءً بالسُّنَّةِ المتبوعَةِ في حقِّن الدِّماء، بعدَ سُكونِ الدِّهْماء، وإيثارِ الاستبقاء، بعدَ الاقتدارِ والاستيلاء. فالحمدُ لله مُعزِّ الحقِّ وناصرِه، ومُذِلُّ الباطلِ وقاهرِه؛ العَدْلُ فلا يَلُتُ أَعْمَالُ المحسنين، ولا يُرَدُّ بِأُسْهُ عن القومِ المجرمين، حمداً يُدِيمُ لِمَوْلَانَا أميرِ المؤمنين علاءِ الحُكْمَةِ، ومَضَاءِ الكَلِمَةِ، وأُهْبَةِ الإِمَامَةِ، وعِظَمَةِ الزَّعَامَةِ، وإِثْرَ الرِّسَالَةِ، وعِزَّ الحُجَّةِ والدَّلَالَةِ، فالدينُ ما لم يُفَرَّنْ بطاعته نِفَاق، والدُّنْيَا ما لم تُسَكَّنْ مع جماعته شقاق، وأطالَ بقاءَ مَوْلَانَا الملكِ السَّيِّدِ حارساً بعِزَّتِهِ الإسلامَ وَحُوزَتِهِ، واقياً ببساطته وقبضته الإيمانَ وَيَبِضَّتِهِ، لا يَنجُمُ في أَوْسَاطِ الأَرْضِ وأَطرافِها نَاجِمٌ فَتْنَةٍ إِلَّا عَاجَلَهُ غَيْرٌ مُنْتَظَرٍ، وَغَادَرَهُ هَشِيمٌ الْمُحْتَظَرِ، وَأَوْزَعَنِي اللهُ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَةَ اللهِ وَقَدْ أَيْدَنِي وَأَيَّدَ بِي، وَأَصْلَحَنِي وَأَصْلَحَ عَلَى يَدَي، وَوَقَّقَنِي لِأَنْ أَنْتَضِي يَدَ الْخِلَافَةِ صَارِماً أَذْبُ عَنْ أَنْصَارِ الْمِلَّةِ فَمَضِيْتُ، وَارْتَضَيْتُنِي حَاكِماً أَقْضِي عَلَى كِفَارِ النِّعْمَةِ فَقَضَيْتُ، مَفُوضاً فِي كُلِّ حَالٍ إِلَيْهِ - عَزَّ ذَكَرَهُ - وَمَوْقِناً أَنَّ الْقُوَّةَ بِهِ وَالْأَمْرَ أَمْرُهُ.

طالعناكَ - أدامَ اللهُ عِزَّكَ - بهذا الفَتْحِ الزَّاهِرِ، والنُّجْحِ البَاهِرِ؛ لِتُوفِّرَ حَظَّكَ مِنَ الْأُنْسِ لَهُ، والشُّكْرَ عَلَيْهِ، وتُنْطِقَ أَعْوَادَ المنابرِ وألسنةِ المحاضرِ به، فَارْأَيْكَ - أدامَ اللهُ عِزَّكَ - فِي إِعْلَامِنَا مَوْقِعَ هَذِهِ الْبُشْرَى لَدَيْكَ، وما تُورِده مِنَ السُّرُورِ عَلَيْكَ، وَذِكْرَ ما نَتَوَقَّعُهُ مِنْ خَبْرِكَ مُوَفِّقاً، إِنْ شَاءَ اللهُ.

[٥ أ] وله

في فتح قلعة

كتابي، ونعم الله عند مولانا الأمير فيما يُعليه من نجمه، ويُضيه من حكمه،
متواليه، وكلمته في مصارف الزمان، وأحوال السلطان، عالية، وأنا سالم من بعده،
وبعالي جدّه، والحمد لله وحده.

ووصلت كتب سيدي مُفصّحة من آثاره عما يُطيب النّشر، ويُطيل الفخر،
وعرفت ما يسرته له سعادة الدولة القاهرة، والعزّة الظاهرة، حتّى طهر تلك
البلاد عن^(١) شوائب الفساد، وأطلع فيها كواكب السّداد، فصمد له من أمر
القلعة التي حسب مودعها أولاده، ومُستحفظها عتاده^(٢)، أنّ حماها لا يُرام ولا
يُدرّك، وقاطنّها لا يُضام ولا يُملك، فلما غشاها سيدي هولة الانتقام، وولّاها
جانب الاضطلام؛ انحلت بساكنيها معاقدها، وزلزلت عليهم قواعدها، فملك
قسراً، وألبسوا ذلاً وقهراً، وتلك عادة الله عند مولانا في أوليائه وأعدائه، وتابعي

(١) كذا، و«طهر» تُعدّى بـ«من»!

(٢) لعله يريد قابوس. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٣٩٧، فقد قال في أحداث سنة ٣٧١هـ:

«وقصد قابوس بعض قلاع التي فيها ذخائره وأمواله، فأخذ ما أراد، وسار نحو نيسابور».

وذلك في سياق الصراع الدائر بينه وبين عضد الدولة.

رأيتُه ومُخالفِي رأيِه، وعدُّتُه للأمير في الواقفين مع أمرِه، والصّادِفين^(١) عن^(٢) رَسمِه، والمتمسِّكين بشِعارِه، والمتحكِّكين بنارِه، فلمَن أخلَص نُجْح السَّعادة، وبلوغُ المرضاة، وإدراكُ الآمالِ عن كُتب، ويئُل الأمانِي بأقرب طَلَب، ولمن داهَنَ الخزي العَميم، والدَّمارُ المقيم، والسَّعيُ الذمِيم، والعذابُ الأليم.

وسَيِّدي سَيْفُ الصَّريَّة، وليثُ الكُتبية، ما جَرَّدَهُ مَوْلانا - أدام الله علاهما - في خَطْبٍ إلَّا نَفَذَ وَجَدَّ، وَبَرَى وَقَدَّ، ولا أَفرداه بأمرٍ إلَّا أوفى على الذروة والغارب، وحازَ مُنيَّةَ الطالب، وبُغْيَةَ الرَّاغِب، فالحمدُ لله حمْدَ العارف بمقادير النِّعم ومحالِّها، ومواقيتِ الشكر وأحوالِها، حمداً يزيدُ أبناء الحقِّ ظهوراً، ويوسع أشياعَ الباطل ثبوراً.

وعرضتُ في المجلسِ العالي ما وَرَدَ، فارتاحَ مَوْلانا لمودَعِه، واهتزَّ لمُتصفِّحِه، واستقبلَ من حَمْدِ الله على مِنِّه ما هو رِباطُ عطاياه وعِقالِها، والدَّاعي إلى أن تتصلَ مَواذُّها وأمثالُها.

والقلعةُ الأخرى إذا صرَّفَ مَوْلایِ أهلِها بينَ خشونةِ إيعادِه، ولينِ ميعادِه، وأراهم بَرِيقَ حُسامِه، مَشفوعاً بَبُروقِ إنعامِه؛ لم يلبثوا أن يُسَلِّموها خاشعين، وَيَسْتَسَلِّمُوا لأمرِه متتابعين، اللهم إلَّا أن تكونَ الشُّقوةُ عليهم مكتوبةً، والحتوفُ

(١) أي: المنحرفين. لسان العرب، ج ٩، ص ١٨٧ (صدف).

(٢) في الأصل: مع.

مصبوبة، / [٥ ب] والمتألف لهم راصدة، وإليهم قاصدة، فلمؤلاي - حينئذ - في
استنزال عوائد الله عند موكبنا، حتى يسوق إليهم المنايا الحمر، ويروى منهم
الرايات الزرق والصوارم البثر. وسيدي يصغي إلى ما يورده مؤلاي حق
الإصغاء، ويتأمل تأمل مثله من أولي العزائم والآراء، يأخذ فيه بأدب الأناة حتى
يتدبره، ويتصور أوله وآخره، إن شاء الله.

وله

جوابُ بشارَةِ بتذللِ الرُّومِ وطلبِها للهُدْنَةِ^(١)

وَصَلَ إِلَى خَادِمِ مَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - مَا شَرُفَ بِالْمَكَاتِبَةِ فِيهِ
مِنْ نَبَاِ النَّعَمِ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَثْبَتَهَا أُسَاسًا، وَسَهَّلَ لَجَدِّهِ أَشْرَفَهَا أَغْرَاسًا، حَتَّى لَا
تَتَوَجَّهَ مِنْ هِمَمِهِ الْعَالِيَةِ هِمَّةٌ إِلَى أَعْظَمِ مَرْقُوبٍ إِلَّا أَطَاعَ وَدَانَ، وَلَا يَمْتَدُّ مِنْ عَزَائِمِهِ
الْمَاضِيَةِ عَزْمَةٌ إِلَى أَفْخَرِ مَطْلُوبٍ إِلَّا كَانَ وَاسْتَكَانَ؛ تَكْفَلًا مِنْهُ - تَعَالَى جَدُّهُ -
بِجَمْعِ الذِّخَائِرِ لَدَيْهِ، وَقَصْرِ الْمَعَالِي وَالْمَآثِرِ عَلَيْهِ، وَآيَةً نَصَبَهَا لِلْعُيُونِ الْمُبْصِرَةِ،
وَالْعُقُولِ الْمُتَصَوِّرَةِ، فِي أَنَّ الدُّنْيَا لَهُ - أَدَامَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ - أُنْشِئَتْ أَقَالِيمُهَا وَأُمَصَّارُهَا،
وَالِىَ أَمْرِهِ مَصِيرُهَا، وَعَلَى حُكْمِهِ مَدَارُهَا، فَمَنْ اسْتَشْعَرَ التَّسْلِيمَ، وَسَلَكَ الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ؛ فَذَاكَ أَمْرٌو انْحَلَّتْ رِبْقَتُهُ، وَرَبِحَتْ صَفْقَتُهُ، وَمَنْ تَقَاعَدَ عَنْ مَالِكِ
الدَّهْرِ، وَتَقَاعَسَ عَنِ وَلِيِّ الْأَمْرِ؛ فَالْحَتْفُ لَهُ بِمِرْصَادٍ، وَاهْلُكُ مِنْهُ عَلَى مِيعَادٍ.

وَعَرَفَ عَبْدُهُ وَابْنُ عَبْدِهِ مَا أَنْشَأَ الرَّأْيُ الْعَالِي فِي تَدْبِيرِ الرُّومِ بِمَا تَرَكَ الشَّرْكَ
فِي أَشْرَاكِ التَّحْيِيرِ، وَامْتَلَاكَ الْكُبُؤُ وَالْتَعَثُّ، وَصَرَفَ الْكُفْرَ بِطَرْفٍ خَاشِعٍ، وَخَدَّ
ضَارِعٍ، وَذَلِكَ حِينَ أَرْهَقَتْهُمْ الْمَخَافَةُ، بِقَدَرِ مَا دَنَتْ الْمَسَافَةُ، وَعَلِمُوا أَنَّ مَعَاقِدَ
الْإِيمَانِ لَا تُحْلَلُ، وَطَوَائِلَ الْإِسْلَامِ لَا تُطَلَّ، وَقَدْ أَطْلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ شَمْسَ الْإِنْتِقَامِ،

(١) انظر: الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ص ٢١ وما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٣٨٦.

وأجرى فيهم قَدْرَ الاضطلام، وألقى بأسْهُم بينهم مقدِّمةً لما يمضيه، و فاتحةً لما يقضيه.

واستجرت المهابة رُسُلَ الجماعةِ إلى البابِ المعمورِ للاستجارة، فصرفهم مَوْلانا على ما كان لشمْل الدِّين أجمع، ولكلمة الضَّلال أقمع، واستخلص ما حازوه من معاقل طالما استندوا منها إلى أركان مَتيّنة، واعتصموا بحصونٍ حصينة، واستنقذ / [٦ أ] من المسلمين مَنْ تراخت مُدَّة بَلّواه، وكاد يُفْتَن في دينه بدنياه، وغشي الثَّغورَ من ظله ما غادر الكُفْرَ يرمُّه ساهم السَّخنة، ساجد الجبهة، واقع اليد، مترجع الأيد؛ فيكثر - أطال الله بقاء مَوْلانا - عَدَدُ مَنْ شَكَرَ وَحَمَّدَ، وَرَكَعَ وَسَجَدَ، ودعا وأمن، وأثنى وأحسن.

ولولا أن أيام مَوْلانا يُستَصْغَر فيها كُلُّ عظيم، ويُستَحَقَّر لعزّها كُلُّ جسيم؛ لكان ما تجدد أكبر ماثور ومؤثر، ومعبر عنه ومُخْبِر، وللزم أهل المشرقين ممن نطق بكلمة التوحيد وعرفها، وأمل نُصرة الدِّين وتشوُّفها، أن يشغل لسانه وزمانه، وقلبه وجَنانه، بالدُّعاء لمَوْلانا ما اعتقب ظلامٌ وضياء، وتقابلت أرضٌ وسما، والله يُطِيلُ بقاء مَوْلانا للمِلَّةِ والذمة، والدَّولة والحُوزة، والأمة والبيضة.

وخادمُه مُستشرفٌ لقراءة ما يخاطب به - إن شاء الله - مُحَدِّثاً باستصفاء الرُّوم وما يليها من بلاد الكُفْرة، ومواطن المِرْدَة، وإن كانت قد امتلكت بيد الهيبة، واستولي على مَنْ فيها بسُلطان السَّطوة، والاستدلال أحدُ الأشرين، وغرسُ المهابة أحدُ الملَكين.

وله

كتاب بُشْرَى^(١)

كتابي، وإذا عُدِّدَتِ النِّعَمُ لُتَحْصَلَ مَوَاقِعُهَا مِنَ الْعِظَمِ، وَتُمَيِّزَ مَرَاتِبُهَا فِي الْمِنْحِ وَالْقِسَمِ، وَيُقَابَلَ كُلُّ مِنْهَا بِمَا يُطَاقُ شُكْرًا يُفَاضُ فِيهِ، وَنَشْرًا يُشَادُّ بِمَعَالِيهِ؛ كَانَ أَجْدَرَهَا بِالْتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ، وَأَظْهَرَهَا فِي تَحْقِيقِ الظُّنُونِ وَالْأَمَالِ، وَأَحَقَّهَا بِأَنْ يَتَّصَلَ لَهُ الشُّكْرُ فَتُعَمَّرَ جَوَادُّهُ، وَيَدُومَ عَلَيْهَا^(٢) الْحَمْدُ فَلَا تَنْقُطَ مَوَادُّهُ - نِعْمَةُ اللَّهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّهُ - عَزَّ اسْمُهُ - جَعَلَ رَأْيَتَهُ الْعُلْيَا، وَأَيَّتَهُ الْكُبْرَى، وَنَزَّهَ مَا أَوْلَاهُ عَنْ أَنْ تَسْعَى إِلَيْهِ الْأَوْهَامُ فَتَدْرِكَهُ، وَأَجَلَ مَا حَبَاهُ أَنْ تَعْلُوهُ الْأُمَانِي فَتَمْلِكَهُ، وَنَصَبَ الْأَيَّامَ تَوَارِيخَ لِمَا يُعَزُّ مِنْ نَصْرِهِ، وَالسَّاعَاتِ مَوَاقِيتَ لِمَا يَظْهَرُ مِنْ أَمْرِهِ، فَمَنْ وَقَفَ فِي ظِلِّ طَاعَتِهِ: أَخَذَ بِالْأَمَانِ مِنَ الْحَوَادِثِ وَالنَّوَازِلِ، وَاسْتَوَظَّنَ مِنَ الزَّمَانِ أَحْمَدَ الْمَقَارِّ وَالْمَنَازِلِ، وَاسْتَظْهَرَ فِي مَصَارِفِهِ، وَظَفَرَ فِي مَوَاقِفِهِ، وَحَمَدَ يَوْمَهُ وَغَدَهُ، وَرَعَى مِنَ الْعَيْشِ أَهْنَاءَهُ وَأَرْغَدَهُ، وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْوَرْطَةِ الْعُظْمَى مِنْ / [٦ ب] سَخَطِهِ وَإِنْكَارِهِ، وَتَهَوُّكِ^(٣) فِي الْخُطَّةِ الْكُبْرَى بِمُخَالَفَةِ أَعْوَانِهِ وَأَنْصَارِهِ: خَذَلَتْ

(١) كتب هذا الكتاب في سياق الصراع الدائر بين البويهيين والحمدانيين، كما سيتبين بعد قليل.

(٢) في الأصل: عنها!

(٣) التهوك: التحير، والسقوط في هوة الردى، ومثل التهؤ؛ وهو الوقوع في الشيء بقلّة مبالاة وغير

روية. انظر: لسان العرب ج ١٠، ص ٥٠٨ (هوك).

يَمِينُهُ شِمَالَهُ، وَبَايَنْتَ أَعْضَاؤُهُ أَوْصَالَهُ، وَكَانَ فِي الْأَشْقَيْنِ مَكْتُوباً، وَلِلْفَمِ وَالْيَدَيْنِ مَكْتُوباً^(١)، لَا يَسْعَى خِلَاصٍ إِلَّا تَعَثَّرَ فِي أَذْيَالِهِ، وَتَكَوَّرَ^(٢) فِي ضَلَالِهِ، وَعَادَ اجْتِهَادُهُ بُوراً، وَاحْتِيَالُهُ هَبَاءً مَنْثُوراً؛ لِيَكُونَ مَا يُؤْتِي اللَّهُ تَابِعِي حُكْمِهِ، وَالْمُنْقَادِينَ لِرَأْيِهِ وَهَمِّهِ، أَقْوَى الدَّوَاعِي إِلَى حُسْنِ الْبَصِيرَةِ، وَالْإِزْدِيَادِ مِنْ خُلُوصِ السَّرِيرَةِ، وَمَا يُجِلُّهُ بِمُشَاقِّي أَوَامِرِهِ الْمَتَّبِعَةِ، وَمُفَارِقِي أَلْوَيْتِهِ الْمَرْفُوعَةِ، أَوْكَدَ الزَّوَاجِرِ عَنْ خَرْقِ جَمَاعَتِهِ، وَأَوْضَحَ الْفُرُوقِ بَيْنَ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ وَطَاعَتِهِ.

هَذَا، وَقَدْ عَرَّفَ اللَّهُ الْكَافَّةَ مِمَّنْ نَهَضَ بِهِ فَحْصُهُ وَتَنْقِيرُهُ، أَوْ قَعَدَ بِهِ عَجْزُهُ وَتَقْصِيرُهُ؛ أَنَّهُ - تَبَارَكَ اسْمُهُ - سَهَّلَ طَرِائِقَ ذَلِكَ وَمَجَارِيَهُ، وَرَفَعَ قَوَاعِدَهُ وَمَبَانِيَهُ، بِمَنْ أَنْتَضَى دُونَ الْخِلَافَةِ سَيْفُهُ فَصَدَّقَ رَجَاؤُهُ وَمَضَاؤُهُ، وَجَرَّدَ عَنِ الْإِمَامَةِ عَزْمَهُ فَنَفَذَ قَضَاؤَهُ، وَوَقَفَ عَلَى حِمَايَةِ الدِّينِ خَوَاطِرُهُ فَسَاعَدَتْهُ الْأَقْدَارُ، وَشَغَلَ بِالذِّيَادَةِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ عَسَاكِرَهُ فَخِيرَ لَهُ الْإِخْتِيَارُ، وَهُوَ مَوْلَانَا الْمَلِكُ السَّيِّدُ فَمَا يَقْصِدُ وَغَرّاً إِلَّا آضُ^(٣) سَهْلاً، وَلَا يُحْكَمُ عَقْداً إِلَّا اسْتِعَاضَ حَلًّا، وَلَا يَنَادِي بِلَفْظِهِ مَضْراً إِلَّا أَجَابَ بِالتَّسْلِيمِ، وَلَا يُنَاجِي بِفِكْرِهِ صُقْعاً إِلَّا دَانَ لِبَاسِهِ الْعَظِيمِ، وَلَا يُضْمِرُ لَهُ الْمَدَاجَاةَ مُضْمِراً إِلَّا خَبَا جَمْرُهُ، وَتَبَرَّمَ بِهِ عُمُرُهُ، وَتَقَطَّعَتْ وَصَائِلُ بَقَائِهِ، وَاتَّصَلَتْ

(١) مَثَلُ يُضْرَبُ لِلشَّمَاتَةِ بِسُقُوطِ إِنْسَانٍ. الثَّعَالِبِيُّ، التَّمَثِيلُ وَالْمَحَاضِرَةُ، ص ٣١٥.

(٢) فِي الْأَصْلِ: تَكَرَّرَ. وَتَكَوَّرَ: ضُرِعَ وَسَقَطَ. لِسَانُ الْعَرَبِ، ج ٥ ص ١٥٦ (كُور).

(٣) آضُ: رَجَعَ، عَادَ، بِمَعْنَى تَحَوَّلَ. لِسَانُ الْعَرَبِ، ج ٧، ص ١١٦ (أَيْضُ).

حبائل هلكه وفنائه، فضلاً من الله فات رويته الراوين^(١)، وسبق أخبار الراوين.

وكنْتُ عَرَفْتُ سَيِّدِي حَالِ ابْنِ حَمْدَانَ^(٢) حِينَ نَفَتْهُ الْأَرْضُ عَنْ مَنَاقِبِهَا،
وَضَاقَتْ عَلَيْهِ مِنْ جَوَانِبِهَا، وَحُجِّيَ اسْمُهُ مِنْ صَحِيفَةِ الْأَحْيَاءِ، إِلَّا مَا أُمِّلِي لَهُ
لَا سِتْكَامَالَ الشَّقَاءِ، وَأَنَّ الْحَيْرَةَ فِي مَهَارِبِهِ رَمَتْ بِهِ إِلَى الرُّومِ، فَلَمَّا ظَنَّ الشَّرْكَ يَسْتُرُ
نَفْسَهُ، وَالْكَفْرَ يَسْتَخْبِي شَخْصَهُ، تَبِعْتَهُ مِنْ سَطْوَةِ الْمَلِكِ السَّيِّدِ صَاعِقَةً خُطُوبٍ
عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَعْلَاجِ إِيرَاءً^(٣) لِمَكَانِهَا، وَإِنْ رَضِيَ بِالتَّذَلُّلِ بَيْنَ بَيْعِهَا وَصُلْبَانِهَا؛
فَأَخْرَجُوهُ فَرِيداً حَرِيداً^(٤)، وَأَبْعَدُوهُ شَرِيداً طَرِيداً، تَمْلِكُهُ الشَّقْوَةُ وَيَرْصُدُهُ الْحِمَامُ،
وَيُزْعِجُهُ الصُّبْحُ وَيُدْعِرُهُ الظَّلَامُ.

وكان الملكُ السَّيِّدُ كَاتِبَ عَرَبِ الشَّامِ فِي اقْتِنَاصِهِ، / [٧ أ] وإيهامُ الوجوهِ
دُونَ خَلَاصِهِ، فَاسْتُفْرِيتْ أَخْبَارُهُ، وَاقْتُنِفِتْ آثَارُهُ، وَعَاجَلَهُ فِي الْبَوَادِي الَّتِي تَطُوحُ
بَيْنَهَا وَجُوهُ الْعَرَبِ، وَحُثُّوا إِلَيْهِ رَوَاحِلَ الطَّلَبِ، مُعْلِنِينَ بِشَعَارِ الدَّعْوَةِ، مُعْتَزِينَ
إِلَى مُنْتَاهَا، مُسْتَظِلِّينَ بِأَكْنَافِهَا، مُوَضِّحِينَ بِسِيَمَاهَا. وَالتَّقْوَا فَقَبَلَتْ رِيحَ الْإِقْبَالِ

(١) الروي: حرف القافية، ولعله أراد الشعر. وفي الأصل: «الراوين». يريد: راوي الأشعار.

(٢) هو أبو تغلب بن حمدان. انظر حربه مع عضد الدولة في: تجارب الأمم، ج ٦، ص ٤٣١ وما بعدها؛ الكامل، ج ٧، ص ٣٧٨.

(٣) في الأصل: إيواء، وهو تصحيف. وإيراء: من أورا، بمعنى أعلم وأظهر. لسان العرب، ج ١، ص ١٩٤ (ورأ).

(٤) الحريد: المنفرد، المعتزل. لسان العرب ج ٣، ص ١٤٥ (حرد).

لأولياء الله، ودَبَرَتْ رِيحُ الإِدْبَارِ لأعداءِ الله، وأُخِذَ ابنُ حَمْدَانَ أُسِيرًا، وَخَرَّ عَقِيرًا،
وَرُفِعَ قَتِيلًا، وَغُنِمَتْ تَتَمَّةٌ مَالِهِ، وَاصْطُلِمَتْ بَقِيَّةُ رِجَالِهِ، وَصُلِبَتْ جُثَّتُهُ
إِتِمَامًا لِلْعِبْرَةِ، وَأُصْدِرَ رَأْسُهُ عَلَى الرَّسَمِ إِلَى الْحَضْرَةِ، فَلَمْ يَبْقَ لَتِلْكَ
الْعُصْبَةِ الْمَجَاهِرَةِ بَعْدَاوَتَهَا وَعُدْوَانَهَا، الْمُرْتَدَّةَ بَيْنَ كُفْرِهَا وَكُفْرَانِهَا، مَنْ يَنْتَمِي إِلَيْهَا
بَسَبَبٍ، أَوْ يَضْرِبُ فِيهَا بِعِزِّ وَنَسَبٍ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ^(١) أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ
ظَلِمَةٌ ﴿٢﴾.

وَوَافَقَ وَرُودَ هَذِهِ الْبُشْرَى حَضْرَةَ مَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ طُلُوعِ أُخْرَى جَارَتِهَا فِي
رَهَانِهَا، وَزَادَتْ فِي عُلوِّ شَانِهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي شَيْبَانَ كَانَ شَرُّهَا اسْتَفْحَلَ، وَدَاوُهَا
أَعْضَلَ، بَعَجَزٍ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْوَلَاةِ عَنْ رَمِيهَا بِأَحْجَارِهَا، وَمَحَوِ آثَارِهَا، وَحَسَمَ
أَطْمَاعِهَا، وَقَصَرَ أَبْوَاعِهَا. فَلَمَّا عَادَ الْمَلِكُ السَّيِّدُ إِلَى مَقَرِّ عِزِّهِ مِنْ دَارِ الْإِمَامَةِ، وَجِوَارِ
الْخِلَافَةِ؛ جَهَّزَ إِلَيْهَا مِنْ مَقَانِبِ ^(٣) النَّصْرِ، وَجُيُوشِ الْكِفَايَةِ وَالْقَهْرِ، مَنْ يَقِيمُهَا عَلَى
مَنَاجِجِ الْإِسْتِقَامَةِ إِنْ لَمْ تُسَلِّمْهَا جَرَائِرُهَا، وَيُعِيدُهَا إِلَى مَدَارِجِ السَّلَامَةِ إِنْ لَمْ تُوبِقْهَا
كِبَائِرُهَا، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِيقَهَا وَبَالَ مَا ارْتَكَبَتْ، وَيُجْنِيهَا ثَمَارَ مَا اخْتَقَبَتْ.
وَحَسِبْتُ تَرَكَّ الْمَعَارِفِ إِلَى الْمَجَاهِلِ يَقِيهَا مَا أَظْلَمَهَا، وَالْإِيغَالَ فِي الْمَسَارِبِ وَالْمَهَارِبِ

(١) فِي الْأَصْلِ: كَذَلِكَ، بِدُونِ وَאו.

(٢) سُورَةُ هُودَ، مِنَ الْآيَةِ ١٠٢.

(٣) الْمَقَانِبُ: جَمْعُ مِقْنَبٍ: جَمَاعَةُ الْخَيْلِ وَالْفَرَسَانِ. لِسَانُ الْعَرَبِ، ج ١، ص ٦٩٠ (قنْب).

يَحْمِيهَا مَا أَقْلَهَا، فَجَدَّ الْأَوْلِيَاءُ فِي طَلَبِهَا، وَأَتَاكَ اللَّهُ لَهَا قُرْبَ الْإِحَاطَةِ بِهَا، فَقُسِمَ
الْجُمْهُورُ مِنْهَا بَيْنَ أُسْرِ سَرِيعٍ، وَقَتْلِ ذَرِيعٍ، وَمِلَكَّتْ عَلَيْهَا ذَرَارِيهَا وَأَوْلَادُهَا،
وَعُدَّتْهَا وَعَتَادُهَا، وَكُرَاعُهَا وَسَوَائِمُهَا، وَوَلَدَائُهَا وَوَلَائِدُهَا، وَطَهَّرَ اللَّهُ الْبِلَادَ مِنْ
أَذْنَانِهَا، فَتَرَكَهَا عِبْرَةً لِأَضْرَائِهَا وَأَجْنَانِهَا، إِنَّ ﴿اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١)،
﴿وَلَا يَرْدُ بِأَسْئِهِ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٢).

فالْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا دَامَ الْحَمْدُ مَنْطُوقاً بِهِ وَمَلْفُوظاً، وَكَانَ الشُّكْرُ لَازِماً
وَمَفْرُوضاً؛ إِذْ مَهَّدَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْخُلَافَةَ فَعَظَّمَ دَلَالَتَهَا، وَفَخَّمَ جَلَالَتَهَا، وَظَاهَرَ
أَمَارَاتِ / [٧ ب] صِحَّتِهَا وَثَبَاتِهَا، وَضَاعَفَ سُمُومَ مَنَازِلِهَا وَعُلُوَّ رَتَبَاتِهَا، وَعَضَّدَهَا مِنْ
الْمَلِكِ بِحَافِظِ عِزَّتِهَا، وَتَاجِ مَلَّتِهَا، وَسَائِسِ أَجْنَادِهَا، وَرَافِعِ عِمَادِهَا، وَمُذِلِّ مَنْ نَكَبَ
عَنْ مَحَجَّتِهَا وَصَدَفَ، وَمَالَ عَنْ قِبَلَتِهَا وَانْحَرَفَ، وَأَوْزَعَنِي اللَّهُ أَنْ أَشْكَرَ هَذِهِ الْمِنَّةَ الَّتِي
يَقْصُرُ عُمُرُ الزَّمَانِ عَنْ إِحْصَائِهَا عِدْداً، وَحَصَرِهَا لِسَاناً وَيَدَاً، إِنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يَشَاءُ.

وَلَمَّا كَانَ مَا يَتَهَيَّأُ مِنْ هَذِهِ الْمَطَالِبِ، وَبُيِّنَتْ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاقِبِ، مَخْتَصِصاً بِسَيِّدِي
لِلْأَحْوَالِ الَّتِي شَارَكَتْ بَيْنَ النُّفُوسِ فِي الْمَنَائِحِ، وَالْمَحَاسِنِ وَالْمَنَاجِحِ؛ بِشَرُّهُ بِهِذِهِ
الرَّغَائِبِ الْجَامِعَةِ إِلَى الْاِسْتِبْشَارِ؛ اعْتِبَاراً بِلَطَائِفِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِلَى الْاِبْتِهَاجِ؛ إِكْبَاراً
لِعَوَارِفِ اللَّهِ.

(١) سورة يوسف، من الآية ٥٢.

(٢) سورة الأنعام، من الآية ١٤٧.

وله جوابُ فتَحٍ

كتابي - أطال الله بقاء الملك - والأرض مُهْتَزَّةُ الأعْطَافِ والمناكبِ، رِيَّا
الأطرافِ والجوانبِ؛ لما يُوالي الله تعالى لِمَوْلانا الملكِ من العِزِّ الممنوح، ويُظَاهِرُ
لأنصارِهِ من عِزِّ الفُتُوح. ومن أقرب ذلك عهداً، وأوجبهُ شكراً ومَحْمَداً: ما وَرَدَتْ
به البُشرى الكُبرى، وتَجَدَّدَتْ معه النُّعمى العُظمى، في افْتِتاحِ البَصْرةِ أَحَدِ
العِراقَيْن، وأشهرهما ذِكْراً في الخافِقَيْن، حين مُلِكَتْ بجيشِ الرُّعبِ، قبل امتلاكِها
بأبناءِ الحَرْبِ، ومَلَكَ المخالفين فيها من الدُّعْرِ والرَّهَبِ، ما كفى كُلفةَ اللِّقَاءِ
والطَّلَبِ، ووَرَدَها أبو الوفاء طاهرُ بنُ محمد^(١) - أَيْدَهُ اللهُ - في المضمومين إليه من
أبناءِ الدَّعوة، وأنشاءِ القُرْبَةِ والحَضْرَةِ، فأفْصَحُوا فيها بشعارِ الحقِّ، وخَلَّصُوا
أحرارَها من سِمَةِ الرِّقِّ، وأماتوا فيها سُنَنَ الجَوْرِ والاعتِسادِ، وأَحْيَوْا فيها سِيرَ
العَدْلِ والإنصافِ.

وقد سَعِدَتْ سَعْدٌ بالطَّاعةِ، وَحَصَلَتْ حِصْلَ^(٢) السَّابِقِينَ إلى عِزِّ الجماعةِ،

(١) أحد قواد عضد الدولة. مسكويه، تجارب الأمم، ج ٦، ص ٤٣٠؛ الروذراوري، ذيل تجارب

الأمم، ص ١٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٣٧٨، ص ٣٧٩.

(٢) حروفها مهملة في الأصل. والصواب ما أثبتناه وضبطناه.

وَرَبَعَ عَلَى رِبْعَةٍ مِنْ هُجْنَةِ الزَّيْغِ مَا عَفَّتْهُ بِالْإِنَابَةِ وَالْمُتَابَةِ^(١)، وَتَلَاَفَتْهُ بِالْتِمَاسِ الْعَفْوِ
وَحُسْنِ الْمُتَابَةِ، فَإِنَّ الْمَوْهَبَةَ بِذَلِكَ كَادَتْ تَجَلُّ عَنْ لِسَانِ الشَّاكِرِ، وَتَعْظُمُ عَنْ ذِكْرِ
الذَّاكِرِ.

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حَسَبِ حُسْنِي نَظَرِهِ لِلْأَرْضِ بَرًّا وَبَحْرًا، سَهْلًا وَوَعْرًا،
مَعْلُومًا وَمَجْهُولًا، صَعْبًا وَذَلُولًا، بِجَمْعِهَا إِلَى خُطَّةِ مَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ
وَحَوْزَتِهِ، وَتَغْشِيَتِهَا بِأَيْدِهِ وَعِزَّتِهِ، حَمْدًا يُسْعِدُ مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ،
بِالْأَنْطَوَاءِ فِي أَثْنَاءِ سُلْطَانِهِ، / [٨ أ] وَإِضَاءَةِ الْأَرْجَاءِ بِنُورِ زَمَانِهِ، إِنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ.

وَعَبْدُ مَوْلَانَا أَخَصُّ بِالْخِدْمَةِ، وَأَلْبَسُ لِلنِّعْمَةِ، مَنْ أَنْ يُخْبِرَ عَمَّا تَوَرَّدَ هَذِهِ
الْفَتْوحُ عَلَى نَفْسِهِ، وَتَأْتِيهِ فِي إِعْلَاءِ مِنْكِبِهِ وَطَرَفِهِ، وَيَقُومُ بِهِ مَنْ فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى
عَظِيمِ مَنِّهِ، وَالتَّحَدُّثِ عَلَى الْمَنَابِرِ، فِي الْأَنْدِيَةِ وَالْمَحَاضِرِ، بِمَا يَجِدُّ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ
فَضْلِهِ.

(١) فِي الْأَصْلِ: الْمُتَابَةُ. وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَنَاهُ.

وله^(١)

كتابنا - أدام الله عزك - عن سلامة قد وصل الله أسبابها بالسعادة، وأجرى فيها على كريم العادة، والحمد لله رب العالمين.

ومواهبُ الله عند مولانا الملك السيّد - وإن كانت فائتةً للتّعديد، ضامنةً للمزيد، سابقةً للحضر، غامرةً للشكر، متجاوزةً حدود العُرف، ممتنعةً على أيدي^(٢) الإحصاء والسنة الوصف، مقبلةً بالفتوح المتوالية، مشتملةً على الكلم العالية، نازمةً أشتات العوائد، شافعةً غر المآثر بزهر المحامد - يحكم تفضل الله فيها باستعلاء نجمه، واستخذاء^(٣) الزمان لحكمه، وتطامن الأقدار لرسمه،

(١) كتب هذه الرسالة في سياق الصراع الداخلي بين أمراء البيت الحاكم في أذربيجان، واستنجد بعضهم بركن الدولة. وكان إبراهيم بن المرزبان - الذي سيذكره بعد قليل - ابناً للمرزبان بن محمد بن مسافر صاحب أذربيجان. ولما توفي، قامت حروب بين أولاد المرزبان وإخوته، وبين عمهم وهُسُودان الذي حاول أن يستولي على قلاع أذربيجان، وأن يطرد أولاد أخيه. وقد حارب إبراهيم فهزمه، على نحو ما يصف ذلك صاحبُ، ثم لجأ إبراهيم إلى ركن الدولة، فأمدّه بالجيوش لمحاربة وهُسُودان، وقد تغلّبت عليه أخيراً على نحو ما يرى القارئ في هذه الرسالة. انظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج ٦، ص ٢١٧ وما بعدها، ص ٢٥٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٢٦٥، ص ٢٦٦، ص ٢٩٣، ص ٢٩٥، ص ٣٥٣. كما إن ابن خلدون جمع تاريخ هذه الأسرة، أسرة بني مسافر، وعرضه بشكل واضح ومتسلسل، وركّز على علاقاتهم مع البويهيين. ج ٨، ص ٥٢٧.

(٢) كذا في الأصل: أيدي، بحذف الياء الأخيرة، وهذا جائز.

(٣) خذا الشيء يُخْذو خَذوا: استرخى. لسان العرب، ج ١٤، ص ٢٢٥ (خذي).

واستجابة الأقطار لهم، حتى لا يُستثنى عند ذكر ممالكه بلد، ولا يشذ عن احتذاء
مراسمه أحد.

إن لكل رغبة تُستقبل، ومنقبة تؤثّل، ومسعاة تُستنجح؛ ومملكة تُفتتح، وراية
تذهب قُدماً، وروية تنتج غُنماً، وداء أعزل الأمم السالفة فهان بدولته علاجه،
وطرف أعيا الولاة السابقة فدان لعزته رتاجه - لَحَقاً^(١) من الإشاعة والإشادة،
والإفصاح بما جدّد الله من كريم العادة؛ ليعلم المستعلم^(٢) كما عَرَفَ الناظر،
ويوقن البادي كما أيقن الحاضر؛ أن الله تعالى النافذ أمره، العزيز نصره، الجليّ
صنعه، الخفيّ مكره، قد ذلّل لمولانا الملك السيّد ولنا في ظلّ دولته مصاعب
الأمر، وألّف على طاعتها مذاهب الجمهور، فمن مسعود يسبق إليها في قران
التخير، ومن مشبور حُمل عليها في ضمان التسخير. ذلك بما صرف إليه مولانا
الملك السيّد عزائم المرتضاة، وصوارمه المتضاة، من حراسة حريم الدّين
وحياطة حومته، وحماية ذمامه وشدّ عُرْوته، والقيام لمولانا أمير المؤمنين بإيفاء
الخلافة حقّ الإكبار والتّوقير، والخروج إليها من فرض الإجلال والتّعزير^(٣)،
/ [٨ ب] وشرح صدور المُخبتين لها بما اعتقدوه، وشحذ بصائرهم فيما قصدوه
واعتمدوه؛ لئلاّ تميل بهم السُّبُل، ويختلف عليهم القول والعمل؛ واستماله الناكثين

(١) في الأصل: لحقّ.

(٢) في الأصل: المستسلم. والصواب ما أثبتناه.

(٣) التعزير: التوقير والتعظيم. لسان العرب، ج ٤، ص ٥٦٢ (عزر).

عن كَوازمِها المكتتة، واستتابة الحائدين عن فُروضِها الموجبة بالوعظ إذا أغنى وأقنع، والإيقاع بمن جمح وامتنع. والله يُزيدُ مولانا الملك السيّد وليّ النعم المآثر التي قعدتْ دونها خطراتُ القلوب، وعيّت بها همّات النفوس، وكذبت عنها مصارف الآمال ومبالغ العقول، إنه فعّال لما يشاء.

وقد كُنّا أعلَمُناكَ - عند ذِكْرنا حال إبراهيم بن المَرْزُبان في انتقاضِ عَزمته، واستمرار هَزمته، واستنفاد^(١) الأجلِ دِماءه من ظُبّا^(٢) السُّيوفِ وقد شارفتْ، وشبّا الحتوفِ وقد شافهتْ، وذهابه على وجهه فريداً مُوحّداً، وطريداً مُشرّداً، لا يعلم أين المقرّ، وكيف المقرّ، قد احتملته رياحُ الخيفة، ومهابة الزانات المطيفة، واستأمن أتباعه متعرّفين الخير في مُباعدته، كما تعرّفوا الحُسْر في مساعدته - أن^(٣) وهُسُودان بن محمد قد طالت للدَّولةِ العاليةِ مُداجاتُهُ، ودامتْ لأوليائها عُماراته، يُوهم - متى ضُغِط - طاعةً يُضمّر خِلافَها، ويثير - متى أُهْمِل - فِتنةً يَسْتَدِرُّ أخلافَها، متردّداً بين مكائد ينصبها فتفيءُ إليه بَتّار، وتشتمل عليه بَدَمار، وتُوبِقه في خَسار، وتجمّع له نكالا إلى صَغَار. قد غَرَّهُ أنْ نُفَس من خِناقِهِ، وعُدِل عن إرْهاقه. وإنّا عازمونَ على تحميلة أثقال المعاقبة، وتعريفه آياتِ سوءِ العاقبة، بفضْلِ الله وطَوْلِهِ، وظلِّ مولانا الملك السيّد وِصُولِهِ.

(١) في الأصل: واستنقاد: تحريف.

(٢) في الأصل: ظبي. والظُّبا: جمع ظُبة: حد السيف والسنان والنصل والخنجر، وما أشبه ذلك.

لسان العرب، ج ١٥، ص ٢٢ (ظبي).

(٣) في الأصل: «وأن»! وقد أطال صاحب هنا الجملة الاعتراضية بين (أعلمناك... أن).

وكان خيّل إليه أن حُزونة المسالك إلى بَلَدِهِ تُثَبِّطُ الخيولَ عن استباحة صَفْحَتِهِ، وصُعوبة المنافذ إلى مَقَرِّهِ تستأني^(١) الجيوشَ عن الإناخة بساحَتِهِ، ولم يَدِرْ أن سعادة مَوْلانا الملك تستخدمُ الأفضية، وتعيدُ الدروبَ أفضيةً، ومناجَحَ سُلْطانه تَرْجِعُ المجاهِلَ مَعَارِفَ، وتُثْنِي المناكِرَ معالمَ. وعَكَفَ على إخراجِ بَلَدِهِ، واقتلاعِ مَساكِينِهِ بيده؛ طمعاً في أن تُصَرَفَ عنه الأَعْنَةُ، وتُصَدَفَ دونه الصِّفاحُ والأَسِنَّةُ؛ فتبقى تلك البقاعُ مُحَرَّمةً على الطالبين، مُزَوَّرةً الوَجْهَ عن الخاطبين، / [٩ أ] فخطبنا الوليّ الصَّريحَ، والكميّ المشيحَ، والوفيّ النَّصيحَ، أخانا أبا الحسن عليّ بنَ كامه مَوْلى أمير المؤمنين - أدامَ اللهُ عِزَّهُ - في المسيرِ إليه، والانقضاءِ في الأولياءِ المنهضين معه عليه، وإذاقته وبالَ ما حَبَّبَ فيه ووَحَدَ، وقام به وقَعَدَ، مفوضاً إلى الله، فهو المُدِيلُ والمُنِيلُ، والمنتقم والمُذِيلُ، ومُعْتَمِداً على راية مَوْلانا الملك السَّيِّدِ؛ فهي الكافلةُ بافْتِتاحِ الأُمصارِ، وتملُكِ الدِّيارِ، وارتِفاعِ الأُلوية والأعلامِ، وحِيارَةِ مزايا الاستِظهارِ والانتقامِ، المؤذنةُ فيمَن شَرَدَ عن ولائهِ الأَلْزَمِ، وأنفَرَدَ عن سَوادِهِ الأعْظَمِ، بتساقُطِ القُوى، وتقاطُعِ العُرى، وتخاذُلِ المُننِ^(٢)، وتهافتِ الجُننِ.

وقد كان من أبي نَصْر المَرْزُبَانِ بنِ إِسماعيل^(٣) - أدامَ اللهُ عِزَّهُ - ما عرفته

(١) في الأصل: يستأني.

(٢) المنن: جمع مُنَّة: القوَّة. لسان العرب، ج ١٣، ص ٤١٥ (منن).

(٣) هو المَرْزُبَانِ بنِ إِسماعيل بن وَهْسُوذان.

إعلاناً بشعارِ الدَّوْلَةِ القاهرة، والدَّعْوَةِ الظاهرة، مبايناً لجدِّه وخاله، ونافضاً بهما ليمينه وشماله، ومُستولياً على قَلْعَةِ شميران^(١) كما وافقناه عليه، وأهْبْنَا به إليه، منتظراً ما نرسم له فيها، وفي سائر الأمور التي تليها، فسارَ أخونا أبو الحسن والأولياء المضمومون إليه بقلوبٍ تَسْتَعِيرُ اللُّيُوثُ ثَبَاتَهَا، وَصَرَائِمَ^(٢) تَسْتَخُوفُ المنونُ شذاتَهَا، فما كان إلا أن عَرَفَ وَهْسُودَانُ خَبَرَ إِطْلَاهِمَ على تلك الدِّيَارِ، حتَّى طَارَ كُلُّ مَطَارٍ، وعَاذَ بِقَلْعَةِ الكوكبان، وَمَنِيَّتِهِ عِظْمُ مُنَاه، يودُّ لو لم يلده أبواه، وقَدَّرَ عند لِفْقِهِ^(٣) مدافعةً مَن^(٤) لم يحمل بلاءً، ولم يُثْمِرْ غنَاءً، ولديه متنفساً دونَ معالجة الثبات، ومفاجأةٍ سوءِ الانفلات، فنفضهم سَرَاعِ الخيلِ نفضةً أَوْسَعَتْهُمْ ثُبُوراً، وتركتهم هَبَاءً منشوراً، وامْتَلَكَتِ الطَّرْمُ^(٥) عليهم بنواحيها، وَضُمَّ منتشر حواشيها، وأقيمت فيها الخطبةُ على سَتِّهَا، وطَهَّرَتْ من مَيْسَمِ بدعتها. وقد كان مَن وَلِيَهَا من أهل ذلك البيت صادفين عن الدَّوْلَةِ العباسية عناداً، ومظهرين لها شقاقاً وإلحاداً.

(١) قصبة طارم من أرمينية، وبها قلعة حصينة، وصفها ناصر خسرو الذي زارها سنة ٤٣٨هـ. انظر ما جمعه عنها لسترنج من البلدانين المسلمين في بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٦١. عند ابن الأثير وابن خلدون: سميرم.

(٢) جمع صَرِيْمَةٍ، وهي العزيمة. لسان العرب، ج ١٢، ص ٣٣٥ (صرم).

(٣) في الأصل: «لفيقه»، ويقال للرجلين لا يفترقان، أو تتلاءم أحوالهما: لِفْقَان. لسان العرب، ج ١٠، ص ٣٣٠ (لفق).

(٤) في الأصل: إن! والصواب ما أثبتناه.

(٥) قال ابن خلدون: «... رجعوا إلى بلد طَرْم الأرميني». ج ٨، ص ٥٢٨.

وامتدَّ فلانٌ إلى فناء الكوكبان مُحاصِراً لوهُسُودان، وإن كان يسألُ ويستميل،
ويخشع ويستقبل، ويبدل أعزَّ بنيه رهينةً عنه، ويحكم في معقِّله وسائر ما يُراد منه،
ويرقق بذكر سنِّه وكبريَّته، ويخضع في إقالته سابق عثرته، وإن قلَّ الإصغاء إليه
بمسابقة الحلِّ لعقوده، ومعالجة النكث لعهوده، / [٩ ب] ومبادرة الحنث
لأيمانه، ومساوقة الفُجور لأقسامه. ولم يبق - بمشيئة الله - من أمره إلا غُبر
اهتمام، وعدة أيام، إلى أن يُستنزل مستأسراً، ويقضي عليه الرُّعب مُتَحَسِّراً.

وولدنا أبو نصر المرزبان^(١) بن إسماعيل باذلٌ في مُباينة جدِّه غاية طَوْقه
وجِدِّه، ومُجْتَمِعٌ مع أحمينا أبي الحسن عليّ بن كامه على ما نحدُّ ونمثل، ومُرْخص
المهجة في مزيد زُلفةٍ تَنَحَّصَلُ، وقُرْبَةٍ تَتَأَصَّلُ. فالحمدُ لله مُحَقِّ الحقِّ بأيده، ومُزْهِقِ
الباطل بكَيْدِهِ، ومُنْزِلِ النَّصْرِ على مُسْتَوْجِبِهِ، ومُفْرِغِ الخِذلان على مُسْتَجْلِبِهِ،
الحاكم بالعزِّ لمن ذبَّ عن حَوْزَةِ دِينِهِ، القاضي بالذلِّ على مَنْ اسْتَعَاَصَ شَكَّهُ من
يَقِينِهِ، حمداً يديمُ لمَوْلانا أمير المؤمنين اتِّساقَ الأمر، وعزَّ النَّصْرِ، وسياسة الأئمة،
ووراثَةِ الأئمة، ويواصل لمَوْلانا الملك السَّيِّدِ ارْتِفَاعَ الحُكْمَةِ، وتَظَاهِرَ العِظَمَةِ،
وسمُوِّ الراية وعُلُوِّ المكانة والكلمة، ويوفِّقنا لشكر ما أُولى، والقيام بحق ما
استرعى وولَّى، إنه فعَّال لما يريد.

طالعناك - أدام الله تأييدك - بنبا هذا الفتحِ الجسيم خطراً، الكريم أثراً؛
لَتَتَقَدَّمَ بِإِشَاعَتِهِ في الأولياء والرعية، والتَّحَدُّثِ به على المنابر والأندية، فرأيتُك في
العمل بذلك، وإعلامنا أخبارك وحاجاتك، مُوفِّقاً، إن شاء الله.

(١) في الأصل: أبو نصر بن المرزبان. والصواب ما أثبتناه.

وله^(١)

النَّعْمُ تبدو من مَطَالَعِ مَخْتَلَفَةِ الْأَقْدَارِ، مُؤْتَلِفَةً فِي جَلَاءِ الْأَبْصَارِ، مُفْتَرِقَةً فِي
المَوَاقِعِ وَالْمَنَازِلِ، مُتَّفِقَةً فِي إِحْسَانِ اللَّهِ الشَّامِلِ، لَكِنَّ أَسْعَدَهَا طَوَالِعَ، وَأَعَذِبَهَا
مَشَارِعَ، وَأَكْرَمَهَا مَنَاقِبَ، وَأَحْمَدَهَا عَوَاقِبَ: نِعْمَةٌ تُشْرِقُ لَهَا غُرَّةُ الْخِلَافَةِ، وَتُطَبِّقُ
بِعَوَائِدِهَا مَصَالِحَ الْكَافَّةِ، وَتَجْلُو عَنْ عِرَاصِ الدِّينِ عَوَارِضَ التَّبْسِطِ، وَتَقْصِرُ
أَيْدِي أُولِي الْغَرَارَةِ دُونَ التَّحَكُّمِ وَالتَّسْلُطِ، وَتَوَافِي وَقَدْ تَقَدَّمَتْهَا مَوَاهِبُ تَرَادَفَتْ
أَرْسَالًا، وَتَنَاصَفَتْ جَمَالًا وَجَلَالًا، فِي فَتُوحٍ لَمْ يَتَرَخَ الْعَهْدُ بَيْنَ^(٢) بَوَادِيهَا وَتَوَالِيهَا،
وَلَمْ يَتِمَّادِ الْأُمُرُ بَيْنَ أَوَائِلِهَا وَثَوَانِيهَا، بَلْ مُدَّ^(٣) كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِمَا هُوَ أَوْفَى عَدَدًا،
وَأَعْلَى مَرَقًى وَمَضْعَدًا، إِلَى أَنْ تَحْصَلَتْ غَايَةٌ / [١٠ أ] الْمُبْتَغَى، وَبَلَغَتْ الْغَايَةَ

(١) كتب هذه الرسالة في سياق الصراع بين عضد الدولة وابن عمه عز الدولة بختيار. وكان معز الدولة حينما حضرته الوفاة قد أوصى ابنه بختيار بطاعة ابن عمه عضد الدولة؛ لأنه أكبر منه سنًا وأقوم بالسياسة، وغير ذلك من الوصايا التي تحفظ له ملكه، لكنه خالفها، وساءت علاقتهما إلى أن وصلت حد الحرب والقتال، فقتله عضد الدولة سنة ٣٦٧هـ. انظر: رسائل الشيرازي، ص ٥؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج ٦، ص ٤٢٦، وما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٢٩٩، ص ٣٧٨.

(٢) في الأصل: من. والصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأصل: وعد.

الْقُصُوى. وتلك نعمة الله عند مَوْلَانَا الملك السَّيِّد فيما نهض له، وأمرُ الله مؤدِّ إلى مَرَامِهِ، ونَصْرُ الله مُنْطَوٍ على أَعْلَامِهِ من حِرَاسَةِ بَيْضَةِ الإسلام وحِمَاية حَوَازَتِهِ، والذِّيَادِ^(١) عن سُدَّةِ السَّرِيرِ الأعْظَم بتوفيقِ الله وعِزَّتِهِ، واستِخْلاصِ بلادِ الله وعبادِ الله من أيِّدٍ مَضِيعةٍ واهِنةٍ، وعَوَادٍ وسِيعَةٍ رَاهِنَةٍ، فلقاه الله في كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلَهُ أَجْمَلُ ما حاوله وأمله، لا يعتاق رأيه ملتبس، ولا يعتاص في أنحائه مُلْتَمَس.

وكنّا طالعناكَ بما تيسَّر للملك السَّيِّد في فَتْحِ أهواز^(٢)؛ إذ حَدَّثَ المخالفون نُفُوسَهُم بالمقارعة، وقوارِعُ الأيام تَصْطَلِمُهُم، وطَوَالِعُ الحِمَام تَحْشُهُم وتَحْتَرِمُهُم، إلى أن أَجَلَّتْ الحربُ عن حَرْبٍ تَرَدَّدَ أَشْيَاعُ الباطلِ في ضلالِهِ، وتَعَثَّرَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ في أَذْيَالِهِ، فمن بين مَأْسُورٍ ومُجَرَّحٍ، ومَقْتُولٍ ومُطَرَّحٍ، وغَرِيقٍ وطافِحٍ، وشرِيدٍ وطائِحٍ.

وثَنِّينَا بالبُشرى، في فَتْحِ البصرة، وقد استصعبتْ على وَجْهِ الأيام، واستغلقتْ على إِمَامٍ بعدَ إِمَامٍ، فَأَلَانَ الله للملِكِ السَّيِّد قِيَادَهَا، وَرَفَعَ أَسْدَادَهَا، وَمَكَّنَ حُمَاهُ الدَّعْوَةَ مِنْهَا، وَأَزَالَ مَيْسَمَ ذَوِي العُرَّةِ عَنْهَا، ووَافَاهَا - أَدَامَ اللهُ سُلْطَانَهُ - فَرَاعَهَا، وَهِيَ ثَغْرُ يُرَاع، وَحَاطَهَا وَهِيَ سَرْخٌ يُضَاع، وَأَمَاتَ الْأَحْقَادَ مِنْ قِبَائِلِهَا

(١) في الأصل: والزيادة.

(٢) هي الأحواز: جمع حَوْز، لكن الفرس لا ينطقون الحاء فيقلبونها هاءً. وهي كورة كبيرة إلى الشرق من البصرة. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٨٤.

وعشائرِها، وأحيا الصُّلَحَ والصَّلاحَ في باديها وحاضِرِها، ووضعَ الحقُّ بذلك الصِّقعَ جِرائه، ووسَّعَ العدلُ سَكَّانه وجِرائه.

وثَلَّثنا بواسِطَ في تَوَجُّهِ سَرَعانِ الخيلِ المنصورةِ إليها، وقد خَيَّم طبقاتُ المخالفين عليها، فلَمَّا نَمَتْ إليهم أنباؤهم، استفزَّتْهم بَوارقُ الرُّعبِ، قَبْلَ صَواعِقِ الطَّعَنِ والضَّرْبِ، فأطاعوا وَهَلَّهم، وعانَوا أَجَلَهُم، وأَجفلوا يَطاَ آخِرُهُم أَوَّلَهُم، فصاروا ببِغدادَ تَأخُّذُ بهم الآراءُ الفائلةُ ذاتِ اليمينِ والشمالِ، وتَسْتَطِيرُ بهم الخطوبُ الهائلةُ بأَجَنَّةِ الثُّبورِ والنَّكالِ، وكانت أمانِي الغرورِ تُمَثِّلُ لبعضهم ثباتاً للمواقفة، ورُجوعاً للمُكاشفة، فما كان إلَّا رَيْثُ مُهوضِ الملكِ السَّيِّدِ عن واسِطَ حتَّى زلزلتِ المخافة أقدامَهُم، ونَسَخَ الإحجامُ إقدامَهُم، وأيقنوا أنَّ وعدَ الله حقٌّ فلا دَفاعَ لما أبرَمَه، ولا امتناعَ مما شاء وأَحكَمَه، وصاروا شيعاً لا تَأْتلفُ لهم كَلِمَة، وفِرَقاً لا تَجْمعُهُم حَكَمَة.

فأمَّا معظُمُ الدَّيْلَمِ فلاذوا بجوارِ الاستِثمانِ وذمَّتَه، وتَسَرَّعُوا إلى حَضرةِ الملكِ السَّيِّدِ وخدمَتَه.

وأَمَّا بَخْتِيارُ / [١٠ ب] فرأى أنَّ لا خلاصَ ولا مَناصَ، ولا مَعادَ ولا مَلادَ، غيرَ حُكْمِ الملكِ السَّيِّدِ وإبقائِهِ، وعَفْوِهِ وإغضائِهِ. وكتبَ يَسأَلُ تَغْمُده وإخوتَهُ ووَلَدَهُ بالصَّفحِ عن جرائِمِهِم، وإغْمادِ الصِّفاحِ دونَ جَماعِهِم؛ ليتوجَّهَ إلى الشامِ مُعلنًا بِشعارِ الطَّاعة، باذلاً في الخِدْمَةِ غايةَ الاستِطاعة، فجرى مَوْلانا على عادَتِهِ في الرِّعاية والإِرْعاء، والإِقالةَ بعدَ القُدرةِ والاستِيلاءِ، فغشاه ظِلُّ بُقْياهِ، وفَسَحَ له فيما ابتغاه.

وَلَمَّا خَلَتْ بَغْدَادُ مِنْهُ وَمِنْ خَفٍّ مَعَهُ، حَدَّثَتِ الْعَبَّاسَ ^(١) بَنَ فِيلَسَارَ أَحَدَ نَبَاغِ
الزَّمَانِ نَفْسُهُ بِتَأْلِيفِ قَوْمٍ مِنْ شُدَّاذِ تِلْكَ الْأَجْنَادِ إِلَيْهِ، وَالِاتِّجَاءِ إِلَى طَرَفٍ يَحْمَى
عَلَيْهِ، وَأَخَذَ سَمَتِ النَّهْرَوَانِ، فِي طَرِيقٍ يَنْشَعُبُ بَيْنَ الْأَهْوَازِ وَحُلُوانَ، وَسَبَقَ خَبْرُهُ
إِلَى حَضْرَةِ الْمَلِكِ - أَدَامَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ - فَرَسَمَ لِأَبِي الْقَاسِمِ سَعْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَاجِبِ
- أَيْدَهُ اللَّهُ - التَّعَجُّلَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ وَالْأَعْرَابِ وَالْأَكْرَادِ لِاقْتِنَاصِهِ،
وَالْحِجَازِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلَاصِهِ. وَتَجَاوَزَ ذَلِكَ الْمُحَيَّنُّ جِسْرَ النَّهْرَوَانِ فَقَطَعَهُ، مُقَدَّرًا
قَطْعَ مَنْ يَنْهَضُ لِيَتْبَعَهُ، فَعَبَرَ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَاجِبُ - أَيْدَهُ اللَّهُ - وَمَنْ مَعَهُ فِي
مَخَاضَاتٍ، وَعَلَى عِبَّارَاتٍ، وَوَقَفَ الْمَخْذُولُ، فِي هَوْلَاءِ الْفُلُولِ، لِلْمُنَازِلَةِ، وَكَثَرَهُمُ
الْعَسْكَرُ الْمَنْصُورُ حَتَّى أَتَى عَلَى نَفْسِهِ، وَأَرْوَيْتِ الْأَرْضُ مِنْ دَمِهِ، وَدَمَاءُ مَنْ أَوْثَقَتْهُ
حِبَائِلُ جَهْلِهِ.

(١) فِي الْأَصْلِ: بَلْعَاسَ، وَفِي تَجَارِبِ الْأُمَمِ، ج ٦، ص ٤٣١: «يَعْرِفُ بِالْحَسَنِ بْنِ فِيلَسَارَ». وَهُوَ أَحَدُ
أَتْبَاعِ بَخْتِيَارٍ.

قَالَ مَسْكُوبِيهِ: إِنَّ أَحَدَ الْأَمْرَاءِ مِنْ عَسْكَرِ بَخْتِيَارٍ يَعْرِفُ بِالْحَسَنِ بْنِ فِيلَسَارَ أَشَارَ عَلَيْهِ وَهُوَ
بِبَغْدَادَ أَلَّا يُخْرِجَ عَنْهَا وَلَا يَسْلِمَهَا إِلَّا بِحَرْبٍ وَإِبْلَاءٍ كَثِيرٍ، فَأَبَى عَلَيْهِ بَخْتِيَارٌ، فَاعْتَزَلَهُ وَشَخْصَ
إِلَى جِسْرِ النَّهْرَوَانِ مَعَ طَائِفَةٍ كَانُوا يَرَوْنَ رَأْيَهُ. فَلَمَّا اجْتَمَعُوا هُنَاكَ عَقَدُوا لَهُ الرِّئَاسَةَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ، وَحَدَّثَتْ نَفْسَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى جِهَةِ شَعْبَانَا أَوْ طَرَفٍ مِنَ الْأَطْرَافِ. فَبَلَغَ عَضْدَ الدَّوْلَةِ خَبْرَهُ،
فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى الْقَرَبِ مِنْ بَغْدَادَ جَرَّدَ خَلْفَهُ خِيَالًا فَلَحَقُوهُ، وَوَقَفَ لِلْحَرْبِ، فَانْجَلَتْ عَنْهُ أَسِيرًا وَبِهِ
ضَرِبَاتٌ، فَلَبِثَ يَسِيرًا وَمَاتَ، وَأُسِرَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَانْفَضَّ ذَلِكَ الْجَمْعُ.

ومولانا أمير المؤمنين - أدام الله إعزازه وإعلاءه - في كل ذلك مُستقرُّ على سرير عزته، وضاربٌ حجابَهُ دونَ بَخْتِيَارٍ ومَن في جُمْلَتِهِ، يَكاتبُ الملكَ السَّيِّدَ مُساترةً عندَ إطفاءِ الغواةِ بحِفايٍ مُلكه، ومُجاهرةً لما انجلتْ غنائمهم عن رواقِي عِزِّهِ، مُحَرِّجاً عليه إنْ تأخَّرَ عن حَضْرَتِهِ، وخارجاً إليه من الأمانة في التَّعَجُّلِ إلى نُصْرَتِهِ، شاكرًا ما تجشَّمه من الأحوال، وتحمَّله من الأثقال، في الوصول إلى بابهِ مَباءةٍ كلِّ مجدٍ وشرفٍ، ومثابةٍ كلِّ ذي أدبٍ^(١) وطُرفٍ.

فلما جازَ الملكُ السَّيِّدَ دِيالِي^(٢)، وطالما أدالته من مخالفيه، وقضى الله بها على مُكاشفيه؛ رأى مولانا أمير المؤمنين أنْ يَقْسَمَ له من الإكرام، أعظمَ ما صدر عن خليفةٍ وإمامٍ، فسارَ أميرُ المؤمنين في الماءِ بكبرياءِ الإمامةِ، وعَظَمَةِ الخلافةِ والزَّعامةِ، مُبْعِداً في تلقِيهِ، ووَصَلَ الملكُ السَّيِّدَ إلى عالي مَجْلِسِهِ مُسْتَقْبلاً بمتَهَلَّلِ بَشَرِهِ وتحفِيهِ، وابتدأه أميرُ المؤمنين / [١١ أ] بالإحَادِ لمرضى مَسْعَاتِهِ، والإخبارِ عن مَوْقِعِهِ من اعتداده ومَرَضَاتِهِ، وأنه - أدامَ اللهُ عِزَّهُ - لم يزل منذ آتاه اللهُ ما آتاه، واسترعاها ما استرعاها، واثقاً بأنَّ اللهَ سَيَسْتَخْلَصُ له قُربَهُ، وإنْ تطاولتِ الأيامُ بما أَحَبَّهُ؛ ليقومَ بنشرِ الدِّينِ فيضُمَّهُ، وشعثَ المؤمنين فيلُمَّهُ؛ إذ كانتِ الدَّوْلَةُ الهاشمية التي رفعَ اللهُ عمادَ الحقِّ بها، وخَفَضَ منارَ الباطلِ لها، لم تزل تعتلُّ طَوَراً وتصحُّ

(١) في الأصل: أوب.

(٢) نهر كبير شرقيَّ بغداد، وهو أحد روافد دجلة، وتسمى المنطقة حوله دِيالِي أيضاً.

أطواراً، وتختلُّ مرَّةً وتَسْتَقِلُّ مراراً، من حيث أصلها ثابتٌ لا يتزعزعُ، وبنائها راسخٌ لا يتضعض، فإذا لحقها الالتياث، وازدحمت عليها الأحداث، بَعْمَرٍ يَرْتَعُ في أكلائها، وغرَّ يغفلُ عن شكرِ آلائها؛ أتاح الله لإقرار الأمرِ في نصابه، وحفظه على أصحابه، ولياً صفيّاً، كافياً وفيّاً، فلا تلبث أن تعودَ الدَّولَةُ على يده غَضَّةَ العُودِ، مُعتدلةَ العمودِ، جديدةَ اللباسِ، متينةُ الأُمُراسِ، فَشَكَرَ الأميرُ السَّيِّدُ^(١) اللهَ عَظِيمَ مَنِّهِ، ولخليفةَ الله رَحِيبَ فَضْلِهِ. وأنبأ عن أنْ مَجْرَى عَزْمِهِ، ومُقْضَى هَمِّهِ، كان القيامَ دونَ أميرِ المؤمنين في جَمْعِ الكلمة على الطَّاعة، وردِّ المَفرِّقين إلى الجماعة، حتَّى لا يُبْقِي - بإذن الله - طَرَفًا مَأخُوذاً إلاَّ اِزْتَجَعَهُ، ولا حَقًّا مَغْلُوباً عليه إلاَّ اِنْتَزَعَهُ، ويُعيدُ إلى السُّلْطَانِ ما خُرِقَ من هيبته، وإلى الفَيءِ ما أُضِيعَ من سُنَّتِهِ، وإلى الحِجِّ ما انْتَهَكَ من حُرْمَتِهِ، ويدبِّرُ الثُّغُورَ بما يَرْتَقِ الفُتُوحَ مع اسْتِفْحالِها، ويدْمِلُ الجُروحَ مع إعْضالِها. كُلُّ ذلك بعونِ الله ومشيتِهِ، وعزِّ أميرِ المؤمنين وميامنِ أُلُويَّتِهِ.

وعادَ من حَضْرَةِ أميرِ المؤمنين إلى مُعَسَّكَرِهِ بظاهرِ بغدادَ، فائتاً مَنْ سَلَفَ من الأقرانِ، سابقاً غاياتِ أهلِ الزمانِ، قد سَنَى الله له فَتَحَ الفُتُوحِ، وأَفْضَى إليه بأشرفِ مَوْهُوبٍ وَمَمْنُوحٍ.

وأَعْلَمَ سُكَّانُ الأَرْضِ من دانٍ وقاصٍ، ودائنٍ وغاصٍّ، أَنَّ الذي ابتدأه الملكُ السَّيِّدُ وأَجْرَاهُ، وأنشأه وأمضاه، وَصَلَ رَحِمَ الدِّينِ وَشَفَعَ وسائله، وقَوَّى غَارِبَ

(١) يريد الصَّاحِبَ بالأمير السَّيِّد - في رسائله دائماً - فخر الدَّولَةِ. انظر ص ٥٢٦ على سبيل المثال.

الإسلام وشدد كاهله، وإن ساءت - قبل - ظنون قوم آخرين، وعرفوا نبأه بعد حين.

والحمد لله رب العالمين، قول العارف بفضل هذه العوارف، على ما حوّل فأجزل، وسهّل فعجّل، وهب فقرّب، ووفر فيسر، مؤيد أوليائه بالظهور والغلب، متوعّد^(١) أعدائه بسوء / [١١ ب] المآب والمنقلب، حمداً يقضي لأمير المؤمنين بما قضى به لأبائه الراشدين - صلوات الله عليهم أجمعين - من النصر المبين، والكيد المتين، وإعزاز الأنجاد والأنصار، وإذلال ذوي العناد على اختلاف الديار والأمصار. ويهنئ الملك السيّد ما أتاه من صنع لم تره النواظر قبله، ولم تره الألسنة مثله، فما يسدّد سهام اقتراحه إلى مرام فيخشي اعتياضه، ولا يشهر حسام اجتياحه على مرام فيرجى^(٢) خلاصه، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٣).

طالعناك بهذا الفتح الممدودة أظلتّه، المسعوده أهلتّه، المرفوعة ألوّيته، المعمورة أنديته؛ لتصدع به على المنابر، وتشيع نبأه بين الرعايا والعساكر، فيعلم الحاضر والبادي، ويوقن الموالي والمعادي، بأن الله متكفل بهذه الدولة الثابتة البنيان، الواضحة البرهان، وإن أملى لأعدائها إلى مدّة، واستدرجهم بعد أنفاسٍ ممتدّة، فرأيتك.

(١) في الأصل: متوحد.

(٢) في الأصل: يرجى.

(٣) سورة الحديد، من الآية ٢١.

الفتحُ الأكبرُ بجرجان

الواقعُ بين الخُراسانية^(١)

لِلنَّعَم - أَدَامَ اللهُ عِزَّكَ - مِنَ الشُّكْرِ قِيَمَ، وَلِلْمِنْحِ مِنَ الْحَمْدِ قِسَمَ، فَأَغْلَاهَا قِيَمَةً، وَأَعْلَاهَا غَنِيَمَةً، وَأَجْزَلُهَا حَظًّا وَقَسَمًا: أَثْبَتُهَا فِي صَحِيفَةِ الْمَجْدِ رَسْمًا، وَهِيَ وَإِنْ تَكَافَأَتْ طَوْرًا وَتَفَاضَلَتْ أَطْوَارًا، وَتَقَارَبَتْ مَرَّةً وَتَبَاعَدَتْ مِرَارًا؛ فَمِنْهَا فَرَائِدُ يَدَّخِرُهَا اللهُ لِأَفْرَادٍ، وَيُوَخِّرُهَا لِمِيقَاتٍ وَمِيعَادٍ، حَتَّى إِذَا حَانَ جِئُهَا، وَقُدِّرَ لَهَا كُفُوُّهَا وَأَمِينُهَا، سَيَقُتْ إِلَيْهِ لِأَمْدِهَا الْمَضْرُوبِ، وَرُهِنَتْ لَدَيْهِ عَلَى سَنَنِهَا الْمَطْلُوبِ، فَعُدَّتْ كَرِيْمَةَ الدَّهْرِ، وَاعْتُدَّتْ يَتِيْمَةَ الْفَخْرِ، وَأَضَاءَتْ شَمْسًا طَلَعَتْ بِمَنَاجِحِ الْأُمَّةِ الْأَبْرَارِ، وَسَطَعَتْ بِمَصَالِحِ الْأُمَّةِ الْأَخْيَارِ، وَأَلْبَسَتْ شَيْعَ الْحَقِّ عِزًّا تَضْفُو أَعْطَافُهُ وَذِيُولُهُ، وَتَبْدُو غُرْرَهُ وَحُجُولُهُ، وَيُطْنِبُ شَرْقًا وَغَرْبًا شِعَاعُهُ، وَيَمْتَدُّ غَوْرًا وَنَجْدًا ذِرَاعُهُ، وَدَرَّعَتْ أَتْبَاعَ الْبَاطِلِ ذِلًّا يَحْتَمُّ بِالْعِقَابِ، وَوَهْنًا يَحْتَمُّ عَلَى الرِّقَابِ، وَوَهْيًا يَنْهَكَ الْقُوَى وَالْقُدْرَ، وَضَعْفًا يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، فَلَا يَغْنِي عَنْ الضَّالِّينَ التَّأَزَّرَ وَإِنْ كَثُرُوا، وَلَا التَّظَاهَرَ وَإِنْ أَمَرُوا، كَمَوَاهِبِ اللهِ الَّتِي سَوَّغَ مَوْلَانَا الْمَلِكُ

(١) هذه الرسالة تتعلق بحرب عضد الدولة مع فخر الدولة وقابوس بن وشمكير واستعانتها بالسامانيين. انظر: رسائل الشيرازي، ص ٣١، ص ٣٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٣٩٧-٣٩٨. ويبدو أن هذا الكتاب هو الذي قال عنه العتبي: «وطير الصاحب كتبه في الأطراف بذكر الفتح على ما تنطق به رسائله». اليميني، ص ٥٧.

شاهنشاه^(١) عَضَدَ الدَّوْلَةَ وَتَاجَ الْمِلَّةِ جَلَائِلُهَا، / [١٢ أ] وَقَسَمَ لَنَا فُضَائِلُهَا، وَحَازَ لَهُ خَصَائِصَهَا، وَرَهَنَ عِنْدَنَا نَفَائِسَهَا، وَجَعَلَ إِلَيْهِ مَالَهَا وَمَرْجِعَهَا، وَوَسَّعَ بِنَا مَرَادَهَا وَمُتَجَجَعَهَا، وَأَفَاضَ عَلَى دَوْلَتِهِ عَزَّهَا وَفَخَرَهَا، وَفَوَّضَ إِلَيْنَا عُقْدَتَهَا وَأَمْرَهَا. ذَاكَ بِمَا عَضَدَ مِنْ دَوْلَةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَيَّدَنَا، وَأَسَّسَ وَشَيَّدَنَا، وَمَثَلَ وَاقْتَفَيْنَا، وَسَبَقَ وَصَلَّيْنَا، حَتَّى ضَرَبَ الدِّينَ بِجِرَانِهِ، وَانْبَعَثَ الْحَقُّ بَعْدَ حِرَانِهِ، وَاسْتَوْسَقَ الْمُلْكُ عَلَى نِظَامِهِ، وَأَرْخَتِ الْمَحَاسِنُ بِأَيَامِهِ، وَسَكَنْتِ دِهْمَاءُ الْأُمَّةِ وَكَانَتْ مُضْطَرِبَةً، وَخَمَدَتْ نِيرَانُ الْفِتْنَةِ وَكَانَتْ مَلْتَهَبَةً، وَعُورِفَ الْمَعْرُوفُ وَكَانَ مَنكُورًا، وَقُفِرَ الْإِنْصَافُ وَكَانَ مَقْهُورًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(٣).

وَقَدْ عَلِمَ مَنْ كُشِفَ عَنْ سَمْعِهِ وَلَمْ يُغَطَّ عَلَى لُبِّهِ، وَفُتِحَ عَنْ بَصَرِهِ وَلَمْ يُجْتَمَ عَلَى قَلْبِهِ، مَا جَرَتْ عَلَيْهِ الْحَالُ بَيْنَنَا - أَهْلَ الْبَيْتِ - وَبَيْنَ وُلاَةِ خُرَاسَانَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، وَقَرَانًا بَعْدَ قَرَانٍ؛ نَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَةِ خَلَفَاءِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَنَأْخُذُهُمْ بِمَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ^(٤) فِي لَوَازِمِ فَرَضِهِ.

هَذَا، وَقَدْ كَانَتْ خُرَاسَانُ دَارَ الْهَجْرَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَأَهْلُهَا شِيعَةُ الدَّوْلَةِ الْهَاشِمِيَّةِ،

(١) لَقِبَ فَارْسِي قَدِيمٍ يَعْنِي مَلِكَ الْمُلُوكِ، وَقَدْ حَرَصَ الْبُيْهِيُّونَ عَلَى حَمَلِهِ. انْظُرْ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ:

صَدِّيقِي، الْخِلَافَةُ وَالْمُلْكِيَّةُ فِي إِيرَانَ، ص ٧٢، ص ٧٦.

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ، الْآيَةُ ١٢٠.

(٣) سُورَةُ النَّحْلِ، الْآيَةُ ١٢٨.

(٤) فِي الْأَصْلِ: لَهُ.

إلى أن بدّل من ولايتهم مَنْ دَرَجَ أشنعَ المَدارج، ورَتَعَ مَرَتَعَ الخَوارج، وغَبَرَ دَهراً
يُخَطَّبُ للأُمُواتِ على المنابرِ جِراً على الدِّين^(١)، ويَجِدُ للمطيعِ لله - صلواتُ الله
عليه - إِمْرَةً المؤمنين، والحَرْبُ بيننا وبينه^(٢) قائِمة، وآفاقُ الصُّلحِ مظلمةٌ قائِمة،
يُجَهِّزُ جيوشه إلينا فيُهْزَمُ، ويُسَرِّبُ حُيُولَه فتُحْطَمُ، وَيَحْشِدُ جُمُوعَه فتُفَرِّقُ كُلَّ
مُفَرِّقٍ، ويَحْشُرُ جنوده فتُمَزَّقُ كُلُّ مُمَزَّقٍ. قد فَضَّ أحمدُ بنُ محمد بن المحتاج^(٣)
دفعاتٍ بذبنا عن الرّاياتِ السُّودِ، وفُلَّ ابنُ قَرَاتِكين^(٤) عن ثُبَاتٍ بدفعنا عن رواقِ
الخِلافةِ الممدودِ، ورُدَّ ابنُ عبد الرزاق^(٥) هزيماً كَسيراً، وأوثق ابنُ ماكان^(٦) هشيماً

(١) كان السامانيون لا يعترفون بالخلفاء الذين ينصبهم البويهيون، ويستمرّون في الدعاء للخليفة
المعزول، بل وحتى المتوفى. انظر: صديقي، الخلافة والملكية، ص ٩٥-٩٦.

(٢) في الأصل: وبينهم.

(٣) أحد قواد السامانيين، وقد تولى قيادة الجيوش السامانية كلّها عام ٣٢٧هـ. عن آل محتاج
ودورهم في الإدارة السامانية، انظر للمحقق دراسة بعنوان: (آل محتاج أمراء الصغانيان -
تاريخهم السياسي ورعايتهم للحركة العلمية)، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي،
العدد ٢٩، جمادى الأولى ١٤٢٦هـ / يونيو ٢٠٠٥م.

(٤) يقصد منصور بن قراتكين، وهو أحد قواد السامانيين أيضاً، وقد ولي على الجيوش السامانية عام
٣٣٤هـ، وبقي على قيادتها إلى أن مات سنة ٣٤٠هـ. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٢١٤،
ص ٢٣٨.

(٥) هو محمد بن عبد الرزاق كان والياً على طوس وأعمالها للسامانيين، لكنه خرج على الأمير
نوح بن نصر سنة ٣٣٦هـ الذي أرسل له منصور بن قراتكين فهزمه. انظر: ابن الأثير، الكامل،
ج ٧، ص ٢٢١.

(٦) محمد بن ماكان، كان مقدم الجيوش السامانية عام ٣٤٤هـ، واشتبك مع ابن العميد في حربٍ
أُخذ فيها أسيراً. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٢٥٢-٢٥٣.

أسيراً، فلم يبقَ من أصحاب جيوشهم إلا مَنْ وَسَمَنَاهُ بِمَيْسَمِ الْإِنْفَالِ، وشَهَرَنَاهُ فِي مَوْسَمِ الضَّلَالِ، فمنهم مَنْ لجأ إلى طاعتنا؛ فعاشَ حَمِيداً، ومضى سَعِيداً، ومنهم مَنْ شَرَدَ عن جماعتنا؛ فَأَنْظَرَ غَوِيّاً، وَقُبِضَ شَقِيّاً؛ إِلَى أَنْ عَلِمُوا أَنَّ الْقِرَاعَ لَا يَنْتِجُ إِلَّا قِرْعَ صِفَاتِهِمْ، والنزاع لا يثمر إلا نزع شباتهم، فبخعوا بِالْخُطْبَةِ لِلْمُطِيعِ لِلَّهِ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَرِضْوَانُهُ - / [١٢ ب] عَلَى أَيْدِينَا الَّتِي عَوَّدَهَا اللَّهُ الْبَسْطَةَ، وَحَرَسَ بِهَا الْإِمَامَ وَالْأُمَّةَ، وَاسْتَعَدْنَا إِلَيْهِمْ ثَوْبَ الطَّاعَةِ وَقَدْ حُرِّبُوهُ، وَتَنَجَّزْنَا لَهُمُ الْعَهْدَ عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ وَقَدْ حُرِّمُوهُ، فَبَقُوا عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ زَمَاناً وَعَادَاتُ الْفَسَادِ تَنْزِيْ بِهِمْ دُونَ اسْتِعْمَالِ الرَّشَادِ، وَوَشْمَكِيرُ بْنُ زِيَارٍ ^(١) يَدَبُ لِإِغْوَائِهِمْ دَيْبَ الْحَمَرِ، وَيُعَرِّضُ نِعَمَ اللَّهِ عِنْدَهُمْ لَصَوَائِبِ الْقَدَرِ، فَهَمُّوا بِالْمَعَاوِدَةِ، وَاهْتَمُّوا بِالْمَعَانِدَةِ، وَطَالَبُوا أَبَا الْحَسَنِ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَيْمُجُورٍ ^(٢) - أَيْدَهُ اللَّهُ - بِالْمَسِيرِ وَالْاجْتِمَاعِ فِي مُنَازَعَتِنَا مَعَ الضَّالِّ وَشْمَكِيرٍ، فَسَارَتْ تِلْكَ الْجُنُودُ وَالتَّخَاذُلُ دَائِبُهَا، وَبَلَغَتْ الدَّامَغَانُ ^(٣) وَالتَّوَاكُلُ يَنْتَابُهَا، فَلَمْ يُرْعَهَا إِلَّا خِذْلَانُ نَزَلَ بِوَشْمَكِيرٍ، فَجَعَلَهُ فِرْيَةَ الْخَنَازِيرِ، وَكَشَفَ لَذْوِي الْبَصَائِرِ عَنْ سَرِيرَةِ الْمَقَادِيرِ، فَاعْتَبَرَ مُعْتَبَرٌ،

(١) وَشْمَكِيرُ سَابِقُ الذِّكْرِ، صَاحِبُ طَبْرِسْتَانَ، وَالِدُ قَابُوسَ، تُوْفِيَ عَامَ ٣٥٦ هـ. ابْنُ الْأَثِيرِ، الْكَامِلُ، ج ٧، ص ٢٢٩. وَفِي الْأَصْلِ: زِيَاد.

(٢) قَائِدُ الْجِيُوشِ السَّامَانِيَةِ حَيْثُنْذُ، وَقَدْ سَيَّرَهُ الْأَمِيرُ مَنْصُورُ بْنُ نُوحٍ لِمُسَاعَدَةِ وَشْمَكِيرٍ ضِدَّ رُكْنِ الدَّوْلَةِ الْبُؤْيُوبِيَّةِ وَذَلِكَ سَنَةَ ٣٥٦ هـ. انْظُرْ: ابْنُ الْأَثِيرِ، الْكَامِلُ، ج ٧، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٣) بَلَدَةٌ كَبِيرَةٌ بَيْنَ الرَّيِّ وَنَيْسَابُورَ، وَهِيَ قَصْبَةُ إِقْلِيمِ قُومِسَ الْوَاقِعِ جَنُوبِي جَرَجَانَ. يَاقُوتُ، مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ، ج ٢، ص ٤٣٣.

وانزجر مُنَزَجِر.

وتراجعت تلك الخيول إلى نيسابور، فلم تشجع الخراسانية من بعد لذكر المنازلة، ولم يخطر ببالها ذكر المقاتلة، وأخذوا يُعرِّضون بطلب الصلح فنعرض امتحاناً لعقائدهم، وابتلاءً لمغازيهم ومقاصدهم، إلى أن صرّحوا بعد التّعريض، وصحّحوا بعد التّمرريض؛ فجئنا للسّلم حين جئنا لها؛ إذ كان ذلك أدباً من آداب الله، وأمرأ نصّاً في كتاب الله^(١)، ومميتاً للضغائن والإحـ، ومزيلاً للحوادث والفتن، ومُفرّغاً لتسديد الثغور عن ذوي الشرك والإلحاد، ومُوفراً على عمارة الحجّ وسبيل الجهاد. وأكّدت العقود، وأخذت العهود، وكُتبت الشروط وأشهدت الشهود، وآتى كلّ صاحبه مَوْثِقاً من عند الله، وحلفاً مقروناً بعهد الله، وجعل ما أمضى من ذلك مشروطاً على التأييد لا يتعقّب وفاقه بخلاف، ومقصوداً بالتخليد يرثه الأعقاب عن الأسلاف. فلم يمض ماضيهم لسبيله، حتّى أخذ خلفُ السوء في تبديله، بخُرْقٍ لأوصالِ الوفاء قِطّاع، وعِرْقٍ إلى الضلالة السوء نَزاع، وبمشورة أحداثٍ لم تعرّكهم الدُّرْبَةُ عِراكها، ولم تُعلّقهم الحُنْكَةُ إشراكها، كأنّ لم يعلموا أنّ من سلف من سلفهم لم يرجعوا للمصافحة، إلّا وقد عيوا بالمكافحة، ولم ينجحوا للمسالمة، إلّا وقد عجزوا عن المقاومة، ولم يركزوا الرِّمَاحَ

(١) يعني قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ سورة الأنفال، من الآية

إِلَّا لَأَنْفَذَ مِنْهَا مَسَارِبَ، وَلَمْ يَغْمِدُوا الصِّفَاحَ إِلَّا لِأَحَدٍ مِنْهَا مَضَارِبَ.

وكان من فواتح / [١٣ أ] ما أنكرناه أن أرجؤوا الخطبة لأمر المؤمنين الطائع لله^(١) بعد وقوع البيعة وتسليم الأمة، وإصفاق الكافة، واستقرار سبيل الخلافة، على عادتهم الأولى في جحد الإمام الحي واجب حكمه، وعقد الجمعة بشعار الميت واسمه، إلى أن نبهناهم من رقدة الإغفال، وحلأناهم عن مشارع الإهمال. وشحنت خراسان بالدعوة، ومددنا حلم أمير المؤمنين على هذه الهفوة، وسعينا لهم في تجديد الولاية، وأكرمناهم بتنجز التشريف وعقد الراية، وجددوا على نفوسهم الميثاق لنا على الإخلاص، وأظهروا الرغبة في إعادة الصهر دلالة على الاختصاص.

وكان من قواعد الصلح وأحكامه: أن لا يقبل في جهة من الجهتين أباق العساكر، ولا يمهّد في جنبه من الجنبتين للخالع والنافر، ولا يُحامي على من عصى فشرّد، وشقّ العصا وانفرد.

واعترض - في أثناء هذه الأحوال - أن المخدول قابوس بن وشمكير كشف عن العناد وسفر، وجحد نعمنا عليه وكفر، فخبّ ظنه وعجل تكذيبه، وحسم

(١) هو ابن الخليفة المطيع لله، تولى بعده الخلافة (٣٦٣-٣٨١هـ). ابن الطقطقي، الفخري،

داؤه ويسر له طبيبه. وقد كان - من قبل - راسل الخراسانية يروز^(١) ما لديهم في بابه، ويدلهم على ما كمن في نصابه، فشحنوا بصيرته في الخلاف، ووعدوه بالمؤونة والاكتناف، حتى إذا زحزحناه عما أمل وارثق، وطوخنه جزاء عما احتقب وارثق؛ لجأ إليهم، فمهدوا له في جوارهم، ودلوه بغرورهم واغترارهم. وقد كان العاق^(٢) رديفه في الغواية، وزميله في سوء الهداية، فراسلهم كرسالته، وقد ضل في مخالفتنا كضلالته، فحرصوا على قبوله حرصاً جلياً عن مدفون ضمائرهم، وأبدى عن مكنون سرائرهم، وأوضح أن مرادهم التأليب علينا والتأليب، والتشريب والتحزب. وأقبل الأغمار المستولون على صاحب بخارى^(٣) يحسبون ببصائرهم العلية، ويرون بأبصارهم الكلية؛ أن أبا الحسن بن سيمجور^(٤) - أيده الله - حجاب بيننا وبينهم مشتد، وحجاز مستطيل ممتد، وأنه لو قد أزيل عن مقره، لاستمر تدبيرهم علينا في ممره، غير عالين بأن ذلك الشيخ هو الذي قد ارتضع أفاويق الزمان، وحلب أخلاف الليالي والأيام، وعرف ما آتانا الله من قوة وإفران، وعدة / [١٣ ب] وإمكان، وبؤد مرفوعة للنصر،

(١) يروز: يطلب. لسان العرب، ج ٥، ص ٣٥٨ (روز).

(٢) هو فخر الدولة.

(٣) الأمير نوح بن منصور الساماني (٣٦٥-٣٨٧هـ).

(٤) يظهر من كلام صاحب هنا أن ابن سيمجور لم يكن من رأيه مؤازرة قابوس وحرب عضد الدولة. وكان قد عزل عن قيادة الجيوش السامانية، وولي مكانه حسام الدولة أبو العباس تاش سنة ٣٧١هـ ولكن لسبب آخر. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٣٩٧.

وَجُنُودٍ كَعَدَدِ الْقَطْرِ، وَأَمْوَالٍ كَكُثْبَانِ الرَّمَالِ، وَذَخَائِرَ أَمْلَاءِ الْهَمَمِ وَالْأَمَالِ،
وَعَزَائِمَ تُطْبَعُ السُّيُوفُ عَلَى غَرَارِهَا، وَيُتَّبَعُ مَا تَنْهَجُ^(١) مِنْ آثَارِهَا، وَطَفَقَ يَخْصِفُ
عَلَيْهِمْ مِنْ وَرَقِ الصِّيَانَةِ؛ لئَلَّا تَنْكَشِفَ عَوْرَاتُ قُصُورِهِمْ، وَتَبْرِّجَ هُنَاتُ
أُمُورِهِمْ. لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ قَرَفُوهُ بِالْمَدَاهِنَةِ، وَصَرَفُوهُ عَنْ رُتْبَتِهِ الرَّاهِنَةِ، مُقَدِّرِينَ أَنَّهُمْ
يَرْفَعُونَ مِنْهُ سِدَادًا، وَإِنَّمَا عَدِمُوا بِهِ سِدَادًا، وَظَانِّينَ أَنَّهُمْ يَدْفَعُونَ بَعْزَ لَهُ شَرًّا
مَرُصُودًا، وَإِنَّمَا هَتَكُوا عَنْ عَجْزِهِمْ سِتْرًا مَمْدُودًا.

وَاعْتَمَدُوا لَجِيشِهِمْ تَاشَ^(٢) يَسْتَبْدِلُونَ مِنَ الطَّيِّبِ خَبِيثًا، وَرَفَدُوهُ بِفَائِقٍ^(٣)
يَسْتَعِضُونَ مِنَ التَّذْكِيرِ تَأْنِيثًا، وَاسْتَنْفَدُوا قُوَاهُمْ فِيمَا جَمَعُوا مِنَ الْأَمْوَالِ، وَبَلَّغُوا
مَدَاهِمَ فِيمَنْ لَفَّوْا مِنَ الرِّجَالِ، حَتَّى أَنَاخُوا عَلَى بَضَائِعِ التُّجَّارِ وَأَهْلِ الصَّنَاعَاتِ
يَجْبُونَهَا غَضَبًا، وَعَلَى وَقُوفِ الْمَسَاجِدِ وَالرِّبَاطَاتِ يَتَنَاوَلُونَهَا نَهْبًا، وَعَطَّلُوا الثُّغُورَ
بِاسْتِجَاشَةِ مَنْ فِيهَا مِنَ الْحُمَاةِ، وَسَلَّطُوا مُجَاوِرِيهِمْ مِنَ الْمَشْرِكِينَ بِمَنْ صَرَفُوا عَنْ
وُجُوهِهِمْ مِنَ الْكُفَاةِ. كُلُّ ذَلِكَ لِلطَّمَعِ أَنْ يَشْفُوا مِنَ الْبَغْيِ عَلَيْنَا غَلِيلاً، وَيَشْتَرُوا
بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا.

(١) فِي الْأَصْلِ: تَبْهَجُ.

(٢) أَبُو الْعَبَّاسِ تَاشَ قَائِدُ الْجِيُوشِ السَّامَانِيَةِ بَعْدَ ابْنِ سَيْمَجُورٍ. انْظُرْ: الْعَتَبِيُّ، الْيَمِينِيُّ، ص ٧٧.
وَعَنْ عِلَاقَتِهِ بِالْبُويْهِينَ، انْظُرْ ص ٧٠.

(٣) فِي الْأَصْلِ: تَفَارِيقٌ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَاضِحٌ! وَفَائِقٌ: خَصِيٌّ مِنْ مُوَالِي نُوْحِ بْنِ نَصْرِ، وَمِنْ قَوَادِ
السَّامَانِيِّينَ الْكِبَارِ، وَيُسَمَّى فَائِقُ الْخَاصَّةِ. انْظُرْ: ابْنُ الْأَثِيرِ، الْكَامِلُ، ج ٧، ص ٣٩٨، ص ٤٨٧.

وَحَصَلَ تَاشَ بَنِي سَابُورَ وَقَدْ سَبَقَهُ فَائِزٌ، وَاسْتَعَجَلَ نَحْوَهَا الْعَاقُ، وَقَدْ وَرَدَهَا
 الْمَخْذُولُ الْمَارِقُ. فَلَمْ نَدْعُ أَنْ أَصْدَرْنَا إِلَى زَعِيمِهِمْ رُسُلَنَا مُذَكِّرِينَ بِالْعَهْدِ الْمَبْذُولِ،
 وَمِيثَاقِ الْعَقْدِ الْمَوْصُولِ، وَمُحَذِّرِينَ مِنْ عَاقِبَةِ النَّكَثِينَ، وَمَا كَتَبَ اللَّهُ مِنَ الْعِقَابِ
 لِلْحَانِثِينَ، وَمُطَالِبِينَ بَرْدَ الْآبِقِينَ، عَلَى أَمَانٍ لِهَما نَتَبَرَّعُ بِبَذْلِهِ، وَصَفَحَ عَنْهَا نَأْخُذُ
 بِفَضْلِهِ. فَأَصَرَّ هُوَ وَمُدَبِّرُوهُ عَلَى الْاِمْتِنَاعِ، وَعَوَّلُوا عَلَى الدَّفْعِ، وَأَخَذُوا يَشْفَعُونَ
 شَفَاعَةَ التَّحَكُّمِ، وَيَشْفَعُونَهَا بِالتَّوَعُّدِ وَالتَّجَرُّؤِ، يَحْسِبُونَ اسْتِثْنَاءَنَا لَهُمْ فِكْرًا فِي
 حَشْرِهِمْ وَحَشْدِهِمْ، وَاحْتِفَالًا بِجُدِّهِمْ وَجُنْدِهِمْ. وَزَادَ رِفْقُنَا بِهِمْ فِي إِغْوَائِهِمْ
 وَإِغْرَائِهِمْ، وَوَكَّدَ مَرَاتِرَ اجْتِرَائِهِمْ وَاسْتِشْرَائِهِمْ. وَأَخَذَ الْمَخْذُولُ قَابُوسَ يُوْهِمُهُمْ
 مِنْ نَفْسِهِ وَبَقِيَّةِ خَيْلِهِ أُمُورًا، وَمَلَأَ مَسَامِعَهُمْ بُهْتَانًا وَزُورًا، مَاضِيًا عَلَى شَاكِلَةِ أَبِيهِ فِي
 التَّلْبِيسِ عَلَيْهِمْ وَالتَّمْوِيهِ، فَيَخِيلُ لَهُمْ ^(١) / [١٤ أ] رَفَرَفَ الْبَاطِلَ حَقًّا، وَيُمَثِّلُ
 عِنْدَهُمْ زُخْرَفَ الْقَوْلِ صِدْقًا. وَبَدَأَ الْعَاقُ يُوْسُوسُ إِلَيْهِمْ بِأَنْ مَوْقِعَهُ - كَانَ - مِنْ
 هَذَا الْبَيْتِ يُمِيلُ إِلَيْهِ الْأَعْنَاقَ مَتَى وَقَعَ إِكْثَابٌ، وَيَعْطِفُ عَلَيْهِ الْأَجْنَادَ مَتَى اتَّفَقَ
 اقْتِرَابٌ، وَيُريهِمْ سُوءَ التَّبَصُّرِ مَا يَأْفُكُ بِهِ يَقِينًا، وَمَا يَتَنَفَّقُ بِإِيرَادِهِ بُرْهَانًا مُبِينًا؛
 فَحَبَسُوا الرُّسُلَ طُغْيَانًا لَمْ يُعْهَدْ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، وَضَيَّقُوا عَلَيْهِمُ الْمَطْعَمَ
 وَالْمَشْرَبَ اتِّضَاعَ هِمِّمْ وَضَعْفَ اهْتِمَامٍ، وَمَنْعَوْهُمْ عَنْ إِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ، وَدَفَعَوْهُمْ
 عَنِ الْجَمْعِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَفِيهِمْ فَقَهَاءُ أَعْلَامٍ وَقُضَاةُ تَكُونُ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ
 دَارِ السَّلَامِ، صَنِيعَ مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ يَرُدُّعُهُ، وَلَا دِينَ يَهْجُنُ لَهُ الْقَبِيحَ وَيَزَعُهُ.

(١) «لهم» مكررة مرتين في الأصل.

وخفَّ الخَصِيُّ^(١) والمخدولُ على طريق نَسَا^(٢) يتقارضان أكاذيبَ الأماني وهي زادُ المائق وتعلَّةُ الجاهل، وامتدَّ التركيُّ^(٣) والعاقُ على سَمَتِ قُومِسَ^(٤) يتفاوضانِ تحديثَ النَّفسِ بالباطل، حتَّى إذا عرفوا أنَّ اجتماعهم لدينا كافراقتهم، واختلافهم في الطرق والعزائم كاتفاقهم؛ خشوا أن نبده إحدى الطائفتين بانتساف، ونعجل عليها باختطاف، فأذنت المخافةُ بينهم المسافة، إلى أن صاروا يداً واحدةً، وقد كتب الله بقصرها، وحرَّم على الأقدار تَوَلَّى نصرها، وجدّوا في المسيرِ قُبالةِ جُرْجانَ والإقبال عنهم ممتازٌ مُنصرف، والتوفيقُ دونهم مُنحازٌ مُنحرف.

وقد كُنَّا استخرنا الله تعالى في البروزِ إلى معسكرنا المنصور بظاهِرِ جُرْجان^(٥) على سَمَتِ خراسان مُفَوِّضين إليه، مُعَوِّلين عليه، راجين ما لديه، عالمين أنَّ الفلجَ بيديهِ، مُوَلِّين البَغْيِ مَنْ تولاّه، والنَّكثَ مَنْ اختاره واضطفاه. وقرب المخاذيلُ فكفّفنا عنهم إلى أن بدأوا بالقتال، وحسّن لهم الطُّغيانُ نخوة الصَّيَال، وقد كان طَرْدُهُمْ - بل حَصْدُهُمْ - ممكناً - بعون الله - عن أول لقاءهم لولا إثارتنا البُقيا في إِمهالهم وإمهائهم^(٦)، وتقديرنا أنّهم إذا مارَسوا الحربَ فَوَقَدَتْهُم بنارها،

(١) الخَصِيّ: هو فائق الخاصة الذي ورد ذكره قبل قليل في ص ٤٩.

(٢) مدينة بخراسان قريبة من مَرُو ونيسابور. ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٨٢.

(٣) هو أبو العباس تاش.

(٤) كورة عظيمة جنوبي جرجان، قصبتها الدَّامَغَان. ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤١٤.

(٥) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ص ٢٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٣٩٧. وانظر ما

سيذكره صاحب في ص ٦١.

(٦) إِمهائهم: من أمهى الفرس: إذا أرخى له من عنانه. لسان العرب، ج ١٥، ص ٢٩٨ (مها).

وَأَقْدَتَهُمْ بَعَوَارِهَا، وَعُرِفُوا مَا بَيْنَ الْمَطْوَعِ لَهُ فِي أَمْرِهِ، وَالْمَطْبُوعِ عَلَى قَلْبِهِ وَصَدْرِهِ - تَلَاَفُوا أَحْوَاهُمْ، فَلَمْ تُرَقْ دِمَاؤُهُمْ هَدَرًا، وَلَمْ تُفَرَّقْ أَشْلَاؤُهُمْ جَزْرًا، وَلَمْ تَذْهَبْ أَمْوَالُهُمْ هَمَلًا، وَلَمْ تَرْجِعْ أَمْلَاكُهُمْ نَفْلًا.

واختلف بيننا وبينهم اثنتا عشرة حربًا، ما أنصَرَفُوا عَنْ وَاحِدَةٍ مِنْهَا إِلَّا وَقَدْ اسْتَحَرَّ الْجَرْحُ فِي صَنَادِيدِهِمْ، وَانْتَقَصَ الْقَرْحُ مِنْ عَدِيدِهِمْ، وَغَرِضْتُ / [١٤ ب] الْقِيُودُ بِأَسْرَاهُمْ، وَاسْتَعْفَتِ اللَّحُودُ مِنْ قِتْلَاهُمْ، حَتَّى بَلَغَ عَدْدُ مَنْ قُتِلَ قَبْلَ الْوَقْعَةِ الْآخِرَةِ، وَالصَّدْمَةِ الْمَبِيرَةِ، ثَلَاثَةَ آلَافٍ، قَدْ بَاءَ جَالِبُهَا بِآثَامِهَا، وَتَطَوَّقَ الْأَوْزَارَ فِي أَرَامِلِهَا وَأَيْتَامِهَا؛ إِذْ سَاقَهُمْ لِيُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَكْبُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ لَجَبَاهِهِمْ. ^(١) فَأَمَّا الْمُسْتَأْمَنَةُ ^(١) فَجَاءَتْ كَالْقَطَا أَرْسَالًا، وَفَارَقَتْ حَرَمَ الْإِدْبَارِ مُجَاهِرَةً وَأَنْسِلَالًا. فَلَمْ يَزِدِ الْمَدَابِيرُ عَلَى الْآيَامِ، إِلَّا إِضْرَارًا عَلَى الْآثَامِ، وَلَمْ يَنْقَادُوا لِلْغَيْرِ اغْتِرَارًا بظُنُونٍ كَالْأَحْلَامِ، إِلَى أَنْ نَاشَدْنَا مَا عَاهَدَ اللَّهُ إِلَى الْوَلَاةِ، فِي حَسْمِ أَذْوَاءِ الْبُغَاةِ، وَفَرَضَ عَلَى الرِّعَاةِ، فِي إِبَادَةِ خَضِرَاءِ الْعُتَاةِ.

وكانت لهم يومنا - وهو يوم الأربعاء لثمانٍ بقين من ذي القعدة - حركةٌ إلى المعركة ترجحوا فيها بين تقديمٍ للأقدام وتأخيرٍ، وتَعْجِيلٍ للإقدام وتعذيرٍ، مُقَدِّرِينَ أَنَا نَجْرِي عَلَى الْعَادَةِ فِي إِرْجَائِهِمْ، وَتَرْكِهِمْ يَعُودُونَ مِنْ وَرَائِهِمْ، فَجَرَدْنَا اسْتِخَارَةَ اللَّهِ فِي صِدْقِ الْجُمْلَةِ، وَتَضْيِيرِهَا وَاحِدَةَ الدَّوْلَةِ وَالْمِلَّةِ، وَأَهْبَنَّا بِالْأَوْلِيَاءِ أَسْوَدَ الدَّلُوفِ وَضَرَاغِمِهِ، وَنُسُورَ الْحُتُوفِ وَقَشَاعِمِهِ، فَزَحَفُوا إِلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ

(١) فِي الْأَصْلِ: الْمَتَامَنَةُ، بِلَا سِينٍ، وَهُوَ خَطَأٌ بَيَّنَّ مِنَ النَّاسِخِ.

الفَجْرَة، وأكثرُوا من شِعار المجاهدين البرَّرة، وثاروا فخيَّلتِ الأرضُ مائجةً، والبحارُ هائجةً، والنُّجومُ منكدرَّةً، والسَّماءُ مُنفطرةً، وصار الفارسُ أقربَ إلى الفارسِ من ظلِّه، والسَّيْفُ أدنى إلى الوريدِ من حبله، وتواصلتِ^(١) الضرباتُ بينَ زَرْقٍ بالزَّاناتِ، لا يعرف الإحكامُ انفصامَها^(٢)، وأخذت الرِّماحُ تطيرُ شرَّرها، والنفوسُ تفارقُ قَصَرها^(٣)، وثملت الزُّوبيئات^(٤) من الدِّماء، فتعثَّرت في النُّحور، وتكسَّرت في القلوب والصُّدور، وعاین أعداءُ الله هَوْلَ المِطْلَع؛ فَوَلَّوْا الأذبار، وطاروا كلَّ مَطار، وتبعهم الأولياءُ يُفيضون الصَّوارمَ على التَّرائك^(٥)، فيضُ الصَّباح على النُّجومِ الشوابك، والمخاذيلُ يتطايرون عن القنا جفاءً، ويطيحون عن الظُّبا هَباءً، ولو عرَّجوا بمعسكرهم لمحَّة طارف، أو وقفوا على ذخائرهم خِلْسَةً خائف؛ لَمَّا تَخَلَّص منهم صافرٌ ولا صائت، ولا نجا منهم / [١٥ أ] ناطقٌ كما لم ينبُج صامِت. وكيف لهم بالثبات، وقد مُلِكَ عليهم حتَّى

(١) في الأصل: وتواصلت.

(٢) في الأصل: انصافاً.

(٣) القَصْر: أصل العنق أو العنق. لسان العرب، ج ٥، ص ١٠١ (قصر).

(٤) الزوبيين: فارسية، تعني حربة قصيرة. قال المقدسي عن الدَّيْلَم: «ولهم مجالس في السكك والأسواق مرتفعة، يجتمعون بها، بأيديهم الزوبيينات». أحسن التقاسيم، ص ٣٦٩. وقال مسكويه: «وفيه عدة طعنات بالزوبيينات». تجارب الأمم، ج ٦، ص ٤١٦. وقال الصابي: «وأقيم الدَّيْلَم من دجلة وإلى حضرة صمصام الدولة على مراتبهم صَفَّين بأجمل لباس وأبهى عُدد وسلاح، وفي أيديهم وأيادي غلمانهم الزوبيينات». رسوم دار الخلافة، ص ١٦.

(٥) الترائك: جمع تريكة، وهي بيضة حديد تحمي الرأس. لسان العرب، ج ١٠، ص ٤٠٦ (ترك).

فِيْلَهُم الْعَظِيمُ الَّذِي تَوَارَثَهُ آلُ سَامَانَ^(١)، وَهُوَلُوا بِهِ فِي الْحُرُوبِ زَمَانًا بَعْدَ زَمَانٍ! وَقَدْ رَكِبَ سَرَّعَانَ الْخَيْلِ أَقْفَاءَهُمْ، يَشْلُونَهُمْ إِلَى نَيْسَابُورَ شَلَّ النِّعَامَ، وَيَسْلُبُونَهُمْ أَرْوَاحَهُمْ بِأَيْدِي الْحِمَامِ؛ لِيُوقِنَ هَؤُلَاءِ الْأَغْنَامِ، أَنَّ الْأَطْوَادَ الشَّمَّ لَا تُطَالُ بِالنَّجَافِ، وَالْجِبَالَ الرَّعْنَ لَا تُزَالُ بِحَصَبَاتِ الْقَذَافِ.

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَانِّ عَلَى خَلْقِهِ بِمَا لَا تَنَالُهُ الْأَمْالُ كَرَمًا، وَلَا تُقَلُّهُ الْجِبَالُ عِظَمًا، الْقَاسِمِ لَذَوِي طَاعَتِهِ مَا لَا مُنِيَّةَ بَلَغَتْ، وَلَا طَلِبَةَ انْتَجَعَتْ، كَمَا أَعَدَّهَا^(٢) مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، الرَّاصِدِ لِمَقَارِفِي مَعْصِيَتِهِ بِظُلُلٍ مِنَ الْخِذْلَانِ تُرْهَقُ وَتَعْسَفُ، وَتُرْهَقُ وَتَكْسِفُ، وَتُوبِقُ وَتَنْسِفُ، وَتُوثِقُ وَتُخْسِفُ، كَمَا تَوَعَّدَهَا^(٣) بِعَذَابِ الْخُلُودِ، حَمْدًا يَكُونُ كِفَاءً مَا هِيََّا فَقَرَّبَ، وَهَنًا فَأُطْلَبَ، وَإِلَيْهِ تُرْفَعُ الرَّغْبَةُ الصَّادِقَةُ، وَتَقْدَمُ الْمَسْأَلَةُ السَّابِقَةُ، فِي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ، الْهَادِي الْمَهْدِيِّ، أَفْضَلُ مَنْ دَعَا إِلَى رَبِّهِ صَادِعًا بِالْأَمْرِ، وَنَصَحَ لَخَلْقِهِ قَاطِعًا لِلْعُدْرِ، وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ عَظَّمَهُمْ تَوْقِيرًا، وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا؛ وَإِطَالَةَ بَقَاءِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَادًّا مَسَدًّا أَبَائِهِ الطَّاهِرِينَ، فِي شَعَثِ يَلْمِهِ، وَنَشْرِ يَضْمِهِ، وَوَاهِ يَشْدِهِ، وَثَلَمِ يَسُدُّهُ؛ لِيَقْدَحَ زِنَادَ

(١) كَانَ السَّامَانِيُّونَ يَسْتَخْدِمُونَ الْفِيلَةَ فِي نِظَامِهِمُ الْحَرْبِيِّ، وَكَانَ لَدَيْهِمْ فِيلٌ يُضْرَبُ بِهِ الْمِثْلُ ضَخَامَةً وَقُوَّةً، وَقَدْ خَسِرُوهُ فِي مَعْرِكَتِهِمْ مَعَ الْبُوَيْهِيِّينَ فِي جَرَجَانَ؛ فَأَمَرَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ مَنْ بِحَضْرَتِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ أَنْ يَصِفُوا ذَلِكَ الْفِيلَ عَلَى وَزْنِ وَقَافِيَةِ قَصِيدَةِ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرَبٍ:

أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا بَغَةً وَعَدَاءً عَلَنَدَى

وَقَدْ جَمَعَ الثَّعَالِبِيُّ أَقْوَالَ أَوْلَئِكَ الشُّعْرَاءِ تَحْتَ عِنْوَانِ «ذِكْرُ الْفِيلِيَّاتِ». انْظُرْ: الْعَتَبِيُّ، الْيَمِينِيُّ، ص ٥٨؛ الثَّعَالِبِيُّ، يَتِيمَةُ الدَّهْرِ، ج ٣، ص ٢٦٩.

(٢) يَقْصِدُ الْجَمَاعَةَ الْمَذْكُورَةَ.

(٣) يَقْصِدُ الْجَمَاعَةَ الْمَذْكُورَةَ.

الخيرات بمنارِه المرفوع، ويستنزِل عهاد البركات بشعارِه المتبوع، وإدامة أيام الملك شاهنشاه السيّد ساطع الأدلّة، مُشرق الأهلّة، ممدود الأظلّة، عاصداً للدّولة، مُتوجّاً للملّة، ويوفّقنا لحقّ ما استكفّناه من حفظِ عِراضِ الحوزة وأطرافِها، واستذلال مَنْ أخذته العِزّة في خلافِها؛ لنحوطِ المُلْك من جوانبه وأرجائه، وندأب في الله دُؤوب مَنْ رضي من أُمّائه.

ثم الحمد لله حمداً مجدّداً، باقياً مؤبّداً، على ما ليّن من أحادعِ هذا الخطب، وسوّغنا من واسعِ النصر في هذه الحرب، بعد أن ساءت ظُنُون، وزاغت قلوبٌ وعيون، وحسِبَ كثيرٌ أن قد غَمَسْنَا اليَدَ في خُطّةٍ صعبٍ مرّائها، دَخَصٍ مَقامُها، فحقّق الله الأملَ بطوّله، والاستعانةَ بقوّته وحَوْلِه، فأصَبَحْنَا وقد شَهِدَ العَدُوُّ مُضْطَرّاً خاشعاً، شهادةَ الوليّ مختاراً طائعاً؛ أن الله لسانَ هدايةٍ يُلقِي على عزائمنا الصّوابَ محضاً، ويُفْضِي بمصارفنا إلى المرادِ غَضّاً، حمداً / [١٥ ب] ترفعه الملائكةُ المقربون، ودعاءً يؤمّن عليه الكرامُ الكاتبون.

حدّثناكَ - أدامَ الله عزّكَ - بنعمةِ الله وإن كُبرت عن بيانِ المُخبر، ولسانِ المبشّر، وإطنابِ الكاتب، وإسهابِ الخاطب، وكانت واسِطةً في قلائدِ الدُّهور، وجامعةً لفوائدِ الجمهور؛ لتعلمَ أن الله صادقٌ مَوْعِدُه، مُحِيطٌ بالناكثينَ مَرَصِدُه، فأشعّ نبأ ما طالعناكَ به حقّ الإشاعة، وليُقرأ على المنابر لتساهم الرّعيةُ أولياءَ الطّاعة، واكتبْ بِذِكْرِهِ إلى النّواحي والأطراف، وأعلنْ بِنَشْرِهِ في الصّواحي والأكناف، وأعلّمنا مَوْعِدَه منك ومن الكافّة وإن كان معلوماً، وأبْدِ الشكرَ وأَعِدْهُ إنّه كان فَرَضاً محتوماً، إن شاء الله.

نسخةُ الخطابِ بِإِسْقَاطِ مالِ الأَرْصَادِ^(١)

وكانَ كَتَبَهَا عِنْدَ هَذَا الْفَتْحِ لِيُمَنَّهُ^(٢)

إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ اسْمُهُ - قَدْ فَرَضَ عِنْدَ كُلِّ طَائِرٍ مِنَ النِّعَمِ، وَطَارِفٍ مِنَ الْمِنَنِ، شُكْرًا يُتَلَقَّى بِهِ إِفْضَالُهُ فَيَسْتُحْفَظُ مُعْتَادُهُ، وَحَمْدًا يَقَابِلُ بِهِ إِحْسَانُهُ فَيَسْتَجْلِبُ مُزْدَادُهُ. وَلَيْسَ الشُّكْرُ بِمَقْصُورٍ عَلَى اللِّسَانِ دُونَ الْعَقْدِ، وَلَا عَلَى الْقَوْلِ دُونَ الْفِعْلِ، بَلِ الْوَاجِبُ أَنْ تَتَكَافَأَ فِيهِ نَتَائِجُ الْأَلْسِنَةِ وَضُمَائِرِ الْقُلُوبِ، وَتَوْصَلَ^(٣) لَهُ مَوَاقِفُ الثَّنَاءِ بِالتَّقَرُّبِ الْمَقْبُولِ، وَيُجْعَلَ مِنْ أَمَارَاتِ الْمَعْرِفَةِ بِحَقِّ مَا سَوَّغَ اللَّهُ فَرْهَنَ، وَأَسْبَغَ فَأَحْسَنَ، تَقْدِيمُ الْأَعْظَمِ فَالْأَعْظَمَ مَصْلَحَةً بَيْنَ النَّاسِ، وَالْأَخْصَمِ فَالْأَخْصَمَ مَفْسَدَةً عَنِ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ^(٤)؛ لِيَشْمَلَ الْجُمْهُورَ عَائِدَةً مَا يُتَوَخَّى وَيُقْصَدُ، وَيَنْظُمَ التَّابِعَ وَالْمَتَّبِعَ بِرُكَّةٍ مَا يُتَحَرَّى وَيُعْتَمَدُ. وَمَنْ عِنْدَ اللَّهِ التَّوْفِيقُ، إِنَّهُ

(١) كما سيتبين من نص هذا الخطاب، فإن هذه الضريبة تعني ما يفرض على التجار عند نقاط الحدود البرية بين الولايات، أو ما يعرف اليوم بالجمارك. وسيدكرها في الصفحة اللاحقة: المكس. قال الخوارزمي: «المكس: ضريبة تؤخذ من التجار في المراسد». مفاتيح العلوم،

(٢) في الأصل: ليمنها.

(٣) في الأصل: ويوصل.

(٤) في الأصل: الخاص والعام، أبدلناها مراعاةً للسجع.

خَيْرٌ مِّنْ هَدَى، وَأُسْعِدَ بِالْإِرْشَادِ إِلَى الْحَسَنِ، لَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ وَإِذْنِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ.

وَلَمَّا كَانَتْ مَوَاهِبُ اللَّهِ - عَزَّ اسْمُهُ - لَدَيْنَا تَفَوُّتُ حَصَرِ الْمُحْصِينَ، وَتَجَوُّزُ ذَكَرِ الْمُسْتَقْصِينَ، وَمَنَائِحُهُ عِنْدَنَا تَحَوُّزُ غَايَاتِ التَّامِيلِ، وَتَفَوُّزُ بَحْسَنَاتِ التَّخْوِيلِ، فَكُنَّا^(١) لَشُكْرِ ذَلِكَ مُدِيمِينَ، وَبِالْحَمْدِ عَنْهُ مَغْمُورِينَ مُرْتَهِنِينَ - لَا نَخْلُو مِنَ الْإِعْتِرَافِ بِالْقُصُورِ عَمَّا يَلْزِمُ مِنْهُ، وَلَا نَعْرَى مِنْ اسْتِدْفَاعِ عَوَارِضِ التَّقْصِيرِ عَنْهُ. إِنَّ مَا قَسَمَ لَنَا - تَعَالَى - أَنْفَاءً مِنْ هَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ، وَالصُّنْعِ الْكَرِيمِ، وَالنُّجْحِ الْقَرِيبِ، / [١٦ أ] وَالنَّصْرِ الْمُسْتَجِيبِ، وَسَهْلٍ مِنْ اسْتِذْلَالِ الْمُخَالَفِينَ، وَرَدِّهِمْ أَسْفَلَ سَافِلِينَ، وَمُقَابِلَتِهِمْ عَنِ الْبَغْيِ ارْتِكَبُوهُ، بِالْخَسَارِ دُرْعُوهُ، وَمُكَافَأَتِهِمْ عَنِ النَّكَثِ احْتَقَبُوهُ، بِالصَّغَارِ قُنْعُوهُ - أَفْرُضْ مَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ، وَيُطَالَبُ فِي يَوْمِهِ بِمَا قَدْ نُذِرَ فِي أَمْسِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَسْأَلُ أَنْ يَرْشِدَنَا لِمَصَالِحِ الْأَعْمَالِ، وَمَنَاجِحِ الْأَفْعَالِ، وَيُثَبِّتَ عَزَائِمَنَا عَلَى الْخَيْرِ نَصْلُ مَرَائِرِهِ بَعْرَاهُ، وَالْعَدْلِ نَبَسْطُهُ فَيَمْنُ نَسْوُسُهُ وَنَرْعَاهُ، إِنَّهُ رَوْوْفٌ رَحِيمٌ.

وَحِينَ رَوَّأْنَا^(٢) فِي الْقُرْبِ الَّتِي رَأَيْنَا تَجْدِيدَهَا، وَالزُّلْفِ الَّتِي نَذَرْنَا تَمْهِيدَهَا؛ وَجَدْنَا مِنْ أَوْلَاهَا بِالْإِهْتِمَامِ، وَأَجْرَاهَا مَعَ الْعَدْلِ فِي الْأَحْكَامِ:

(١) فِي الْأَصْلِ: لَكُنَّا، وَالْأَرْجَحُ مَا أَثْبَتْنَاهُ.

(٢) رَوَّأَ: تَرَوَّى فِي الْأَمْرِ. لِسَانَ الْعَرَبِ، ج ١، ص ٩٠ (رَوَّأَ).

إزالة رسوم الأرصاد بأصْبَهانَ قديمها وحديثها، عتيقها وجديدها، أصولها وفروعها، كثيرها وقليلها، والإعفاء مما يجري في حقوق البذرقة^(١) والمكس فيها^(٢)، وما يلحق من التوابع والمؤن بها؛ إذ كان شيئاً لم نأذن في ابتدائه^(٣)، ولم نُرخِّص في إنشائه^(٤)، وإنما تهوَّكت^(٥) فيه جماعة أذاقها الله وبألها، وأساء عاقبتها ومآلها، عالين بأن نفع ما يُحطُّ من هذه الأحوال يشمل ذوي البضائع في بضاعتهم، وأولي التجارة في تجارتهم، وأرباب البياعات في بيعاتهم، وأصحاب الضياع والزراعات في غلاتهم، ثم لا يقتصر على ذلك الصُّقَّ وقُطَّانِه، ولا يتفرَّد بجدواه من يحلُّه من سُكَّانه، حتَّى يتخطَّى إلى كافَّة المجهَّزين إليه من البلاد الدَّانية والقاصية، والكُورِ المجاورة والمتراخية، في شرق الأرض وغربها، وبرِّها وبحرها. ويدعو إلى زيادة ما يُنقل ويُمْتار، ويردُّ به المجهَّزون والتُّجار، فيعظم النِّفع، ويزداد الرُّخص، وتشمل البركة، ويؤمن البُخس.

هذا، وأصْبَهانُ أولى بلادِ المملكة - حَرَسَها الله - بالتَّخفيف، وأخرى كُورِها

(١) البذرقة: الخفارة.

(٢) في الأصل: حقها.

(٣) في الأصل: ابتدائها.

(٤) في الأصل: إنشائها.

(٥) التَّهوك: التهور، أو السقوط في هوة الردى. لسان العرب، ج ١٠، ص ٥٠٨ (هوك). انظر

ص ٢٢ من هذا الكتاب، هامش (٣).

بالحماية عن أنقال التّوظيف؛ إذ كانت منشأ الدّولة القاهرة، ومطلع أنوارها الزّاهرة، والنية فيها وفي أهلها أحسن نية، وأدعائها إلى تضيير الخيرات شورى بين الرّعيّة. وإذ كان الرّصد في سائر بلادنا مرفوعاً، والاعتراض به على الرّفق والقوافل ممنوعاً، فذلك البلد بإزالته عنه أخلق وأحق، وتكلفه على الرّعية فيه أثقل وأشق. وقد أسقطناه مُريدين وجه الله بما أتينا، لا يثينا عنه كثرة قدره، والعُرْجة على نفعه أو ضرره، إسقاطاً يستمر على التّأيد. وأوعزنا فوضع بحضرتنا عن الدّواوين حتّى لا يبقى له اسم، ولا يحيا منه رسم. وأذنّا في إقامة النّداء بحذفه / [١٦ ب] في أسواق أصفهان ومجامعها، وأبواب خاناتها ومسجد جامعها^(١)، والتّقدّم إلى التّجار بذكره في كتبهم إلى معاملهم وخطائهم، ومُضاربهم وشركائهم، لا طلباً منهم للسّعة، ولا مراعاةً بالقرْبة؛ بل ليعلموا أنّ الذي يوردونه ويصدرونه محروس عن التّحيف، محوط عن التّخوف، ويثقوا بأنّ أموالهم تصل إليهم في ضمان التّوفر، وبضائعهم ترجع عليهم بالزيادة والتّثمر، فيكثروا شكرهم لله ربّ العالمين، ويشركوا لنا بين الدّعاء والتّأمين. إنّ الدّعاء مرغوب فيه، مُتنافس عليه، موعود من عند الله بالاستجابة له، والإجابة إليه.

فاعمل - أدام الله تأييدك - بما رَسَمناه، فقد حَتَمناه، وامثل ما حَدَدناه؛ فقد جزمناه، وقدّمه؛ فقد تقدّمنا بإمّاطة هذا المال من تلك المعاملات، وخطّه عن

(١) لولا تحرّيه السّجع، لقال: مسجدُها الجامع. وهو الأصوب.

التقريرات والتوظيفات. واضرف عن المراكز هؤلاء العشارين الذين عادتهم الظلم، ومكاسبهم الإثم، وطعمتهم السُّخْت، وتقدم بهدم مراكزهم، وإبارة مراتبهم ومراقبهم؛ ليجتاز المجتاز بما يُصدر ويورد، ويحمل وينقل، وليس عليه رُقبة من معارضٍ ولا مُستَوْقف، ولا نُقبة من مطالبٍ ولا مُستخرج، وما احتيج إليه لحافظي دُروب البلد من جارٍ، فأطلقه من بيت المال؛ لئلا يبقى أثر لما حُظر يُتوصّل بقليله إلى الكثير، ويُتوسّل بصغيره إلى الكبير. وراع - من بعد - الأمر مراعاةً تتولّاها عُيُونُكَ من الأمناء، وأهل الثقة في الإخبار والإنهاء، فإن عثروا بعاشِرٍ أو راصد، أو تابعٍ لهم أو حافد، قد استخرج بعد النداء ما قلّ قدره، أو عظم أمره؛ فلا ترَض فيه بغير التنكيل، واجمع عليه العقاب إلى التمثيل.

واقرأ كتابنا على مشايخ البلد ووجوهه وتجاره وعُيونه، وتقدم بالإشادة به على المنبرين، وبُثَّ نُسَخُه في المَصْرَيْن؛ لتظهر الكلمة وتشتهر، ويُعلنَ بذكرها فلا تستتر. إنَّ سَماعَ الخيرِ داعٍ إلى أمثاله، وقاضٍ بتكثير أعماله.

جَعَلْنَا الله مُريدين بما نأتي ونَدْرُ رضاه، لا نريد الجزاء والشكور من سواه، وإليه نرفع الرغبة مُتوسِّلِينَ بجلاله، في الصَّلاة على النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وآله، وعليه نُعوِّلُ لبيارك لنا وفينا، ويصلح بنا ويصلحنا، ويصلح على أيدينا، فإننا نحن له وبه، ولا ندعي الحَوْل والقوَّة من دونه، وهو حَسْبُنَا ونعم الوكيل.

[١٧ أ] نسخة الخطاب بالفتح العظيم بجرجان
الذي تقدم الكتاب الكبير به^(١)

كتابنا من المعسكر المنصور بظاهر جرجان على سمت خراسان يوم الأربعاء
لثمان بقين من ذي القعدة، وقد أنزل الله النصر أعم إنزال، فكشفنا الناكثين كشف
الاستئصال، وسرنا إليهم يومنا هذا هاجمين على معسكرهم مستنصرين بنصر الله،
مستظهرين بعون الله، معولين على ما عود الله مولانا الملك شاهنشاه السيد
المنصور عضد الدولة، وتاج الملة، وعودنا من الإظفار والإظهار، فحكم أولياء
الحق في أشياع الباطل سيوف الانتقام، وجزروهم جزر الأنعام، فولى المفلول
تاش والمنقوص فائق والعاق علي والمنحوس قابوس وقد كملوا طبائع الخذلان،
وأثامهم بأس الله من كل مكان، ناكسين على الأعقاب، راجعين على الأذراج،
وغنم أنصارنا كراعهم وأمواهم وأسليحتهم وخيامهم، وهام من نجا من
استلحام الحديد عارياً، لا يلوي أول على آخر.

وقد سرينا في طلبهم الأتراك ركضاً، والأغراب حثاً، والأكراد حصاً،
وأمرناهم بالأكذبوا عن نيسابور بإذن الله، وسيستأسر من أخطاه السيف بمشيئة
الله، إن الله متبع الخاسرين الغادرين ذلاً بعد ذل، وهناً بعد وهن، فالحمد لله

(١) تقدم في ص ٤٢.

الذي مَنَحَ وأنجَحَ، وَمَنَّ، وأَحْسَنَ، وَيَسَّرَ، ونَصَرَ، حَمْدًا يَحْرُسُ الدَّوْلَةَ، ويحفظُ
الدَّعْوَةَ، ويوزِعُنَا شُكْرَ ما ذَلَّلَ لنا من هذا الحَظِّ الذي أَعْيَا القُرُونُ، وأعَجَزَ
القُرُومَ.

رَسَمْنَا إصدَارَ هذه الجملةِ إلى أَنْ ينفُذَ المبشِّرُ بشرحِ الفَتْحِ في غَدٍ، إن شاء الله.

آخر الباب من الفتوح

الباب الثاني
في المصروف

عَهْدُ قَاضٍ ضُمَّ إِلَى أَعْمَالِهِ أَعْمَالُ

هذا ما عَهِدَ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ أَبُو مَنْصُورِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبِي عَلِيٍّ مَوْلَى أَمِيرِ
المُؤْمِنِينَ / [١٧ ب] إِلَى عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ أَحْمَدَ ^(١) حِينَ أَلْفَاهُ الْكَافِي فِيمَا اسْتَكْفَاهُ،
الوَافِي بِمَا قَلَّدَهُ وَاسْتَرْعَاهُ، قَدْ نَهَضَ مِنْ قَضَاءِ قُضَايَتِهِ، بِمَا أَحْمَدَ فِيهِ رِضَى مَسْعَاتِهِ،
مُؤَدِّيًّا حَقَّ اللَّهِ فِي الْأَخْذِ بِالْعَدْلِ، وَالْحُكْمِ بِالْفَضْلِ، وَالْقَضَاءِ بِمَوْجِبِ الدِّينِ
وَمُقْتَضَاهُ، وَالْإِمْضَاءِ عَلَى سُنَنِ الشَّرْعِ وَمُقَضَاهُ، لَا يَمِيلُ بِهِ هَوَاهُ عِنْدَ الْإِزْتِيَادِ، وَلَا
يُخْتَلِفُ مَغْزَاهُ فِي الْإِعْتِبَارِ وَالْإِجْتِهَادِ، الْوَرَعُ مَرْكَبُهُ وَسَبِيلُهُ، وَالْحَقُّ مَقْصَدُهُ وَدَلِيلُهُ،
قَدْ ضَرَبَتْ بِحُسْنِ مَذْهَبِهِ الْأَمْثَالُ، وَشُدَّتْ إِلَى اقْتِبَاسِ عِلْمِهِ الرَّحَالُ؛ فَرَأَى أَنَّ

(١) قاضٍ مشهور ولي القضاء بالرِّيِّ وبما تحت حكم مؤيد الدولة من البلاد عام ٣٦٧هـ. وهو من
أئمة المعتزلة. قال ابن الأثير: «ويرد في تراجم تصانيفه: قاضي القضاة، ويعني قاضي قضاة
أعمال الرِّيِّ. وبعض من لا يعلم ذلك يظنه قاضي القضاة مطلقاً، وليس كذلك». الكامل، ج ٧،
ص ٣٨٠. وقد أضيفت إلى أعماله - على ما يظهر من هذه الرسالة - جرجان وطبرستان بعد
فتحها.

يُضِيفَ لَهُ إِلَى مَا يَلِيهِ مِنْ أَحْكَامٍ مَمْلُوكَتِهِ الْحُكْمَ عَلَى أَنْفِ مَا اسْتَضَافَهُ بِأَمْرِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ الطَّائِعِ لِلَّهِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - إِلَى مَمْلُوكَتِهِ مِنْ جُرْجَانَ وَطَبَرِستانَ وَمَا يَجْرِي
مَعَ أَعْمَالِهِمَا، وَيُعَدُّ مِنْ سُفُوحِهَا وَجِبَالِهَا، بَرٌّ ذَلِكَ وَبَحْرِهِ، سَهْلُهُ وَوَعْرِهِ، مُتَعَاً
رِعْيَةً هَذِهِ الْبِلَادَ بِكِفَايَتِهِ، قَاسِماً لَهُمْ حِظُوظَهُمْ مِنْ رِغْيَتِهِ^(١) وَدِرَايَتِهِ، فَأُولَى الْوُلَاةِ:
مَنْ جُمِعَ فِيهِ الْحِلْمُ وَالْحِجَا، وَأَكْفَى الْكُفَاةَ: مَنْ أَجْمَعَ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالتَّقَى، وَاللَّهُ
وَلِيَ الْخَيْرَةِ فِيمَا يَرَاهُ، وَالْبَرَكَةِ فِيمَا أَمْضَاهُ، إِنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحِ الْخَيْرَاتِ الْمُنْجِيَةِ، وَمِغْلَاقِ الشَّهَوَاتِ الْمُرْدِيَةِ، الدَّاعِيَةِ
مَنْ اسْتَشْعَرَهَا لِبَاساً، وَجَعَلَهَا قَاعِدَةً وَأَسَاساً، إِلَى أَجْدَى الْأَقْوَالِ، وَأَزْكَى
الْأَفْعَالِ، وَأَهْدَى الْأَعْمَالِ، وَأَرْضَى الْأَحْوَالِ، الْكَاسِيَةِ مَنْ اطَّرَحَهَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ،
وَصَرَحَهَا^(٢) عَنْ سَبِيلِهِ وَأَمْرِهِ، حُسْرَانَ الصَّفْقَةِ دِيناً وَدُنْيَاً وَأَنْحِلَالَ الرِّبْقَةِ أُولَى
وَأُخْرَى، لَا تُقْبَلُ مِنْهُ حَسَنَاتُهُ، وَلَا تُكْفَرُ عَنْهُ سَيِّئَاتُهُ، يَوْمَ تَسْوَدُّ وُجُوهُ الْمُجْرِمِينَ،
وَتَبْيَضُّ وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا
هُمَّ يَحْزَنُونَ﴾^(٣).

(١) فِي الْأَصْلِ: رِعْتَهُ. وَهُوَ خَطَأٌ بَيِّنٌ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: وَصَرَحَهَا. صَرَحَ الشَّيْءُ: دَفَعَهُ وَأَبْعَدَهُ وَنَحَّاهُ. لِسَانَ الْعَرَبِ، ج ٢، ص ٥٢٥
(ضَرَح).

(٣) سُورَةُ الزُّمَرِ، الْآيَةُ ٦١.

وأمره بأن يجعل مصباحه في ظلم الأمور، واستنجاهه في الحكم بين الجمهور، كتاب الله الذي أنزله، وبينه وفصله، وأودعه ما قَدُم وما حَدَث، ونصبه حجة على مَنْ وَرَثَ وَوَرِثَ، لا تُنْزَفُ بحارُهُ، ولا تُبْلَغُ أغوارُهُ، ولا تُكْسَفُ أضواءُهُ، ولا تُخْلَفُ أنوارُهُ، ولا تَلْتَبَسُ مذاهبه، ولا تنقضي عجائبه، قاطعة أحكامه، ساطعة أعلامه، كافٍ إلزامه، إليه يرجع كل ذاهب، وبه يُقَمَّع كل ناكب، / [١٨] ليس عن محبته معدل، ولا يستبدل بحجته مُستبدل، ﴿نَزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١).

وأمره بأن يتخذ سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم وعلى آله - تالية كتاب الله في الاقتداء، وجارية مجراه في الاقتفاء؛ إذ كانت العروة التي لا تنفصم، والعُمدة التي لا تنثلم، والصراط الذي لا يميل، والبرهان الذي لا يستحيل، قد ربَّها الله بياناً لما أشكل، ولساناً لما أعضل، وعياناً لمن غاب، وإيقاناً لمن ارتاب، فالتمسكُ بها ناجٍ يومَ الخيفة، راجٍ للدرجاتِ المنيفة، والمُخلُّ بها مدخولٌ دينه، خفيفةٌ موازينه، ومن يُرد الله به خيراً يُهيئ له من أمره رشداً^(٢).

وأمره بأن يتلقى الإجماعَ بالاتباع، ويحتسب معه من الابتداع والاختراع؛ فقد خصَّ الله بفضيلته أمتنا دون الأمم الماضية، وشرَّفهم به على القرون الخالية، وهو

(١) سورة فصلت، من الآية ٤٢.

(٢) من قوله تعالى: ﴿وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، سورة الكهف، من الآية ١٠.

حبلٌ من الله ممدودٌ، وكنفٌ في دين الله ممدود، لا تضطربُ أسبابُهُ، ولا يهتِك حجابُهُ، ولا تُعمل الآراء مع وجودِهِ، ولا تُسَوَّغ العَبْرَةُ^(١) بعدَ مَعْقُودِهِ، ومن ﴿يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٢).

وأمره إذا عَرَضَ له ما لم يفصح به الكتابُ نصّاً وإسماً، وإن لم يُفَرِّط فيه تضميناً وإيداعاً، ولم تأت به السُّنَّةُ كُشْفاً وتَنْوِيهاً، وإن اشتملت عليه فَحْوًى وتنبههاً، ولم يسبق فيه اتِّفاق، لا يسعُ من بعده افتراقٌ؛ أن ينظرَ نظراً يُفَعِّمُهُ، ويُصَابِرَ الْفِكْرَ فيه فلا يسأئمه، فإنَّ الله إذا علم أنَّ الحقَّ بُغِيَتْهُ، والصَّلاحُ نِيَّتُهُ؛ أدَّى به إلى ما يريد، ووقفه فلا يضلَّ ولا يحيد، ورَفَدَه بصائبِ الخواطر، وهياً له أَجلى الأَشْباهِ والنظائر، ولم يُبْهِم سبيلَ الرَّشادِ دونه، وجَعَلَه بلُطْفِهِ من الذين يستنبطونه^(٣).

وأمره بأن يكونَ اختيارُهُ إذا اختار، وإِشارُهُ إذا اعتمدَ الإِشارَ، من أقوالِ السَّلَفِ المشهورين، وفُقهائِ الأُمَّةِ المذكورين، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ، لا يُعَرِّجُ بالمذاهبِ الشاذة ولا يتقبَّلُها، ولا يَتَرَخَّصُ في الأقوالِ الشاردة ولا يتحمَّلُها، ويصدرُ أَحكامَهُ عن قولٍ شهير، وبيانٍ مُسْتَتِر، واستبصار واضح المنهاج،

(١) العبرة: الاعتبار، وفي مصطلح الفقهاء: القياس.

(٢) سورة النساء، من الآية ١١٥.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ سورة النساء، من الآية ٨٣.

واعتبار / [١٨ ب] متلألئ السراج، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

وأمره بالاستظهار على أحكامه بالمشورة، والمباحثة لأولي المعارف الموفورة، من الفقهاء الذين جعلهم الله للأحكام قُنية، وللإسلام حلية، فإنه وإن كان موصوفاً بالاستقلال، فما أحدٌ خُلِقَ للكمال، وقد جعل الله في وفور العدة، مزيةً لم يجعلها للوحدة، وعَرَّفَ في الاستمداد والاستكثار، فضيلةً لم يوجد لها في الاستبداد والاستثثار، ثم له الإمضاء إذا استشار، والقضاء إذا تخير واستخار؛ فقد أفصح منصوص الذكر، بقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٢).

وأمره بأن يهذب نفسه قبل أن يهذب عمله، ويؤدب عاداته قبل أن يؤدب من قبله، ويروّض أخلاقه على الحلم فإنه أحمَدُ ما اعتاد، والصبر فإنه أفضلُ ما ارتاد؛ لئلا يقضي في حال قلق أو غلق، أو غيظ أو حنق، أو صجر أو ملال، أو حرج أو كلال، بل ينظر بين الخصوم وقد سدَّ خصاصته، وقضى عامة أربه وخاصته، واستظهر بملك نفسه وإربه، وعرك المساخت والمغائظ بجنبه، ليؤدي فرض الله في عظيم ما تطوّقه من الفروج والدماء، ويحتذي أمر الله في جسيم ما اعتنقه من حقوق الدّماء، فإن الله سائله يوم تشهدُ الأَشهاد، ويُحشَرُ العباد، عن قليل ذلك وكثيره، ومحاسبه على صغير ذلك وكبيره ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا

(١) سورة البقرة، من الآية ٢١٣.

(٢) سورة آل عمران، من الآية ١٥٩.

فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾.

وَأَمْرُهُ بَأَن يَعْدِلَ بَيْنَ الْخَصُومِ فِي مَجَالِسِ قَضَائِهِ، وَيُعَمِّمَهُمْ بِحُسْنِ اسْتِمَاعِهِ وَإِصْغَائِهِ، وَلَا يَعْجَلُ بِمَنْ قَدْ غَشِيَتْهُ هَيْبَةُ الْحُكْمِ؛ فَيُخَصِّرُ وَيُخْرِجُ، وَلَا مَنْ مَلَكَتْهُ رَوْعَةُ الْخَصْمِ؛ فَيُحْسِرُ وَيَتَلَجَّلَجَلَجَ، وَلَا يَقْسِمُ لَوَاحِدٍ مِنْهَا ^(٢) فِي لَفْظِهِ إِذَا لَفَظَ، وَلَحْظِهِ إِذَا لَحَظَ، إِلَّا مِثْلَ الَّذِي يَقْسِمُهُ لِصَاحِبِهِ، وَيُوجِبُهُ لِمَنَازَعِهِ وَمُجَازَبِهِ؛ لِئَلَّا يَطْمَعَ قَوِيٌّ فِي انْظِلَامِ ضَعِيفٍ، أَوْ يَجْزَعَ مَشْرُوفٌ مِنْ اهْتِضَامِ شَرِيفٍ، فَالْحَقُّ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ ذِي مَحَلٍّ وَثَرَةٍ، وَالدِّينُ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ ذِي مَنَزَلَةٍ وَحُظْوَةٍ، وَلِلَّهِ عَلَى كُلِّ قَاضٍ فِيمَا يُخْفِيهِ فَيُطِنُّهُ، أَوْ يُبْدِيهِ فَيُعْلِنُّهُ، رَقِيبٌ لَا تَلْحَقُهُ غَفْلَةٌ، وَحَسِيبٌ لَا تَقُوتُهُ خَصْلَةٌ، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ^(٣).

/ [١٩ أ] وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَخَيَّرَ كُفَاتَهُ وَخُلَفَاءَهُ، وَكُتَّابَهُ وَأُمَنَاءَهُ، فَمَنْ نَصَحَ وَعَفَّ، وَصَلَحَ وَكَفَّ: أَقْرَهُ، وَفَسَحَ لَهُ مَمَرَهُ، وَمَنْ صَدَفَ عَنِ التَّوَرُّعِ وَالظَّلْفِ، وَانْحَرَفَ إِلَى الْجَشَعِ وَالنَّطَفِ: قَدَّمَ عَزْلَهُ، وَحَسَمَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ كُلَّهُ، فَالْمَرْءُ مَسْئُولٌ عَنِ بَطَانَتِهِ، كَمَا هُوَ مَسْئُولٌ عَنْ أَمَانَتِهِ، يَوْمَ ﴿تُؤْفَقُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ^(٤).

(١) سورة سبأ، من الآية ٣.

(٢) يريد الخصوم (جماعة).

(٣) سورة ق، الآية ١٨.

(٤) سورة البقرة، من الآية ٢٨١، سورة آل عمران، من الآية ١٦١.

وأمره بأن يتصفّح الشهود تصفّح مَنْ عدالة المسلمين آثر إليه من الجرح، وسلامتهم في الدين أوقع لديه من القدح، فالمسلمون بظواهرهم عدول، إلا مَنْ ثبت منه فسوق أو غلول، وأن يجبر أحوالهم بعد أن لا يقبل ظنيماً ولا عبداً، ولا مَنْ أقام عليه القذف حداً، ويستشفّهم فيما يُصدرون ويوردون، ويتحمّلون ويؤدّون؛ لئلا يُقدّم أحدُهم في شهادته على لبس، أو يهجم به ضعف درايته على زيادة أو نقص، فما كلُّ الشهود يؤتى ^(١) من سوء السريرة، وإنما يؤتُون من سوء المعرفة والبصيرة، ولذلك فُضِّل مَنْ فَضَّلَهُ عِلْمُهُ، وقُدِّم مَنْ قَدَّمَهُ فَهْمُهُ، ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٢).

وأمره بأن يحتاط على مال اليتيم بالاحتياط الشديد، فلا يُعوّل في حفظه إلا على الأمين السديد، ويوكّل به عيناً من ملاحظته، ويداً من حفظه ومُحافظته؛ ليؤمّن فيه الأكل بالباطل، والتّعريض لخبث المطاعم والمأكّل، ولينفق منه عليه إنفاقاً وسطاً في التقدير، بين التبذير والتقتير، إلى أن يبلغ الحلم والنكاح، ويستكمل الرشد والصّلاح، فيحصل ماله في يديه، ويشهد به عليه، ﴿وَابْتُلُوا آلَ نَبِيِّكُمْ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ

(١) في الأصل: يؤتى به.

(٢) سورة الزمر، من الآية ٩.

أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿١﴾.

وأمره بأن يضع الموارِيثَ إذا دُفعتْ إليه مَوَاضِعُهَا من الاستحقاق والاستيجاب، ويوصلها إلى أربابها بالأنساب والأساب، على فرائض الله فيما سَمَّى وأسهم، وأبقى بعد ما قَسَم، وأن يُجْري ذوي الأرحام على ما رآه أكثرُ الأئمة، وقال / [١٩ ب] به جمهور الأئمة، من إيجاب التَّوْريث عند فَقْد ذوي التَّعْصِب، فلو لم يكن في ذلك إلَّا حِرَاسَةُ التَّراث، عن ^(٢) مُعَارَضَةِ عُمَالِ المُعَاوَن ^(٣) والأحداث؛ لَوَجَبَ تَغْلِيْبُ مَنْ هَذِهِ فُتْيَاهُ، وأُلْحِقَ فِيهَا غَرَضُهُ وَمَرْمَاهُ، فكيف وقد تُبْلَى في نص كلام الله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ ^(٤).

وأمره ألا يَفْسخ حُكْمَ الْقُضَاةِ قَبْلَهُ إذا كان مما يُسَوِّغُ الرَّأْيَ مثله، فلو نُقِصَ الاجْتِهَادُ بالاجْتِهَادِ، لما اسْتَقَرَّتْ أَحْكَامُ قُضَاةِ الْبِلَادِ، وإنْ هُوَ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ مَا خَالَفَ إِجْمَاعَ الْحُجَّةِ، وَخَرَجَ عَنْ اتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ، أَتَى فِيهِ، مَا يُلْزِمُهُ فِي تَلَاْفِيهِ، فَالْبَاطِلُ أَوْلَى بِأَنْ يُدْفَعَ، وَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ ^(٥).

(١) سورة النساء، الآية ٦.

(٢) في الأصل: عما.

(٣) المعاون: من أصناف الشرطة.

(٤) سورة الأنفال، من الآية ٧٥.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ

تَحْكُمُونَ﴾ سورة يونس، من الآية ٣٥.

وأمره بتزويج الأيا مى اللاتي ولا يتهن إليه، وعقدتهن بيديه، متخيراً الأكفاء،
وطالباً في الصدقات الوفاء، عالماً أن تقديم ذلك أدعى إلى العفاف، وأرجى
للكفاف، وأقرب إلى العدل، وأبعد من العضل، وقد قال الحكيم الرحيم في
القرآن المبين: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمُ وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ
يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمُهُ﴾ (١).

وأمره بأن ينصب للوقوف (٢) من يحسن وقوفه عليها وقيامه، ويصدق
اشتغاله بها واهتمامه؛ لئلا تبور أصولها بالضيا ع، أو تفوت حقوقها باقتطاع،
ولتجرب أقسامها على ذللها، وتصرف في وجوها وسبلها، وتحمى عن مكائد من
يسعى في نقضها برأي من آراء المجتهدين، ويتأتى لحلها بفتوى من فتاوى
المختلفين، ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ (٣).

وأمره إذا ثبت عنده الإعسار أن ينظر ويمهل، ويؤخر ويؤجل؛ فإن الله فرق
بين ذي المتربة والمقدرة، فقال: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ (٤).
وأمره أن ينصب لحفظ السكك في دور الضرب أمناء يحرسون العيار،

(١) سورة النور، الآية ٣٢.

(٢) جمع وقف.

(٣) سورة البقرة، من الآية ١٨١.

(٤) سورة البقرة، من الآية ٢٨٠.

ويعرفون السَّبَكَ والاعتبار؛ ليكونَ ما يُطَبَّع على الإمامِ المعلومِ، والمثالِ المرسومِ؛ فلا يستطيع من أرادَ دَغَلًا، أن يوقعَ خَلَلًا؛ فتجريَ المعاملاتُ على السَّدَادِ، وتُحَفَظَ النقودُ عن الفسادِ، والله ﴿خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(١).

وأمره إذا رُفِعَ إليه ما يُوجبُ حَدًّا، أو قَطْعًا، أو قَتْلًا، / [٢٠ أ] أو جَلْدًا، أن يأخذَ بأبعد المذاهب من إباحةِ ظَهرِ المسلم؛ فإنه الحمى، وإراقةِ دَمِهِ؛ فإنه الحرمةُ العُظمى، وإبانةِ أعضائه؛ فالأصلُ الحَظَرُ، ولا إطلاقَ ما استعجم الأمرُ، وأن يُجَرِّدَ عندَ ذلكَ المسألةَ عن البيِّناتِ، ويأخذَ بالسُّنَّةِ في درءِ الحدودِ بالشُّبُهاتِ، فإنَّ وَضَحَ له ما يُوجبُ إقامةَ الحدِّ أنْهائِهِ ونَفْذَهُ بحكمِ الله، ولم تأخذهُ رَأْفَةٌ في دينِ الله^(٢).

هذا عَهْدُنَا إِلَيْكَ، وَعَهْدُ اللَّهِ بِهِ عَلَيْكَ، لم نَأْلكَ فيه تذكيرًا، وإن كنتَ به بصيرًا، ولم نَدَّخِرْ عنكَ بيانًا، وإن كنتَ تقتلهُ علمًا وإيقانًا، فاستخرِ اللهَ المَقِيتَ يُلقِّكَ سَدَدًا، ويؤتِكَ ما بقيتَ رَشْدًا، إليه تفويضُنَا فيما نبدي ونُعيد، وعليه^(٣) تعويلُنَا فيما نعزمُ ونريد، وهو حَسْبُنَا ونعم الوكيلُ.

(١) سورة يوسف، من الآية ٦٤.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ سورة النور، من الآية ٢.

(٣) في الأصل: وعلينا! والصواب ما أثبتناه.

وله عهد في الحسبة

هذا كتاب من مؤيد الدولة أبي منصور بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين لفلان:

إنا لما أنهي إلينا، وتناهى في الوضوح لدينا، من علمك المشهود، وسترك الممدود، وموقعك في أعيان الفقهاء، وموضعك من الاضطلاع والغناء؛ رأينا اعتمادك لما صدق به اهتمام الأئمة، ومسّت إليه حاجة الأمة، من الحسبة التي تُنظّم مصلحة الكافة، وتجمع مرارة الحق إلى حلاوة الرافة، ففوضناها بالرّي وأعمالها إليك، ناظرين للرعيّة، وطالبن فيها وجه المزيّة؛ إذ الاحتساب مُشتمل على الأمر بالمعروف، والزجر عن المنكر، والتواصي بالمحامد، والتناهي عن المقابح. والله ولي إرشادنا وتأييدنا، وإسعادنا وتسديدنا، نعم الوكيل، وعليه التعويل.

فباشِر ما عصّبناه بك، مؤثراً تقوى الله، فهي العُدّة والعُصرة، والنجدة التي فيها النُصرة، والمحجّة الآمنة من الاختلال، والمنجاة السّالمة من الاعتلال، من اعتصم بحبالها، وتدرّع بسرّبالها: تقدّمت خطاه، وسليمت دُنياه وأخراه، ومن زاغ عن مقتضاها، وراغ عن مُفضّاها: اتّصل عثارُهُ، وأثقلت أوزارُهُ. وأولى الناس باتّباع منارها، وإقامة شعارها: من عدّ في ذوي العلم والدراية، واعتدّ في أولى

الفهم والرواية، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١).

ونفذ ما استرعيته بين عفافٍ يهتدى فيه بهدّاك، ويُقتدى بمقصدك ومغزاك، فإنّ مَنْ أَصْلَحَ مِنْ نَفْسِهِ تُقْبَلُ دَعَاؤُهُ إِلَى الْخَيْرَاتِ، وَامْتِثِلْ قَوْلُهُ فِي الْكَفِّ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ، / [٢٠ ب] وبين غلظةٍ على أهلِ الفُسُوقِ تَقُومُ دَرَأَهُمْ وَتَتَقَفُّهُ، وَتَهْذِبُ مَائِلَهُمْ وَتَوَقِّفُهُ، فهذه العصبَةُ متى لم تَرَ جانباً منيعاً، ولم تحش إنكاراً وسيعاً؛ انهمكت في شهواتها، وتداركت على سوء عاداتها - ولين على المشهورين بالستر والعفاف؛ ليرغب الممتازُ عنهم في الانحياز إليهم، فذلك أقومُ قيلاً، وأهدى سبيلاً، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢).

واهتمَّ بأمرِ المعاييرِ والمكاييل، والقِسْطَاسَاتِ والموازين، اهتماماً يقتضيه افتقارُ المعاملاتِ أجمعٍ إليها، ورجوعُ المبيعاتِ عليها، فقد عَظَّمَ اللهُ تعالى في نَصِّ المصحف، وَزَرَ الْبَاخِسِ وَإِثْمَ الْمُطْفَفِ، فقال: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٣).

وأجر الرّعيّة، على طريقةٍ سويّة، في المنع عن المجاهرة بما يُحْظَرُ، والمبادرة بما

(١) سورة فاطر، من الآية ٢٨.

(٢) سورة البقرة، من الآية ٢١٣، سورة النور، من الآية ٤٦.

(٣) سورة المطففين الآيات ١-٥.

ينكر، غير مفرق بين أبناء الثروة واليسار، وإخوان الخلة والإعسار، فالجماعة عبيد الله، لا تختلف فيهم حدود الله، بل الأغنياء - إلا من عصم الله - أجرأ على المناكير، وأقدر على بلوغ اللذات بالتبذير، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١).

وألزم النساء إذا تخللن الأسواق والمحال، وداخلن الشوارع وقابلن الرجال، أن يضربن بخمرهن^(٢) على جيوبهن^(٣)، ويمدذن جلابيهن على وجوههن، فذلك أدفع للمحبة^(٤) الفاسق ونظرتها، وأسلم للعبد الصالح وعفته؛ ولهذا أمر الله تعالى بغض العيون، كما أمر بتحصين الفروج: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾^(٥) وأطهر^(٦).

وراع السلع مراعاة تحوطها عن الغشوش؛ فإثمها عظيم، ووزرها جسيم، ولها إفساد للبياعات، وتخريم للمعاملات، إلى الوكس الداخل على أهل الملة، وأولي العهد^(٧) والذمة، ومن صح إضراره على استعمالها، وإقدامه على وبالها،

(١) سورة الحجرات، من الآية ١٣.

(٢) في الأصل: بخمورهن. والصواب ما أثبتناه.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ سورة النور، من الآية ٣١.

(٤) «للمحبة» مكررة مرتين في الأصل.

(٥) سورة النور، من الآية ٣٠.

(٦) كذا في الأصل، فيما أثبتتها زيادة بيان، أو اشتبهت الآية عليه مع آية البقرة ٢٣٢: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ

النِّسَاءَ . . .﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾.

(٧) «العهد» مكررة مرتين في الأصل.

فبالِغٍ في تقويمه يَصِرُ مُثْلَةً لِمَن سِوَاهُ، وَعِبْرَةٌ لِمَن يَجْرِي مَجْرَاهُ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَرُدُّ بِأَسْهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرَمِينَ^(١).

وَأَمْنَعُ مِنَ سَدِّ الشُّوَارِعِ دُونَ السَّابِلَةِ بِأَمْتَعَةِ الْبَاعَةِ وَالْآتِيهَا، وَبَضَائِعِهَا وَأَدَوَاتِهَا؛ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَضِيقَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طُرُقَهُمْ، وَيَشْحَنَهَا بِمَا عَسَى أَنْ يَعْوَقَهُمْ؛ لِيَلْزَمَ كُلُّ مِنْهُمْ مَوْضِعَ بَيْعِهِ وَشِرَاهُ، لَا يَتَخَطَّاهُ وَلَا يَتَعَدَّاهُ، إِنَّ أَذَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، / [٢١ أ] وَحِجَارَتُهُ دُونَ مَجَارَتِهِ أَثَامٌ، إِنَّ ﴿اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْخَافِينَ﴾^(٢).

وَحُذِّ أَهْلَ الذِّمَّةِ بِلِبْسِ الْغِيَارِ، وَعَقْدِ الزُّنَّارِ، وَالتَّمْيِيزِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَلْبَسَهُمُ اللَّهُ ثَوْبَ الْعِزَّةِ، وَأَفْرَدَهُمْ حَتَّى فِي الشُّعَارِ وَالْبِزَّةِ، وَحَمَاهُمُ الذَّلَّةَ وَالْهُونَ، وَأَعْلَاهُم وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

وَقَدْ أَذِنَ لَكَ فِي حَبْسٍ مَنْ يَجِبُ حَبْسُهُ، وَتَأْدِيبٍ مَنْ تَغَرُّهُ نَفْسُهُ؛ لِتَعْمَ الْمَصْلَحَةَ، وَتُقْلَعَ الْمَفْسَدَةَ، وَيَخَفَّ الْعَنْتُ، وَتَكْفُ الْمَرَدَّةُ، بَعْدَ أَلَّا تَدَعَ تَقْدِيمَ الْإِنْذَارِ، وَالتَّقْوِيمَ بِالْإِنْكَارِ، فَإِنْ نَجَعَ الْقَوْلُ فَذَاكَ أَقْرَبُ مَأْخِذًا، وَأَرْشَدُ مَنْفَذًا، وَإِنْ اِحْتِجَّ إِلَى تَعْدِيهِ فَلَا إِقْصَارَ دُونَ الْقِيَامِ بِحَقِّ اللَّهِ، وَلَا اقْتِصَارَ^(٣) عَلَى مَا يُغْرِي بِسَخَطِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْفُسَادَ^(٤).

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يُرْدُّ بِأَسْهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرَمِينَ﴾ الأنعام، من الآية ١٤٧.

(٢) سورة يوسف، من الآية ٥٢.

(٣) في الأصل: والاقتصار.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ سورة البقرة، من الآية ٢٠٥.

هذا ما عهدناه إليك، فاستمرّ على منهاجه، واهتدِ بسِراجه، وإنْ عَرَضَ ما
يقتضيك الاستئثار، لا الاستئثار، فَأَنَّهُ يَأْتِكَ مِنَ التَّبَصِيرِ ما يُخْرِجُ عَنْ وَحْشَةِ
الاستبداد والانفراد، إلى أُنْسَةِ الاستظهار والاستمداد، واستخرِ اللهَ تعالى يَخْرُ لك،
ويسدّد عملك، نِعَمَ المولى ونعم النصير.

وله^(١)

هذا ما عهد مؤيد الدولة أبو منصور بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين^(٢) إلى عبد الجبار بن أحمد، حين ولاه قضاء القضاة بالرّي وقزوين وسهرورد وشم وساعة وما يجري معها، ويتصل بها، علماً بما لديه من علم يهتدى بأضوائه، وورع يستسقى بأنوائه، وكفاية يكنفها الحلم والحجا، وأمانة يبعثها النّسك والتقى، وموقع في عليّة أهل الدين ترمقه النواظر، ومكان من صفوة المسلمين تعقده الخناصر، والله وليّ الإرشاد، والمعونة على حسن الارتداد.

أمره بتقوى الله ومراقبته، وتخوف سطوه ومعاقبته، إن التقوى زمام الأفعال الصالحة، وإمام الأعمال الرابحة، من لجأ إليها أتاه التوفيق في مصارفه، وواتاه السداد في مواقفه، ومن مال عنها تحاماه الرشاد في أنحائه، وتخطاه الصواب في آرائه، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا * ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ [الله^(٣) يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً^(٤)].

(١) أورده الرافعي، التدوين، ج ٣، ص ١١٩.

(٢) بعدها في التدوين: خليفة الملك السيد الأجل المنصور ولي النعمة عضد الدولة أبي شجاع بن

ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين.

(٣) زيادة مقتضاة بحسب الآية صحيحة.

(٤) سورة الطلاق، من الآيتين ٤-٥.

وأمره بأن يجعل القرآن قبلة / [٢١ ب] مساعيه، ووجهة مطالبه ومباغيه،
 فينصب إليه تالياً، وينتصب له قارئاً، ويخلو به متدبراً، ويواظب عليه متبصراً، فهو
 حادي الحكم، وهادي الأمم، والجلاء عند الاشتباه والاستعجام، والضياء في
 مشكلات الإعضال والاستبهام، من فزع إلى ذخائره أثرى من المرشد واستظهر،
 ومن عدل عن بصائره أقوى من المحامد وأعسر، لو أنزل على الجبال لحشعت، أو
 على الأطواد لتصدعت، ما فرط فيه، ولا تجوز في أوامره ونواهي، ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ
 حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١).

وأمره بأن يتخذ سنة رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله^(٢) - مرجعاً،
 ويرضى بها مراداً ومنتجعاً، فيرد إليها أحكامه، ويلتمس منها حلال الدين
 وحرامه؛ إذ كانت العدة إذا اشتبهت الأمور، والعمدة إذا اختلف^(٣) الجمهور،
 وفيها تفصيل ما أجملته النصوص، وتبيان ما اعتوره العموم والخصوص، تنكشف
 بها^(٤) الشبهة، ويؤمن بها^(٥) العمه، محجتها بيضاء ساطعة، وحجتها غراء قاطعة،
 ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾^(٦).

(١) سورة فصلت، من الآية ٤٢.

(٢) أفحم أحدهم بعدها: «وصحبه». انظر تعليقنا في حاشية (٥) من ص ٧.

(٣) في الأصل: اختلفت.

(٤) في الأصل: به. والصواب ما أثبتناه.

(٥) في الأصل: به. والصواب ما أثبتناه.

(٦) سورة النساء، الآية ٨٠.

وأمره بأن يتلقى سالف الإجماع بحُسن الاستماع والاتباع إذ كان حبل الله المعقود لا تُتَكْتُ^(١) قواه، وظلّه الممدود لا يُستباح حماه. فَضَّلَ اللهُ به أمتنا على الأمم، وجعلَ كلمتها فيه فوقَ الكلام، حتّى وسَمَها في كتابه بالوسط، وآمنّا فيها من الخطأ والغلط، لا يُخشى على اتفاقها عوارض الالتباس^(٢)، وقد جعلها الله خير أمة أخرجت للناس، فليس لذي حكم ونظر، وأخذ بتأويل آية أو خبر، أن يخالف ما أطبق عليه الأمة، وسبقت إليه الأئمة، بل عليه التسليم والافتاء، والتفويض والافتداء، ومن ﴿يَتَّبِعْ^(٣) غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٤).

وأمره إذا عن ما لم يشتمل الكتاب عليه تعييناً، ولا كشف عنه الأثر تبيناً، ولا سبق به الإجماع يقيناً؛ أن يعمل فيه اجتهاده طويلاً، ويُنهض له ارتياده بكرةً وأصيلاً، ويستشهد مُودع النصّ وفحواه، ويستنجد موجب الأثر ومقتضاه، ويقيس الأشباه والنظائر، ويستنبط الأمارات والدلائل، / [٢٢ أ] فذاك الجدد

(١) في الأصل: لا يتكت. والأليق ما أثبتناه.

(٢) يشير إلى حديث النبي ﷺ: «إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة»، رواه الترمذي، ج ٤، ص ٤٦٦، ح (٢١٦٧).

(٣) في الأصل: يتبع. وهو تحريف واضح.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ الآية، سورة النساء، من الآية ١١٥.

الذي كان السلف الصالح - رحمهم الله - يسلكونه، وقال الله تعالى: ﴿لَعَلَّهُ
الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾^(١).

وأمره إذا عارض في الأحكام ما يعضل استخراجه، ويستبهم رتاجه؛ أن
يتبين ويتبد^(٢)، ويفكر ويجهد، ويستشير أمثال العلماء ويستمد، يأخذ من آراء
الفقهاء ولا يستبد، حتى إذا وضحت له القضية أكمل فضل الاستشارة بيمن
الاستخارة، وأمضى من الحكم، ما يأمن فيه مصارع الظلم، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣).

وأمره بأن يواصل النظر بين الخصوم، والأخذ من الظالم للمظلوم، فاتحاً
لذلك بابه، ومُليناً حجابَه، ومُسوّياً في الخصومة إذا اشتجرت، والألحاظ إذا
تصرّفت، والألفاظ إذا جرت، بين الغنيّ الثري، والفقير المُقوي، والقويّ الموقر،
والضعيف المستحقّر، فليس بالثراء تشرف المنازل وترتفع، ولا بالإقواء تضعف
الوسائل وتتضع. وبعد، فكلّ عباد الله يسعهم فضله، وشرع في حكم الله يشملهم
عدله، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ﴾^(٤).

(١) سورة النساء، من الآية ٨٣.

(٢) في الأصل: يتأيد.

(٣) سورة المائدة، من الآية ٤٥.

(٤) سورة الحجرات، من الآية ١٣.

وأمره بأن يدَّرَعَ الهينة، ويؤثر الوقار والسكينة؛ ليُعْشِّي ما استُكْفِيه جمالاً،
ويُؤَفِّي ما استُرِّعِه جلالاً، ويسير سيرة لا الضعفُ يتخلَّلها فيوهنُّها، ولا العنفُ
يتجلَّلها فيهجَّنُّها؛ لتسمَرَ أحواله مكنوفةً بالمحاسن، محروسةً عن المطاعن، مرويةً
في السير الصالحة، محميةً عن الألسن القاذحة، متوكِّلاً على ربِّه، في قلِّ أمره وكثره،
وصغر شأنه وكبره، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(١).

وأمره بأن يتخَيَّرَ لأحكامه الأوقات التي يجمعُ لها لبَّه، ويملكُ فيها إربَه،
ويأمنُ معها منازعةَ الوطر، ومساورةَ الضَّجر، لتصدَّرَ قضاياه عن رأيٍ مُستَجْمِع،
وصدُرٍ مُتَّسِع، ونفسٍ مُراحَة، وعِلَلٍ مُراحَة، ذاكرًا عند القضاء، فضلَ القضاء
﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٢).

وأمره بأن يتسلَّم ديوانَ القضاء من المتولِّي - كان - قبله بمَحاضِرِه
وسجِلَّاتِه، ومثابِتِ حُجَّجِه وبيِّناتِه، وذكرِ المحتَبِّسين بمبالغِ الحقوق وأسماءِ
الخصوم، ويعرضه بفهرست يعقده، فهو جامعٌ للمسلمين حقوقاً جمَّة، وعقوداً
مهمَّة، ويوكِّل به من ثقاته من يحوطُه عن الأيدي الممتدَّة، والأطماعِ المشتدَّة، والله
﴿خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٣).

(١) سورة الطلاق، من الآية ٣.

(٢) سورة الشعراء، الآيتان ٨٨، ٨٩.

(٣) سورة يوسف، من الآية ٦٤، والآية: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا...﴾.

وأمره بأن يختار لخلافته على قضاء / [٢٢ ب] البلدان المقررة في يده، المذكورة في عهده، ولكتابته، وسائر ما يتولّى من جهته، من يجمع إلى الدّعة عزوفاً عن النّطف، وإلى المعرفة عكوفاً على الظّلف^(١)؛ ويطلع أخبارهم، ويشارف آثارهم، فمن زاع عن الطريقة المثلى، ولم يخش وخيم العقبي؛ صرّفه زجراً وتحذيراً، وردّعا ونكيراً، ومن استقرّ على الحسنى، وسلك المحجّة الوسطى؛ أقرّه بعثاً لمثله، على الأخذ بهديّه، والافتداء بسعيه، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾^(٢).

وأمره بأن يستشفّ أحوال الشهود ويستكشفها، ويبالغ فيها حتى يتعرّفها؛ فعليهم مدارُ الأحكام، وبهم استقرارُ النقض والإبرام، فمن ألفاه ستيراً سديداً، حرّاً مسلماً رشيداً: أحلّه محلّ المزكين أعمالاً، المقبولين أقوالاً، ومن ارتاب في أمره، وامترى في سرّه: وقف ببابه، إلى أن ينحسر وجهه ارتيابه، ومن انكشف له عن ظنّة لا تؤمن^(٣) معها مضرّته على الدّين، أو شهادة زورٍ تكثر بها معرّثه على المسلمين: جرّحه جرحاً ظاهراً، وكفى الناس شرّه مجاهراً، فقد قرن الله قول البهتان بعبادة الأوثان، فقال: ﴿فَاجْتَنِبُوا^(٤) الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(٥).

(١) النّطف: العيب. والظّلف: الشدّة، والغلط في المعيشة من ذلك. لسان العرب، ج ٩، ص ٣٣٤

(نطف)، ص ٢٣١ (ظلف).

(٢) سورة الرحمن، الآية ٦٠.

(٣) في الأصل: لا يؤمن.

(٤) في الأصل: واجتنبوا.

(٥) سورة الحج، من الآية ٣٠.

وأمره بإقامة الحدود على مُستحقّيها إذا وجبت ولزمت، وقامت بها
البيّنات وانتظمت، وأن يدّرأها بالشبهات ما أطاق، ويحقّن الدم ما جاز ألاّ
يُراق، ولا تأخذه في إمضائها على حقّها رافّة مانعة، ولا ملالة دافعة، فقد نبّه الله
على ذلك تنبيه الزاجر، فقال: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(١).

وأمره بأن يحتاط على الوقوف أشدّ احتياطٍ وأوفاه، وأحفظه لملها وأوقاه،
ويعتمد فيها على أمناء يعفّون عن خبثة^(٢) المطاعم، ويكفّون عن خطّة المآثم؛
لتصل ثمراتها إلى أصحابها، وتنفق في سبلها الصّادرة عن أربابها، وليوضع ما
يجب إنفاقه على المساجد الجوامع، وإنفاذه إلى الثغور والمصانع^(٣)، مواضع
الاحتياط، فتؤمن^(٤) عوادي التخون، وتنقبض أيدي الحيف والتخرّم، وتحصل^(٥)
بذلك الزلفة عند الله - تعالى - ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(٦).

وأمره بمراعاة العيار، في هذه الأمصار، ومطالعة أحوال السّكك؛ لتجدد في المحرّم

(١) سورة النور، من الآية ٢.

(٢) الخبثة: الخبيث. لسان العرب، ج ٢، ص ١٤٣ (خبث).

(٣) ما يصنعه الناس من الآبار والأحواض والصحاريّ لجمع المياه. لسان العرب، ج ٨، ص ٢١١
(صنع).

(٤) في الأصل: فيؤمن.

(٥) في الأصل: فيحصل.

(٦) سورة القصص، من الآية ٦٠، سورة الشورى، من الآية ٣٦.

كُلَّ سَنَةٍ عَلَى السُّنَّةِ فِي مِثْلِهَا، وَيُبْطَلُ مَحْوًا وَكَسْرًا مَا كَانَ / [٢٣ أ] مَنْقُوشًا قَبْلَهَا، وَأَنْ يَحْتَاطَ عَلَى الْإِمَامِ الْمَقْرَرِ لِدَارِ الضَّرْبِ بِالْمَحْمَدِيَّةِ عَيْنًا وَوَرِقًا، وَيُوَعَزَّ إِلَى صَاحِبِ الْعِيَارِ بِالتَّحْفُظِ مَنْ يَوْقَعُ غَشًّا، أَوْ يُعْمَلَ دَغْلًا. إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ^(١).

وَأَمْرُهُ بِتَزْوِيجِ الْأَيَامَى اللَّاتِي إِلَيْهِ وَلَا يَتُّهَنُّ، وَلَا وَلِيٍّ سِوَاهُ لَهْنٍ، أَوْ يَرِيدِ الْأَوْلِيَاءَ عَضْلَهُنَّ، إِذَا وُجِدَ الْكُفْرُ، وَحُلَّ الْعَقْدُ، وَبُذِلَ صَدَاقُ الْمِثْلِ، وَلَمْ تَحْجُزْ شَبَهَةٌ، وَلَمْ تَبَقْ عِدَّةٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

وَأَمْرُهُ بِالْاِحْتِيَاظِ عَلَى مَالِ الْيَتِيمِ الْحَاصِلِ فِي حَجْرِهِ، الْإِلَازِمُ لَهُ تَدَبُّرُ أَمْرِهِ، وَأَنْ يُنْفَقَ عَلَيْهِ إِنْفَاقًا قَصْدًا، وَلَا يُلْقَى إِسْرَافًا وَلَا جَهْدًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْحُلُمَ مُمِيزًا بَيْنَ مَصَالِحِهِ وَمَفَاسِدِهِ، وَمَضَالِهِ وَمَرَاشِدِهِ؛ سَلَّمَ مَالَهُ إِلَيْهِ، وَأَشْهَدَ بِهِ عَلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَأَمْرُهُ الْحَتْمُ: ﴿وَابْتَلُوا الَّذِينَ حَقَّ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(٣).

(١) إشارة لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ سورة يوسف، من الآية ٥٢.

(٢) سورة النور، الآية ٣٢.

(٣) سورة النساء، الآية ٦.

وَأَمْرَهُ بِحَبْسٍ مَنْ يَثْبُتُ الْحَقُّ فِي ذِمَّتِهِ، وَيَطَالِبُ الْخَصْمُ بِحَبْسِهِ عَلَى تَوْفِيَّتِهِ
لِحَقِّهِ، إِلَى أَنْ يَبْرَأَ مِمَّا حُبِسَ [به] ^(١)، أَوْ يُخْرَجَ مِنْهُ عَلَى وَاجِبِهِ، أَوْ تَقُومَ الْبَيِّنَةُ عَلَى
إِعْسَارِهِ، فَيُؤْخَذَ بِحُكْمِ اللَّهِ فِي إِنْظَارِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ
فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ ^(٢).

وَأَمْرَهُ بِأَنْ لَا يَفْسَخَ حُكْمَ مَنْ تَقَدَّمَ، وَلَا يَنْقُضَ مَا أَبْرَمَهُ، إِلَّا إِذَا كَانَ لِلْإِجْمَاعِ
خَارِقًا، وَلِلِّسَانِ الْأُمَّةِ مُفَارِقًا، فَإِذَا وَجَدَ مَا قَدْ خَرَجَ عَنْ تَأْوِيلِ الْمُتَأَوِّلِينَ، وَقَوْلِ
الْمُخْتَلِفِينَ، فَلَهُ أَنْ يَنْقُضَهُ وَيَتَعَقَّبَهُ فَيُدْحِضَهُ، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ﴾ ^(٣).

هَذَا مَا عَاهَدْنَا إِلَيْكَ فَاقْتَفِ دَلِيلَهُ، وَاحْتَذِ تَمَثِيلَهُ، وَاسْتَهْدِ اللَّهَ يَهْدِكَ وَيُرْشِدَكَ،
وَاسْتَكْفِهِ يُعِنُّكَ وَيُسَدِّدُكَ، إِلَيْهِ نُفُوضٌ، وَعَلَيْهِ نُعُولٌ، وَهُوَ حَسْبُنَا، وَنِعْمَ
الْوَكِيلُ ^(٤).

(١) زيادة من التدوين.

(٢) سورة البقرة، من الآية ٢٨٠.

(٣) سورة النور، من الآية ٤٦.

(٤) بعدها في التدوين: وكتب إسماعيل بن عباد في المحرم سنة سبع وستين وثلاث مئة.

وله

هذا ما عهد مؤيد الدولة أبو منصور بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين إلى إسفَهَسَلار بن كورنكيج^(١) مولى أمير المؤمنين حين ولّاه أعمال [٢٣ ب] الصلاة والحرب والأحداث والمعاون وسائر وجوه الجبايات بقزوين ونواحيها، إلى الأعمال التي كان يليها، مُقدِّراً فيه حُسن الاضطلاع، والوفاء بحق الاصطناع، والأخذ بالهدي الصالح، والتأدب بالسَّعي الرابع، والله وليُّ التسديد والتوفيق^(٢)، لأحمد نهج وطريق.

أمره بأن يتَّقَى^(٣) الله حقَّ ثقافته، ويحذر عَظِيمَ نقماته، ويُراقبه في سرِّ أمره وجَهره، ويخشاه في بطن حاله وظَهره، فذلك المشرع الذي من ورده فاز ونجا،

(١) ذكره العتبي خلال الصراع بين الجيل والديلم، ووصفه على أنه من عظماء الديلم. اليميني، ص ٢٤٢. وذكره الرافعي عرضاً، وكنّاه بأبي شجاع. التدوين في أخبار قزوين، ج ٤، ص ٨. وذكره ابن الأثير في أحداث سنة ٣٧٧هـ قائلا: «وفيها عصى الأمير أبو منصور (اختلفت الكنية هنا) بن كوريكنج (هكذا) صاحب قزوين على فخر الدولة. فلاطفه فخر الدولة، وبذل له الأمان والإحسان؛ فعاد إلى طاعته». الكامل، ج ٧، ص ٤٣٢.

(٢) في الأصل: «التوفيق والتسديد»، أبدلناها مُراعاةً للسجع.

(٣) في الأصل: بأن يتق: خطأ.

وَالْمَهْيَعُ الَّذِي مَن تَنَكَّبَهُ ضَلَّ وَغَوَى، ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (١).

وأمره بإقامة الصَّلوات على المفروض والمسنون من حدودها، واستعمال الخشوع في رُكوعها وسُجودها، وحِرَاسَتها عن التأخير والمهل (٢)، وحياطتها من (٣) التَّسْويف والكسل؛ لتؤدَّى على شرائط القَبُول، وتُحْمَى عن عوارض الخِداج (٤) والغلول، ويُقام شعارُ الدَّعوة على ماضي السُّنة فإنه نظامُ الجماعة، وعنوانُ الطَّاعة، وقوامُ السَّعادة التَّامة، وملاكُ الخاصَّة والعامة، ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ (٥).

وأمره بأن يتدبَّر لوازم القرآن وأوامره، ويتجنَّب نواهيه وزواجره، ويقتفي ما أوضحتَه السُّنة من مُجملِه، ودلَّ عليه الإجماعُ من متأوِّله، وأرشد إليه الاجتهادُ من ودائع مُنزله، فإنَّه الشفاءُ من كلِّ مُعْضِل، والجلاءُ لكلِّ مُشْكِل، والبصيرةُ عندَ اعتراضِ العمه، والواضحةُ عندَ اعتراءِ الشُّبه، مَنْ اعتمدَ عليه غَنِمَ، ومَنْ ألْحدَ

(١) سورة النحل، الآية ١٢٨.

(٢) في الأصل: والملل.

(٣) في الأصل: على.

(٤) الخداج: التقص. لسان العرب، ج ٢، ص ٢٤٨ (خدج).

(٥) سورة النساء، من الآية ١٠٣.

فيه قُصِمَ. كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ
حَمِيدٍ﴾^(١).

وَأَمْرُهُ بِإِشَاعَةِ الْعَدْلِ بَيْنَ الرِّعْيَةِ، وَحَمْلِهِمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ السَّوِيَّةِ، وَالنَّظَرِ
بِالنَّصْفَةِ بَيْنَ الْمُسْتَظْهِرِ الْمَوْسَرِ^(٢)، وَالْمُرْمَلِ الْمُقْوِي؛ لِيَرْتَفَعَ التَّغَالِبُ وَالتَّجَاذِبُ،
وَيَعْمَ التَّعَادُلُ وَالتَّنَاصُفُ، وَيَأْمَنَ الضَّعِيفُ سَطْوَةَ الْقَوِيِّ، وَالْفَقِيرُ عِزَّةَ الْغَنِيِّ، فَإِنَّ
الْكُلَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَشَرَعَ فِي شَرَائِعِ اللَّهِ، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ﴾^(٣).
وَأَمْرُهُ بِأَنْ يُجْرِيَ الْخَرَاجَ وَالْمَوَاقِفَاتِ وَسَائِرَ أَهْلِ الْمَعَامَلَاتِ عَلَى رُفُوتِهِمْ^(٤)

(١) سورة فصلت، الآية ٤٢.

(٢) في الأصل: الموثر: تحريف.

(٣) سورة الحجرات، من الآية ١٣.

(٤) وردت في أربعة مواضع من الكتاب، فبالإضافة إلى ما جاء هنا، وردت في ص ٩٩ «...
والرفوت الجارية، والقوانين السابقة». ووردت في ص ١٠٤: «وأمرناك بحمل المعاملين مع
اختلاف طبقاتهم... على رفوتهم القائمة، ورسومهم الثابتة». ووردت في ص ١٢٣: «ولا
يتجاوز... الرسوم المقررة والرفوت المقتنة». ولم أجد تعريفاً لها فيما أطلعت عليه من مصادر
على كثرتها. لكن سياق الكلام يؤدي إلى أن الرفوت جمع رفت، وهي مرادفة للرسوم والشروط
والأسس فيما يخص المعاملات المالية. ويبدو أنها من المصطلحات المحلية وليس مما استعمل في
دواوين الدولة، بدليل عدم ورودها في مصادر النظم الإسلامية، ولو كانت من المصطلحات
العامة، لذكرها الخوارزمي في مفاتيح العلوم وهو المهتم بالإحاطة بكل ما يتعلق بالدواوين.
ولعلها جمع رَفَتِ الفارسية، ومعناها: ذَهَبَ؛ ويكون معناها هنا: الأوامر الماضية.

المقدَّرة، وشروطهم المقتنَّة، ويستوفي حُقوق بيت المال في محالِّها ونجومها^(١)، وعلى عُقودها ورُسومها، لا حَيْفَ ولا إغفال، ولا جَنَفَ / [٢٤ أ] ولا إهمال؛ ليكونَ ما يُورَدُه ويُصدِرُه، ويقبُضُه ويُدبِّرُه، واقفاً مع السَّيرة العادلةِ، والنَّصفَةِ الشاملة، فإنَّ الله تعالى عالمٌ بما يُخفي ويُعلنُ، ويُبدي ويُبطن، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾^(٢).

وأمره بأنَّ ينفِضَ الطرقَ عن أهلِ العَيْثِ والفساد، ويشحنها بأولي الجلد والجِلاد؛ لتُحاطَ عن الخراب، وتُعمَّرَ بالمير والأجْلاب، وتُؤمَّنَ عوادي المتلصِّصَةِ على الرِّفق والقوافل، والجوَادِّ والعوادل، وتشمل الأمانة فتنتظم، وتنحسر المخافة وتنحسم، فمن ظفَّر به من قُطَّاع السبيل، قابَلَه بالعقاب والتَّكيل، ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا^(٣) وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ^(٤)﴾.

(١) كانت العرب تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت حلول ديونها وغيرها، فلما جاء الإسلام جعلت الأهلة مواقيت أوقات الحج والصوم ومحلَّ الديون، وسمَّوها نجومًا اعتباراً بالرسم القديم. لسان العرب، ج ١٢، ص ٥٧٠ (نجم). والمقصود بالنجوم هنا بدايات الأوقات الخاصة بجباية أموال الخراج.

(٢) سورة الأحزاب، من الآية ٤٠؛ سورة الفتح، من الآية ٢٦.

(٣) في الأصل: في الأرض!

(٤) سورة المائدة، الآية ٣٣.

وأمره بأن يُعَظَّمَ المنصوب للحُكْم ويُكَبَّره، ويعزَّزه ويوقِّره؛ إذ الأحكامُ أولى الأمور بالاهتمام، وأجلُّها في شرائع الإسلام، والمتولَّى لها مُعْتَمَدٌ لصلاح الدِّهْماء، ومؤتمِنٌ على الفُروج والدِّماء؛ وأنَّ يقبَضَ الأَطْماعُ عن المعارضة فيما يُورِدُه ويُصدِّره، ويمضيه ويقرُّره، ويقصر الأبْوَاعَ عَمَّنْ يحبسُه ويُطلقه، ويُفرج عنه ويوثِّقه، وأنَّ يلْزَمَ الموسومَ بالمعونة^(١) إخْضارَ مَنْ عسى أن يتأبَّى عليه، أو يتقدَّم بسوء القول والفعل بين يديه، ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

وأمره بتخيُّر أصحابه ومُتَصَرِّفيه وكتَّابه؛ إذ كانوا السُّفراء بين الرِّعيَّة وبينه، والمباشرين لكثيرٍ من الأمرِ دونه، وأنَّ يأخذهم بالتنزُّه والظِّلْف، ويزجرهم عن الشرِّه والنَّطف^(٣)، ويقبض أطرافهم عن الرعايا أجمعهم، ويوَكِّل بهم عيوناً لا ترقُد عن تصفُّحهم وتتبعهم، فمن كانت الثقةُ سَبِيلَهُ، والرَّعةُ دَلِيلَهُ: أقرَّه على أمره، وشرح بالإحسان من صدره، ومن أَلْغاه خبيثَ المطعم، جريئاً على المأثم، لا يكفُّ عن المأكَل الذمِيم، ولا يَعِفُّ عن المَشْرَعِ الوخِيم: صَرَفَه وأبعده، وبَذَلَه وشرَّده، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٤).

وأمره بأنَّ يلْزَمَ مُتَوَلَّى دارِ الضَّرْبِ إثْثارَ الصَّحَّة، ويقوِّي المنصوبَ للعيار على

(١) الموسوم بالمعونة: هو القائم بأمر الشرطة.

(٢) سورة التوبة، من الآية ١٢٠.

(٣) انظر الحاشية رقم (١) ص ٨٥.

(٤) سورة النحل، من الآية ٩٠.

حِفْظِ السَّكِّ، وَيُلْزَمُهُمَا^(١) اتِّبَاعُ الْإِمَامِ الْمُتَّفَعِدِ مِنَ الْحَضَرَةِ؛ لِثَلَا يَعْتَرِضَ - بَعْدُ - مُخَالَفٌ، أَوْ يَرْوِجَ بَهْرَجٌ أَوْ زَائِفٌ، وَمَنْ عُرِفَ مِنْهُ إِذْهَانٌ فِي ذَلِكَ وَقَلَّةٌ أَمَانَةٌ، وَإِجْرَاءٌ إِلَى غَشٍّ أَوْ اجْتِرَاءٍ عَلَى / [٢٤ ب] خِيَانَةٍ: تُرِكَ عِبْرَةٌ لِلنَّاضِرِ، وَمُثَلَّةٌ لِلنَّوَاضِرِ، إِنْ ﴿اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٢).

وَأَمْرَهُ بِأَنْ يَأْخُذَ أَهْلَ الذِّمَّةِ كُلَّ حَوْلٍ بِجَوَالِي^(٣) رُؤُوسِهِمْ، الْمُسْتَبْقِيَّةَ لِأَرْوَاحِهِمْ وَنَفُوسِهِمْ، فَيَسْتَوْفِيَ عَلَى كُلِّ حَالٍ جِزْيَتَهُ، وَيُحْصِنَ بِهَا مُهْجَتَهُ، وَلَا جَالِيَّةَ عَلَى مَعْضُوبٍ^(٤) وَلَا شَيْخٍ فَانٍ، وَلَا عَلَى الْإِنَاثِ وَالْوِلْدَانِ، بَلْ يُلْزَمُهَا الْأَصْحَاءُ الْبَالِغُونَ؛ لِيُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ^(٥).

وَأَمْرَهُ بِاسْتِيفَاءِ الصَّدَقَاتِ عَلَى الْعَدِّ وَالْإِخْصَاءِ، وَحَوْطِهَا عَنِ الظُّلْمِ وَالْإِعْتِدَاءِ، وَاخْتِيَارِ الشُّعَاةِ النَّصَحَاءِ لَهَا، وَاسْتِكْفَاءِ الْكُفَاةِ الصُّلَحَاءِ فِيهَا، لَا جَمْعَ

(١) فِي الْأَصْلِ: وَيُلْزَمُهَا.

(٢) سُورَةُ يُوسُفَ، مِنَ الْآيَةِ ٥٢.

(٣) هِيَ الْجِزْيَةُ الَّتِي تَأْخُذُ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَتَعْنِي كَلِمَةَ (جَوَالِي) - فِي الْأَصْلِ - الْجِزْيَةُ الَّتِي تَدْفَعُهَا جَمَاعَاتُ أَهْلِ الذِّمَّةِ الَّتِي جَلَّتْ (نَزَحَتْ) عَنْ أَوْطَانِهَا الْأَصْلِيَّةِ. ثُمَّ أَصْبَحَتْ مُرَادِفَةً لِكَلِمَةِ (جِزْيَةٍ). وَتَسَمَّى فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ مَالِ الْجَمَاهِمِ: جَمْعُ جَمْعَةٍ، وَهِيَ الرَّأْسُ. الدَّوْرِي، تَارِيخُ الْعِرَاقِ الْاِقْتِسَادِي، ص ٢١٩. وَانْظُرْ: الْمُخْتَارُ مِنْ رِسَائِلِ الصَّابِيِّ، ج ١، ص ٩٩، ص ١٤٠، ص ٢١٤؛ الْخَوَارِزْمِيُّ، مِفْتَاحُ الْعُلُومِ، ص ٨٥.

(٤) الْمَعْضُوبُ: الضَّعِيفُ، الْفَقِيرُ. لِسَانُ الْعَرَبِ، ج ١، ص ٦٠٩ (عُضْب).

(٥) إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ، مِنَ الْآيَةِ ٢٩.

بين مُفترِق، ولا تفريقَ بين مُجتمع، ولا يدَ على أَكُولَة الراعي^(١) وفَحْل الغنم، ولا رُخْصَة في اختيارِ الأعيانِ والعِيم^(٢)، فقد قال الله تعالى لنبيه - عليه السلام - في الأوامر التي بعثه لها: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(٣).

وأمره بأنْ يؤثر^(٤) الأمرَ بالمعارفِ أَشدَّ إيثار، ويتعهَّد المناكرَ بأعظم الإنكار، فهما مفروضان بحسب الإمكان، وموجبان على اختلافِ الأزمان والأديان، ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٥).

وأمره بحراسةِ المكاييل والموازين عن التَّطْفِيفِ والبَخْسِ، والزيادة والنَّقْصِ، فشأنها عظيم، والمتسمَّحُ فيها أثيمٌ، وقد أنطق اللهُ بالوعيد في ذلك كتابه المبين، وأنزل في نصِّه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾^(٦).

(١) أَكُولَة الراعي: الشاة التي تُعْزَل للأكل وتَسَمَّن، ويكره لصاحب الصدقة أخذها. لسان العرب، ج ١١، ص ٢١ (أكل).

(٢) العيم: جمع عيمة، وهي خيار المال. لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٣٣ (عيم).

(٣) سورة التوبة، من الآية ١٠٣.

(٤) في الأصل: يورث.

(٥) سورة المائدة، الآيتان ٧٨، ٧٩.

(٦) سورة المطففين، الآيتان ١، ٢.

وأمره إذا ارتفع إليه فيما يوجب حداً، ويلزم قوداً، أن يثبت في تعرف
 البيّنات، ويحمل على ذرء الحدود بالشبهات، فإذا ثبت لديه ما يصححه النظر
 ويحققه، وتتحاماه ^(١) الشبهة ^(٢) فلا تعوقه: كتب مَصَوِّراً مستأمرأ، وأصدر كتاب
 الحاكم قبله مستظهِراً؛ ليأتيه من الأمر ما يبرمه، ومن الحكم ما يرتسمه، ﴿وَمَنْ لَّمْ
 يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ^(٣).

وأمره بأن يحفظ على المسلمين أباقهم إلى أن يُعادوا إليهم، وضواهم ولقَطَهم؛
 لثَرَدَ - بالتعريف - عليهم. ومن اشتبهت حاله فلم يُتَدَ لصاحبه، وما استمرَّ
 استعجائه، فلم يُظفر بالكه: وُضِعَ على يَدَي مَوْثُوقٍ به يُسَكَنُ إليه، واستُطْلِعَ الرأي
 فيما يُعْمَلُ عليه، / [٢٥ أ] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ ^(٤).

وأمره بأن يستكفي سوق الرقيق عفيفاً في نفسه، مالكا لإربه، خشناً في دينه،
 خاشياً لربه؛ ليكتب العهد بعد صحة الرق، في الأمان من الحرية والعِتق، ويحتاط
 على الإماء، فإن أمرهنّ متّصل بشواجر الأنساب، وبواشج الأحساب، ومُراعاة
 أحوالهنّ في المواقيت، أمنٌ من دخول الفساد على المواليد، قال الله - تعالى - في
 مُحْكَم الفرقان: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ ^(٥).

(١) في الأصل: وتتحاه! وهو تصحيف.

(٢) في الأصل: الشبهة: تحريف.

(٣) سورة المائدة، من الآية ٤٥.

(٤) سورة النساء، من الآية ٥٨.

(٥) سورة النساء، من الآية ١.

وأمره بأن يُغشى العوأم ظلَّ هيئته؛ ليردَّعها عن التَّحزُّبِ، ويمنعها من التَّعصُّبِ، ويدفعها عن التَّباين والتَّدابِر، والتَّوَصُّل^(١) باختلاف المذاهب إلى التَّهادي والتَّنافر؛ لِيُقْبَلَ كُلُّ عَلَى عِمَارَةِ مآثره لمعاده، ويشتغل بالإقامة على ما تحيِّره لزاوئه، إلّا مَنْ قال قولاً خَرَجَ عن إطباق الأُمَّة، وخرَّقَ إجماع الحُجَّة، فإنَّ للسلطان - دون الرعيَّة - استكشاف ما أتاه، والمعاقبة بما يراه، ومَنْ خالف هذا المنار المضروب، والمثال المكتوب، مُوقِداً نارَ الفتنة، ورائشاً نَبْلَ الفرقة: أَحَلَّ به ما يَعتَبِرُ معه أعوانه، ويزدجرُ إخوانه، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ الآية^(٢).

وأمره إذا عَنَّ له ما لم يعهد فيه إليه أن يُطالِعَ ويستمدَّ، ويتطلَّع فلا يستبدَّ، إلى أن يُكَاتَبَ بما يجعله وُجْهَةً حَلَّةٍ وَعَقْدَةٍ، وقِبْلَةً صَدْرِهِ وَوَرْدِهِ.

هذا عَهْدُنَا إِلَيْكَ فَاقْتَفِ مَعَالِمَهُ، وَاحْتِذِ مَرَاسِمَهُ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ يَسُدِّدْكَ، وَعَوِّلْ عَلَيْهِ يُرْشِدْكَ، وانقطعْ إليه يُؤَيِّدْكَ، وهو حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ.

(١) في الأصل: والتواصل. والصواب ما أثبتناه.

(٢) سورة البقرة، من الآية ٢٥٦، وتكملة الآية: ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وله

كتابي - أطال الله بقاءك - وأنا بدولة الأمير مؤيد الدولة سالم، والله تعالى شاكراً، وإليه في الصلاة على النبي محمد وآله راغباً.

ولما ورد - أعزك الله - أمر مولانا الأمير ركن الدولة، وخرج إذن مولانا الأمير المؤيد^(١) بازتياد من يلي نائين^(٢) ودهاتها^(٣)، مُدبراً عملها، ومُتلاًفياً خللها، ومُصلحاً فاسدها، ومتألفاً شاردّها، ومُعيداً عماراتها، ومحصناً ارتفاعاتها، وماحياً ما ينمي فيها من آثار الجور والظلم، وقاصراً ما بسط على الرعية فيها من أيدي الاهتضام والغشم.

وكنت - أعزك الله - من قد عرفت في الأيام المتطاولة، واتصال المعاملة، لزومك / [٢٥ ب] طريقتك المثل، وسلوكك المحجة الوسطى، فاستخرت الله وليّ الخيرة في تفويض الناحية إليك، والاعتماد في ضمانها عليك، فتقلد - أدام الله عزك - ذلك وتطوّقه، وتشمّر له واعتنقه، واجعل تقوى الله - عز وجل - قبلك التي لا تنحرف عنها، ووجهتك التي لا تستبدل منها، فإن من اهتدى بها هدتّه، ومن صدّف عن سبيلها أردتّه.

(١) يريد صاحب - في رسائله دائماً - بالأمير المؤيد: مؤيد الدولة. انظر ص ٢٢٧ على سبيل المثال.
(٢) نائين: من مدن إقليم فارس، وإن ألحقها بعض المصنّفين بأصبهان. قال عنها صاحب (حدود العالم): مدينة عامرة ذات نعمة، في جبلها معدن الفضة. ص ١٤٨، وانظر ما قاله عنها لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٣٢٢، ص ٢٤٣.

(٣) في الأصل: ودواتها، ولعلّ الأصح ما أثبتناه، وهو جمع ده بالفارسية؛ أي: قرية.

وسِرُّ فِي الرَّعِيَّةِ، بِالنَّصْفَةِ وَالسَّوِيَّةِ، مِنْ حَيْثُ لَا يَعْتَرِضُ اسْتِيفَاكَ عُنْفٌ، وَلَا يَكْتَنِفُ مَعْدَلَتَكَ ضَعْفٌ، وَاسْتَوْفِ حُقُوقَ السُّلْطَانِ عَلَى الْعِبْرَةِ^(١) الْقَائِمَةِ وَالرُّفُوتِ^(٢) الْجَارِيَةِ، وَالْقَوَانِينَ السَّابِقَةِ، فِي مَوَاقِيتِهَا الْمَعْلُومَةِ، وَعَلَى نُجُومِهَا وَتَوَارِيخِهَا الْمَعْرُوفَةِ، وَلَا تُخْلِ مَنْ قَعَدَتْ بِهِ حَالُهُ عَنِ الْمَسَارَعَةِ إِلَى التَّصْحِيحِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى التَّوْفِيرِ^(٣)، مِنْ إِنْظَارٍ وَمِيَاسَةٍ، وَإِمْهَالٍ وَمُقَارَبَةٍ، وَطَهْرٍ الْبَلَدَ مِنْ دَنَسِ الْمَغَالِبَةِ وَالْمَرَاغِمَةِ؛ لِيَكُونَ النَّاسُ سَوَاءً فِي الْمَجَاوِرَةِ وَالْمَعَامِلَةِ، وَحُطِّ السَّابِلَةِ، وَالرُّفُقِ الصَّادِرَةِ وَالْقَافِلَةِ؛ لِتَدَرَّ الْأَجْلَابُ، وَتَتَّصَلَ الْأَحْمَالُ، وَتَثِقَ التُّجَارُ، وَأَذْكَ الْعُيُونُ فِي الْمَفَاوِزِ الْمُتَّصِلَةِ بِعَمَلِكَ عَلَى أَهْلِ الدَّعَارَةِ، وَالْمَتَعَرِّضِينَ لِلْمَارَةِ، مُسْتَنْشَأًا أَخْبَارَهُمْ، وَمُقْتَصِّبًا آثَارَهُمْ؛ لِئَلَّا يَتَوَجَّهَ لَهُمْ عَلَى أَمْوَالٍ مَجْتَلِبَةٍ^(٤) حِيلَةٌ، أَوْ تَسْتَمِرَّ مِنْهُمْ عَلَى أَرْبَابِ الْجَلْبِ مَكِيدَةٌ، فَإِنْ ذَلِكَ مِنْ أَوَّلَى مَا نَطَالِبُ بِهِ، وَأَوَّلَى مَا تَشْتَغُلُ بِضَبْطِهِ.

وَصَحَّحَ لِأَبِي مَنْصُورِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ مَالَ الضَّمَانِ عَلَى وَاقِعِ الْعَقْدِ، وَوَاجِبِ الشَّرْطِ، مَغْنِيًا عَنْ هَزٍّ وَحِثٍّ، وَحُضٍّ وَبَعْثٍ، وَأَنَّهُ - أَدَامَ اللَّهُ عَزَّكَ - أَمْرَ الْجَنَائِيَّاتِ إِذَا عَظُمَتْ، وَالْجَرَائِرِ إِذَا كَبُرَتْ؛ لِنَحْدَ لَكَ فِيهَا يَجِبُ مِنْ عَقُوبَةٍ أَوْ حَدٍّ مَا تَقِفُ لَدَيْهِ، وَتَعْمَلُ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ، وَعَلَيْهِ التَّعْوِيلُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ.

(١) مِنَ الْمَصْطَلَحَاتِ الْمَالِيَةِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي مَصَادِرِ الْإِدَارَةِ وَالْاِقْتِصَادِ الْإِسْلَامِيِّ. انْظُرْ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ: قَدَامَةُ، الْخَرَجُ، ص ١٦٨، ص ١٧٣، ص ١٧٤، ص ١٧٥، ص ١٧٦، ص ١٧٧. وَالْعِبْرَةُ: ثَبِتَ الصَّدَقَاتِ لِكُورَةِ كُورَةٍ. وَعِبْرَةٌ سَائِرُ الْارْتِفَاعَاتِ (الْخَرَجُ) أَنْ يُعْتَبَرَ مِثْلًا ارْتِفَاعُ السَّنَةِ الَّتِي هِيَ أَقْلُ رِيْعًا، وَالسَّنَةِ الَّتِي هِيَ أَكْثَرُ رِيْعًا، وَيَجْمَعَانِ وَيُؤْخَذُ نِصْفُهُمَا، فَتِلْكَ الْعِبْرَةُ، بَعْدَ أَنْ تَعْتَبَرَ الْأَسْعَارُ وَسَائِرُ الْعَوَارِضِ. الْخَوَارِزْمِيُّ، مِفْتَاحُ الْعُلُومِ، ص ٨٦-٨٧.

(٢) انْظُرْ ص ٩١، حَاشِيَةُ (٤).

(٣) فِي الْأَصْلِ: التَّوْقِيرُ. وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَنَاهُ.

(٤) فِي الْأَصْلِ: مُخْتَلِفَةٌ.

وله

كتابي أيها القاضي - أطال الله بقاءك - عن سلامة مولانا الأمير مؤيد الدولة وعافيتي بعده، والحمد لله شكراً لنعمته، وصلواته على النبي وعترته، وما زلت أروِّي في أمر قاشان^(١)، وأستعلم القضايا بها والأحكام، فيبلغني من شره الموسوم - كان - بالحكم ونطفه، وسوء تأتبه وقلة ظلفه، ما يبعث على النكير، ويفرض الاهتمام بالتغيير، فتعوق قواطع، وتعرض موانع، فلما انقطعت سمائمها، وأسفرت غمائمها، أنهيت ما كانت الأخبار تتواتر به وتظاهر، والألسنة تترافد عليه وتناصر، إلى مولانا / [٢٦ أ] الأمير مؤيد الدولة؛ فأوعز - لما عليه نيته من إفاضة المعدلة في رعيته، وقبض يد من عدل عن سيرته وسجيته - في صرف ذلك الطبري - صرف الله قلبه - وتقليد من أتحقق سدادته وعلمه، فلما تدبرْتُ ونظرتُ، وصوبتُ وصعدتُ، لم يعد الاختيار، من سبق له الاختبار، وهو أنت - أدام الله عزك - فأبنتُ عن مكانك من الدراية والصيانة، والمعرفة والأمانة، وأحمد مولانا مؤيد الدولة ما رأيته، ورسم إمضاء ما اجتبيته، وكاتبك القاضي

(١) في الأصل: قاسان، والأصح ما أثبتناه؛ فقاشان مدينة فيما وراء النهر، ولم يكن للبويهيين أي نفوذ هناك. أما قاشان فهي إحدى مدن إقليم الجبال، قريبة من أصفهان. حدود العالم، ص ١٥٢؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٩٥-٢٩٦؛ بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٤٣.

أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن جعفر - أدام الله عزّه - مفوضاً الحكم بقاشان وأعمالها إليك، ومُعتمداً في قضاياها عليك.

ولئن كنت برّشادك واعتقادك، وفضلك وسدادك مُستغنياً عن التّبصير، مكفياً مؤونة التذكير، إنّ رهنِي لساني عنك، وارْتِهاني بما يبدو منك، يبعثاني على تقديم الوَعظ، ويَقْتِضيانِي الحَضّ على مَوْضع الحِظّ، فَاتَّقِ اللهَ حَقَّ ثِقَاتِهِ، وَاخْشَ عَظِيمَ نِقْمَاتِهِ، وَاَعْمَلْ بِعِلْمِكَ، وَتَصَرَّفْ عَلَى حُكْمِ عَقْدِكَ، وَاَنْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الْخَارِجِ عَنْ أَبْوَابِهَا، وَنَافِسٍ فِي الْآخِرَةِ مُنَافِسَةَ الْوَائِقِ بِثَوَابِهَا وَعِقَابِهَا، وَادَّرْغُ مِنْ ثَوْبِ عَفَافِكَ، مَا يَشْمَلُ كَافَّةَ أَطْرَافِكَ، وَعَدِّلْ الْأَمْرَ بَيْنَ الْخُصُومِ، وَخُذْ مِنَ الظَّالِمِ - وَإِنْ عَزَّ - لِلْمَظْلُومِ، وَسَوِّ بَيْنَ الْمُتَنَازِعِينَ فِي مَلاحِظَتِكَ، ثُمَّ فِي مَجْلِسِكَ وَمُحَاطَبَتِكَ، وَاحْتِطْ عَلَى أَمْوَالِ الْوُقُوفِ وَالْأَيْتَامِ، وَزَوْجِ الْأَيَامَى اللَّاتِي وَلَا يَتُهُنَّ إِلَى الْحُكَّامِ، وَمَيِّزْ أَمْرَ الشُّهُودِ؛ فَاقْبَلْ مَنْ ظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ، وَعُرِفَتْ أَمَانَتُهُ، وَاجْرَحْ مَنْ تَدَنَسَ بِحُطَامٍ، أَوْ تَلَبَّسَ بِأَثَامٍ.

وليكن دليلك في كلّ الذي قلته كتاب الله؛ فقد جمّع ما يكفي، وأودع ما يشفي، بين حَظَرِ يَوْثُقٍ، وَإِبَاحَةِ تَطْلِقٍ، وَنَدْبِ يُرْغَبٍ، وَحَتْمِ يُوجِبٍ، وَحُكْمِ يُفْصَلِ، وَقَضَاءِ يَعْدِلِ، وَأَمْرِ يُلْزِمِ، وَنَهْيِ يُجْزِمِ، وَوَعْظِ يُصْلِحِ، وَسَعْيِ يُنْجِحِ، ثُمَّ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ فَهِيَ أَثَارَةُ الْعِلْمِ الَّتِي مَنْ اهْتَدَى بِهَا: وَرِيَ زَنْدًا، وَسَعِدَ جَدًّا، وَاهْتَدَى حَلًّا وَعَقْدًا، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا: تَعَثَّرَ فِي

الضلالة، وتخبّط في الجهالة، ودُفِعَ عن مَوْقف الهداية، ورُدِّدَ في أثناء الحَزَاية، ثم إجماع الأمة خير الأمم؛ ففيه كشفُ الغمِّ، وإنارة الظُّلم، وزوال الاختلاف والمضادّة، وانحسام الافتراق والمشادّة، ثم لك رأيٌّ قد حصَّل شروط الاجتهاد فأثره عند فَقْدِ النَّصِّ والأثر، وأعمِّله عندَ عدم الاتفاق والخبر، / [٢٦ ب] غير طالب الرُّخص من شواذِّ الأقوال المتروكة، ولا منتهز الفرص في شوارد الفتاوى المهجورة؛ ففي آراء مشهوري العلماء فسحة للطالب، ونُدْحَةٌ للرَّاغِب.

وليكنْ جُلوسُك للحُكْم بعدَ تخلّيتك دِرْعَكَ، واستنفادك في الاستخارة وُسْعَكَ، وقضائك أوطارَ نَفْسِكَ، وجمعك لوقارك وحِلْمِكَ. والله وليُّ توفيقك وتسديدك، وإرشادك وتأيدك، وهو حَسْبِي وكفى.

وله

عَهْدُ عَامِلٍ إِلَى النّاحِيَةِ

هذا كتابٌ من مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبِي عَلِيٍّ مَوْلَى أَمِيرِ
المُؤْمِنِينَ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْكَاتِبِ.

إِنَّا لَمَّا عَرَفْنَاهُ مِنْ غَنَائِكَ وَكِفَايَتِكَ، وَجَرَّبْنَاهُ مِنْ وَفَائِكَ وَشَهَامَتِكَ، وَشَهِدَتْ
لَهُ آثَارُكَ فِيهِمَا مَا رَسَّتَهُ ^(١)، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَفْعَالُكَ فِيهِمَا لَا بَسْتَهُ، وَرَجَوْنَا فِيكَ مِنْ مَزِيدِ
الاضْطِلَاعِ، عِنْدَ زِيَادَةِ التَّقْدِيمِ وَالِاضْطِنَاعِ؛ رَأَيْنَا تَقْلِيدَكَ الْقَمْدَانِ ^(٢) سَنَةً كَذَا وَمَا
بَعْدَهَا، أَعْمَالَهَا وَأُمُوهَا، وَخَرَاجَهَا وَأَعْشَارَهَا، وَصَدَقَاتِهَا وَجَوَالِيهَا، وَمَرَاصِدَهَا
وَسَائِرَ مَا يَجْرِي مَعَهَا وَيُنْضَافُ إِلَيْهَا.

وَأَمْرُنَاكَ بِتَقْدِيمِ خَشْيَةِ اللَّهِ فِيهِمَا تُبْطِنُ وَتُظْهَرُ، وَالِاعْتَصَامِ بِمِرَاقِبَةِ اللَّهِ فِيهِمَا تُقَدِّمُ
وَتُؤَخِّرُ؛ فَإِنَّ عِصْمَةَ التَّقْوَى تُهْدِي الْمُنَاجِحَ، وَتُدْنِي السَّعَادَاتِ وَالْمَصَالِحَ.

(١) فِي الْأَصْلِ: رَسَمْتَهُ.

(٢) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ، وَكَذَلِكَ عِنْدَ ابْنِ خَرْدَاذِبَةَ، الْمَسَالِكِ وَالْمِهَالِكِ، ص ٢٠ (الْقَمْدَانِ). لَكِنَّهُ عِنْدَ

الْمَافِرُوخِيِّ: الْقَمْدَازِ. وَهُوَ مِنْ رِسَالَتَيْ أَصْفَهَانَ، وَبِهِ قَلْعَةٌ تَسْمَى وَهَانَزَادَ. عَنْهَا وَعَنْ قِرَاهَا،

انْظُرْ: الْمَافِرُوخِي، مُحَاسِنُ أَصْفَهَانَ، ص ١٨-١٩.

وَأَمْرُنَاكَ بِاِقْتِنَاءِ^(١) سُنَّتِنَا فِي إِفَاضَةِ الْعَدْلِ وَبَسْطِهِ، وَنَشْرِ الْإِنْصَافِ وَفَرَشِهِ،
وَمَحْوِ آثَارِ الظُّلْمِ وَالْاِهْتِصَامِ، وَإِزَالَةِ مَرَاسِمِ الْجَوْرِ عَنِ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ؛ لِتَبَوُّأِ
الرَّعِيَّةِ أَكْنَافَ الْأَمْنِ وَالِدَّعَةِ، وَتَثْقِيلِ فِي أَظْلَالِ الرَّفَاعَةِ وَالسَّعَةِ، لَا يَمْتَدُّ طَمَعٌ إِلَى
تَحْيِفِهِمْ، وَلَا تَسْلُطُ يَدٌ عَلَى تَعْسِفِهِمْ.

وَأَمْرُنَاكَ بِحَمْلِ الْمَعَامِلِينَ مَعَ اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ، وَتَبَايُنِ دَرَجَاتِهِمْ، عَلَى
رُفُوتِهِمْ^(٢) الْقَائِمَةِ، وَرُسُومِهِمُ الثَّابِتَةِ؛ لَا تَنْقُضُ لِأَحَدٍ شَرْطًا، وَلَا تُتْبِعُ عَقْدًا مُؤَبَّدًا
حَالًا.

وَأَمْرُنَاكَ بِتَبْعِ آثَارِ الْمُتَلَصُّصَةِ، وَأَهْلِ الْعَيْثِ وَالِدَّعَارَةِ، وَإِذْكَاءِ الْعُيُونِ عَلَيْهِمْ
فِي مَظَانِّهِمْ وَمَكَامِنِهِمْ، وَإِنْشَاءِ الطَّلَبِ إِلَيْهِمْ فِي مَعَادِنِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ؛ لِتَأْمَنِ الْمَارَّةَ،
وَتَنْطَهَرَ السُّبُلَ، وَتَصْفَوْهُ الْأَطْرَافُ وَتَتَهَذَّبَ الطُّرُقُ، وَتَتَّصِلَ الْقَوَافِلُ، وَتَتَقَاطِرَ الْمِيرَ
وَالرُّفُقُ، وَمَنْ ظَفَرَتْ بِهِ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ: ضَيِّقَتْ حَبْسَهُ، وَأَنْهَيْتَ أَمْرَهُ، لِنَحْدَلَكَ
فِي بَابِهِ مَا تَقْتَضِيهِ أَحْكَامُ الْمِلَّةِ، وَتَوَجُّهُ مَعَالِمُ السُّنَّةِ.

وَأَمْرُنَاكَ بِاسْتِيفَاءِ / [٢٧ أ] الْحَقُوقِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى شَرَائِطِ الْعَقْدِ وَرُسُومِ مَنْ
تَوَلَّى قَبْلَكَ، مُتَصَرِّفًا مَعَ الْمَعْدِلَةِ وَالتَّعْدِيلِ، وَمُتَوَخِّيًا لِسَوَاءِ السَّبِيلِ، مِنْ حَيْثُ لَا
تُغْمَضُ عَنْ اسْتِيدَاءِ وَاجِبٍ، وَلَا تُغْضَى عَنْ اسْتِيفَاءِ لَازِمٍ، حَامِلًا الْمُؤَدِّينَ عَلَى
نَجْوَمِهِمْ وَأَمَادِهِمْ، وَشُرُوطِهِمْ وَأَجَالِهِمْ.

(١) فِي الْأَصْلِ: بِاِقْتِنَاءٍ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَاضِحٌ.

(٢) انْظُرْ ص ٩١، حَاشِيَةُ (٤).

وأمرناك بأخذ الجوالي على العدّ، من كلّ ذمّي بالغ الحدّ، لا جزية على صبيّ
ولا أنثى، ولا شيخٍ فإنّ قد بلغ المدى.

وأمرناك باعتماد من يأخذ الصدقات على فرائض الله المكتوبة، وأحكامه
المأثورة، لا جمع بين مفترق، ولا تفريق بين مجتمع.

وأمرناك باستطلاع الرأي فيما يعرض مما لم يُعهد فيه إليك، ولم يُعرض مثاله
عليك؛ لتؤمر بما تلتزم حده، وتقف عنده.

هذا عهدنا إليك، فانتهج ما مثل، وانتّه إلى ما رُسِم، واستعن بالله في أموركَ
يكفك، وعوّل عليه يهْدك، وهو حسْبنا ونعم الوكيل.

وله

عَهْدٌ لِتَوَلِّيَةِ أَمْرِ الْوَادِي

قد اعتمدناك - لما تؤولُ إليه من كفاية مُستفادة عن الدُّربة، ودراية مُستقاة من الحُنْكة، وأمانةٍ مُوجبة للاستقامة، وسدادٍ مُستدعٍ للسُّكون والاعتماد - في تولِّي قِسْمَةِ ماءِ وادي زَرِينِ روذ^(١).

وَرَسَمْنَا لَكَ أَنْ تَبَاشَرَ ذَلِكَ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَمُرَاقَبَتِهِ؛ فَإِنَّهُمَا يَزْجُرَانِ عَنْ اخْتِقَابِ الْمَآثِمِ، وَالْإِسْفَافِ لِحَبْثَةِ الْمَطَاعِمِ؛ وَتَعْدِيلِ الْحَالِ بَيْنَ أَهْلِ الرِّسَالَتَيْنِ وَالضِّيَاعِ، حَتَّى يَسْتَوْفِيَ كُلُّ حَظٍّ فِي وَقْتِهِ الْمَعْلُومِ، وَيَسْتَوْعِبَ قِسْطَهُ فِي شَرْبِهِ الْمَقْسُومِ، وَتَقْصَرَ دُونَ الْحَيْفِ الْأَيْدِي الْغَالِبَةُ، وَتُحْسَمَ عَنِ الظُّلْمِ الْأَطْمَاعُ الْكَاذِبَةُ، وَيَكُونَ النَّاسُ فِي حُقُوقِهِمْ أَمْثَالًا لَا يَتَفَاضِلُونَ، وَعَلَى سَوَاءٍ لَا يَتَفَاوَتُونَ، وَيَجْرِي الْأَمْرُ فِي الْمَقَاسِمِ وَالْفُرُضِ وَالسُّدُودِ وَالرِّشَانَاتِ عَلَى مَا تَوْجِبُهُ الدُّسْتُورَاتُ الْقَدِيمَةُ، وَالْمُثَابِتُ الْعَتِيقَةُ، وَالرُّسُومُ الْمَعْهُودَةُ، وَالسُّنَنُ الْمُورُوثَةُ، وَتَقَعِ الْإِسْتِعَانَةُ

(١) وتعني الوادي الذهبي. نهر بأصفهان يسقي كثيراً من رساتيقها، ويوصف بعذوبته ورقة مائه.

ابن خردادبة، المسالك والممالك، ص ٢٠، ص ١٧٦؛ المافروخي، محاسن أصفهان، ص ٤٨،

ص ٥٣ وحاشية المحقق رقم (١) من ص ٩؛ مستوفي، نزهة القلوب، ص ٢١٦؛ القزويني، آثار

البلاد، ص ٢٩٩.

بالجوبذين^(١) الثقات الذين لا يوطئون العُشوة، ولا يقبلون الرِّشوة، وتَسْتَظْهَرُ عليهم بأغلظ الأيمان، وأؤكد الأقسام، فَمَنْ عَثَرَ مِنْهُ عَلَى خِيَانَةٍ؛ عُوقِبَ بِمَا يتركه سُمْعَةً، ويغادره مُثْلَةً.

وإن اجترأ / [٢٧ ب] أَحَدٌ مِنَ الْأَكْرَةِ^(٢) والمزارعين، والحماة والمتولّين، على^(٣) اقتطاع ماءٍ إلى غير حَقِّهِ، أو سَكَرَهُ^(٤) إلى أرضه في غير شربه؛ عُوقِبَ عِقَاباً رادعاً، وقوم نكالاً وازعاً، أو لم يُبَقَّ عليه، وإن كانت الضَّيْعَةُ من خاصِّ ضياعنا، وخالِص أُمْلَاكنا؛ فالأمر الذي قُلِّدَتْهُ قِوَامُ الْبَلَدِ، وملاكُ الدُّخْلِ، وقيمةُ الْأُمْلَاكِ، وأخرى المِهْمَاتِ بالاهتمامِ والمراعاة: أمرُ الوادي الذي جُعِلَ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ حَيًّا.

فَكُنْ عِنْدَ الظَّنِّ بِكَ، واحذر خلاً أو زلاً لا يقعان منك؛ فقد علمتَ أَنَا نَعَاقِبُ مَنْ تَجَاوَزَ أَوْامِرَنَا أَوْ تَعَدَّاهَا، كَمَا نُنْشِبُ مَنْ وَقَفَ عِنْدَهَا لَا يَتَخَطَّاهَا.

واستوفِ الرَّسْمَ الْجَارِيَّ لَكَ، ولعمَّالِ الْمَاءِ قَبْلَكَ، على أحسن وُجُوهِ الاستِيداءِ، وأرفقِ طرقِ الاستِيفاءِ، والله يهديك للحُسْنَى، ويوفِّقُكَ للطريقةِ الْمُثْلَى، وهو حَسْبُنَا وَكَفَى.

(١) الجوبذ: فارسية مركبة من جو: مجرى الماء، وبُذ: صاحب أو حارس؛ فتكون القيم على النهر. جمعها الصَّاحِبُ بهذا الشكل.

(٢) جمع أكار وهو الفلاح.

(٣) في الأصل: إلى.

(٤) سَكَرَ النهر: سدَّ فاه. لسان العرب، ج ٤، ص ٣٧٥ (سكر).

وله

هذا كتابٌ من مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبِي عَلِيٍّ مَوْلى أَمِيرِ
المُؤْمِنِينَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَاجِبِ حِينَ قَلَدَهُ الرَّارُ^(١) وَفَرِيذِينَ^(٢).

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ، وَالْإِعْتِلَاقِ بِذِمَّةِ مُرَاقِبَتِهِ، وَتَوْخِي رِضَاهِ فِي إِعْلَانِهِ
وإِسْرَارِهِ، وَتَحَرِّي زُلْفَاهِ فِي إِبْدَائِهِ وَإِضْمَارِهِ؛ فَالْمُتَّقِي لِلَّهِ فَائِزٌ فِي دُنْيَاهِ، حَائِزُ النَّجَاةِ فِي
أُخْرَاهِ.

وَأَمَرَهُ بِإِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ عَلَى هَيْئَةٍ، وَوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ، وَتَوْفِيَةٍ لِمَا فِيهَا مِنْ فَرَضٍ
وَنَفْلِ، وَحَتْمٍ وَفَضْلٍ، وَشَحْنٍ مَنَابِرِ عَمَلِهِ بِشَعَارِ الدَّعْوَةِ الَّتِي تَحْصُنُ الْخَيْرَاتِ،
وَتُرْتَهُنَّ الْبَرَكَاتِ، وَتُورَدُ مِشَارِعَ الْهَدْيِ، وَتُجْلَى عَنْ مَوَارِدِ الرَّدَى.

وَأَمَرَهُ بِبَسْطِ النَّصْفَةِ لِمَنْ فُوضَ تَدْيِيرُهُ إِلَيْهِ، وَاعْتِمَادَ فِي سِيَاسَتِهِ عَلَيْهِ، وَتَحَوُّلِ
جَمِيعِهِمْ بِإِيَالِهِ لَا الْعِنْفُ مُتَخَلِّلُهَا، وَلَا الضَّعْفُ مُتَجَلِّلُهَا؛ فَفِي ذَلِكَ مَا نَظَمَ الْأُمُورَ
وَأَصْلَحَ الْفَاسِدَ، وَهَذَّبَ الشُّؤُونََ وَأَقَامَ الْمَائِدَ، وَجَمَعَ شَمْلَ الْخَيْرِ وَضَمَّمَهُ، وَأَحْصَدَ
حَبْلَ^(٣) الْبَرَكَةِ وَأَبْرَمَهُ.

(١) الرَّار: رَسَاتُقُ بِأَصْفَهَان. المافروخي، محاسن أصفهان، ص ١٨.

(٢) وردت: قريذين، والصواب ما أثبتناه. فريذين: من قرى الرار. المافروخي، محاسن أصفهان،
ص ٤٢.

(٣) أحصد الحبل: أحكم فتله. لسان العرب، ج ٣، ص ١٥٢ (حصد).

وأمره بأن يستعين بصالحى الولاء، ويستظهر بأمناء الكُفأ، الذين يتزَّهُون عن خُبثَةِ المطاعم، ويتعَفَّفون عن خُطَّةِ المآثم، وأن يكونَ له عليهم أَعْيُنُ راصِدة لا ترقُد، ولو احِظْ مُذْكَاة لا تهجُد، فَمَنْ أَحْسَنَ السيرة وأَجْمَلَهَا، وأَخْلَصَ السَّريَّة ونَخَلَهَا؛ جزاه عن فِعْلِهِ جَمِيلاً، وَمَنْ أَسَفَّ إلى الخيانة، / [٢٨ أ] وأخلى طَوِيَّتَهُ من الأمانة؛ أَوْسَعَهُ عن جُرْمِهِ عَقَاباً وتنكِلاً؛ لِيَتَبَصَّرَ كافَّةً مَنْ يليه، وترشد^(١) جماعة مَنْ يولِّيه؛ فيؤمِّنَ التحيِّفُ للحقوق السلطانية، واستمرارُ الحَيِّفِ على ضُعفاءِ الرِّعيَّة.

وأمره باستيداء ما يستأديه على لينٍ في المعاملة، ومَعْدِلَةٍ^(٢) في المواقفة، ورفقٍ في المحاسبة، وتأسُّ بالسننِ العادلة، وإماتةٍ للرُّسومِ الجائرة، واعتدالٍ للمثابت القديمةِ الراتبة، وتعويلٍ على الدُّستوراتِ الصَّحيحةِ الخالدة، واستخراجٍ على النُّجومِ المقدَّرةِ القائمة؛ لتأمنَ الرِّعايا غوائلَ الاهتضام، وتسكنَ أفياءَ السَّلامة والسَّلام.

وأمره بصَرْفِ هَمِّهِ ووَكْدِهِ وجَهْدِهِ، إلى تَطَلُّبِ الأكرادِ المردة، وسائرِ المتلصِّصةِ المفسدة؛ إذ كانت قد اتخذت تلك البقاعَ دارَ هِجْرَتِهِمْ ومَأْوَاهُمْ، وجعلتها أَمَّ مَسْكَنِهِمْ ومَثْوَاهُمْ؛ وصدقِ النِّيَّةِ في إرواءِ السُّيوفِ من نُحُورِهِمْ وطُلَاهُمْ، وتمكينِ الرِّماحِ من أَكْبَادِهِمْ وكُلَاهُمْ؛ لتعفوَ آثارُهُمْ من تلك الدِّيَارِ بإذنِ الله، وتُسرعَ إليهم موادُّ التَّبارِ بحَوْلِ الله، كما فَرَضَ اللهُ في أُولي العِنادِ، وأمضى به حُكْمَهُ في السَّاعينَ بالفساد.

(١) في الأصل: ويرشد.

(٢) العَدالة والعُدولة والمَعْدلة والمَعْدلة، كَلَّة: العَدْل. لسان العرب، ج ١١، ص ٤٣١ (عدل).

وَأَمْرَهُ بِأَخْذِ الصَّدَقَاتِ مِنْ دُونِ ظُلْمٍ وَلَا إِعْنَاتٍ، بَلْ عَلَى الْفَرَائِضِ الْمَشْهُورَةِ،
وَالسُّنَنِ الْمَنْقُولَةِ الْمَأْثُورَةِ، وَعِنْدَ اسْتِكْمَالِ الْحَوْلِ فِي وَفَاءٍ مِنَ النَّصَابِ؛ لِتَوْضَعِ
مَوَاضِعَهَا بِالْمَتَلَوَّةِ مِنَ الْأَصْنَافِ^(١).

وَأَمْرَهُ بِالْمَحَامَةِ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَاسْتِيفَاءِ مَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجَزِيَةِ، لِيَشْتَغَلُوا
بِمَكَاسِبِهِمْ آمِنِينَ، وَيُؤَدُّوْهَا عَنْ يَدِ صَاغِرِينَ^(٢).

وَأَمْرَهُ بِالتَّوَقُّفِ عَلَى الْعِمَارَةِ بِأَقْصَى مَا يَطِيقُ، وَأَبْلَغَ مَا يَسْتَطِيعُ، لِيَتَشَمَّرَ الدَّخْلُ،
وَيَزُولَ الْخَلْلُ، وَتَبْدُوَ صَفْحَةُ الْغَنَاءِ فِيهَا قُلْدٌ، وَتَلُوَحَ غُرَّةُ الْكِفَايَةِ فِيهَا نَصَبٌ لَهُ وَاعْتِمَادٌ.

وَأَمْرَهُ بِالتَّعْدِيلِ بَيْنَ الْغَنِيِّ الْمَوْسَرِ، وَالْفَقِيرِ الْمُقْتَرِ، إِذَا رُفِعَا إِلَيْهِ، وَجُمْعًا لِلنَّظَرِ
بَيْنَ يَدَيْهِ؛ لئَلَّا يَطْمَعَ الْمُكْثَرُ لِيَسَارِهِ، فِي اهْتِضَامِ الْمَقَلِّ لِإِعْسَارِهِ، وَلِيَكُونَ الْمَشْرُوفُ
وَالشَّرِيفُ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ، فِي الْحُكْمِ عَلَى سَوَاءٍ، لَا مُحَامَاةٌ تُعْتَوَرُ، وَلَا مُحَابَاةٌ
تُحَذَّرُ، فَإِنَّ اللَّهَ مُسَائِلٌ عَنْ خَطَفَاتِ الْعَيُونِ، وَخَطَرَاتِ الْقُلُوبِ، ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ^(٣)
/ [٢٨ ب] مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾^(٤).

(١) يعني أصناف أهل الصدقة المذكورين في سورة التوبة، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ
وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَدِيرِمْ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾
من الآية ٦٠.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ سورة التوبة، من الآية ٢٩.

(٣) في الأصل: «ينادي المنادي» وهذا على قراءة ابن كثير (والأولى بخلاف عنه). الخطيب، معجم
القراءات، ج ٩، ص ١١٧-١١٨.

(٤) سورة ق، من الآية ٤١.

هذا عَهْدُنَا إِلَيْكَ فانتَهَجْ مَعَالِمَهُ، وَأْمُرْنَا لَكَ فَاقْتَفِ مَرَاسِمَهُ، وَاسْتَطْلِعِ الرَّأْيَ
فِي الْأُمُورِ السَّانِحَةِ عَمُومًا، وَفِي الْحُدُودِ الْوَاجِبَةِ خُصُوصًا؛ يَا تُبَّكَ مَا تَعْمَلُ عَلَيْهِ،
وَتَنْتَهِي إِلَيْهِ، وَاسْتَخِرِ اللَّهَ يَخِرْ لَكَ، وَاسْتَكْفِهِ يَرْؤُفْ بِكَ، وَهُوَ حَسْبُنَا كَافِيًا
وَمَعِينًا، وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا.

وله

هذا كتابٌ من مؤيّد الدّولة أبي منصور بن رُكن الدّولة أبي عليّ للحسين بن أحمد بن عبد الله بن هارون.

إنّا لِمَا قدمْت من حُرْمَةٍ مكتسبةٍ وموروثةٍ، وأثَلْت من عِصْمَةٍ قديمةٍ وحديثةٍ، واستظهرت به من وسائل تُوجب الاقتضابَ والاصطناعَ، والتجأت إليه من ذرائع تقتضي الإلحاقَ بأهل الغناء والاضطلاع؛ قلّدناك الخراجَ بأصفهان لسنة كذا وما بعدها، بعد أن استخرنا الله تعالى طويلاً، ورغبنا إليه في حُسن الهداية كثيراً.

فباشِر ما فوّض إلى منابك، ووكل إلى قيامك، مُستشعراً خشيةَ الله التي من جعلها قبلةً يتوجّه إليها بأعماله، وعِصْمَةً يُعوّل عليها في أفعاله؛ هدّته إلى الضياء المبين، وأعلّقته بالحبل المتين، وأدّته إلى المشارع العذبة، وأخذت به إلى الشرائع الرّحبة.

واجعلْ جُلّ ما تتقرّب بتوحيه، وتطلبُ الرُّلْفَةَ بتحرّيه، إشارَ النّصفَةِ فيما تتقلّدُه، واستعمالَ المعدلة فيما تُجُلّه وتعتقده، والصّدوفَ عن موارد الآثام، والعزوفَ عن مسالك الظُّلم المحفوفة بالظلام، مُقتدياً بهدّينا في إيضاح معالم العدل، وطمس آثار العداء والغشم.

وادرع من التعفف عن أموال رعايانا ثوباً تلوح عليك جدته، وتبقى عليك بهجته، واحذر خبثة المطاعم التي لا يقرأ عليها وجهه^(١) لوجهته، ولا يرخص فيها مع نبيه لنباهته.

واحمل أرباب الخراج على رسومهم القائمة، وشروطهم الثابتة، ودستورات البلد الخالدة، وأوارجته^(٢) الواضحة، من دون تغيير لسنة، ولا فسح لشريطة، ولا أخذ واجد بمعدم، ولا مطالبة بريء بمجرم، ولا إلزام شريك عن شريكه، ولا بسط يد على قسيم عن قسيمه، ولا قط^(٣) لمتحير^(٤)، ولا تجديد تقسيط عن / [٢٩ أ] بائر؛ ليأمن الجميع دركاً ينالهم من حيث لا يحب، وتبعة تلحقهم من حيث لا تلزم.

وافتح النجوم^(٥) في الأوقات التي يخرج بها الإذن، ويتجدد فيها الأمر، على رفيق بالمؤدين وإمهال، محوطين عن التراخي والإهمال. وأورد الديوان عند كل نجم حساباً بأصله وإضافاته، وإقطاعاته واحتساباته، وما تقوم به الحجة من

(١) في الأصل: وجهها، وهو لحن واضح.

(٢) الأوارج: تعريب آواره، من المصطلحات المستعملة في الدواوين، وهو دفتر حساب الدخل والخرج، يدون فيه ما كان مشتتاً من حسابات الديوان. أدى شیر، معجم الألفاظ الفارسية

المعربة، ص ٨؛ وانظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٨١.

(٣) القط: القطع. لسان العرب، ج ٧، ص ٣٨٠ (قطط).

(٤) المتحير: الذي لا يدري كيف يهتدي، وهو كذلك البائر. قال عمر بن الخطاب: الرجال ثلاثة،

فرجل حائر بائر... لسان العرب، ج ٤، ص ٢٢٢ (حير).

(٥) انظر حاشية (١) من ص ٩٢.

نَفَقَاتِهِ؛ لِيُخَلَّدَ دِيوَانُ الْأَصْلِ بَعْدَ تَتَبُّعِهِ فِي دِيوَانِ الزَّمَامِ. فَإِذَا انْقَضَتِ السَّنَةُ الْحَرَاجِيَّةُ^(١) فَارْفَعْ حِسَاباً جَامِعاً لَدَخْلِهَا وَخَرَجِهَا، وَأَصْلِهَا وَفَرَعِهَا، وَزَوَائِدِهَا وَنَوَاقِصِهَا، وَاحْذَرْ إِيقَاعَ التَّخْوِيلَاتِ، إِلَّا عَلَى الْمِلَاءِ الثَّقَاتِ، بَعْدَ تَصْدِيرِهَا مِنْ حَضْرَتِنَا. وَاقْبِضْ أَيْدِيَ الْكُتَّابِ عَنْ تَغْيِيرِ يَتَجَهْ لَهُمْ فِي اسْمٍ، أَوْ حِيلَةٍ تَنْفُذُ مِنْهُمْ فِي حَاكٍ^(٢)، أَوْ تَسْمُحٍ يُقَدِّمُونَ عَلَيْهِ فِي تَبْدِيلٍ وَنَقْلِ؛ فَالْخَرَجُ مَادَّةُ الْمَمْلَكَةِ، وَقَوَامُ الْجَيْشِ، وَقِيمَةُ الْأَمْلاكِ، وَأَرْوَاحُ الرِّعِيَةِ، وَعُمْدَةُ السُّلْطَانِ. وَبِحَسَبِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ يَجِبُ عَلَى مَتَوَلِّيهِ فِرْطُ التَّشْمُرِ وَالتَّقَيُّظِ، وَصَدْقُ التَّحَرُّزِ وَالتَّحْفُظِ.

وَتَنَاوَلَ الْمُسَمَّى لِإِقْطَاعِكَ، وَمَبْلَغُهُ عَشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، مُسْتَعِيناً بِهِ عَلَى أَدَاءِ حَقِّ النَّصِيحَةِ، وَالتَّنَزُّهِ عَنِ الْمَأْكَلِ الذَّمِيمَةِ، وَاسْتِكْفِ اللَّهَ يَكْفِكَ، وَاسْتَعْنُ بِهِ يَهْدِكَ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ.

(١) انظر: قدامة، الخراج، ص ٣١.

(٢) حاك أو كشط بقصد التزوير.

أَبْكَابُ الْكَاتِ

فِي الْأَسْمَاءِ وَالْأَنْبَاءِ وَالْأَوَاقِفِ وَالْأَسْمَاءِ

وَبَشْرَةِ الْكَلْبِ وَالْأَسْمَاءِ

وَالْأَسْمَاءِ

هذا^(١) كتابٌ من مؤيِّد الدَّولة أبي منصور بن رُكن الدَّولة لفلان وفلان ووفلان.

إِنَّا لَمَّا نَوَّثَرَهُ فِي وَفْدِ اللَّهِ مِنْ حَاجِجِ بَيْتِ اللَّهِ صِيَانَةً تَكْنُفُهُمْ وَتَحْرُسُهُمْ، وَحِمَايَةً تَتَغَمَّدُهُمْ وَتَحْصِنُهُمْ، وَرَفَقاً بِهِمْ صَادِرِينَ وَوَارِدِينَ، وَإِشْبَالاً^(٢) عَلَيْهِمْ ذَاهِبِينَ وَعَائِدِينَ؛ رَأَيْنَا تَقْوِيضَ زَعَامَةِ حُجَّاجِ الرَّيِّ وَالْمُنْضَمِّينَ مَعَهُمْ إِلَيْكَ، وَالْاعْتِمَادَ فِي تَدْبِيرِهِمْ وَتَسْيِيرِهِمْ عَلَيْكَ؛ لَمَّا عُرِفَ مِنْ سَدَادِ مَذْهَبِكَ، وَجَمِيلِ غَنَائِكَ فِي الْمَعْصُوبِ بِكَ، فَتَوَلَّى ذَلِكَ مُؤَدِّياً حَقَّ الْأَمَانَةِ فِيهَا اسْتُرْعِيَّتَهُ، / [٢٩ ب] وَفَرَضَ النُّصْحَ فِيهَا اسْتِكْفِيَّتَهُ، وَتَوَخَّى مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَى هَذِهِ الرَّفْقِ مَا يُجْزِلُ حَظُوظَهَا مِنَ الْحِمَايَةِ، وَيَعْتَمِدُهَا بِفَضْلِ الْحِفْظِ وَالرَّعَايَةِ، وَسِرِّهَا سِيراً لَا يَجْهَدُهَا تَعَجُّلاً، وَلَا يَفُوتُهَا^(٣) الْمُنَاسِكَ تَمَهَّلاً، وَأَحْسَنَ التَّوَقُّفَ عَلَى الضَّعِيفِ وَالرَّاجِلِ، وَالْفَقِيرِ وَالْمُرْمَلِ، وَالْمُبْدَعِ^(٤) بِهِ، وَذَوِي الْمَرَضِ. وَتَوَخَّى فِي الْجَمَاعَةِ أَفْسَحَ الْمَنَازِلِ، وَرَدَّ بِهِمْ

(١) هذا الكتاب في التوصية بحجاج بيت الله الحرام.

(٢) إشبالاً: عطفاً. لسان العرب، ج ١١، ص ٣٥٢ (شبل).

(٣) في الأصل: تفوتها.

(٤) المبدع: مَنْ كَلَّتْ راحلته، وبقي منقطعاً به. لسان العرب، ج ٨، ص ٧ (بدع).

أعذب المناهل، وكن شفيقاً على أمّوالمهم، رفيقاً بهم في أحوالمهم.

واعرض هذا المنشور في المسالك التي تقطعها، والمراصد التي تردّها؛ ليُعلم
تقليدنا إياك ما قلّدناك، وتؤثر ومن في جملتك بالعناية في متوجّهك ومغزاك،
وتقصر الأبواع من مضارّتك، وتحسم الأطماع عن هضمّتك. والله وليّ توفيقك
في مصارف الأحوال، وتأييدنا في مجاري الأقوال والأفعال، عليه نُعوّل، وإليه
نُفوّض، وهو حسّبنا ونعم الوكيل.

وله كتابُ أمانٍ

هذا كتابٌ من مُؤيِّد الدَّوْلَةِ لفلان.

إنه أنهي ما اضطرَّك إلى الحال التي ركبتهَا، والخطَّة التي احتَقَبْتَهَا^(١)،
والتماسك من نظرنا ما يثبت قدمك، ومن أماننا ما نتلافى به فرطك، فأنت متى
سلمت القلعة إلى ثقاتنا، ووردت حضرتنا، أو أين اخترت من بلاد مملكتنا؛ آمن
بأمان الله عز وجل، وأمان رسول الله ﷺ، وأماننا المقرون بالوفاء، المعروف
حكمه في الدَّهْمَاء، ولك عندنا تجديد الاصطناع، وسني الإقطاع، لا نؤاخذك
بجريمة تقدمت، ولا جريمة سلفت، وعهدُ الله بذلك مبذول، وعليه مأخوذ،
والله حسُّبنا ونعم الوكيل.

(١) احتقب خيراً أو شراً، واستحقبه: أدخره... واحتقب فلان الإثم: كأنه جمعه واحتقبه من خلفه.

لسان العرب، ج ١، ص ٣٢٥ (حقب).

وله

هذا كتابٌ من مؤيّد الدّولة أبي منصور لفلانٍ.

إنك أنهيت الحال في ترويع فلانٍ لك، وإشفاقك من بعض ما أنكرنا فيه
فِعْلَكَ، ورغبت في إجرائك على عادة الإحسان، وإنشاء ما تسكنُ إليه من الأمان،
واستظهرت إلينا بشفاعة النبيه مكانه، الوجيه كلامه؛ فرأينا - لما عليه عادتنا في
الصّفح عن المجرم، وإقالة المتنّدم المتحرّم^(١) - تحقيق طلبتك، وتصديق رغبتك،
فعاوِذ مسكنك / [٣٠أ] في كنّف أماننا وعهدنا^(٢)؛ لتجرى على سنّة إنعامنا
ورفدنا، وتسكن ظلاً من الإعزاز لا ينحسر ممدوده، ولا يتجافى ممهوده، ما
استأنفت حالاً تُرضى منك، وأقلعت عن مثل ما بدّر عنك. ومن قرأ كتابنا هذا
من الولاة والضّمماء، والعُمال والأولياء، فليعمل بما رَسَمنا، وليحذُ على ما نهَجنا،
وليحذر مخالفة ما أمرنا.

(١) في الأصل: المتجرم، تصحيف.

(٢) في الأصل: وعندنا، تحريف.

وله

هذا كتابٌ من مؤيِّد الدَّوْلَةِ لِأَهْلِ قَصْبَةِ الدِّينَوْرِ^(١).

إِنَّا لَمَّا عَرَفْنَاهُ مِنْ حَالِكُمْ، وَتَمَثَّلْنَا مِنْ اخْتِلَالِكُمْ، وَتَصَوَّرْنَا مِنْ كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ، وَاشْتِرَاكِ عَالَمٍ مِنَ الضَّعْفَاءِ وَأَهْلِ الْمَسْكِنَةِ فِي مُؤَدَّى خَرَاجِكُمْ؛ رَسَمْنَا تَعَهُدَكُمْ بِالصِّيَانَةِ وَالْحِرَاسَةِ، وَالْحِمَايَةِ وَالْحَيَاظَةِ، وَإِجْرَاءِكُمْ فِي الْخَرَاجِ الْمَقْسُومِ بَيْنَكُمْ عَلَى أَعْدِلِ السُّنَنِ، وَأَخَفِّ الْقَوَانِينِ، لَا زِيَادَةَ تَلْحُقُكُمْ، وَلَا مَوْونَةَ تُلْزِمُكُمْ، وَلَا كُلْفَةَ تَتَوَجَّهُ إِلَيْكُمْ، وَلَا مَرْفَقَ وَلَا نَائِبَةَ عَلَيْكُمْ، وَلَا تَتَّبِعُ مَا تَنَاصَفْتُمْ بَيْنَكُمْ، وَلَمْ يَسْتَأْكُلْ قُوِّيُّكُمْ ضَعِيفَكُمْ، وَكُنْتُمْ عَلَى سَنَنِ التَّوَاسِيِ وَالتَّظَاهَرِ، وَلَمْ تَخْرُجُوا إِلَى السَّهَادِيِ وَالتَّنَاكُرِ، وَحَظَرْنَا أَنْ يُزَادَ عَلَيْكُمْ فِي الْإِتْيَانِ بِطُرُوقٍ مِّنْ يَطْرُقُ مِنَ الْخِيُولِ، وَزِيَادَةِ مَنْ يَزِيدُ مِنَ الْجِيُوشِ، وَتَقَدَّمْنَا بِتَعْفِيَةٍ مَا كَانَ عُمَّالُ السُّوءِ وَوُلاَةُ الْجَيْشِ يَأْتُونَ مَدَاخِلَةً فِي هَذِهِ الْمَعَامِلَةِ، يَتَوَصَّلُونَ بِهَا إِلَى ارْتِشَاءٍ مِنْكُمْ، وَارْتِفَاقٍ مِنْ جِهَتِكُمْ. فَمَنْ قَرَأَ، أَوْ عَرَضَ عَلَيْهِ كِتَابُنَا هَذَا مِنَ الْوَلَاةِ، وَعُمَّالُ الْحَرْبِ وَالْخَرَاجِ، وَالْمَعَاوِنُ بِكُورَةِ مَاهِ الْكُوفَةِ^(٢)، فَلْيَعْرِفْ ذَلِكَ مِنْ رَأْيِنَا وَأَمْرِنَا، وَلْيَحْذَرْ مِنْ مُخَالَفَةِ مِثَالِنَا وَرَسْمِنَا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(١) مدينة من أعمال بلاد الجبل، قرية من قَرَمِيسِينَ وَهْمَذَانَ. ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٤٥.
(٢) مَاهُ بِالْفَارْسِيَةِ: قَصْبَةٌ. وَمَاهُ الْكُوفَةُ: الدِّينَوْرُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ مَعَاوِيَةَ جَعَلَهَا لِأَهْلِ الْكُوفَةِ حِينَ كَثُرُوا وَاحْتَاجُوا أَنْ يَرْتَادُوا مِنَ النُّوَاحِي الَّتِي صَوَّلَحَ عَلَى خَرَاجِهَا، وَعَوَّضَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ نَهَاوَنْدَ؛ فَسُمِّيَتْ: مَاهُ الْبَصْرَةِ. انظر: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٩، ص ٣١٣.

وله شَرَطُ

هذا كتابُ كَتَبَهُ لِلأَمِيرِ الْمُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ فلانٌ عَلَى نَفْسِهِ مُخْتاراً لِأَمْرِهِ، فِي صِحَّةٍ مِنْ جِسْمِهِ، وَثَبَاتٍ مِنْ عَقْلِهِ، حِينَ تَخَوَّلَهُ - أَدَامَ اللَّهُ عَزَّهٗ - بِإِحْسَانِهِ، وَظَاهَرَ عَلَيْهِ مَلَابَسَ إِنْعَامِهِ، وَوَسَمَهُ بِاقتضابهِ واضطناعه، واعتمدهِ بسابغِ نظره وإقطاعه، وَأَوْجَبَ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ مِنْ مَوَادِّ خَيْرِهِ وَإِفْضَالِهِ، مَا وَسَعَهُمْ كُلَّهُمْ، وَتَحَمَّلَ ثِقَلَهُمْ وَكُلَّهُمْ، وَاعْتَمَدَهُمْ بِحِمَايَةِ الطُّرُقَاتِ وَالْمَنَافِذِ، وَحِرَاسَةِ الرُّفُقِ^(١) وَالْقَوَافِلِ، وَخَفَارَةِ الضِّيَاعِ وَالْمَزَارِعِ، بِالرِّيِّ وَقَزْوِينَ وَقُمَّ وَسَاوَةَ^(٢) / [٣٠ ب] وَآبَةَ^(٣) وَالتَّيْمَرَيْنِ^(٤)، وَمَا كَانَ جَارِياً فِي حِمَايَتِهِ مِنْ أَعْمَالٍ أَصْفَهَانِ.

شَرَطَ فلانٌ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَقُومَ بِمَا فُوضَ إِلَيْهِ مُشِيحاً، وَيَبَاشِرَهُ جَادّاً نَصِيحاً، وَيَتَصَرَّفَ عَلَى أَحْكَامِ الطَّاعَةِ، وَإِقَامَةِ فَرَائِضِ الْجَمَاعَةِ، وَيَنْفِضَ السُّبُلَ عَنْ أَبْنَاءِ

(١) الجماعة في السفر. لسان العرب، ج ١٠، ص ١٢٠ (رفق).

(٢) مدينة بين الرِّيِّ وهمذان. ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٩.

(٣) في الأصل: ووابة. وآبة: قرية من قرى أصبهان، أو قرى ساوة، كما قال ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٥٠.

(٤) التيمرتان: قريتان من قرى أصبهان، التيمرة الكبرى، والتيمرة الصغرى. المافروخي، محاسن أصفهان، ص ١٨، ص ٣٦؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٧.

العَيْثُ على اختلافِ أجناسهم، ويُطَهَّرُها من معارَّهم وأذناسهم، ويكفَّهم مما يخرجون إليه من مُدافعةٍ ومُقارعة، ومُمانعةٍ ومُواقعة، لا يعتلُّ بكثرة أَعْدادهم، ولا يحتجُّ بفضل ازديادهم، ويكفي أربابَ الإقطاعاتِ والتَّنائات^(١) والمقاطعاتِ مضارَّ أصنافِ الأكرادِ والمتلصَّصة، والشَّهْجان^(٢) والمتشَبَّهة؛ لتكونَ الرِّسَاتِيُّ دانيها ونازحُها مَكْنُوفَةً بالأَمْنَةِ، والمسالكُ جِوَادُها وعِوَادُها مَحْرُوسَةً عن المخافة، مَسْلُوكَةً بِالْمِيرِ والأَجْلَابِ والبَضائعِ والحُمُولِ، غيرَ مُحتاجةٍ إلى اسْتِظْهَارٍ من يذُبُّ مصاحباً، ويحمي مسائراً، فمتى وَقَعَ في النَّواحي والطُّرُق التي تَكْفُلُ بتَهْذِيبِ مَدَارِجِها، وتطهيرِ مناهجِها، عَيْثُ أو إفساد، أو ضررٌ أو إضرار، أو سَلْبٌ أو انتهاب؛ كان على فلانٍ تَتَبُّعُ الجاني حتَّى يُسَلِّمَ أو يَهْلِكَ، ورَدُّ ما أَخَذَ أو أَرَشِهَ بالغاً ما بلغ، لا يُقبلُ له في ذلك ولا في شيءٍ منه عذرٌ ولا اعتِلالٌ، متى وَقَعَ خَلَلٌ أو إخلال.

وشرط أن يَزُمَّ أَصْحَابُهُ وُجُوهُهُمْ، وأتباعُهُم وأمثالُهُم، وأشْياعُهُم ورؤوسُهُم وأذناهُم؛ لتكونَ الطاعةُ مَلابِسَهُم، والعِفَّةُ مَقاصِدَهُم، والمِسْمَى لهم مطاعُهُم، لا يُسْفون إلى خِبْثَةِ المأكَلِ، ولا يتوجَّهون إلى وارِدٍ أو صادرٍ، ولا يتجاوزُ هو ولا هم في الخفاراتِ وغيرها الرسومِ المقرَّرة والرُّفُوت^(٣) المَقْنَنَةِ،

(١) التَّنائات: المزارع.

(٢) من طوائف الأكراد. العتبي، اليميني، ص ١٩٥.

(٣) انظر ص ٩١، حاشية (٤).

وَيَسْتَوْفِي ذَلِكَ عَلَى يَدِ الْكَاتِبِ الْمَنْصُوبِ مِنَ الدِّيَّانِ الْمَعْمُورِ، وَيُعْفِي أَهْلَ الضِّيَاعِ بِقَمِّ وَالتَّيْمُرَيْنِ مِنَ التَّنْزُلِ عَلَى قُرَاهِمَ، وَحُلُولِهِمْ فِي مَشْتَاهِمَ، وَيَقْتَصِرُ فِي الْمَسَارِحِ وَالْأَفْيَاءِ، وَالْمِيَاهِ وَالْأَكْلَاءِ، عَلَى الْبَقَاعِ الَّتِي رُسِمَتْ لَهُ، وَوُسِمَتْ بِهِ، لَا يَتَعَدَّاهَا إِلَى مَا عَدَاهَا، وَلَا يَتَخَطَّاهَا إِلَى مَا سِوَاهَا. وَمَنْ جَاوَزَ مِنْ أَصْحَابِهِ هَذِهِ الْأَمْثَلَةَ الْمَضْرُوبَةَ، وَالْمَرَاسِمَ الْمَشْرُوطَةَ؛ عَاجِلَهُ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ، وَعَمِلَ فِيهِ بِمَا تَنْفِذُ بِهِ الْأَوَامِرُ إِلَيْهِ.

وَأَنْ يَخْفََّ مَعَ هَذِهِ الشَّرُوطِ فِي الْبِيَجَارَاتِ^(١) الْعَارِضَةِ، وَيَتَصَرَّفَ فِيهَا مَعَ وُلْدِهِ وَرِجَالِهِ بِالنِّيَّاتِ الْخَالِصَةِ، لَا يَحْتَجُّ بِأَخْذٍ / [٣١ أ] أَهْبَةِ، وَتَأْخُرُ عُدَّةً، وَتَنَاقِصُ عُدَّةً، بَلْ يَبَاشِرُ مَا يُهَابُ بِهِ إِلَيْهِ، بِاسْتِقْلَالٍ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ، وَشَاكِي الْأَسْلِحَةِ، وَعُدَدِ الْأَسْتَظْهَارِ.

شَهِدَ الشَّهَوْدُ إِقْرَارَ فَلَانٍ بِالتَّزَامِ هَذِهِ الشَّرُوطِ وَاعْتِنَاقِهَا بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ بِمَا بَذَلَ فِيهَا، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ كَذَا سَنَةِ كَذَا.

(١) وردت في ثلاثة مواضع أخرى من هذا الكتاب: ص ٣٩٨، ص ٤٣٠، ص ٤٥١. ولم أهتمد لمعناها. لكن مواضع استعمالها الأربعة تدل على جماعة الخيل.

وله

كتابُ أمانٍ

هذا كتابٌ من مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ مَوْلى أمير المؤمنين
لفلانٍ، أنه أنْهَى عَنْكَ إِخْلَالَكَ بِمَرْكَزِكَ مِنْ كَذَا خِيفَةً مِنْ أَحْوَالٍ رُقِّيتْ عَنْكَ،
وَأَنْبَسَاطِ أَيْدِي الضُّمَنَاءِ فِي فَضْلِ اسْتِخْرَاجِ مِنْكَ، وَرَغْبَتِكَ فِي إِنْشَاءِ أَمَانٍ تَعُودُ بِهِ
إِلَى وَطَنِكَ، مَوْفُوراً غَيْرَ مَغْدُورٍ، فَرَأَيْنَا - لِمَا عَلَيْهِ النِّيةُ، فِي كَافَّةِ الرَّعِيَّةِ - الْإِعْازَ
بِذَلِكَ، فَأَنْتَ - مَتَى عَاوَدْتَ مَقَرَّكَ، وَلَزِمْتَ شَأْنَكَ وَأَمْرَكَ - آمِنٌ بِأَمَانِ اللَّهِ،
وَأَمَانِ رَسُولِهِ، وَأَمَانِنَا الَّذِي لَا حَلََّ لِمَعْقُودِهِ، وَلَا نَقْضَ لِمَعْهُودِهِ، وَلَكَ أَنْ تُوعِزَ
بِصِيَانَتِكَ، وَحِيَاظَتِكَ، وَقَبْضِ الْأَيْدِي عَنْ هَضِيمَتِكَ. وَمَنْ قَرَأَ، وَعُرِضَ عَلَيْهِ
كِتَابُنَا هَذَا مِنْ طَبَقَاتِ الْوُلَاةِ وَالضُّمَنَاءِ، وَالْعُمَّالِ وَالْأَوْلِيَاءِ؛ فليَعْمَلْ ذَلِكَ مِنْ
رِسْمِنَا، وَلِيَقْتَفِ مَاضِيَ حُكْمِنَا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وله

كتابي - أطال الله بقاءكم - عن سلامة مولانا الأمير مؤيد الدولة، واطّراد السّعادات في أحواله، وانتظام البركات بإقباله، وعافيتي في ظلاله، والحمد لله، وصلواته على النبي محمد وآله.

وقد علمتم - تولاكم الله - أنّكم بدأتُم بحُضور البساط العالي راغبين، وسألتم القبول والإقطاع طالبين، فأحسن مولانا الإصغاء لكم، والرفق بكم، وأبدلكم من التوحّش اضطناعاً، ومن التفرّق اجتماعاً، ووطنّت لكم المشاتي والمصايف، وأفيضت عليكم العطايا والعوارف، وشهّرتُم في جملة الأولياء، وميّزتم عن النظراء والأكفاء، ولم تنسلخ سنة إلا عن زيادة تُؤثرون بها، ووجوه نظير توهّلون لها؛ من إحسانٍ ونعمة، ومُحْلانٍ وخِلعةٍ.

وكان ما يُنوى فيكم أكثر ما أفيض عليكم، وما يُدخّر لكم أوفر مما أُوصل إليكم، ووُثق بكم الثقة بالأخصّين من الخدم، والمتحقّقين من إنشاء النعم.

ثم أنهي أن إخلالاً وقع منكم / [٣١ ب] بمراكزكم، ومُفارقة لمواضعكم، مع توالي الكتّاب بأن أكابركم ووجوهكم كرهوا ذلك ولم يتحمّدوه، وأن الأصاغر أقدموا عليه وآثروه، وأجرت طائفة إلى قطع الطرق، وأخذ أموال الرّفق، نُكوصاً على الأعقاب، وتحكّكاً بالعقاب.

وَوَرَدَتْ الْآنَ [رَسُولٌ] ^(١) مِنْكُمْ يَذْكُرُونَ أَنَّ أَخْبَاراً كَانَتْ سَقَطَتْ إِلَيْكُمْ اسْتَطَارَتْكُمْ حَذَرًا، وَاسْتَفَزَّتْكُمْ خَوْفًا وَذَعْرًا، فَأَنْهَيْتُ إِلَى مَوْلَانَا الصُّورَةَ، وَأَوْضَحْتُ الْقِصَّةَ، وَاسْتَقْلْتُ لَكُمْ الْعَثْرَةَ، وَاسْتَوْهَبْتُ الزَّلَّةَ، فَقَالَ مَوْلَانَا: إِنَّ حُرْمَاتِهِمْ تَقْتَضِي التَّغْمِيضَ عَنْ هَفَوَاتِهِمْ إِذَا أَنَابُوا، وَعِصَمَهُمْ تَبْعُثُ عَلَى غُفْرَانِ جَرَائِمِهِمْ إِذَا تَابُوا. وَقَدْ أُنْشِئَ الْمَنْشُورُ بِالْأَمَانِ، وَالْوَعْدُ بِالْإِحْسَانِ، وَخُتِمَ بِعَالِي خَتَمِ مَوْلَانَا، لَا زَالَ نَافِذًا فِي الْأَقَالِيمِ، مَاضِيًا مُضِيَّ الْمَقَادِيرِ.

وَكَاتَبْتُ أَبَا عَيْسَى بِمَا يَذْكُرُهُ لَكُمْ، وَيُلْقِيهِ إِلَيْكُمْ؛ لِتَزِدَادُوا سُكُونًا نَفْسٍ، وَاشْتِدَادَ ظُهُورٍ، فَعَاوِدُوا مَوَاضِعَكُمْ، وَالْزَمُوا أَمَاكِنَكُمْ، وَاجْرُوا فِي الطَّاعَةِ عَلَى رُسُومِكُمْ، وَلَا تُضَيِّعُوا مَتَوَكَّدَ حَقُوقِكُمْ؛ فَظَلُّ الْخِدْمَةِ أَمَدٌ، وَلِبَاسُ عِزِّهَا أَجَدٌ ^(٢)، وَإِنَّمَا تَقَعُ هَذِهِ النِّزَوَاتُ أَيَّامًا ثُمَّ تَأْتِي الْعَوَاقِبُ بِهَا لَا قَبْلَ بِهِ، وَلَا ثَبَاتَ فِي وَجْهِهِ، وَأَبُو الْهَيْجَاءِ بَكْتَّاشُ الْحَاجِبِ مَوْلَى مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ قَدْ رُسِمَ بِقَاشَانَ ^(٣)، وَهُوَ صَائِرٌ إِلَيْهَا، وَمَكَاتِبُ بَاعِزَازِكُمْ وَإِكْرَامِكُمْ، وَإِثَارِكُمْ وَبَسْطِكُمْ، وَدَفْعُ كُلِّ أَحَدٍ عَنْ مَضَارَّتِكُمْ وَمَسَاءَتِكُمْ. وَأَبُو مَنْصُورِ بْنِ مُحَمَّدٍ مُحَاطَبٌ بِلُغِ الْغَايَةِ فِي الْإِشْتِمَالِ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ، وَتَوْفِيَةِ حُقُوقِكُمْ كَأَفْتِكُمْ. وَأَنَا أَنْتَظِرُ مَا يَكُونُ مِنْكُمْ، خَارَ اللَّهُ لَكُمْ، وَالْخَيْرَةُ أَجْمَعُهَا فِي الطَّاعَةِ الْمَأْمُونَةِ الْغَوَائِلِ، الْمَرْجُوءَةِ الْفَوَاضِلِ، الْجَامِعَةِ إِلَى صَالِحِ الْمَعَاشِ صَالِحِ الْمَعَادِ، وَإِلَى تَحْصِيلِ النَّجَاحِ سَلَامَةِ الْأَرْوَاحِ، وَهُوَ - تَعَالَى - حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل: واجد.

(٣) في الأصل: بقاشان، انظر ص ١٠٠، حاشية (١).

وله في مُرَاعَاةِ أَوْقَاتِ الْمَعَامَلَاتِ وَالْكَبَيْسَةِ مِنَ السِّنِّينِ

وَصَلَ كِتَابُ الْأَمِيرِ رُكْنَ الدَّوْلَةِ بِمَا وَرَدَ بِهِ أَمْرُ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَقْلِ
سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ إِلَى سَنَةِ ثَلَاثٍ؛ لِيُزَوَلَ التَّفَاوُتُ الَّذِي تَحَلَّلَ السِّنِّينَ
بَيْنَ الشُّهُورِ الْخَرَاجِيَّةِ وَالشُّهُورِ الْهَلَالِيَّةِ؛ وَلِتَكُونَ الْمَعَامَلَاتُ جَارِيَةً عَلَى أَوْقَاتِهَا،
وَالْإِجَارَاتُ مَنْسُوبَةً إِلَى زَمَانِهَا، وَالْجَمَاعَاتُ مُصَدَّرَةً بِمَحَالِّهَا، وَالتَّوَارِيخُ / [٣٢ أ]
مُنْتَظِمَةً عَلَى حُقُوقِهَا، وَالْكَبَيْسَةُ وَاقِعَةً عَلَى رُسُومِهَا^(١).

وَحَمَدْتُ اللَّهَ وَشَكَرْتُ لَهُ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَى الْأُمَّةِ، وَأَفَاضَهُ عَلَى أَهْلِ الْمِلَّةِ
وَالذِّمَّةِ، مِنْ نَظَرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرِعَايَتِهِ، وَاهْتِمَامِهِ بِمَصَالِحِهِمْ وَعِنَايَتِهِ، وَتَذْيِيرِ
أَحْوَالِهِمْ بِمَا يَجْرِيهَا عَلَى إِذْلَالِهَا، وَمُطَالَعَةِ أُمُورِهِمْ بِمَا يُؤْمَنُ مِنْ اخْتِلَالِهَا، وَتَثْقِيفِ

(١) كَانَ هَذَا فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الْمُطِيعِ لِلَّهِ (٣٣٤-٣٦٣هـ)، وَكَانَ هَذَا الْإِجْرَاءُ مَعْمُولاً بِهِ لِتَلَا فِي
التَّفَاوُتِ الزَّمَنِيِّ فِي بَعْضِ السِّنِّينِ وَأَثَرِهِ عَلَى الْخَرَاجِ، فَقَدْ نُقِلَتْ سَنَةُ ٣٥٠هـ الْخَرَاجِيَّةُ إِلَى سَنَةِ
٣٥١هـ أَيْضاً، وَقَدْ كَتَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي كِتَاباً فِي ذَلِكَ. انْظُرْ: رِسَائِلُهُ، ص ٢٠٩. وَانْظُرْ مَا
قَامَ بِهِ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَضِدُ (٢٧٩-٢٨٩هـ) فِي سَنَةِ ٢٨٢هـ فِيمَا يُسَمَّى النُّورُوزِ الْمُعْتَضِدِيِّ، وَقَدْ
شَرَحَهُ الْمُسَعَوْدِيُّ فِي التَّنْبِيهِ وَالْإِشْرَافِ، ص ٢٠٠-٢٠١؛ تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ، ج ١٠، ص ٣٩؛
وَكَذَلِكَ الدُّورِيُّ، تَارِيخُ الْعِرَاقِ الْاِقْتِصَادِيِّ، ص ٥٩.

شؤونهم بما يُضاهي سُنَنَ آبائه الراشدين، من الخلفاء الماضين، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، مَن اسْتَرَعَاهُمْ حَيَاتُتَهُمْ، وَوَكَّلَ إِلَيْهِمْ سِيَاسَتَهُمْ، حَتَّى أَصْبَحَتْ الْكَلِمَةُ يُؤْمِنُ إِيَالَتَهُ مُتَّفَقَةً^(١)، وَأَسْبَابُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ مُتَّسِقَةً، وَحَتَّى بَرَزَ الْحَقُّ فِي أَحْسَنِ مَلَابِسِهِ، وَنَجَمَ الْعَدْلُ فِي أَزْكَى مَغَارِسِهِ، وَأَصْبَحَ الظُّلْمُ لَا يُقْتَدَى بِحُكْمِهِ وَرَسْمِهِ، وَلَا يُعْرَفُ إِلَّا بِذِكْرِهِ وَاسْمِهِ - حَمْدًا يُحْصَنُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ جَلَائِلِ مَوَاهِبِ اللَّهِ وَنِعَمِهِ، وَيَمْتَرِي إِلَيْهِ فَوَاضِلُ مَنَحِهِ وَقِسْمِهِ، وَيُؤْذَنُ لَهُ بِدَوَامِ قُدْرَةٍ لَا تَخْتُلُ قُوَاهَا، وَبَسْطَةِ لَا تَنْحُلُ عُرَاهَا، وَيُوجِبُ لِلْأَمِيرِ رُكْنَ الدَّوْلَةِ - بِذَبِّهِ عَنِ دِينِ اللَّهِ، وَقِيَامِهِ بِحَقِّ خَلِيفَةِ اللَّهِ، وَتَوْفُّرِهِ عَلَى مَا أَصْلَحَ خَدَمَهُ وَرَعَايَاهُ - مَزِيدَ مَنَائِحِهِ وَعَطَايَاهُ.

وَقَابَلْتُ الْأَمْرَ بِأَمْتَالِهِ، عَلَى الرَّسْمِ فِي أَمْتَالِهِ، وَأَوْعِزْتُ فِي بِنَاءِ الْحُسْبَانَاتِ، وَعُقُودِ الصَّمَانَاتِ، وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا مِنَ الشُّرُوطِ وَالْمَوَاقِفَاتِ، عَلَى مَا رُسِمَ وَمُثِّلَ، وَقُرِّرَ وَحُصِّلَ؛ فَصَارَ كُلُّ حَوْلٍ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ، وَيَخْبِرُ عَنْ دَخْلِهِ وَخَرَجِهِ، لَا حَاجَةَ لِعَامِلٍ^(٢) وَلَا مُعَامِلٍ إِلَى تَبْدِيلِ جَارِي سُنَّةٍ، وَاسْتِعَارَةِ اسْمِ سُنَّةٍ لِسُنَّةٍ.

وَكَاتَبْتُ بِذَلِكَ أَصْحَابَ الْأَطْرَافِ الَّتِي اسْتَخْدَمَنِي الْأَمِيرُ السَّيِّدُ فِي مُرَاعَاتِهَا؛ لِيَجْرُوا عَلَيْهَا أَمْرَ رُفُوعِهَا وَحُسْبَانَاتِهَا، فَيَكُونَ مَا تَجَدَّدَ مِنْ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَامِلًا شَمُولَ عَوَارِفِهِ، وَمَا قَدَّمَهُ الْأَمِيرُ السَّيِّدُ عَامًّا عُمُومَ فَوَاضِلِهِ؛ وَلِيَصِيرَ رَسْمًا

(١) فِي الْأَصْلِ: مُتَّفَقَةٌ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: بِعَامِلٍ.

يدومُ ويُحَلَّد، ويُقرَّر على وَجْهِ الدهرِ ويُؤَيَّد، لا تهتدي الأيامُ إلى فُسْخِهِ، ولا ترتقي
اللَّيالي إلى نُسْخِهِ؛ فيتجدَّدَ لأَمير المؤمنين - على تَجَدُّدِ الزَّمانِ - الذِّكْرُ الجميل
المأثور، والثوابُ الجزيل الموفور، وللأَمير السَّيِّد الدعاءُ المؤذن بالمنائح الشاملة،
والسَّعاداتِ العاجلة والآجلة.

أنهيتُ إلى مَوْلانا الأَمير وليِّ النِّعم ما أقمتُ به رَسَمَ الخدمة، فإن رأى الأَميرُ
أن يُديمَ تَشرِيفَ عبْدِهِ^(١)، بالتَّصْرِيفِ بين أمره ونَهْيِهِ؛ فعَل، إن شاء الله.

(١) في الأصل: عهده.

[٣٢ ب] وله

هذا كتاب من مؤيد الدولة أبي منصور بن ركن الدولة لصدقة بن أحمد^(١) وأولاده.
إنّا - لما أظهرتموه من انحياز إلى جملة الأولياء المخلصين، وامتنياز عن غمار الأكراد
المفسدين، وأبديتموه من صفحة الإقلاع، وتعلقت به من عصمة الارتداع،
والتستموه من قبول انقطاعكم، وسألتموه من تجديد اضطناكم - فسحنا لكم في
ورود حضرنا، مُستظهرين بأماننا وذمتنا، فأنتم وكل واحد منكم - ما اعتنقتم شروط
الموالاتة، وتطوّقتم عهد المصافاة، وكُنتم لأشياعنا شيعاً، ولأنصارنا تبعاً، وعلى
المارقين يداً قاصدة، وعيناً راصدة - آمنون على أنفسكم ودمائكم وأزواجكم
وشعوركم وأبشاركم ومالككم وكراعكم، وسائر ما تنضم عليه ملكتكم، بأمان
الله - جل اسمه، وتعالى جده - وأمان رسوله - صلى الله عليه وعلى آله الذين
اجتبي - وأماننا الذي لا يتسلط الإخفار عليه، ولا ينبسط الانقباض إليه، لا
تؤاخذون بجرائركم الواقعة قبل إنابتكم، وكبائركم المكفرة بمشايبتكم. فثقوا
بذلك مثني وموحداً، واسكنوا إليه شتى وجميعاً، وردوا الباب؛ ليوصل إليكم
حلاوة الطاعة وبرّها، وتدبر لكم أخلاف الإحسان، وتوفر مزيّتها.

ومن قرأ كتابنا هذا، أو أقرّ به، أو عرف أمرنا فيه وأنبئه، فليعرف صدر ذلك
عن أمر جزم، ونفوذه عن مضاء عزم، وليحذر تعدّي أحكامه وحدوده، وتخطّي
مراسمه وشروطه، إن شاء الله.

(١) لعله حد الأمراء المزيدين في الحلة.

وله

إِنَّا - لِمَا عَرَفْنَاهُ مِنْ كِفَايَتِكَ، وَرَجَوْنَاهُ مِنْ غَنَائِكَ وَدِرَايَتِكَ - رَدَدْنَا أُمُورَ الدَّرْبِ وَالبَذْرِقَةِ^(١) المَوْفَرَةَ أَمْوَالَهَا عَلَى الْعَرَبِ إِلَيْكَ، وَاعْتَمَدْنَا فِي ضَبْطِهَا وَاسْتِخْرَاجِ الْوَاجِبِ مِنْهَا عَلَيْكَ، وَرَسَمْنَا لَكَ أَنْ تَسْتَوْفِيَ الرُّسُومَ مِنْ حَيْثُ لَا يَلْحَقُ الرَّعِيَّةَ وَالسَّابِلَةَ اهْتِضَامٌ، وَلَا يَنَالُ اسْتِحْقَاقَاتِ الْعَرَبِ انْتِقَاصٌ وَاحْتِرَامٌ، وَأَنْ تَجْعَلَ الْإِمَامَ الَّذِي تَرْجِعُ إِلَيْهِ فِيهَا تَسْتَوْفِيهِ، الْمَنْشُورَ الْوَارِدَ مِنَ الْحَضْرَةِ الْبَهِيَّةِ وَمَا بَيْنَ فِيهِ، وَتُحْصَلَ الْأَمْوَالُ عَلَى حَقِّهَا مِثْلَ وَمِثْلَ، وَعِنْدَ / [٣٣ أ] كُلِّ رَفْقَةٍ صَادِرَةٍ وَوَارِدَةٍ. وَلَا تَسْتَعِنْ^(٢) إِلَّا بِمَنْ تَسْكُنُ إِلَى ثِقَتِهِ؛ إِذْ كُنْتَ الْمُوَاخَذَ بَعْدَهُ؛ لِيُخْرِجَ حَقُّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَاجِبِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِقِسْطِهِ، وَيُوفَّرَ^(٣) كُلُّ مِنْ الْعَرَبِ عَلَى حَقِّهِ وَقِسْمِهِ.

فَبَاشَرُ مَا مِثْلُنَاهُ، بِإِيثَارٍ لِلنُّصْحِ لَا تَتَعَدَّاهُ، وَنَقَاءٍ مِنَ الْجَبِيبِ لَا تَتَخَطَّاهُ، وَرَفَقٍ بِالْمُعَامِلِينَ يَحْسِمُ مَادَّةَ التَّظْلُمِ، وَاسْتِقْصَاءٍ لِلْأَوْلِيَاءِ يُغْنِيهِمْ عَنِ التَّأَلُّمِ. وَاسْتَزِدْ مِنْ إِحْسَانِنَا إِلَيْكَ بِالْمَقَامِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْحَمِيدَةِ، وَالشَّيْمِ الرَّاشِدَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(١) البَذْرِقَةُ: الخَفَارَةُ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: تَسْتَعِينُ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: يُؤَبِّرُ، مَهْمَلَةُ الْحُرُوفِ.

الكتاب الرابع

في الوصايا الحميدة والمصالح والمنافع

كتاب في أمر الحجيج

كتابي - أطال الله بقاء الأمير صاحب الجيش - وأمور السلطان وأحوال ممالك مولانا مطردة في استقامة المجاري وتعادُلها، واتفاق المناجح وتواصلها، على ما يوجب الحمد مُغرَقاً فيه، والشكر مسهباً في تعاطيه، والحمد لله رب العالمين، وصلواته على محمد وآله أجمعين.

وكان وصل كتاب الأمير على عادته في عمارة سبل الخيرات، والبغث على الأعمال الصالحات، أحسن الله أدائه^(١)، وشكر إسعائه^(٢)، فتلقيت رسمه بالامتنال، وأنهيت إلى حضرة مولانا حقيقة الحال، فاعتدَّ للأمير بلطف الهداية إلى ما فيه مَرَضاً مُعْتَمَمة، وفي تقديمه مثوبة ومكرمة، وأوعز في أمر الحاج بما لا شك في انتهاء أنبائه، فلا حاجة في إعادة القول بعد ابتدائه، وأصبحوا الكتب إلى الحضرة بمدينة السلام، وإلى طريق الجبل وهذان بما شملهم ظلُّه، وعمَّهم فضله. وحين عاد المَجْمَزة^(٣)؛ أنهيت هذه الجملة إلى الأمير، والله يُنْهَضُنِي بالتَّصَرُّفِ على مُرادِهِ، ويوفِّقُنِي لاجْتِلَابِ رِضاه وإِحْماءِهِ، بمَنِّهِ، فإن رأى الأمير أن يُخاطِبَنِي بأمرِهِ لأَتَقِيلَهُ، ورَسْمِهِ لأُمَثِّلَهُ؛ فَعَلَّ، إن شاء الله.

(١) في الأصل: أداءهم.

(٢) في الأصل: إسعاءهم.

(٣) المَجْمَزة: جمع مُجْمَز، وهو الذي يركب الدابة السريعة وتسمَّى جَمَّاز. لسان العرب، ج ٥، ص ٣٢٣ (جز). وهم هنا سُعاة البريد.

وله

جوابُ كتابِ صاحبِ الثَّغْرِ بالإِحمادِ له

كتابُنا ونِعَمُ اللهَ لدينا مَوْفُورَةٌ، وَعَوَارِفُهُ مَشْكُورَةٌ، ودَعْوَةُ الحَقِّ بنا مَنُوطَةٌ،
وَحَوْزَةٌ / [٣٣ ب] الدِّينِ عِنْدَنَا مَحْوَطَةٌ، والْحَمْدُ للهَ رَبِّ العالَمِينَ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى
النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ.

وَوَصَلَ كِتَابُكَ صَادِرًا عَنْ ثَغْرِ أَرْدَبِيلِ^(١) - أَحْسَنَ اللهُ حِمَايَتَهُ، وَتَوَلَّى وَقَايَتَهُ -
تَصِفُ اسْتِقَامَةَ شَانِهِ، وَتَرَاجَعَ سَكَانُهُ، وَانْتِظَامَ أُمُورِهِ، وَتَكَامُلَ الْعِمَارَةِ فِي سُورِهِ،
بِحَسَنِ تَأْتِيكِ، وَجَمِيلِ تَهْدِيكِ، وَتَجَرُّدِكَ لَتَلَا فِي مَا تَشَعَّثَ مِنْ بِنْيَانِهِ، وَرَدَّ مَنْ نَفَرَ
مِنْ قُطَّانِهِ، حِينَ أَلْجَأَهُمْ سُوءُ الْمَلِكَةِ مَنْ كَانَ يَلِيهِمْ، وَيَسِيرُ سِيرَةَ الْعِدْوَانِ فِيهِمْ، إِلَى
الْإِخْلَالِ بِدِيَارِهِمْ، وَمَفَارِقَةِ مَحَالِّهِمْ وَمَقَارَرِهِمْ، فَحَمِيَتْ لِلدِّينِ، حِمِيَّةٌ مِثْلُكَ مِنْ
الْمُهْتَدِينَ، وَقَمَتَ بِحَقِّ اللهِ قِيَامُ الْجَادِّينَ الْمُجْتَهِدِينَ؛ فَعَادَ الشَّارِدُ، وَاسْتَقَامَ الْمَارِدُ،
وَأُنْسَ النَّافِرُ، وَسَكَنَ الثَّائِرُ، وَانْحَسَمَتْ أَطْمَاعُ الْكَفَرَةِ عَنِ الثَّغْرِ - حَرَسَهُ اللهُ -
بَعْدَ امْتِدَادِهَا إِلَيْهِ، وَرَدَّ اللهُ آمَالَهَا خَائِبَةً بَعْدَ انْقِضَاضِهَا عَلَيْهِ؛ وَأَنَّ الَّذِي قَطَعَكَ
عَنْ مُكَاتَبَةِ حَضْرَتِنَا، بَعْدَ اغْتِصَامِكَ بِطَاعَتِنَا وَرَايَتِنَا، هَذِهِ الْحَوَاجِزُ الَّتِي مَلَكَتْ
عَلَيْكَ اخْتِيَارَكَ، إِلَى أَنْ بَلَغْتَ فِيهَا إِثَارَكَ، وَأَنْجَحَ اللهُ مَسَاعِيكَ وَآثَارَكَ.

(١) مدينة كبيرة في أذربيجان. ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ١٤٥.

وفهمناه حامدين مَنْ له الخلق والأمر، وبِيدِهِ النَّفْعُ والضَّرُّ، على ما تَكَفَّلَ به من إعزاز دينه وإعلانِه، وإظهارِ أنصارِه وأعوانِه، وإنارةِ بُرْهانه ودليلِه، وإعانةِ المجاهدين في سبيلِه، حَمْدًا يقضي لأوليائه بالغلب، وعلى أعدائه بسوء المُنْقَلَب، وأحمدُناكَ على جدِّكَ في خَلَلِ أزلَّتِه، وأودِ عدلَّتِه، ونازحِ استعدَّتِه، وثَلَمِ سَدَدَتِه، ووَهَنِ شَدَدَتِه، كفاءِ اهتمامنا بما أَصْلَحَ الدُّنيا والدينَ، وعنايتنا بما أَحاطَ حَرِيمَ المسلمين، فقد آذَنَ اللهُ بِخَصْدِ شوْكَةِ الكُفَّارِ والفُجَّارِ، حزبِ الشيطانِ وكِلابِ النَّارِ، واللهُ المرشدُ، والمعِينُ والمسَدِّدُ، في فَضِّ حَكَمَتِهِم، وتفريقِ كلمَتِهِم، وفَكِّ أسْلَتِهِم، ونَحْتِ أثْلَتِهِم، عزيمةً حاضرةً، تَعْلُو - بمشيئةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ - دَعْوَتُهَا، وتَبْطِشُ سَطَوَتُهَا، وَيُعْلَى جَدُّهَا، ويمضي حَدُّهَا، وتُشْرَحُ^(١) صُدُورُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَهَا، وَاللَّهُ بِالْغُ أَمْرُهُ، مُتَمِّمٌ نَصْرَهُ.

وعُذْرُكَ في تَأْخِيرِ كُتُبِكَ ورُسُلِكَ حَتَّى الْآنَ مَمْهُودٌ، وشِغَالُكَ بما صرَفْتَ إِلَيْهِ جَهْدَكَ ووَكَّدَكَ مَحْمُودٌ، فأَحْسِنِ المِثَابَةَ على ما أَنْتَ بِصَدَدِهِ مِنَ المِجَاهِدَةِ، واستِذْلالِ الكُفْرِ بِصِدْقِ المِجَالِدَةِ، فَكثِيرُهُمْ قَلِيلٌ، وعَزِيزُهُمْ ذَلِيلٌ، وَمَعَاشُهُمْ غُرُورٌ، وَمَعَادُهُمْ ثُبُورٌ، وَأَنْصَارُ دِينِ اللهِ قَلَّتْهَا كَثْرَةٌ، وَمَحْتَتُهَا مِئْخَةٌ، وَبَقَاؤُهَا سَعَادَةٌ، وَفَنَاؤُهَا شَهَادَةٌ، / [٣٤ أ] تُكْتَبُ^(٢) خُطَاهُمْ حَسَنَاتٍ، وَيُكَفَّرُ بِهَا

(١) في الأصل: ويشرح. والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصل: يكتب. والصواب ما أثبتناه.

خطيئات بعد خطيئات، والله زائدُهم إلى عزِّهم عزًّا^(١)، ومُرسلُ الشياطينَ على الكافرين تؤزُّهم أزًّا^(٢).

وثق منَّا بالعناية الصادقة، والإلحاقِ بأهلِ الخُصوص والسَّابقة، والتحوُّلِ بالإحسان والإنعام، والتعهُّد بالتَّشريف والإكرام، وعَرَّفَ مَنْ لَدَيْكَ مِنَ المِرابطينَ لوجَّه الله، والمجاهدين في سبيل الله، ما عِنْدَنَا إشبَالاً عليهم وعلى أمثالهم، واشتمالاً على ما قَوَّى من آمالهم وأحوالهم؛ ليزدادوا على الكَفرة العَجْزة ثَقُلَ وَطْأَةً، وَصِدْقَ جَرَأَةٍ، وَحِدَّةَ جَوَانِبٍ، وَشِدَّةَ مَنَاكِبٍ، ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْنِلُونُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٣).

وتابع كُتُبَكَ بأخبارِكَ وآثارِكَ، فيما يَجِدُّ اللهُ مِنْ إِذْلالِ الكَفرة في أطرافِكَ، وَأَطْرافِكَ، واستمع من رسولِكَ ما يُوَدِّيهِ، وانتهج نهج الامتثالِ فيه، وأعرض ما يَسْنَحُ ويعنُّ من أربكِ، والله راعيك وكافيك، وواقيك وهاديك، وهو حَسْبُنَا ونِعْمَ الوكيل.

(١) في الأصل: عزها. وهو تحريف.

(٢) اقتباس من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا﴾، سورة مريم، الآية

(٣) سورة التوبة، الآية ١١١.

وله

في إحماد صاحب الثغر

كتابي ومولانا الأمير مؤيد الدولة فيما يوجبُه الله - تعالى - من ولائه، ويبسطُه من ولايته، ويمضيه من رأيه، ويُعليه من رايته، ويعزُّه من كلمته ونصره، وينفذه فيما قَرَّبَ وبَعُدَ من أمره؛ على أفضل ما أقام الله به قناة الجماعة، وألَّفَ معه الأهواءَ على حُسْنِ الطَّاعة، وما أدبَّره من أمرٍ خَدَمته مُستقيمٌ، وإحسانُ الله فيه جسيم، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلواتُه على نبيِّه محمدٍ وآله أجمعين.

ووصلَ كتابك نافذاً من ثغر أُرْدَبِيل - حماه الله السوء^(١) - فسَرَّني ما أخبرت به من حاله، ودللت عليه من عمارته واستقلاله، وعودِ سُورِهِ بعدَ اختلاله، وأوْبَ مَنْ أخلَّ من مُرابطيه ورجاله، حينَ أنالهم مَنْ كان يليهم، ولا يراقبُ وصيةَ الله فيهم، ظُلماً أزعج ساكنهم، وأخرج قاطنهم، وكادَ الإسلامُ فيه يضعفُ رُكنُه، والشُّركُ يصدقُ ظنُّه، إلى أنْ انتدبت انتدابَ النَّدبِ في دينه، الثَّبتُ في يقينه، / [٣٤ ب] المحامي بحميته، المرامي بحُسنِ نيَّته؛ فتلافيت ما فرطَ^(٢)، وأذْنيت [ما] أشحطَ^(٣)، واستعدت مَنْ شَرَدَ، واستدللت مَنْ عَنَدَ، وعمَّرت ما تشعث،

(١) في الأصل: سوء.

(٢) في الأصل: فرطت.

(٣) في الأصل: وأذنت وأشحطت.

وَأَبْرَمْتَ مَا انْتَكثَ، وَاسْتَدَفَّ^(١) أَمْرَ الثَّغْرِ^(٢) - حَاطَهُ اللَّهُ - وَقَدْ شَارَفَ الْإِنْتِشَارَ،
وَاسْتَمَرَّ عَقْدُهُ - وَكَدَّهُ اللَّهُ - وَقَدْ صَافَحَ الْإِنْبِتَارَ، وَتَرَا جَعْتُ آمَالُ الْكَفَرَةِ خَاسِئَةً
عَلَى أَذْنَابِهَا، خَائِبَةً عَلَى أَعْقَابِهَا، قَدْ رَدَّ اللَّهُ مَكَائِدَهَا فِي نُحُورِهَا، وَبَقِيَ لَوَافِحِهَا فِي
صُدُورِهَا، وَعَدًّا مِنْهُ حَقًّا فِي قَصْمِ كُلِّ مَنْ أَرَادَ بِالْدِّينِ سُوءًا، وَكَانَ لِلْمُسْلِمِينَ
عَدُوًّا، إِمَّا فِي عَاجِلَةٍ تُلْبِسُهُ ثَوْبَ الصَّغَارِ، أَوْ فِي عَاقِبَةٍ تُورِدُهُ دَارَ الْبُورَارِ.

وَقَدْ حَمَدْتُ اللَّهَ - تَعَالَى - عَلَى مَا قَوَّاهُ عَلَيْهِ، وَأَجْرَاكَ إِلَيْهِ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ
يُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ خَيْرِ بَشِيرٍ وَمَبْعُوثٍ، وَأَفْضَلِ وَارِثٍ وَمُورِثٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَيَزِيدَ
دِينَهُ تَمْهِيدًا، وَالْمُجَاهِدِينَ فِيهِ عِزًّا وَتَأْيِيدًا، وَيُحَسِّنَ جِزَاءَكَ عَمَّا اخْتَرْتَ وَآثَرْتَ
وَأَبْلَيْتَ.

وَعَرِضَ كِتَابُكَ بِحَضْرَةِ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ الْمُؤَيَّدِ، فَاهْتَزَّ لِسَمَاعٍ مَا أُنْهِتَهُ، وَلَقَّاكَ
الرِّضَا عَمَّا أَتَيْتَهُ، كِفَاءً مَا تَقْتَضِيهِ هِمَمُهُ الَّتِي وَقَفَهَا عَلَى ضَمِّ نَشْرِ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ
شَعَثِ الْإِيمَانَ؛ فَعَمَّ اللَّهُ الْجَمَاعَةَ بِعَدْلِهِ، وَخَصَّ أَبْنَاءَ الطَّاعَةِ بِفَضْلِهِ، وَأَوْضَحَ
مِنْهَا جَاحَ الْحَقِّ فِي ظِلِّهِ، وَأَثَقَبَ سِرَاجَ الدِّينِ بَيْنَ عَزَمِهِ وَفِعْلِهِ، وَأَحْمَدَكَ عَلَى مَا أَبْدَيْتَهُ
فِي مُلَاقَاةِ الْكَفَرَةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ مِنْ نَجْدَةٍ وَبَاسٍ، وَشِدَّةٍ وَمِرَاسٍ، وَاعْتَدَكَ فِي خَاصِّ
خَدَمِهِ، وَرَصَدَكَ بِلَاحِقِ نَظَرِهِ، فَوَسَّيْتُكَ أَوْجَهَ الْوَسَائِلِ وَأَوْقَعُهَا، وَذَرِيعَتَكَ أَنْبَهَ
الذَّرَائِعِ وَأَرْفَعُهَا: جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَاجْتِهَادٌ فِي تَذْلِيلِ أَعْدَاءِ اللَّهِ

(١) استدَفَّ: اسْتَتَبَّ وَاسْتَقَامَ. لِسَانُ الْعَرَبِ، ج ٩، ص ١٠٦ (دَفَف).

(٢) فِي الْأَصْلِ: الثَّغُور.

المشركين، وبذل للمهجة في مَرَضَةِ الله، وتحمل للمشقة في ذاتِ الله.

وقد قبلَ مولانا ما قدَّمته من العذر، وتصورَ تشاغلَكَ عن المكاتبة بمصالح الثَّغر، ولا خِدْمَةَ عنده - أعلى الله جَدَّه - أدعى إلى نيلِ القُرْبَةِ، وأقضى برَفْعِ الرُّتْبَةِ، من الاشتغال بمثل شُغْلِكَ الذي تحمي به من حواشي الإسلام حاشيةً، وتسدُّ به من نواحي الجهادِ ناحيةً، وسينجزُ الله بموليِّنا الملكِ السَّيِّدِ والأميرِ المؤيِّدِ وَعَدَه، ويصدقُ عَهْدَه؛ فعزائمه في اجتثاثِ دَوْحَةِ الشُّركِ محصنة، قد آن أن يُنجزا ميعادَها، وصوارمُهما لاقتلاعِ عمدةِ الإفكِ مُرهفة، قد حان أن تهجرَ أَعْمَادَها، وسيُشاهدُ - بمشيئةِ الله عزَّ وجلَّ - عن قُرْبٍ - كيف تحفُّقُ / [٣٥ أ] أُلُويَةُ الحقِّ ورايائه، وكيف تُتلى قِوَارِعُ النَّصْرِ وآيائه، وكيف تجتمعُ حلقتا البِطَانِ^(١)، على عِبْدَةِ الأوثانِ والصُّلْبَانِ، فيُعذِّبُهم الله بكفرهم، ويُرِيهم وبألِ أمرهم، لا يجدون في السَّماءِ مُصْعَدًا، ولا على الغبراءِ مَقْعَدًا، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الذِّبِكِ خُلُوءًا مِنْ قَبْلِ^ط وَلَنْ تَجْدِلَ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٢)، فهذه الدَّوْلَةُ المحمودَةُ، والدَّعْوَةُ المسعودَةُ، هي التي أنشأها الله؛ لِيُعْمَرَ بها أَفْنِيَةُ الإِيْمَانِ، ويضعُضَ أبنيةَ البُهْتَانِ، ويعيدَ وَجْهَ الإسلامِ غَضًّا، ويتركَ جَمْعَ الضَّلَالِ مُنْقَضًا، له القُوَّةُ والحوُلُ، ومنه القُدْرَةُ والطَّوْلُ.

(١) البِطَانُ: الحزام الذي يكون تحت بطن البعير. يقال: التقت حلقتا البِطَانِ للأمر إذا اشتدَّ. لسان

العرب، ج ١٣، ص ٥٧ (بطن).

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٦٢.

وعنايتي بك عناية يُفَرِّضُهَا الدِّينُ، وَتَكْتُبُهَا^(١) وَتَقْتَضِيهَا صِحَّةُ الْيَقِينِ،
وَتَوْجِبُهَا؛ لَمَّا ظَهَرَ مِنْ حُسْنِ قِيَامِكَ، وَفَضْلِ اهْتِمَامِكَ، ثُمَّ لَمَّا اعْتَلَقَتْهُ مِنْ حَبْلِ
الْخِدْمَةِ لِمَوْلَانَا الْأَمِيرِ، فَمَا أَحَدٌ اعْتَصَمَ بِهِ إِلَّا أَكْثَبَ مُرَادُهُ، وَأَمْرَعَ مَرَادُهُ،
وَفَلَجَتْ حُجَّتُهُ، وَوَضَحَتْ مَحَجَّتُهُ.

وَقَدْ أَدَّى رَسُولُكَ مَا حَمَلْتَهُ، وَصَادَفَ مِنَ الْقَبُولِ مَا أَمَلْتَهُ، وَأَعَدْتُ إِلَيْهِ فِي
الْجَوَابِ مَا تَسْكُنُ إِلَيْهِ، وَتَعْمَلُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَذُمَّ - أَيْدِكَ اللَّهُ - عَلَى مَا أَنْتَ
بِصَدَدِهِ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى الْقَصْدِ مِنْ جَدِّهِ؛ فَإِنَّهُ الْمَنْهَجُ الْوَاضِعُ، وَالْمَتَجَرُّ الرَّابِحُ،
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

وَتَابِعْ كُتُبَكَ إِلَى الْحَضْرَةِ الْبَهِيَّةِ بِمَا يَتَجَدَّدُ مِنْ خَيْرٍ، وَيَتَسَهَّلُ مِنْ ظَفَرٍ، وَيُحَمَّدُ
مِنْ أَثَرٍ، وَيَعْرِضُ مِنْ وَطَرٍ؛ فَمَلَا حِظَّةَ مَوْلَانَا تَضُمُّنُ الْإِيجَابَ فِي مَطَالِبِكَ،
وَتَنْجِزِي يُسْفِرُ فِي تَقْرِيبِ مَا رِبِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(١) فِي الْأَصْلِ: وَيَكْتُبُهَا. وَهُوَ تَصْحِيفٌ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ.

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ، مِنَ الْآيَةِ ١٢٠.

وله

كتابي - أطال الله بقاء الأمير صاحب الجيش - والله تعالى عند موليئنا منائح
تتسابق إلى نهايات السعادة وآمادها، وتناسق بعبادات الزيادة وأعدادها، والحمد
لله رب العالمين، وصلواته على محمد نبيه وآله أجمعين.

وكان كتاب الأمير ورد علي مهنتاً طوله الذي لا أخلو من استغشاء لباسه،
واجتناء أغراسه، فسألت الله - تعالى - أن يُديم ما منحه ومنح به أوليائه، ويشكر
له عني ما لا أستطيع جزاءه.

وعرفت ما رآه الأمير صاحب الجيش في أمر الحاج اهتماماً منه بمصالح المسلمين
والإسلام، واختصاصاً لبیت الله الحرام، وعرضت ما ورد علي بحضرة مولانا،
فكان ارتياحه لمطلعه ومودعه كفاء ما عنده من الاهتزاز لكل ما يجري له صاحب
الجيش ذكراً، ويُعيره همّاً وفكراً. هذا إلى ما لديه من العناية السابقة، والرعاية
الصّادقة، / [٣٥ ب] لهذه العصابة القاصدة خير مقصد ومثابة، وأكرم بقعة
مُتّابة، وقد أقاموا في اجتيازهم وظلال الكرامة تقيهم، ونهضوا وأجنتحوا الحماية
تحميهم. وامتد المجمران معهم إلى الحضرة العالية، وسينهيان ما سارت به الرُكبان
عن مولانا الملك السيّد في تسيير وفد الله أجمعين بين أطراف محفوظة، ومصانع^(١)

(١) انظر ص ٨٦، حاشية (٣).

مَعْمُورَة، وَمَعَالِمُ مُنِيرَة، وَمَشَارِعُ غَزِيرَة، وَلِلْأَمِيرِ صَاحِبِ الْجَيْشِ فِي كُلِّ ذَلِكَ أَجْرُ
الْمُسَاهِمِ، وَثَوَابُ الْمُقَاسِمِ؛ فَالِدَالُّ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ كِفَاعِلُهُ^(١)، وَالشَافِعُ فِيهِ كَعَامِلِهِ.
وَحِينَ انْكَفَأَ الْمُجَمَّزَانِ أَنْهَيْتُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ إِلَيْهِ، وَجُدَّدْتُ ذِكْرِي لَدَيْهِ.

(١) من الحديث: «إن الدال على الخير كفاعله»، رواه الترمذي من حديث أنس بن مالك مرفوعاً،
السنن، ج ٥، ص ٤١، ح (٢٦٧٠).

وله

جواب الكتاب الوارد في إصلاح قنطرة النوبهار^(١)

كتابي - أطل الله بقاء مولانا الملك السيّد - والأمير المؤيّد موفور السّلامة ضافيا، مسعود في الأعمال التي يخلف فيها، والحمد لله وصلاته على نبيه محمد وآله.

ووصل ما خوطبت به من المجلس العالي بذكر قنطرة النوبهار، فتشرفت بما استُخدمت فيه، وأهلت للقيام به، وحمدت الله تعالى على ما يحضر مولانا الملك السيّد في كلّ حال وأمر من الاهتمام بمصالح الخلق، وحسن النظر لهم عن قرب وبُعد، والمآثرة في شأن هذه القنطرة عظيمة، والمثوبة جسيمة.

وقد جمعت وجوه القياسين والجصاصين والمصهرجين، وأخرجتهم إلى الموضع لتأمّله، وأوصيتهم ببناء الأمر على ما يقصد به التأييد والتخليد، ويؤمن عليه عدوان الماء عند الزيادة الحادة، وتقدّمت إليهم ببناء سدّ أمام القنطرة يدفع عن أساسها حدة الماء إذا كثر، فعلى هذا عملت القناطر المتقدّمة بهذه الدّيار، فلم تتمكّن السيول من الإضرار بها، وحددت أن يُقدّروا تقديرًا ما، وإن كان الاعتماد

(١) النوبهار: موضع قرب الري. ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٠٧.

في الإنفاقِ على ما يُخرجه العَمَلُ بأيدي الثقات.

وأشيرُ في الخطابِ العالِي إلى استخدامِ فلان في ذلك، وهذا أمرٌ يُحتاجُ له إلى مَنْ يلزم ذلك المكانَ ولا يفارقه إلى حين الفراغ، وفلانٌ محالفٌ للدَّارِ والخدمة، ولا يكاد يفرغُ أكثرَ نهاره، وخادمُ مولانا يستخدمُ في هذا غيره ممَّن ينوبُ منابه، ويقومُ فوق قيامه، ويُجري المالَ على يدِ فلان، وينهي أمرَ التقديرِ إذا عاد القياسون، ويتبدى بابتِباعِ الآلاتِ؛ لتكونَ مُعدَّةً لأنحسارِ البرد. ونسألُ الله التَّوفيقَ لشروطِ الطَّاعة.

[٣٦] وله

كتّابي، ونَعَمْ اللهُ عندَ مُؤَلّانا على ما يرفع نواظرَ خدَمِهِ، وأنا سالمٌ بِكَرِيمِ نَظَرِهِ،
والحمدُ للهِ، وصلّاته على النّبِيِّ مُحَمَّدٍ وآله.

ووصلَ كتابُ سيّدي فسَرّني ازديادُ الدّارِ قِرباً، وما تولّاهُ به [الله^(١)] في مَسِيرِهِ
كفايةً وحِفظاً، وسألته أنْ يجعلَ مواهبَهُ لَدِيهِ دَارَةً لا يَنْقَطِعُ لها مَدَدٌ، ولا يَقِفُ بها عَدَدٌ.
وقد كانَ مُؤَلّانا مُتَطَلِعاً لأقرب أخباره عهداً، وأذناها وزدّاً، وارتاحَ لما أُنْهَيْتُهُ،
وأنسَ بما حَكَيْتُهُ. وكانَ رَسْمُ تَسْمِيَةِ مَنْ يَسْتَقْبِلُ سيّدي ويشحنُ بالخدمَةِ طريقَهُ،
وفي هذا خَرَجَ فلانٌ فيمنَ أُصْحَبَ من القُوداد، والله يوفّقهم للتَقَرُّبِ إِلَيْهِ،
والتخفّفِ بَيْنَ يَدَيْهِ، ويسعدُنِي بِوُدِّهِ، وكريمَ عَهْدِهِ.

فأمّا الحَجيْجُ، فمُؤَلّانا على اِهْتِمَامٍ بِأُمُورِهِمْ، ومُراعاةٍ لأحوالِ جُمهورِهِمْ،
ومُلاحظةٍ لَسِيرِهِمْ؛ حتّى يَقْعُوا^(٢) في ظِلِّ الصَّوْنِ والسَّدادِ، ويأْمَنُوا عَوَارِضَ
العَيْثِ والفَسادِ، وإذ قد [ورد]^(٣) الأمرُ المِثْلُ بِذلك من الحَضرةِ العالِيَةِ، فإنَّ
النافلةَ فِيهِ تَعَوُّدُ فَرَضاً حَتْمًا، وحُكْمًا جَزْماً، ومَتى وَرَدَ الكِتابُ بِذِكرِ انْفِصالِهِمْ
أَخْرَجَ العُدَدَ والعَدَدَ الجَمِّ مِنَ الأوْلِياءِ - وَلِيَهُمُ اللهُ - لِيُورِدَهُمْ - بِإِذْنِ اللهِ -
مَكْنُوفِينَ مَحَوِّطِينَ، مِنْ أَعْيُنِ مَحْرُوسِينَ.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل: يقع. والصواب ما أثبتناه.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

وله

فصلٌ في أمر الحاجّ

فأمّا الحاجّ - أحسن الله كفايتهم، وأجمل حمايتهم - فقد اعتدّ الأمير المؤيّد بما
رسم إنشاءه في أمورهم، وابتدأه من هزّ لحقوقهم؛ إذ كان جمال ذلك ليس بخافي
الخبر، ولا عافي الأثر، بل هو مُسعدٌ ديناً ودنياً، ومُحمد البدء والعقبى، ومن أولى
بأن يَهدي للمحبّة الوسطى، ويُنبه على مواقع الخير والهدى من الأمير! وهو علّم
في العلم بالسياسة، وجامع مصلحة العامة إلى مصلحة الخاصة، وقد لزمني عن
كل كتاب وصل شكرٌ أستاذفُ فرضه وأستجدُّ، واعتداً أجتهدُ في حقه وأجدُّ.

وقد كان الأمير - حين عرّف انفصال الحاجّ - رسم إنهاض من ينفض
السبل، ويقدم الرفق، ويسير آخر من ورد. ووصلوا مكنوفين، وهم على الخروج
مخوطين، وقد نفذت الكتُب مدّ الطريق بما يبعث الجميع على إعزازهم، وإكرامهم
في مجازهم، وهم بذلك عاملون متقيلون، بمشيئة الله.

[٣٦ ب] وله

كتابي - أطل الله بقاء الأمير صاحب الجيش - ومولانا الأمير المؤيد مستفيد من مزيد العز والنعم ما يطابق مواقع البغية، والحمد لله رب العالمين، وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين.

ووصل كتاب الأمير الجليل قد ألبسني فيه من مستجد التقرّيط مع قصري بنفسي على رتبة التفرّيط، ما أحسن ظني بأمرّي وقد ساء، وعظم عليّ منه كيف شاء، فقول الأمير حتم، ورضاه شرف ومجد، وحمده ذخيرة وعزّ.

وقد عرفت ما أحمده الأمير من جميل نشر الحجيج عن هذه الحضرة، وكل الذي بلغ ويبلغ بالمنفصلين عن تلك البقاع - حرّسها الله - فظلال الأمير تمتد عليهم، وسحائب اهتمامه تنصب إليهم، معتقداً وجوبه، مستشعراً لزومه، مقررّاً بالقصور عن المفروض منه، غير مستدعٍ^(١) - بعد قبول العذر - الشكر عنه، ومهما وفّقني الله له في هذه الأحوال فبرأي من الأمير حسن فيّ، وأراني الرشد، وهاداني القصد. أعانني الله على ما يُزلف لديه، كما بسط بأنواع العرف يديه.

(١) في الأصل مستدعي. وهو خطأ نحوي والصواب ما أثبتناه.

وله

كتابي - يا أخي وأثيري - أطل الله بقاءك - ومولانا مؤيد الدولة سالم في نفسه، محروس في ملكه، موفق في أمره ونهيه، وأنا معافي في ظله الظليل، موفق بدولته أحكام التأميل، والحمد لله وصلواته على خيرته، محمد النبي وعترته.

ووصل كتابك صادراً عن الثغر - أحسن الله وقايتة، وأجمل رعايته - بعد أن ترقب لصديق الاهتمام بخبرك وحالك، وأحوال أتباعك ورجالك؛ إذ كان مولانا - والله يعز سلطانة، ويعلي شأنه - يراعي من أمور الثغر ما ستصبح - إن شاء الله - مناهجته، وتظهر نتائجه، فيزداد دين الله ظهوراً، وأعداء الله ثبوراً، وقد أنس - كبت الله حساده، ورفع عمامه - بما أنهيت من حسن قيامك في حراسة ما إليك، وسياسة من لديك، والغلبة على الكفار عند الإيمان، وعبد الصلبان.

وقد رسم - أدام الله علوه - أن تعد في المستخلصين من أوليائه، والمختصين بحسن رأيه، ولذلك توابع من كرمه، وشوافع من نعمه، وقد وفقت في التماس الخطوة، كما وفقت في إقامة الدعوة، / [٣٧ أ] ومهما ازددت على الكفار بأساً وشدة، زادك - أدام الله سلطانه - إكراماً وقربة، وضاعف لك بعد رتبة رتبة، فأحسن - أيدك الله - الثبات على أمرك، وقوّ بصائر القائمين بنصرك؛ فإن الكفار - وإن كانوا ذوي عدد كثير - قيد الخذلان يقللهم، وعز الإيمان يذلهم، والله الكافل للدين، والقاصم للملحدين.

وعندي لك - أيديك الله - الإكبار الذي يتبعه الإيثار، والإكرام الذي يشفعه
الإنعام، كما يفرضه العقد الصحيح، والدّين الصّريح، ثم ما أنبأ به كتابك من
فضلك، ودلّ عليه من وفور عقلك. وإذا وردَ رسولُك، أكرمَ مورده، وأحسنَ
مصدره، بإذن الله، فتابعَ كتبك، واذكرَ أنباءك وما ربك، إن شاء الله.

وله

كتابنا عن سلامة، قد وَصَلَهَا اللهُ بِحُسْنِ الْوَلَايَةِ، وارتفاعِ الرَّايَةِ، والحمدُ اللهُ
ربَّ العالمين، وصلواته على النبيِّ محمدٍ وآله أجمعين.

وَوَصَلَ كِتَابُكَ - أَيَّدَكَ اللهُ - صَادِرًا عَنِ الشَّعْرِ الْمَعْصُوبِ بِكَ - حَرَسَهُ اللهُ -
وقد كُنَّا لَهُ مُتَطَلِّعِينَ، وَلَمَّا أَنْهَيْتَهُ مِنْ خَبْرِكَ مُتَوَقِّعِينَ، كَفَاءَ مَا فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى فِي
حُكْمِ الدِّينِ، مِنْ إِعْظَامِ إِعْلَامِ الْمُجَاهِدِينَ؛ فَسَرَّنا مَا أَنْبَأْتَ عَنْهُ مِنْ اسْتِقَامَةِ الْأَمْرِ،
وَلُطْفِ كَفَايَةِ اللهِ فِي مُهَمَّاتِ الشَّعْرِ، إِلَى مَا وَصَفْتَهُ مِنْ حُسْنِ مُشَايَعَتِكَ، وَحُسْنِ
مُؤَالَاتِكَ وَمُنَاصَحَتِكَ، وَإِقَامَتِكَ الدَّعْوَةَ لَنَا سَالِكًا أَحْمَدَ الْمَذَاهِبِ، وَحَافِظًا فِي
طَاعَتِنَا أَسْعَدَ الضَّرَائِبِ.

وَأَحْوَالِ الثَّغُورِ مِنْ أَهَمِّ مَا تُرَاعِيهِ، وَأَخْصَصْ مَا نُخْلِصُ الْإِهْتِمَامَ فِيهِ،
وَسَتَكْشِفُ الْأَيَّامُ - بِمَشِيئَةِ اللهِ - عَمَّا شَحَذْنَاهُ مِنَ الْعَزَائِمِ، وَأَرْهَفْنَاهُ مِنَ
الصَّرَائِمِ^(١)، حَتَّى يَنْجِزَ اللهُ تَعَالَى - عَلَى أَيْدِينَا - وَعْدَهُ، وَيَنْصُرَ - تَحْتَ رَايَتِنَا -
جُنْدَهُ، وَيُعِزَّ الدِّينَ وَحَفَدَتَهُ^(٢)، وَيَذِلَّ الصَّلِيبَ وَعَبَدَتَهُ، فَكُنْ - أَيَّدَكَ اللهُ - عَلَى
عَزِيمَتِكَ الثَّابِتَةِ، وَبَصِيرَتِكَ الصَّائِبَةِ، فَإِنَّ اللهَ يَتِمُّمُ الْإِنْعَامَ وَيُسَبِّغُهُ، وَيَقْدِفُ بِالْحَقِّ

(١) فِي الْأَصْلِ: الْعَزَائِمِ، تَكَرَّرٌ وَسَهْوٌ.

(٢) الْحَفْدَةُ: جَمْعُ حَافِدٍ: الْخَادِمِ وَالْمَعِينِ. لِسَانُ الْعَرَبِ، ج ٣، ص ١٥٣ (حفد).

على الباطل فيدمغه^(١)، وإن أمهل الكفرة إلى حين، وأملى لهم بكيدٍ متين.
وعنايتنا لك - أيديك الله - شاملة، وأمدادُ نظرنا - متى أردت - متواصلة،
ومعونتنا لأبناء الجهادِ مبذولة، وسُيوفُ أوليائنا على أبناءِ الإلحادِ مَسْلولة، فاقو
نفساً وظهراً، ورأياً وأمراً، ولا يهولَنَّكَ كثرةُ الأَرْجاس؛ فإنَّهم أزوادُ الضُّباع،
وأكالُ السُّباع، ومشارِعُ / [٣٧ ب] السُّيوف، ومراتعُ الحُتوف، كثيرُهم قليل،
وعزيزُهم ذليل، وهم بين سواتين: إمَّا إِملاءٌ بمقتٍ - من الله - عظيم، أو
إِفْضاء^(٢) إلى عذابٍ أليم، كما أنَّ المجاهدينَ في سبيلِ الله بين حُسنيين: إمَّا سعادة
في الحياة الدنيا، أو شهادةٌ في التي هي خيرٌ وأبقى، والله وليُّ تأييدِكَ وتسدِيدِكَ،
وتَقوية أنصارِكَ وعَدِيدِكَ.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ سورة الأنبياء، من الآية ١٨.

(٢) في الأصل: إِفْضاء. وهو تحريف.

الباب الخامس

في الاستعانة بالقبول أو الرفض

والتي هي فيهم بمسئلتهم

وبما في ذلك

كتابُ

تَوَدُّدٍ وَاعْتِذَارٍ مِنْ تَأْخِيرِ إِطْلَاقِ

كتابي - أطالَ اللهُ بقاءَ الأميرِ صاحبِ الجيشِ - وَنِعَمُ اللهُ عِنْدَ مَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ فِي تَهْذِيبِ الْأُمُورِ، وَتَسْهِيدِ الثَّغُورِ، وَتَزَايِدِ النَّصْرِ الْمُبِينِ، وَشَفَاءِ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ - عَلَى أَفْضَلِ مَا وَعَدَ تَعَالَى وَعَوَّدَ، وَجَدَّدَ فِي حَالٍ وَمَهَّدَ. وَمَوْلَانَا مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ مُصَحَّحُ فِي جِسْمِهِ، مُوَفَّقُ فِي بَسْطِهِ وَقَبْضِهِ، وَحَلَّهْ وَعَقْدِهِ، وَمَا أُرَاعِيهِ جَارٍ أَحْمَدَ مَجَارِيهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَاتُهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ.

وَوَصَلَ كِتَابُ الْأَمِيرِ عَلَى عَادَتِهِ لَدَيَّ فِي مَبَرَّةٍ يَصِلُ أَسْبَابُهَا، وَيُوَثِّقُ أَطْنَابُهَا، وَيَتَابِعُ عَدَدُهَا، وَيَلْتُمُ مَدَدَهَا، وَلَوْ قَدْ كَانَ الشُّكْرُ وَفَى بِسَالِفِ مَا أُولَى؛ لَرَجَوْتُ أَنْ يَسْتَقِلَّ بِفَرْضٍ مَا نَسْتَقْبِلُهُ، وَيَقَابِلَ أَنْفَ مَا يُحَوِّلُهُ، وَلَكِنْ فَضْلُهُ بَتَوَالِيهِ يُعْجِزُ عَنْ أَمَدِ الْوَجُوبِ، وَيَقِفُ بِصَدَدِ الْقُصُورِ وَاللُّغُوبِ، فَأَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ فِي نِعَمٍ تَكْنِفُهُ غَيْرَ مُنْحَسِرَةٍ، وَتَشْمَلُهُ غَيْرَ مُقْصَرَةٍ، وَأَدَامَ عَلَى الْمَكَارِمِ إِعَانَتَهُ، وَإِلَى الْمَآثِرِ هِدَايَتَهُ، إِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

وَقَدْ أَدَّى فَلَانٌ مَا تَحْمَلُ بِذِكْرِ الضِّيَاعِ وَالْتِمَاسِ حَلِّهَا، وَاسْتِخْلَاصِهَا لِحَقِّهَا،

وعرض ما ورد من الحضرة البهيّة بذكرها، ووصف اهتمام الأمير بأمرها، فصادف الجميع عند مولانا ارتياحاً للخطاب، واهتزازاً للاطّلاب، ومحبةً لأن تكون تلك الأملاك مقرّرة على سبلها، وما تحوي في وجوه دخلها. وقال - أدام الله علوه -: إنّ أمثالها لو أُريدت لأصغر من على ذلك / [٣٨ أ] الباب؛ لما رأينا غير الإسعاف والإيجاب، فكيف بالأوجهِ رتبة، الأنبياء قُرْبَةً؟!

هذا، والأمير صاحب الجيش الوسيط والمشير، فلا خلاف عليه، فيما يومئ بالإيثار إليه، إلّا أنّ الدليل يُعرف صورهم في الإقطاعات إذا علّقوها وفارقوها، وتملكوها وفكّوها، وأن ارتجاع ما يُراد تخليصه منهم مُقتضى أدنى ترفقٍ وتمهل، والإرضاء بالإبدال من دون تهجم وتعجّل، ولولا ذلك لما عاد الرسول إلّا بالإجابة التي كانت النفس معها أذهب، ولها أطلب، وقد مثّل لي أن أشغل كُتاب الجيش والإقطاع بتعويض من رضي بالمعوضة، والإسعاف بالزيادة والمعونة. وهذا أمرٌ يلزمني فيه مع امتثال الأمر بذل الجهد، واستغراق الوسع، وسيأتي - بمعونة الله - ما يقرب المدّة ويُدنيها، ويُيسرها ولا يُراخيها.

وله

كتابي - أطل الله بقاء الشيخ - ومولانا الأمير سالم النفس، مُتَظَاهِرُ الْعِزِّ،
مُخَيِّمُ السَّعَادَةِ، نافذُ الأَمْرِ، وأنا بدولته - ثَبَّتَهَا اللَّهُ - مُسْتَقْلُّ الْجِسْمِ، مَكْنُوفٌ مِنْ
اللَّهِ بِلُطْفِ الصُّنْعِ، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين.

ووصل كتابُ الشيخ؛ فكان الوافِدَ المؤَثَّرَ، والواردَ المنتظرَ، وتضمن من أنباء
الحُضرة في السلامة المجللة، والسَّعادة المتَّصلة، والمسارَّ المتوالية، والمحابِّ الجمَّة
الضافية؛ ما يقيم النفوسَ، ويشرح الصدورَ، ويرفعُ نواظرَ الأحرارِ، ويُرضي عن
مَجاري الأقدارِ، لا زالت نِعَمُ اللَّهِ لديه مَحْرُوسَةً عن التَّنكُّرِ، مَحْظُورَةً عن التَّغْيِيرِ،
باقيةً بقاءَ المُسندِ، ناميةً انتهاءً الأبد.

وعرفتُ من خَبَرِ الشيخ في نَفْسِهِ، والخاصِّ والعامِّ من أمرِهِ، ما يُهَيِّئُنِي
المواهبَ، ويُمَلِّئُنِي المنحَ الرَّواتبَ، ففي حِرَاسَةِ اللَّهِ لِرِبَاعِهِ، وبَسْطِهِ لِأَمْلِهِ وبَاعِهِ،
جَمَالٌ لِلْفَضْلِ، وَمَنْ أَخَذَ مِنْهُ بِخَصْلِ، وَقُوَّةٌ لِلكَرَمِ، وَمَنْ حَظِيَ مِنْهُ بِقَسَمٍ، فَأَدَامَ
اللَّهُ مَا آتَاهُ، وَأَحْمَدَهُ عُقْبَى كُلِّ أَمْرٍ وَمَأْتَاهُ.

والذي يَأْتِيهِ الأميرُ في مُواصلةِ مولانا لمخاطبته، ومُرَاسَلته، وعمارةِ مَسالكِ
بِرِّهِ وشفقته، فقد غرس في صدره، من وُدِّهِ، ما لم تسمع الآذانُ بِشِبْهِهِ، ولا يُوفي

العيانُ بكنْهه، فكيف الخبرُ بتَقْصِي حَقِّه، والإصابة في وَصْفِه. وقد عَرَضَ فلان ما صَحِبَه / [٣٨ ب] من المكاتبات، ورَدَفَها من المشافهات، وعَزَّزَها من المبرَّات، فكان لكلِّ منها أَحْصُ مَوْقِعٍ في الاعتداد والتقبُّل، والزيادة في الحمد والتَّحْمُد.

أمَّا الخطابُ: فلمَّا تَضَمَّنَ من خَبرٍ مؤنسٍ للنفس كان متوقِّعاً، وأمَّا الشفاه: فلتفاوضٍ بودائعِ الصِّدر كان متطلَّعاً، وأمَّا التُّحف: فلرفعِها كُلفَةَ الاحتشام، ودفعِها سُدفَةَ الانقباض، وفسحِها الطريقَ إلى إِيثار الاسترسال، والجري على سنن الانبساط في كلِّ حال.

ولمَّا تيسَّر، لفلان وقتُ الإياب، وحَمَلَ ما وَجَبَ في كلِّ باب؛ كاتبُ الشيخ بمواصلته التي تهدي إلى الصِّدر رَوْحاً ومَسْرَةً، وللطَّرْف جلاءً وقوَّة، وعلى ذكر فلان، فهو السَّديدُ أداءً وسَماعاً، الحقيقُ تقديماً واصطناعاً، ما أعرَّته - يشهد الله - شهادةً، ولا أعطِيته فيها زيادةً، فقد أَحْمَدَ مَوْرَدَه ومصدره، وارتضى مطواه ومنشَرَه، ومَوْلانا أُولى بما قِيلَ في عَظِيمٍ من الكرام؛ سهلُ الحجاب، مؤدَّبُ الخَدَّام، ورأيَ الشيخ في مُواصلتي بكتبه، وتَضَرُّفي على ما رَبَه، موفقٌ، إن شاء الله.

وله اعتذار وإيجاب

كتابي - أطل الله بقاء الإصفهيد^(١) - ومولانا ثابت معاقد العز والقدرة، راهن عوائد الملك والبسطة، وأنا في ظليل ظلّه محظوظ من إحسان الله وفضله، والحمد لله.

وقد أتتني للإصفهيد كتب تحملت من جميل قوله ما لا أستبدعه مع خلوص وده، وتضمنت من لطيف برّه ما لا أستغربه مع خصوص عهده، ووقفت على آخر ما أهدته مخاطبته، وأدته مراسلته، وعجبت من الأحوال التي كانت سبقت إلى فكره، وانتهت إلى تضيق صدره، فقد علم الله مالک الشقاء والسعادة، وعالم الغيب والشهادة، أني منذ وصل الله حبلى المشاركة بيني وبين الإصفهيد أخذ نفسي في الإشفاق على بيته ونعمته، والإيثار لمحبيته ومصلحته، بما لا أحسب أحداً يُحاسب ضميره على مثله، ويجده في مودع سرّه، ومتصفح جهره؛ لأمر؛ منها: مكانه العظيم في مشايخ الدعوة، / [٣٩أ] وموقعه الشريف من الإكبار والخطوة، وتصرفه للدولة السامية مع الإخلاص الغض، والوفاء المحض، في حالي الضرورة والاختيار، وزماني الكراهة والإيثار. ومنها: أن التعصب لبيته الرفيع، وشرفه الواسع، واجب على كل ذي جبلّة صحيحة، وأرومة صريحة.

(١) لقب ملوك طبرستان القدماء. البيروني، الآثار الباقية، ص ١٠١. لكن المقصود هنا قائد الجيش.

ومنها: ما في الطُّبَاع من مُقَابِلَةِ الْجَمِيلِ بِالْجَمِيلِ، وَمُكَايِلَةِ الْوَدِّ الْوَكِيدِ بِالْإِخْلَاصِ الْبَلِيغِ، وَقَدْ أَظْهَرْتُ لِي الْإِيَّامُ مِنْهُ مَا عَقَدْتُ عَلَيْهِ بَنَانِي، وَأَنْصَبْتُ إِلَيْهِ بِجَنَانِي. هَذَا إِلَى سَائِرِ الْبَوَاعِثِ الَّتِي يَكْثُرُ تَعْدِيدُهَا، وَيَصْعُبُ تَحْدِيدُهَا.

وَكَانَ مِمَّا يَقْرُءُ عَيْنِي فِي بَابِهِ، وَيُشْرَحُ صَدْرِي لِأَسْبَابِهِ؛ مَا أَجَدُّ عَلَيْهِ مَوْلَانَا إِكْبَاراً لَوْزِنِهِ، وَإِثَاراً لَبَسْطِهِ، وَتَحْسِيناً لِدُكْرِهِ، وَاهْتِمَاماً بِأَمْرِهِ، فَإِنْ وَقَعَ فِي وَقْتِ اسْتِبْطَاءٍ فَعَنْ غَيْرِ تَنْكُرٍ، وَلَا تَنْمُرٍ، وَلَا اعْتِرَاضٍ تَغْيِيرٍ وَلَا تَذَمُّرٍ، بَلْ كَمَا لَا يَخْلَى مِنْ مِثْلِهِ الْأَعْمَامُ، وَالْأَقَارِبُ الْكَرَامُ، وَكَيْفَ جَازَ أَنْ يَتَخَالَجَ الْإِصْفَهَبُ رَيْبٌ، أَوْ يَغْشَى فِكْرُهُ رَيْنٌ، بِتَسْرِعٍ مُتَسَرِّعٍ إِلَى مِضَارَّتِهِ، وَتَعْجَلٍ مُتَعْجَلٍ إِلَى مُحَادَّتِهِ، لَمْ يُرْفَدْ بِإِذْنٍ، وَلَمْ يُخْلَ مِنْ عَنْبٍ.

وَسَطَّرْتُ هَذَا الْكِتَابَ بِخَطِّي؛ لِيَزْدَادَ الْإِصْفَهَبُ إِلَيْهِ سُكُونًا، وَعَلَيْهِ عُكُوفًا؛ فَلَعَلَّهُ قَدْ عَرَفَ مِنِّي أَنِّي لَا أَطْلُقُ يَدِي إِلَّا بِمَا أَقْبَلُهُ يَقِينًا، وَأَلْبَسُهُ بُرْهَانًا مُبِينًا، فَلْيَتَحَقَّقْ أَنَّ مَكَانَهُ مِنْ رَأْيِ مَوْلَانَا مَكَانٌ لَا يَهْتَدِي لَهُ الزَّمَانُ، وَلَا تَوَثَّرُ فِيهِ الْإِيَّامُ، وَلَا تَجْرِي بِخِلَافِ اسْتِقْرَارِهِ الْأَوْهَامُ. أَعَانَ اللَّهُ الْإِصْفَهَبَ عَلَى اسْتِحْفَازِ ذَلِكَ بِدَوَاعِيهِ، وَغُرَرِ مَسَاعِيهِ.

وَفِيهَا يَكْتُبُ بِهِ فُلَانٌ - مِمَّا سَمِعَهُ لَفْظًا، وَوَعَاهُ عِنْدَ مَوْلَانَا حِفْظًا - غُنِيَّةً دُونَ التَّطْوِيلِ، وَعُمْدَةً تَوَثَّلُ الْاسْتِنَامَةَ كُلَّ التَّائِيلِ، وَسَيَعْرِفُ مِنْ نَتَائِجِهِ مَا يُقَرُّ النَّاطِرَ، وَيُسَلِّمُ الْخَاطِرَ، وَيُحْمَدُ الْعَقْبَ، وَيُنْفِي الرَّيْبَ، بِإِذْنِ اللَّهِ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يُخَاطَبَنِي مُوَاصِلًا، وَيُبَاسِطَنِي مُطَاوِلًا؛ فَعَلَّ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وله

في إظهار المشايعة والبسط

كتابي، وأمور الحضرة على ما عود الله فيها من الرجاء رفعة شأن، ومنعة سلطان، والحمد لله وصلاته على نبيه محمد وآله.

ووصل كتابك بوصف ما شاهدت عليه فلاناً مقاماً على أجل ما وعد الوفاء عنه، وشاهدته عين الثقة / [٣٩ ب] منه، وعرفته وسائر ما توليت الإبانة عن صورتها، والتحدث بحقيقته.

وقد علمت أن مودتي لفلان ليست لدواعي الرغبة، وبواعث الرهبة، وإن كان مرغوباً إليه، ومرغوباً منه، وإثماً قصدي عمارة موقعي من رائه، وأن يعدني في أول نصحاته، كما أعد نفسي أولى أوليائه؛ وأن يحفظ الله نظام هذه الأمور التي وكّدت دعائمها، ورفعت معالمها، وكبت حسدتها، وقمع عندها، ويكون ما خلاص له عند مولينا راسخاً على الدهور، وثابتاً على اختلاف الأمور، لا ترتقي همّة الأيام إلى فسحِهِ وتحويلِهِ، ولا تقوى مُنّة الزّمان على حلّه وتبديله، وأن يعلم - في مصارف الأقاليم - أني ما توسّطت أمراً إلا حفظت شرائطه وحرستها، ورفعت مبانيه التي ابتدأتها وأسستها، لا سيما إذا كان موليانا - كبت الله حسدتها - لا ينقضان ما أبنيه، ولا يقفان ما أمضيه.

وكان فلانٌ - على ما أقدر؛ بل أتيقن، وأحسب، بل أتتحقق - يُحلّني محلّ مَنْ
يُرجع إليه، ويُعوّل على ما لديه، ويعلم أنه لا يريدُ بما يُنقُصُ ويُبرم، ويؤخّر
ويقدّم، إلّا ما هو أَرْضَى لذات البين، وأحمدُ على مرّ الجديدَيْن.

وزادني ارتياحاً لما وَرَدَ منك أنّ هذه الأيام التي غبتُ فيها شُجنتُ صُدورها
وأعجازُها، وبُكرُها وآصالُها، بكتُبِ مَوْلانا تتضمّن من ذكرِ فلانٍ ما فسح لي في
مذاهب الجدَل، كما حقّق سَوابِقَ الأمل، وأنكر - حَرَسَ الله مُلكه - ما أقدم عليه،
وتقدّم [به] ^(١) المشكُوكُ إليه، إنكاراً كالتنكّر، واستبطاءً كالتمنُّر.

لا جَرَمَ أنّي أصدرتُ كتابك على جهته، وكتابُ فلان كهيتته، بعدَ تقديمي
مخاطبات، وإسلافي مقدّماتٍ، اقتضاها ما كان المنابدون يُرجفون به، ويؤجفون
فيه، من أذاليلٍ شهدتُ بطلانها، وأباطيلٍ نصصتُ على بُهتانها. وتوقّعي قربَ
عودِكما يُعني عن الإطالة، فلا يقعن تأخراً دون التعجّل، ولا توقّفٌ دون التسرّع.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

وله

فِي تَحْقِيقِ الْأَمَلِ وَأَمْنِ الْمَحْذُورِ

كتابي، ومَوْلانا سابغُ السَّلامةِ والسَّعادةِ، ونِعَمُ اللهُ لديه مَضمونَةٌ / [٤٠ أ]
العادة والزيادة، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلواته على النبي محمدٍ وآله أجمعين.

وَوَصَلَ كِتَابُكَ؛ فَانْسِنِي اللهُ بِمَا أَحْسَنَ مِنْ تَأْدِيتِكَ، وَأَجْمَلَ مِنْ صَحَابَتِكَ،
وسألتُهُ أَنْ يَكُنْفَكَ بِالْخَيْرَاتِ دَانِيًا وَنَازِحًا، وَصَادِرًا وَوَارِدًا، وَعَرَفْتُ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ
مِنَ الْأَمِيرِ ثَبَاتًا عَلَى وَثِيقِ الْعَقْدِ، وَإِخْلَاصًا فِي حِفْظِ الْعَهْدِ، وَكَانَتِ السَّعَادَةُ
الْمَقْسُومَةُ لِأَيَّامِهِ بِذَلِكَ وَاعِدَةً، وَعَلَيْهِ مَعَاهِدَةٌ، وَالثَّقَةُ مِنْ مَوْلَيْنَا - أَدَامَ اللهُ
عُلاَهُمَا - تَامَةً، لَا يَتَغَيَّرُ عَلَيْهَا غَيْبٌ، وَلَا يَتَمَشَّى إِلَيْهَا رَيْبٌ، وَلَكِنِّي - بِمَا أُدِينُ لَهُ
مِنْ طَاعَتِهِ، وَأَنْصَبُ إِلَيْهِ مِنْ مَشَايِعَتِهِ، وَأَفْرُضُهُ عَلَى نَفْسِي مِنَ الْمَشُورَةِ بِمَا هُوَ إِلَى
صَعُودِ جَدِّهِ أَقْرَبُ وَأَدْنَى، وَبِسُعُودِ نَجْوِهِ أَحْكَمُ وَأَقْضَى - أَحَبُّ أَنْ تَكُونَ
الْأَحْوَالُ وَاضِحَةً الصَّفْحَةِ، رَابِحَةً الصَّفْقَةِ، مَحْرُوسَةً عَنْ عَوَارِضِ الشُّبْهَةِ،
مَحْفُوظَةً عَنْ عَوَاقِقِ الْمِرْيَةِ، لَا سِيَّما إِذَا كَانَتِ الْمُؤُونَةُ فِي ذَلِكَ خَفِيفَةً لَا تُجْهَدُ حَالًا،
وَلَا تُتَوَقَّعُ اخْتِلَالًا، وَكَانَتِ الْجَنْبَةُ الَّتِي وَصَلَ اللهُ السَّبَبَ بِهَا أَعْلَى جَنْبَاتِ الْعَالَمِ،
وَأَجْمَعَهَا لِلسُّلْطَانِ الشَّامِخِ، وَالْعِزِّ الرَّاهِنِ، وَالْمُلْكِ الشَّامِلِ.

وَكُنْتُ - مَعَ هَذَا - الْمَتَطَوِّقُ لِلْوَسَاطَةِ، وَالْمَعْتَنِقُ لِلْسَفَارَةِ، وَالنَّازِرُ بَيْنَ الْمَوَالَاةِ
وَالْكَفَالَةِ، وَلَا غَرَضَ أَرْمِيهِ، وَلَا مَغْزَى أَنْتَحِيهِ، إِلَّا أَنْ يَحْرَسَ اللهُ نِعَمَهُ عِنْدَ مَنْ

عَمَر صدرِي بِمَحَبَّةِ أَيَّامِهِ، وَيُظَاهِرَ مِنْحَهُ لِمَنْ وَقَفَ فِكْرِي عَلَى مَصْلَحَةِ أَمْوَالِهِ
وَبُلْدَانِهِ، وَاللَّهُ يَشْفَعُ هَذِهِ الشَّوَافِعَ بَعَيْنِ حَوَاطِهِ، وَيَدُ صَوْنِهِ. وَلَوْلَا تَقْرِيئُكَ الْأَمَدَ
فِي الْعَوْدِ؛ لَكُنْتُ أَبْسِطُ الْخَطَابَ، وَأَفْرُشُ الْكَلَامَ، وَلَكِنِّي أَجِدُ الشِّفَاءَ أَعَذَبَ
مِنْهَا، وَأَقْرَبَ مَتَنَاوَلًا.

وقد أصدرتُ كتابك إلى الحضرة العالية؛ لأدفعَ في صدر الأكاذيب المتواليّة،
وحداني على ذلك أنّ مُحَاطَبَاتِ مَوْلَانَا تَتَابَعَتْ عَلَى أَيْدِي رُسُلٍ مُتَقَاطِرِينَ، وَفِيوَجٍ^(١)
مُتَظَاهِرِينَ، مُتَضَمِّنَةً مِنْ ذِكْرِ الْأَمِيرِ مَا يَشْهَدُ اللَّهُ أَنَّهُ رَفَعَ نَظْرِي، وَجَمَعَ خَاطِرِي؛ إِذْ
دَلَّ مِنَ الْإِهْتِمَامِ عَلَى مَا لَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ ذَلِكَ الْكَرَمِ الْفَسِيحِ، وَالْمَجْدِ الصَّرِيحِ، وَلَا
يُسْتَحَقُّ إِلَّا فِي هَذَا الْجَنَابِ، الْوَاسِعِ الرَّحَابِ، الشَّرِيفِ النَّصَابِ، وَتُؤَوَّلُ مَنْ كَانَ
شَكَى مِنَ اللَّوْمِ بِأَحَدِهِ غَرَارًا، بَلْ مِنْ الذَّمِّ بِأَشَدِّهِ إِنْكَارًا. وَأَمَّا اعْتِدَادُ مَوْلَانَا بِمَا
يَخْصُهُ^(٢) مِنْ وَدِّ الْأَمِيرِ مَوْلَايَ؛ فَمَا أَرْضَى عِبَارَتِي لِلْإِخْبَارِ عَنْهُ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ / [٤٠ ب]
قَاصِرَةً؛ لِبَلُوغِهِ^(٣) النِّهَايَةَ الَّتِي لَا تُدْرِكُ، وَاسْتِيْلَاءَهُ عَلَى الْأَمَدِ الَّذِي لَا يُلْحَقُ، وَلَوْلَا
أَنْ ذَكَرَ الْوَصْلَ بَيْنَ الْعِظَمَاءِ تَتَنَزَّهُ عَنِ الْإِبْتِدَالِ لِلْوَصْفِ؛ لَاجْتِهَدْتُ فِي قَصْدِ الشَّرْحِ
وَالْكَشْفِ. وَأَنَا أَرْجُو أَنْ تُغْنِيَ بِقَرَبِ الْإِيَابِ، عَنْ اسْتِعْجَالِ الْجَوَابِ؛ فَقَدْ أَوْحَشْتُ
بِبُعْدِكَ، وَإِنْ آنَسْتُ بِحُسْنِ سَعْيِكَ. وَأَنَا أَتَوَقَّعُ أَخْبَارَكَ، وَأَوْطَارَكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(١) جمع فيج؛ وهو رسول السلطان القادم على رجليه. معرب عن بك. انظر: الجواليقي، المعرب،
ص ٢٤٣؛ ادي شير، معجم الألفاظ الفارسية، ص ١٢٢؛ التونجي، المعجم الذهبي، ص ١٧٥.
والمقصود به هنا: حامل البريد. انظر ما كتبه عنه تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي، ج ٣، م ٣.

(٢) في الأصل: يخص.

(٣) في الأصل: لبلوغ.

وله

تَوَدُّدٌ وَعِزَّةٌ مِنْ أَطْرَاحِ الْحِشْمَةِ

كتابي - أطال الله بقاء الأمير صاحب الجيش - والله ذي المنِّ والإحسان عندَ الملك السَّيِّد، والأمير المؤيَّد، مع مؤتَنف الأيام، ومُتَصَرِّف الزمان؛ منائِحُ مُتَّصِلَةُ الوُرود، جامعةُ أَحكامِ السُّعود، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلواته على نبيِّه محمد وآله أجمعين.

ولولا عِلْمُ الأمير بأنَّ مَوالاته دينٌ أكْمَلُ به فرائضي ووظائفي، ودَرْسُ أشحن به مَصارفي ومواقفي، وأنَّ التَّحَدُّثُ ^(١) بِنِعْمِ الله في حِرَاسَةِ أَيْامِهِ، وَنَفَاسَةِ أَعْوَامِهِ، شِعَارٌ لَا أَخْلَ بِلَوَازِمِهِ بَادِئاً وَعَائِداً، وَمَنَارٌ لَا أَضَلُّ عَنْ مَعَالِمِهِ جَاداً وَجَاهِداً - لَا قُتِّصْتُني أَيادي الأمير عندي بالإفصاح عما يَجُنُّهُ صَدْرِي، وَيُكْنُّهُ سِرِّي، وَتَتَنَاصَفُ ^(٢) فِيهِ شَرَائِعُ لِسَانِي، وَوَدَائِعُ جَنَانِي، وَظَوَاهِرُ أَخْبَارِي، وَبَوَاطِنُ اسْتِشْعَارِي. وَاللهُ يُدِيمُ لَهُ مَا قَسَمَ مِنْ مَوَاهِبَ أَصْبَحَ ظِلُّهَا عَلَى النَّاسِ ظِلِيلًا، وَفَضْلُهَا لِلْخَاصِّ وَالْعَامِّ جَزِيلًا، فَلَمْ يَتَفَرَّدْ بِهَا حَتَّى أَفَاضَهَا مَرْتَجِلًا وَمَحْتَفِلًا، وَبَذَلَهَا مَلْتَرِمًا وَمَتَنَفِّلًا، وَاللهُ يَشْكُرُ لِلشَّاكِرِينَ، وَيَزِيدُهُمْ دَهْرَ الدَّاهِرِينَ.

(١) في الأصل: التحدُّد.

(٢) في الأصل: ويتناصف.

ورأى الأمير أن يُصدِرَ إلى حَضْرَةِ مَوْلَانَا أَحَدَ أَنْشَاءِ خِدْمَتِهِ، وَأَغْذِيَاءِ نِعْمَتِهِ؛
لِيُؤَدِّيَ فُصُولاً يَحْمِلُهَا، وَيَعُودَ مِنْ سَائِرِ الْأَنْبَاءِ بِمَا يُوَفِّرُ الْمَسْرَّةَ وَيُكْمِّلُهَا؛ فَصَدَرَ
فَلَانِ وَرَسْمُ أَصْحَابِهِ مَا تَقْبِضُ ^(١) خَفَّةَ قَدْرِهِ، عَنْ إِجْرَاءِ ذِكْرِهِ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ فِيهِ
تَصْيِيرَ الْأَسْتِرْسَالِ فَرِصَةً تَوْجِدُ، وَنَهْزَةً تُعْتَمَدُ. وَلَعَلَّمَ مَوْلَانَا الْأَمِيرَ بِأَنِّي أَخَذْتُ
نَفْسِي لِلْأَمِيرِ مَا أَخَذَ الْمُقِيمِينَ بِحَضْرَتِهِ، الْمُنْفَرِدِينَ ^(٢) بِخِدْمَتِهِ، مَا رَسَمَ لِي أَنْ أَكْتُبَ،
مُعْرِباً عَنِ الْغَرَضِ فِيمَا أُصْدِرُ؛ لِيَتَّجِهَ الْعَذْرُ إِنْ اسْتُنْزِلَ.

(١) فِي الْأَصْلِ: يَقْبِضُ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: الْمُنْفَرِدُ.

وله

/ [٤١ أ] في استعطاف وتودد

وَصَلَ كِتَابُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ عَبْدَهُ؛ عَلَى كَرِيمِ عَادَتِهِ عِنْدَهُ، لَمَّا خَدِمَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ
الْمَخَاطَبَةِ، حَتَّى جَرَى عَلَى الطَّرِيقَةِ الْوَاجِبَةِ، فَلَبِسَ عَبْدُهُ بِذَلِكَ شَرَفًا لَا تَطْمَعُ
الْأَيَّامُ فِي خَلْعِهِ، وَادَّرَعَ مَجْدًا لَا يَتَطَلَّعُ الزَّمَانُ إِلَى نَزْعِهِ. وَبَوَاعِثُ الْأَمْرِ عَلَى مَا
يُوَافِقُ مُحَابَّ الْأَمِيرِ، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْتَاجَ مَعَهَا إِلَى اجْتِهَادِ سَفِيرٍ، وَجَدَّ نَائِبٍ وَمُشِيرٍ؛
إِذْ هُوَ - أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ - يُسْتَقْصَرُ فِي مَسَرَّتِهِ مَا يَعْظُمُ عَنْ دَرَكِ الْعِيَانِ، وَيَكْثُرُ عَنْ
حَدِّ الْبَيَانِ^(١). يُوَفِّقُنِي اللَّهُ لِلْخِدْمَةِ الَّتِي فِي حَجَرِهَا رُبِّيْتُ، وَبَلْبَانِهَا غُذِيتُ.

(١) في الأصل: «ويكثر عد البيان»، والأرجح ما أثبتناه.

وله في شكرٍ وملاطفة

كتابي - أطل الله بقاء الأمير - ومولانا سامي الراية مظفرها، وفي السعادة
موفرها، ومولانا المؤيد معمور ساحة العز، محروس عرصة الملك، والحمد لله،
وصلواته على النبي محمد وآله.

ووصل كتاب الأمير على عادته المظهرة كل وقت فضلاً جديداً لم يشهد، ومنناً
عظيماً لم يعهد، وإحساناً وسيعاً لا يضبط قطراه، وامتناناً رحيماً لا ينقطع عصره،
وأنبأ من استقامة أمور حضرته، واستيفائها لشروط محبته؛ عما إذا قارن النعم
العظام أوفى عليها وزاد، واستغرق طاقة الشكر أو كاد، وسألت الله سؤال من
قوله كسيرة صدره، وسيان لساناً سره وجهره - إطالة بقاء الأمير في عز مستجد
لا يُخلق، وأمل مدرك لا يُخفق، وابتناء للمكارم يستوقف الضمائر على محبة أيامه،
ويستخلص السرائر لاستدامة زمانه.

وعرفت ما اعتممه^(١) الأمير من تعهد سيدي أبي فلان برسول يؤدي إليه
شريف ما يحمله، ويظهر عليه ما يتعهده به جميل خطابه ويتخوله، وأنه حين ذكر

(١) في الأصل: اعترفه.

خبرُ انكفائه عن وجهته، رأى العُدولَ إلى إفرادِ المَجْمُزِ بمخاطبته، شيمةً منه
- أدام الله تأييده - عظيمةً في إسباغ البرِّ على مَنْ قَرُبَ بحَضْرَةِ مَوْلانا مَوْقِعُهُ،
وعَظُمَ في ظِلِّهِ الكريمِ مشرُوعُهُ. وقد وَصَلَ الكتابُ إليه، فأكْبَرَ مَطْلَعُهُ عليه، وشَكَرَ
جَمِيلَ التَّعَهُّدِ شُكْرًا لم يَدَّخِرْهُ / [٤١ ب] مضاعفةً وزيادة، ولم يَسْأَمْهْ بدءاً وإعادة،
وصارت هذه اليدُ مما يكثرُ اعتدادُ الملكِ بها إذا رَقِيَ خبرُها، كما اعتدَّ بها مَوْلانا
الأميرُ المؤيَّد لما أنْهَى مَوْرِدُها ومَصْدَرُها؛ إذ^(١) كان فلان مَرْموقاً بالدَّوْلَةِ - ثَبَّتْها
الله - لِقُرْبَتِهِ وزُلْفَتِهِ، وحَظُّهُ وحُظُّوتِهِ، فإنْ رأى الأميرُ أنْ يَخاطِبَنِي آمِراً وناهيّاً؛
لأُجِيبَ مؤتمِراً ومتنهياً؛ فَعَلَّ، إن شاء الله.

(١) في الأصل: إذا.

وله

تَوَدُّدٌ وَشُكْرٌ وَاسْتِعْظَافٌ وَاعْتِدَادٌ

كتابي ومولانا الأمير المؤيد فيما يواصل الله إلى عراص عزّه، من مزيد إحسانه
وفضله، ويحرس من حمى أيامه، وكنف ملكه، على أحمد ما تسمو له الآمال،
وأسعد ما يساعده الإقبال، والحمد لله رب العالمين، وصلواته على نبيه محمد
وآله أجمعين.

ووصل كتاب سيدي موصل المسار ومسنّيها^(١)، ومتحمل المبار ومهنّيها؛
فتعرفت البركة به مطوياً ومنشوراً، واستملت الغبطة عنه فصولاً وسطوراً،
وفككته؛ فبشر من انتظام الأمور بحضرة الأمير بما أجدّ النعمة فيه تنظم الشاهد
والغائب، وتخصّص^(٢) الأبعد خصوصها الأقارب؛ إذ كان الله قد جعل محامداً أيامه
شائعة لا تتفرد بطرف دون طرف، ولا تتحد بكنف دون كنف، والله يديهما
محفوظة عن همم الزمان أن تنالها، وآمال الحداث أن تتصدى لها.

وعرفت من خبر سيدي في عافية يسبغ الله ثوبها عليه ويضيفه، ونعمة يسوغ
شربها له ويضيفه، ما لا تعدوني ثمرته، ولا تخطوني نتيجه، بحكم الأحوال التي
جمعا الله عليها، وأجرى بأسباب مودتنا إليها، فإني إذا وقفت خنصري لأثنيه على

(١) في الأصل: ومتسنّيها.

(٢) في الأصل: ويخص.

أكرم عهدٍ أحرزته، منذ صحبت الزمان وسبرت الأنام؛ كان عهدَه الذي أَسْتوزعُ
الله شكرَ الموهوبِ منه، وأستصرفُ عُيُونَ الكمالِ ولحاظَ التَّمامِ عنه، والله يُواصلُ
له ما أعطى وخَوَّلَ، ويملي أهلَ وُدِّه الجمالَ بفضله، وقد فعَل.

والذي وَصَفَ سَيِّدِي من الأسبابِ المنعقدةِ بين مَوْلانا ومَوْلَاي أبهرُ ضياءً،
وأزفعُ سماءً، وأشرفُ مناظرَ، وأفسحُ مبادئَ ومحاضرَ، من أن يأتيَ عليه / [٤٢ أ]
الذِّكرُ، وإنِ اشتغلت به الأيدي الكاتبةُ، والألسُنُ القائلةُ، واشتركت فيه القلوبُ
الحافظةُ، والآذانُ الواعيةُ. وأمّا الاسترسالُ في الألطافِ، المتوسطةِ حالتي
الإخلال والإسراف؛ فهو الذي يشرقُ له أفقُ المشاركةِ، ويعمرُ به طريقُ الثقةِ
الصادقةِ، وللأمير من الابتداء بهذا البرِّ، والعود فيه، والافتتاح له، والرجوع إليه؛
ما لا يجارى إلى أمده، ولا ينازعُ في قصبه، كما استولى من كلِّ فضيلةٍ على سبقتها،
وأخذ فيها بأرمةٍ حقها.

وما رأى - وفق الله آراءه، وأطال بقاءه - تجديده الآن منه، قد عرَّضه فلانٌ
أجملَ عَرَضٍ، وأخذ من اعتداد مَوْلانا بأوفرِ حظٍّ، وراه نتيجةً وُدِّ يقتضي بالجميل
وصالاً، ويستدعي الحسنى منه حالاً فحالاً. وتصرَّفتُ في القول من الجنبتين كفاءَ
تحقُّقي بهذه الحضرةِ البهيَّةِ، وتخصُّصي بتلك السُّدَّةِ الزَّكيةِ؛ فإني وإن كنتُ بعيدَ
الدار عن الأمير، فالإخلاصُ البالغُ يُدنيني من رائه، ويُقرِّبني من ولائه.

ولما تيسَّرَ عودُ فلان؛ خاطبتُ سيِّدي على يده شاكرًا كتابَه الواصلَ، وبرَّه
المتضاعفَ، وقبل ذلك بما يمهدُه بحضرةِ الأمير من مواردِ قولي وفِعلي، ويصوِّره
من خلوصِ نيتي وعقدي.

وله

تَأْنِيسٌ بِجَمِيلِ الرَّعَايَةِ، وَبَعَثٌ عَلَى الزِّيَادَةِ فِيمَا يُكْسِبُ حَمْدًا

كِتَابِي وَمَوْلَانَا الْأَمِيرَ مَوْفُورُ أَسْبَابِ الْعِزِّ وَالتَّمَكُّينِ، مَخْفُوفٌ بِالسُّلْطَانِ الرَّاهِنِ
وَالنَّصْرِ الْمُبِينِ، وَأَنَا سَالِمٌ بِصُعُودِ حِكْمَتِهِ، وَسُعُودِ خِدْمَتِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،
وَصَلَوَاتِهِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ.

وَوَصَلَ كِتَابُكَ عَلَى حِينٍ تَطَلَّعْتُهُ^(١) وَتَشَوَّفْتُهُ، وَارْتَقَبْتُهُ وَتَوَكَّفْتُهُ، أَنْسَأَ
بِخَطَابِكَ، وَثِقَةً بِوَدَادِكَ، وَمُرَاعَاةً لِلْحَالِ مَعَكَ^(٢)، وَإِجَابًا صَادِقًا لَكَ، وَقَبْلَ ذَلِكَ،
لَمَّا كُنْتُ أَعْرِفُهُ مِنْ جَمِيلِ رَأْيِ مَوْلَانَا فِيكَ، وَتَحَافُظَتِهِ عَلَى سَوَابِقِكَ وَدَوَاعِيكَ،
وَمُتْلَاحِظَتِهِ لِمَجَارِي أُمُورِكَ، وَمَصَارِفِ شُرُونِكَ، بَعَيْنِ كَرَمِهِ، الَّتِي لَا تَرْقُدُ عَنْ
خِدْمَتِهِ.

وَقَدْ كَانَ الْعِذْرُ فِي تَأْخِيرِ الْكُتُبِ عَنِ الدِّيَوَانِ الْمَعْمُورِ، وَإِبْطَاءِ الرُّسُلِ عَلَى
الْبَابِ الْمَسْعُودِ، وَاضْطِحَالًا لَا يَغَيِّرُ صُورَتَكَ، وَلَا يَبْدُلُ مَنَزِلَتَكَ، وَقَدْ عَرَضْتُ مَا وَرَدَ
مِنْكَ، فَصَادَفَ مَنْ تَقَبَّلَ مَوْلَانَا وَإِصْغَائِهِ، مَا أَوْجَبَ حُسْنَ / [٤٢ ب] عُنَايَتِهِ
وَرِائِهِ، وَصَدَّقَ - حَرَسَ اللَّهُ عِزَّهُ - قَوْلَكَ، وَتَمَثَّلَ - أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ - أَمْرَكَ، وَرَسَمَ

(١) فِي الْأَصْلِ: تَطَلَّعْتُهُ!

(٢) فِي الْأَصْلِ: مَعَهُ.

الكتاب إلى حَضرة الملك بالشكر لما أظَلَّك من إنعامه، وقَسَمَ لك من شريفِ
اهتمامه، وذلك مستثْمِر^(١) من مزيد الرعاية ما يسهِّل إلى المطالب، ويؤمِّن من
أسباب المحاذِر، وسأعرضُ على فلان ما يُنبئ عنه الديوانُ من مُعاملتك، وما كان
الأمرُ جارياً عليه من موافقتك.

ويجبُ الآن أنْ تعمَرَ ما أسَّستَه من تحصيل القُرْبَة، واستمداد الزُّلفَة، بالكتُّب؛
فإنها تُمهِّدُ من مَوَقعك بالحَضرة ما يجذبُ بَصْبَعك، ويختصرُ الطريقَ إلى مآربِ
نفسك، وتصادفُ لَدَيَّ من المعونة والعناية الموفورة ما تستوجبُه بفضلك
وأصلك، ومحامدِ أمرِك، ومكارمِ نَجْرِك.

(١) في الأصل: مستثمر.

الباب السادس

في إصلاح ذل الأئمة والأعداء إلى الصلوة والجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

والله أعلم بالصواب

كتاب

في مشايعة وإطلاب وشفاعة

كتابي - أطل الله بقاء السَّالار^(١) - ومنائحُ الله عند الملك السيِّد، والأمير المؤيَّد، مُتضمَّنةٌ من وفور النُّجَح، وفوز القُدْح، وتظاهر القُدرة والإمكان، وتضاعف القوة والإقْران؛ ما يشرح صُدور الأولياء، ويجمعُ أحكام السَّراء، وما أخدمهما فيه جارٍ أحمد مجاريه، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلواته على نبيِّه محمدٍ وآله أجمعين.

ووصلَ كتابُ السَّالار، فصادفَ لديَّ المِنَّة التي لا أخلو من لُبْسها، ولا أنفكُ من اجْتباء غرْسها، وتعرَّفتُ من نِعَم الله لديه ما أجده يعمُّ طبقات الفضل، ويرفعُ درجاتِ المجد، والله - تعالى - يواصلُ المواهبَ إليه واضحةً الوجوه، ويوزعه من شكرها ما يضطلعُ بالوجوب، إنه يفعلُ ما يشاء.

(١) صورةٌ من صورتين ترد في المصادر الإسلامية، والأخرى: سالار، وهي تعني أمير الجيش. كما إنها لقبٌ للملوك أذربيجان. انظر ص ٢٠١.

وعرفتُ ما ذكره السَّلاَر في معنى فلان، وعَرَضْتُه، وكشفتُ عن الغرض وأوضحته، فقال الأمير: إنَّ هذا الحديثَ لو لم يكن مُتَّصِلًا بابنٍ يجبُ كُفُّه عن هُجْنَةِ العُقوق ووصمته، ودفعه عما يحاوله بفضل غرته، بل كان مع أَجَلٍ منازعٍ / [٤٣ أ] للسَّلاَر ومُراجِم، ومُضادٌّ في ناحيته ومُزاحِم؛ لما وَجَدَ عندنا وعند مَنْ تعلق بحَبْلنا إِلَّا الإبعادَ والإسلامَ، والانتقامَ والاضْطِلامَ؛ إذ لا نرى نِعْمته - فيما يجب من غُصِّ الأَطماع عنها، وقَبْضِ الأَبْوَاعِ دونها - إِلَّا لخالص نِعَمِنَا، وخاصِّ الممالك المتوسطة له ولنا.

وقد رَسَمَ - أدام الله مُلْكَه - لي؛ فأمرتُ كلاً من فلانٍ وفلانٍ بزَجْر مَنْ يتصرَّف في جُمْلهم، ويعتصم^(١) بسببهم، عن مُعاونة المسفِّ إلى العقوق، إن التَّوَى به الطريق، وأنزوى عنه التوفيق، بل أمروا بأن يكونوا له حَرْباً، ومع مُدافعيه من أصحاب السَّلاَر إلْباً. والسَّلاَر يرى في إعادة فلان رأيه، فقد طال الأمد، وكثر الوعد والتردُّد، والإيجابُ إذا تمادى زمانه، وتراخت أيامه؛ نَضَبَ ماؤه، واقتُضِب رُواؤه.

(١) في الأصل: ويعصم. والصواب ما أثبتناه.

وله

في الدعاء إلى الطاعة والسكون

إلى كتاب أمان وما بسط من الأمنية

كتابي ومولانا معمور الساحة بالعز والمُلك، وأنا في ظلّه سالم النفس، والحمد لله رب العالمين، وصلواته على نبيّه محمد وآله أجمعين.

وقد أنفذت إلى حضّرتة نُسخة اليمين التي حلفت بها في تسليم القلعة والضّيعة معها إذا أومنت، وأُقطعت ما رُمت؛ فحمدتُ الله - تعالى - على أن هداك وأزشدك، وسألته أن يوفّقك ويُسدّدك؛ فإني أعلم أن الضرورة دعتك إلى ما ركبته، وأوقعتك فيما فعلته، وصوّرتُ ذلك في المجلس الشريف حتّى تنجزتُ لك أمان مولانا بكريم صفّحه، مختوماً بعالي ختمه، ووقّعتُ فيه بخطّي عن نافذ أمره، وضمّنته كذا إلى ذكر الإقطاع، ومزيد الاصطناع.

وعرفتُ أنك تؤثر التسلم ممن يصدر عن الحضرة البهيّة فتسكن إلى مكانه، وتركن إلى كلامه، واخترت^(١) فلاناً؛ إذ كان مع موقعه من رأي مولانا وإيجابه، وتقدّمه في أكابر حاشيته وحجابه، يختصّ بجنبتي كلّ الاختصاص، ويحلّ عندي

(١) في الأصل: واخترت.

محلّ ذوي الإيثار والإيناس، فأصغِ لكلامه الذي تحمّله، واغتني الحظّ في وقته؛
لتحصّله. وإياك والمدافعة والمراجعة فإنهما يهدمان ما قد بنيته لك، ويثلمان ما
مهّدته عنك، واعلم أنك إذا فعلت ما رسمته: تقدّمتُ بكذا، وما بعد هذا أمدُّ
يُنزَعُ إليه، أو يُعَوَّقُ / [٤٣ ب] الأمرُ عليه. وفلان يؤدّي إليك، ما تحقّقه هذه
المواعيد لديك. وأسأل الله - تعالى - لك العِصمة من الخلل والزّلل، والتعرّض لما
لا طاقة به ولا قبل.

وله

في إيناس نافر وإحماد ساع

كتابي ومولانا عزيز النضر والأولياء، منصور الراية واللواء، وأنا بدولته
سابع النعم، والحمد لله ولي المنّة.

ووصلت كُتُبك؛ فأحطت علماً بما شَرَحْتَه، وعرضت في المجلس العالي ما
أَوْضَحْتَه، وكشفت عما أتيتَه جِداً واجتهاداً، واستغراقاً للطّاعة واستنفاداً، وسألتُ
الله تعالى أن يُخَصِّرَكَ من التأييد والتّسديد ما تسلك به أحمد الطرق، وأسعد
السبل، بمنّه.

وقد أحمد مولانا خدمتك إلى حيث انتهيت، واستصوب كثيراً مما أنهيت، فأما
اضطراب الرجل بعد أن حلف واستجاب، والتمس الاستقالة واستجار؛ فليس
إلا لتخوفه منك، وتحرّزه عنك.

ورأى مولانا إخراج فلان وأصحابه كتب الأمان، والوعد بالإقطاع،
وإمضاء ما يوجب للرجل باتفاق واجتماع، ومُشافهته^(١) بما يذكره فيستمع له
ويعمل به؛ لأن ذلك الإنسان إذا أبصر رُشدَه، وعرف قصّده؛ فقد صلّحت حاله

(١) في الأصل: وشافهته. والصواب ما أثبتناه.

واستقلّت، وثبّتت قدمه واستقرّت، وإن كان منه بعد ما بذل إصراراً - ولن يكون - فالانتقام قريب، والاصطلام مجيب.

وسنبلغ - بإذن الله تعالى - ما يتأدّب به كلُّ جامع^(١) في عِنايه، وطامح إلى ما ليس من شأنه، وأنت تقدّم العمل بما رُسم؛ ليلتقي فلانٌ وفلان مع الرجل فيؤمّن، ويجمّل وعده ويحسن، ويلتزم له الوفاء ويضمّن، وينزل عن القلعة، ويُفرج عن الضيعة، ويرتب فيها من الخواصّ المقيمين هناك من يسكن إليه - إن شاء الله - القوم ولا ينفرون عنه، إلى أن يرى مولانا عالي رأيه فيه، إن شاء الله.

(١) في الأصل: جانح. وهو تحريف.

وله

كتابي - أطل الله بقاء السَّالار - ومولانا على أحسن ما عود الله خدَمه عليه:
علو شأنٍ، وسعادة أيامٍ، ونفاذ أمرٍ فيما قُربَ وبُعُد، ومضاء حُكم على ما غاب
وشُهد، / [٤٤ أ] وذلك بتفضُّلِ الله ومَنِّه، ونظرِه وفَضْلِه، ثم بدوْلَة مولانا الملك،
والحمد لله ربَّ العالمين، وصلاته على النبيِّ محمدٍ وآله أجمعين.

ووصل كتابُ السَّالار مفتتحاً بما عهدته من جميلٍ يُجزل منه حظِّي، ويُستنفذُ له
شكري، ويُستوقفُ عليه إخلاصي وحمدي، فسألت الله أن يُديمَ له المنحَ واضحةَ
الوجوه والسبل، ويظاهرَ عليه النعمَ متراخيةَ الزمانِ والأمد، ولا يُعدمَني التحمُّلَ
لأياديهِ، والتحمُّلَ بما يُؤليه، وهو - تعالى - وليُّ الإجابة.

وعرفتُ ما قاله السَّالار بذكر فلان فيما كان عقده له، وعهده إليه، ورسمه به،
وأنعم فيه عليه، وتدبرْتُ مساقَ الحديثِ إلى حيث وصف: أن أكابرَ الولد
يستزيدون إلى ما كانوا رضوا بقدره، ويستضيفون إلى ما كانوا استجابوا إلى أخذه،
ويحاولون أن تُبتدأ^(١) قِسْمَة، ويوفون^(٢) إلى تلك السُّهَماتِ سُهمَة، وتَصَوَّرْتُ ما

(١) في الأصل: يبتدأ.

(٢) في الأصل: ويوفوا. والصواب ما أثبتناه.

اتَّصل به من حديث حليانا^(١) فيما كان وَهَبَ منها، وحظر الآن من ارتجاعه عن اليد المتصرّفة فيها، للعلّة التي ذكرها، والصورة التي شرّحها. وأنهيت الجميع في المجلس العالي، فأصغى له مَوْلانا إصغاءه إلى مثله فيما يردُّ من خطاب السّلار ومهمّته، وقال في جوابه: إنّ هذا الأمرَ كَسْنَا نريدُ فيه إلّا ما هو لذلك البيت أحفظُ، ولشملة أجمعُ، ومن أسباب الخلاف فيه أبعدُ، ولليوم والغد أخوطُ، ثم لا نرضى بأن نقول فيه إلّا ما نرضاه من مَصَارِف آرائنا إذا أمضيناها، وعزائنا إذا أجريناها، فغاية النصّح أن يَرْضَى المرءُ لأهل وُدّه، ما يرضاه ويحتبّيه لنفسه.

وهذا الذي عَقَدَه السّلار ليس بيسير؛ فَيُطَلَّق القولُ بنقضه، وما أقسم عليه ليس بخفيف؛ فتستجاز الرُّخصةُ في نكثه، بل العهود توقع على وَجْه الزمان، والقسم فيها يوضع للتأييد على الأيام، فحلّها وَهْيٌ، والرُّجوعُ فيها وَهْنٌ، ذلك لو كانت المدّة متباديّةً، والمهلة متراخيةً، فكيف والعهد طرِيّ، والتاريخ فتِيّ، والذكرُ قد اضطرب، والخبرُ قد شَرَّقَ وغَرَّبَ، وعندنا أنّ السَّعْيَ في إبطالِ ما أمضى، وفَسْخِ ما أحكم هو الذي يغمر تلك الصُّدُورَ بالسَّخائم، ويثقبُ في القلوبِ نيرانَ الضغائن، فلا يدعُ للخلاف باباً إلّا فَتَحَه، ولا للنزاع زَنْداً إلّا قَدَحَه. والسّلارُ بعد ذلك أوّلُ باختياره، وأخرى بإيثاره، وأخلقُ بتدبير بلاده، وأحقُّ بتهذيب أولاده، فما عندنا أنّ أحداً منهم يَشْجَعُ / [٤٤ ب] - إذا جُزِمَ عليه الأمرُ، وساوَى السَّرَّ

(١) كذا في الأصل، ولعلّها ضيعة أو قرية.

الْجَهْر - بِمُخَالَفَةِ حُكْمِهِ، وَالْإِلْتِوَاءَ عَلَى رَسْمِهِ، وَقَدْ اعْتَدَدْنَا بِأَنْ وَاضَعَنَا مَا فِي
صَدْرِهِ، وَأَطْلَعْنَا عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ، تَوْفِيَةً لِحَقُوقِ الْمُسَاهِمَةِ، وَفَرُوضِ الْمُوَدَّةِ الْقَائِمَةِ.
وَقَدْ أَدَيْتُ - أَدَامَ اللَّهُ عِزَّ السَّلَّارِ - مَا اسْتُمْلِيَتْ عَنْ لَفْظِ مَوْلَانَا، وَهُوَ عِنْدِي
وَجْهَ الرَّأْيِ الَّذِي لَا خَفَاءَ بِهِ، وَالسَّلَّارُ أَعْلَمُ مِنِّي بِالصَّوَابِ فِي مِثْلِهِ، أَجْرَى اللَّهُ
أُمُورَهُ، وَفَقَّ^(١) اخْتِيَارَهُ، وَأَنْفَذَ فِيهَا أَقْدَارَهُ بِإِثَارِهِ، إِنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يَشَاءُ.

(١) فِي الْأَصْلِ: وَوَفَقَّ.

وله^(١)

كتابي - أطل الله بقاء الشَّريفَيْن سيِّدَيَّ وكَبيرَيَّ - عن سلامة مَوْلانا الأميرِ
مُؤيِّد^(٢) الدَّوْلَة، وانتظامِ أمورِ سُلْطانه، وعافيتي بدولته وعلوّ شأنه، والحمد لله
ربِّ العالمين، وصلاته على خيرته: محمدٍ وعترته.

وقد علِمَ الشريفان أنَّ الصَّلاحَ تجتمع أطرافُهُ، وتُحرَسُ أكنافُهُ، باطِّراحِ
الضَّغائن^(٣)، وتَسْوِيَةِ الظُّواهرِ والبَواطِنِ، والأخذِ بالخلقِ السَّمحِ، وتَرْكِ المشاحَّةِ
والشَّحِّ، وأنَّ المُمَعَّارَةَ تُورِثُ التَّباعَدَ، وتزيلُ التَّعاونَ والتَّرافدَ. والأشْرافُ
العَلَوِيَّةُ بقزوينَ بينهم وبين سائرِ الطوائفِ شَحْناءٌ لا تكادُ تسقطُ جَمَراتُها، ولا
تنجلي غَمَراتُها، وقد كتبتُ في ذلك كتاباً أرجوه يجمعُ على الألفَةِ، ويحرُسُ من
الفرقة، ويَنظِمُ على تركِ المنازعة، والجنوحِ إلى المِهادنة، فإنَّ المهادنةَ تجملُ بين
المَلَّتَيْنِ، فكيف بين النُّحَلَتَيْنِ، واللهُ نسألُ توفيقاً لأنفسنا ولهم.

وإذا عرفت لما يجري من ذلك تأويلاً، وإن كان ضعيفاً، فليت شعري لمَ بين
آلِ أبي طالب - أيدهم الله - تمارٍ وتباغُضٍ، وتنادٍ وترافُضٍ، وشَرٌّ قد تعدَّى إلى

(١) كتب هذا الكتاب ليُصلَحَ بين الأشْرافِ العَلَوِيَّةِ بقزوين.

(٢) في الأصل: المؤيد.

(٣) في الأصل: الطغايين.

إِراقَةُ الدَّمِ، وَقَطْعُ الْعِصَمِ، وَنَسْيَانُ الدِّمَمِ، وَبَيْتُ الرِّسَالَةِ يَجْمَعُهُمْ، وَظَلُّ النُّبُوَّةِ
يَكْنُفُهُمْ، وَرَحِمُ الوَصِيَّةِ تَوَلَّفُهُمْ؟! وَهَلْ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ وَمَكَائِدِهِ،
وَنَزَغَاتِهِ وَمَرَاصِدِهِ؟

وَقَدْ اعْتَمَدْتُ الشَّرِيفَيْنِ لَأَمْرَيْنِ عَظِيمَيْنِ: أَوَّلُهُمَا وَأَوَّلَاهُمَا: إِزَالَةُ هَذَا التَّنَازَعِ
والتَّقَاطُعِ بَيْنَ بَنِي الْعَمِّ؛ حَتَّى يَكُونُوا مُتَوَازِرِينَ مُتَعَادِلِينَ، إِخْوَانًا مُتَقَابِلِينَ، وَإِنْ
اِحْتِاجَ بَعْضُ إِلَى اِحْتِمَالِ ضَمِيمٍ لِبَعْضٍ، وَالتَّزَامِ هُضِيمَةً وَغَضٍّ؛ فَالَّذِينَ يَقْتَضِي
ذَلِكَ اقْتِضَاءً لَا رُخْصَةَ فِي تَرْكِهِ، وَلَا تَأْوِيلَ فِي حَلِّهِ، وَلَا عَذَرَ فِي هَجْرِهِ.

وَأَنَا أَتَوَقَّعُ مَا يَكُونُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَافِ - أَيَّدَهُمُ اللَّهُ - فِي الِاسْتِجَابَةِ لِمَا
رَسَمْتُ، وَالتَّزَامِ / [٤٥ أ] مَا أَلْزَمْتُ، وَمِنَ الشَّرِيفَيْنِ - أَيَّدَهُمَا اللَّهُ - فِي إِصْلَاحِ
ذَاتِ الْبَيْنِ، وَالصَّبْرِ عَلَى إِيقَاعِ الْإِتْفَاقِ، وَرَفْعِ الْإِفْتِرَاقِ، وَاسْتِعَادَةِ الْإِتِّلَافِ،
وَإِمَاطَةِ الْإِخْتِلَافِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وله

إِنَّ اللَّهَ - سبحانه - حين استكفى مَوْلَانَا من أمرِ بلادِهِ ما استكفى، واسترعاها من حالِ عبادِهِ ما استرعى، وآتاه السياسةَ التي يُضْرَبُ بها المثلُ، وَيَعْتَدِلُ بها السَّهْلُ والجبلُ، وَحَمَى أَيْامَهُ من الفسادِ، بقدر ما شَحَنَهَا به من السَّدَادِ - أَهْمُهُ أَنْ يَتَصَفَّحَ مَصَارِفَ الرَّعِيَةِ وَمَذاهِبَهَا، ويستشفَّ مَوَاقِفَهَا وضرائبَهَا؛ ليجزي المحسنين إِحْسَانًا عَمِيًّا، والمسيئين^(١) إِسَاءَةً وَتَقْوِيًّا؛ فيكونَ الخَيْرَ دَوْلَةً بينَ الأكابر والأصاغر، وفرصةً بينَ الواردِ والصَّادرِ، والعدلُ شاملاً لمن لَزِمَ الطَّرِيقَةَ المُنْتَى، وأقامَ على المَحَجَّةِ الوُسْطَى، والعقابُ حالًا بمن زاغَ عن سِوَاءِ السَّبِيلِ، وراغَ عن ضياءِ الدَّلِيلِ، والله يحفظ على الرَّعايا ظِلَّهُ، ولا يُعَدِّمُهَا فَضْلَهُ وَعَدْلَهُ.

وهذه مقدِّمةٌ اقتضاها، وأوجب الإطالة في مَعْنَاهَا، ما قد شَجَرَ بينَ أَهْلِ قُزْوِينَ - أَحْسَنَ اللَّهُ كَلَاءَتَهُمْ - من خِصَامٍ تَنفُقُ أسواقُهُ ولا تَكْسُدُ، وتَهْبُ رياحُهُ ولا تَرْكُدُ، ونزاعٍ تَتَّصِلُ موادُّهُ فلا تَنْقَطِعُ، وتُطْبِقُ غَمَائِمُهُ فلا تَنْقَشِعُ، فهم دائِباً بينَ تَبَايُنٍ وجدالٍ، وتَبَاعُدٍ وقِتالٍ، وتَهاجُرٍ وتَقاطُعٍ، وتَظالُمٍ وتَنازُعٍ، وما جَعَلَ اللَّهُ في التَّدَابُرِ صَلاَحًا، ولا أَرى في تَرْكِ التَّوَاظُرِ نِجَاحًا. وقد زاد جُهَّالَهُم إِغْراءً، وأَغْمَارَهُم إِغْواءً؛ أَنَّ هذه الغَوَايَةَ قد طال أَمَدُهَا، واتَّصَلَتْ مُدَدُهَا، وتَراخى

(١) في الأصل: وللمسيء.

زمائها، وأنبسط عنائها، فهم يقدرون أن الاحتمال والإهمال، والتغافل والإغفال، سيستمر على طريق قد ألفوه، ومجاز قد عرفوه، ولا يدرون أن لكل أجل كتاباً، كما أن لكل ذنب عقاباً، وأن مولانا الأمير - أدام الله سلطانه - لا يضطلي بنار إنكاره، إذا أقام المعذرة بإعذاره، ولا يوقف لحر انتقامه، إذا وقى الإنذار أوفر أقسامه.

ومن قواعد الفساد: أن هناك زعماء للعوام، يحسبون محالهم تحفظ بنصرة السفهاء إياهم، وركوبهم الصعب والذل في هواهم، فهم يحامون عليهم ويدافعون، ويزودون دونهم ويؤمنون، فجّل الرعية ممنون^(١) بما يجري إليه هؤلاء المتهوكون، والفساق المتهتكون.

وقد ورد الباب المعمور من الأشراف / [٤٥ ب] العلوية - أدام الله عزهم - من حكي العظام التي تستقطع أخبارها، ويُقرض إنكارها، لولا ما أوجبه الدين من التبيين قبل الإقدام، والتثبت قبل الانتقام، حتى قالوا: إنهم يمنعون عن التسوق والتكسب، ويتعمدون بالتبّع والتطلّب، ويحوجون إلى حراسة أملاكهم عن الغارة، ومنازلهم عن الإبارة، وما ظننت ذلك يقع في فهم وفكر، فضلاً عن أن يشكى عن مرأى عين، ومسمع أذن، مع أني قد تحولت هؤلاء الواردين - أيدهم الله - بالموعظة والتبصرة، وأطلت عليهم بالتعريف والتذكرة، وعرفتهم ما يلزمهم من حراسة شرف المناصب، بشرف الأعمال والمذاهب، وحماية كرم

(١) أي: مبتلون بالمصائب والبلايا. انظر: لسان العرب، ج ١٥، ص ٢٩٢ (مني).

المنابت، بالثبات على القول الثابت.

وسَيَبْلُغُكَ، يا أخي - أطل الله بقاءك - أَنْ تَعْقِدَ مجمعا تحضره الوجوه والأعيان والأمثال، والصُّدُور والأفاضل، دون الأذنب الذين لا يسمعون، وإن سمعوا لا يَعُون، وتُقرئهم كتابي، فإنَّ الله يعلم أنَّ بُغيتي صلاح عامَّتِهِمْ، وحُصول الخير لجماعتِهِمْ، واتِّفاق كلمتِهِمْ، وارتفاع الشرِّ من جملتِهِمْ، لا أن طائفة تُلْزَم العدول عما اختارته من مذهبٍ وعقيدة، واجتنبته من نَحْلة ضالَّةٍ أو رَشيدة، فالخلاف مُتَقَادِمٌ بين الجماعة، لا يرتفع إلى قيام الساعة، وإنما يأمرُ السُّلطانُ بأن يلزم كُلُّ ما تَخَيَّرَه من دون مشاركة، وينفرد بما آثره من غير مضاربة، فمن انقاد لحُكْمِهِ، ووقفَ عندَ رَسمِهِ؛ كان قد حمى رُوحَه وماله، ومُهجته وحالَه، ومَن أضرم للفتنة نارا، ورَفَعَ لها منارا؛ كان قد أباح من نفسه المحظورَ، ومن مُلكِهِ المحرَّم المحجورَ، ولَحِقَه من النكير ما يتركه سُمعةٌ رادعة، ومُثْلَةٌ وازعة.

وقوامُ ما بعثتُ عليه، ودعوتُ الكافة إليه: أَنْ ينفي كُلُّ قومٍ مَن في جملتِهِمْ من خاربٍ وداعِرٍ، وناعِقٍ في الفتنة وناعِرٍ، وأَلَّا يُقَارُّوا المتَّسِّمين بالعبارة، والمتوسِّمين بالشَّطارة، بل يُقبل كُلُّ قومٍ على أمورِهِمْ ومَكاسِبِهِمْ، وشُؤُونِهِمْ ومطالبِهِمْ، شاكرين الله - تعالى - على كلمة الإيمان، وعَدْلِ السلطان، وخِصْبِ الزمان، مُستعينين به من الأفعال التي تغيِّر ما بهم من نعمة، وتُحِلُّ^(١) ما يُخشى من نقمة.

(١) في الأصل: ويحل.

وهؤلاء الأشراف - أيدهم الله - فليُعرف لهم الانتفاء إلى مَنْ هدى الله به
الأمّة، وكشف الظلمة، وأنار الدين، وأبار المشركين، / [٤٦ أ] وهدى إلى صراطٍ
مستقيم، وكان رؤوفاً بالمؤمنين، صلى الله عليه وعلى آله أجمعين. وكما يلزم ذلك
لهم فليُبعثوا على ما يلزمهم إكباراً لمشيخة العلماء، وأعيان الفقهاء - أعزّهم الله -
ورفقاً بسائر الناس، وتنزّهاً عن المعارّ والأدناس.

ثم إن نفعت هذه الفصول في أهل تلك البلدة ونجعت، وكفّت وكفّت،
فالخير أردنا، والصّلاح قصّدنا، وإن عاد عائداً إلى ما أنكر، وأقدم على ما حُظر؛
فأنه - أيّدك الله - حاله؛ ليناله^(١) في جسده وذات يده ما يُزيل عنه نزوات البطر،
وغفلات الأشر، وأنّى ذلك! فمن تعدّى طوره، وتخطّى قدره؛ فلا يُنقبض بعد
توقيفه، عن تثقيفه، وبعد الإنذار إليه، عن الإنكار عليه، وامتدّد على العلويّة ظلّاً
من الإعزاز والإكرام، يؤمنهم معارّ الجهّال والطّغام، إن شاء الله.

(١) في الأصل: وليناله.

ولله

كتابي - أطل الله بقاءكم - ومولانا الأمير فيما يُظهر الله من عزّه، ويُعلي من رايته وأمره، على أسرّ الأحوال إلى خَدَمِهِ، وأنا مُعافٍ بدَوْلَتِهِ، مَكْنُوفٌ بنِعْمَتِهِ، والحمدُ لله حمْدَ الشاكِرين، وصلواته على النبيِّ محمدٍ وآله أجمعين.

وكنْتُ أَقْدَر - أعزَّكم الله - أَنْ كُتِبَكم تَتَابِعُ إلى حضرتي فانقطعتُ، وأحسب أَنَّ رُسُلَكم تترادف فتأخَّرْتُ، وزادت معاذيرُكم ضيقاً لما انصرفتم عن مشايعتكم^(١)، فلمْ تقدموا أنباءكم إليّ، ولمْ تقرّروا صورةً مرجعكم لديّ.

وقد رَسَمَ مولانا أَنْ تَرِدُوا البابَ المعمور؛ لِتَجِدَ دُنَاظِرَاتِكم، وتُقَرَّرَ مُعاملاتِكم، وتُنْضَى إقطاعاتِكم وخِفافَاتِكم، ويتوسَّطَ أبو عيسى أحمدُ بن إبراهيم أمورَ رهائلكم، وتَجْرُوا في مشايعته على ما عَهِدَ إليكم، ورَسَمَ لكم. والخيرةُ لكم - أعزَّكم الله - في التعجُّل، وتَرْكِ التَّمَهُّل، وإغذاذ السَّيْرِ، والإغراض عن التوقُّف؛ ففي الإبطاء، ما يعرِّض للأئمة والاستبطاء. وليس يَحْتَلُّ عليكم، ما سَبَق من إحسان الأمير المؤيَّد إليكم؛ إذ وَطَّأكم بساطَ خَدَمَتِهِ، وَكَنَفَكم بجناحِ نِعْمَتِهِ، وَوَسَمَكم بميسَمِ الاضطناع، ومهَّد لكم وِطَاءَ التَّكْرِمَةِ والإقطاع، ولولا هَنَاتٌ،

(١) في الأصل: مشايعتكم. والصواب ما أثبتناه.

وزلاّت وعَثَرَات؛ لما لَحِقَكم فَضْلُ اسْتِقْصَاءٍ فِي ارْتِهَانٍ مِّنْ ارْتِهَانٍ، وامْتِهَانٍ مِّنْ امْتِهَانٍ.

وهذا أَوَانُ التَّلَافِي لِفَرَطَاتِكُمْ، والتَّدَارِكُ لَغَلَطَاتِكُمْ؛ لتَعُودَ صُورُكُمْ كَأَجَلٍ مَا عَهِدْتُ، وَمَنَازِلُكُمْ كَأَقْرَبٍ مَا تُعُودُتُ، / [٤٦ ب] فَقَابِلُوا مَا رَسَمَ بِالمَسَارَعَةِ، وَحُسْنِ الانْقِيَادِ وَالمَتَابَعَةِ، وَلَا تَجْعَلُوا كِتَابِي هَذَا عُرْضَةً لِّجَوَابٍ تَتَكَلَّفُونَهُ، وَاعْتِذَارٍ تُزَخِّرُونَهُ، وَإِيَّاكُمْ وَسُلُوكَ طُرُقِ التَّحَكُّمِ الَّتِي لَا تُحْمَدُ مَصَائِرُهَا، وَلَا تُسْتَعَذَّبُ مَوَارِدُهَا؛ فَإِنَّ السُّلْطَانَ إِذَا اسْتَعْطَفَ كَانَ إِسْعَافُهُ أَقْرَبَ، وَإِنْعَامُهُ أَخْلَقَ. وَإِنْ ذَهَبَ ذَاهِبٌ مِنْكُمْ عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي نَهَجْتُهُ، وَأَخْلَى بِالمَذْهَبِ الَّذِي أَوْضَحْتُهُ؛ فَإِلَى نَفْسِهِ قَدْ أَسَاءَ، وَعَلَيْهَا جَنَى مَا شَاءَ، وَكَانَ بِهَا مُعَرِّضًا، وَلِلنَّكِيرِ مُتَعَرِّضًا، وَلِسَوَالِفِ حُرْمَاتِهِ مُضِيْعًا، وَلِدَمِ رَهِيْنَتِهِ مُشِيْطًا.

وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَحْضَرَكُمْ مِنَ التَّوْفِيقِ مَا يُصْلِحُ فَاسِدَكُمْ، وَيُوَلِّفُ شَارِدَكُمْ، وَيَجِدُّ ذَرَائِعَكُمْ، وَيَكْثُرُ شَوَافِعُكُمْ، فَتَدَبَّرُوا - أَعَزَّكُمْ اللَّهُ - مَا أُوْرِدْتُهُ مِنَ الْخُطَابِ وَأَصْدَرْتُهُ، وَأَبْدَأْتُهُ مِنَ الْقَوْلِ وَأَعَدْتُهُ؛ فَإِنِّي لَمْ أَلْكُمْ نُصْحًا وَلَا تَبْصِيرًا، وَلَمْ أَدْخِرْ عَنْكُمْ تَنْبِيْهًا وَتَذْكِيرًا، بَلْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى مَا عَلَيْكُمْ تَظْهَرُ عَائِدَتُهُ، وَلَكُمْ تَحْصُلُ فَائِدَتُهُ، وَرَجَوْتُ مَعَهُ أَنْ تَكُونَ الصَّنِيعَةُ لَدَيْكُمْ زَاكِيَّةً، وَالنَّعْمُ عَلَيْكُمْ وَافِيَّةً، فَلَا تَجَاوِبَنَّ عَنْ هَذَا الْخُطَابِ بِأَنَّ الْقُلُوبَ تَنَافَرَتْ، وَالنَّفُوسَ انْزَعَجَتْ؛ لِاعْتِقَالِ مَنْ اعْتَقَلَ؛ فَإِنْ ذَلِكَ مَا اسْتُجِيزَ وَلَا فِعْلٌ، إِلَّا بَعْدَ جَرَائِرَ وَجَرَائِمَ، وَكِبَائِرَ وَعِظَائِمَ،

وبعد أن رَدَعْنَا فلم تُرَدَّعُوا، وَمَنَعْنَا فلم تَمْتَنَعُوا.

ولو لم يكن في استخدامكم رغبةً لما احتيطَ عليكم، ولا استوثقَ منكم،
ولثركم سُدىً تفرّقون كيف شئتم، وتتمزّقون كيف أحببتم، ولكن مَوْلَانَا
أَدَبُكُمْ؛ ليستصفيكم، وهذّبكم؛ ليُدينكم ويخصّكم. وَعَلِمَ - كَبَتَ اللهُ أعداءه -
أنّ الذي أسلم أموركُم للخَلَل، وأفقدكم الصَّوابَ في القَوْلِ والعمل، كان
لتحزّبِ أهوائكم، وتشتّتِ آرائكم، وأنفةٍ كُلِّ واحدٍ من الانقياد لصاحبه، وذهابِه
بنفسه عن وطءِ عَقْبِهِ، فتحرّى - أدام اللهُ أيامه - جَمَعَ كلمتكم على مَنْ تقدّمتْ له
الرياسةُ فيكم مكتسبةً ومُسْتَوْرَثَةً، والإمارةُ بينكم متقدمةً ومُسْتَحْدَثَةً.

وكلّ ذلك مما يقتضي صَفَاءَ نِيَّاتِكُمْ وعقائدِكُمْ، واستواءَ غائبِكُمْ وشاهدِكُمْ،
وأنْ تعرفوا حقَّ النعمة فيه بتجنّبِ جُحودِها، والقيامِ بوظائفها وشروطها. وقد
تحمّل فلانٌ في المجلسِ العالي ما يؤدّيهِ على جهته، ويحكيه لكلّ على صورته. والله
وليّ التّسديد، وعليه التّعويلُ، وهو حَسْبُنَا ونعم الوكيلُ.

وله

/ [٤٧ أ] وَصَلَ كِتَابُ السَّلَّارِ قَدْ أَعَارَنِي فِيهِ مِنْ أَوْصَافِهِ الْجَمِيلَةِ، مَا تَجَاوَزَ أَحْكَامَ النَّعْمِ الْجَسِيمَةِ، إِلَى مَا يَرِيبُ اللَّيِّبُ مِنْ لُبِّهِ، وَيَغْطِي عَلَيْهِ مَصَارِفَ فَعْلِهِ، وَ^(١) كَسَانِي مِنَ التَّقْرِيطِ مَا لَا أَعْرِفُ بِهِ نَفْسِي، وَإِنْ أَمَلْتُ اسْتِحْقَاقَهُ بِمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِي.

وَالسَّلَّارُ يَنْظُرُ إِلَى أَحْوَالي بِعَيْنِ الْوُدِّ، وَطَالَمَا قَدْ حَسَنْتُ الْقَبِيحَ، وَكَثَّرْتُ الْقَلِيلَ، وَعَظَّمْتُ الْيَسِيرَ، وَإِنْ كَانَتْ لِي مَحَاسِنُ فَهِيَ مَعْدُودَةٌ فِي قَطَرَاتِ بَحْرِهِ، وَمَكْرُمَاتِ فَخْرِهِ؛ إِذْ كُنْتُ مِنْ تِلَادِ بَيْتِهِ وَنِعْمَتِهِ، وَفِي عِدَادِ الْمُخْصُوصِينَ بِرَأْيِهِ وَبِرَكَتِهِ.

وَأَعُوذُ لِحَدِيثِ فَلَانٍ وَمَا قَالَهُ السَّلَّارُ فِيهِ وَاصْفاً مَصَارِفَ الْأَيَّامِ، وَمَوَاقِفَ الْإِهْتِمَامِ، وَمَجَارِي الْعِزْمِ، وَمَسَالِكَ الرَّأْيِ وَالْفَهْمِ، وَمَا رَأَاهُ فِي بَابِهِ، وَارْتِضَاهُ لَهُ مِنْ أَسْبَابِهِ، فَسَأَلْتُ اللَّهَ لِلْسَّلَّارِ طَوْلَ الْمُدَّةِ، وَتَرَاحِي الْمَهْلَةِ، وَثَبَاتَ الْوُطْأَةِ، وَحِرَاسَةَ الْمُهْجَةِ، مَا كَانَ لِلْفَلَكَ مَجْرَى، وَلِلنَّجْمِ مَسْرَى. وَصَادَفْتُ مَا أَنْكَرَ فِيهِ، مُضَاهِياً عِزَائِمَهُ الَّتِي يَكْنُفُهَا التَّوْفِيقُ مِنْ جَوَانِبِهَا، وَيَلْتَحِفُ التَّسْدِيدُ عَلَى أَنْحَائِهَا وَمِزَاجِهَا.

(١) فِي الْأَصْلِ: أَوْ. وَهُوَ خَطَأً.

وعرضتُ الكتابَ في المجلسِ العالي، فقال مَوْلانا: إِنَّ فلاناً كان خاطبنا
السَّلاَّزَ بذِكْرِهِ، وخطَبَ ما خطَبَ في أمرِهِ، وبعدُ فهو نجيبُ بيتِهِ، ووسيطُ أهْلِهِ،
وغُصْنٌ من شَجَرَتِهِ يُرْجى ثَمَرُهُ، ويؤمَّلُ تكثُّرُهُ، وطاعةُ السَّلاَّزِ علينا بالأبْوَةِ،
والاصْطِناعُ إليه فريضةٌ لا تُهْمَلُ، ولازِمٌ لا يُضاعُ، ونحنُ نحبُّ له ما أشيرُ إليه،
ونشيرُ بمثله عليه. وقد كاتَبناه وحَضَضْناه على ما فيه حظُّه من حُضورِ السَّلاَّزِ
متصرِّفاً على حُكْمِهِ، وممثلاً لرَسمِهِ، ورُوسِلَ على لسانِ فلانٍ ما يزيدُ في انْشراحِ
صَدْرِهِ، وإمضاء عَزْمِهِ. وأقولُ مع هذا عن نفسي: قد عَلِمَ السَّلاَّزُ أَنَّ فلاناً وإن
كان نسبتهُ إليه أدنى، وهو بتدبيرِهِ أحقُّ وأولى، فهو لَمَوْلانا ولدٌ قد اصْطَفاهُ،
وعَضُدٌ قد ارْتَضاهُ، فالعيونُ تطمحُ إلى ما يُولِيهِ السَّلاَّزُ عندَ هذه الحالِ، وما كان
منه إليه فهو بعَيْنِ مَوْلَيْنَا وأُذُنٍ، لا سيما إذا كان بعدَ مشورةٍ من عنده وإذْنِ.

وله

وَصَلَ كِتَابُكَ تَذَكُّرُ مَوْرَدِكَ عَلَى سَيِّدِي مُلَقًى مِنَ الْإِكْرَامِ بِتَلَقِّيهِ، وَمَنِ الْإِيْثَارِ بِتَحْفِيهِ، وَمَا خَصَّنَا مِنْهُ، وَلَزِمْنَا حَمْدَهُ، وَتَصَفُّ مَا صَادَفَتْهُ عَلَيْهِ اهْتِزَازاً لَمَّا أَدَّتْهُ، / [٤٧ ب] وارتياحاً لما أنهيته، وعِلماً بأنَّ الذي كُرِّرَ عَلَى سَمْعِهِ، واعتَرَضَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَزْمِهِ، مِنْ اخْتِلَافِ أَعْدَاءٍ لَنَا، وَلَهُ، طَالَمَا اعْتَرَضَ الشَّجَى فِي حُلُوقِهِمْ، وَتَرَدَّدَ الْقَذَى فِي عُيُونِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ الَّذِي يَسْعُونَ فِيهِ يُرَوِّحُ عَنْ قُلُوبِهِمْ، وَيَفْسَحُ فِي آمَالِهِمْ وَظُنُونِهِمْ، وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ وَرَاءَ ذَلِكَ - مِنْ تَكْفُلِ اللَّهِ - مَا يُعِيدُ أَمَانِيَهُمْ عَلَى أَدْرَاجِهَا خَاسِرَةً، وَأَيْدِيَهُمْ دُونَ امْتِدَادِهَا قَاصِرَةً. وَتَمَثَّلْنَا مَا كَانَ مِنْهُ اسْتِقْرَاراً فِي مَرْكَزِهِ الْمَعْمُورِ بِالرُّشْدِ، وَتَصَرُّفاً عَلَى أَحْكَامِ رَأْيِهِ الصَّدْقِ، وَعَزَمِهِ الثَّبَتِ، وَإِفْصَاحاً بِالتَّزَامِ أَحْكَامِ الصَّفَاءِ، وَخُلُوصِ الْعَهْدِ وَالْوَفَاءِ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ الَّذِي كَانَ يَسُوءُ مِمَّا جَرَى وَيُثْقِلُ، وَيُجْرَجُ، وَيُزْعَجُ، وَيَكْدُرُ صَفْوُ النِّعْمَةِ فِي الْمَوْهُوبِ مِنْهُ؛ إِذْ كَانَ قَسِيمَ الْمَهْجَةِ، وَالشَّرِيكَ قَبْلَ النِّعْمَةِ، فِي الْعُمْرِ وَالْمَدَّةِ - تَقْدِيرُ أَعْدَاءِ الدَّوْلَةِ أَنَّ الَّذِي ابْتَدَأَهُ إِلَى تَمَامٍ، وَمَا أَنْشَأَهُ إِلَى نِظَامٍ.

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرَى الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ، وَالْدَانِيَ وَالسَّحِيقَ أَنَّ عَلَى أَلْفِتِنَا عَيْناً مِنْهُ كَالِئْتِ، وَيَدّاً مِنْ رِعَايَتِهِ وَاقِيَةً، فَإِذَا عَنَّتْ شَائِبَةٌ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ تُقَشَّعَ سَحَابُهَا عَنْ إِضَاءَةِ تَعَاصِدٍ وَتَازُرٍ، وَإِشْرَاقِ تَرَاوِدٍ وَتَظَاهِرٍ؛ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْعَدَنَا جَمِيعاً مِنْ

طاعةِ مَوْلانا بما يحفظُ على الأعمار امتدادها، وعلى الأيدي اشتدادها، وعلى الدَّعوة تحصُّنها، وعلى الدَّولة تمكُّنها، وإياه نسألُ أن يطيلَ بقاءَ مَوْلای كما لطف؛ لإزالة الشبهة عن نفسه، ونسَخِ الشكَّ باليقين عن صدره. وفَقَّنا الله - تعالى - لإيفائه حقوقَ المشاركة، وفُروضَ المخالصة، وأرانا فيه غايةَ محابِّه ومحابِّنا له، وأنالَهُ في مَصالحه مراده وآماله، فرأيك - أدام الله عزَّكَ - في التَّسرُّعِ إلى حَضرتنا، والعلمِ بحُسنِ مَوْقعِ سفارتك من مَحَمَّدِنا؛ إذ كنتَ المتبرِّكَ بقيامِهِ، المسكونَ إلى مَنابِهِ، مُوفِّقاً، إن شاء الله.

وله

السَّالار أقوى عزيمةً، وأصحُّ بصيرةً، وأحسنُ بالأيام معرفةً، وأتمَّ بالزمان
خبرةً، من أن يرضى لأفعاله بالتناقض، ولخِلاله بالتدافع، ولعُقوده بالتهاافت،
ولشروطه بالتفاوت، وحين عاد فلانٌ وفلانٌ فآذيا ما هو الجميلُ المقدَّرُ من مثله،
والرأيُ المقرَّرُ في نتائج فضله؛ حمدتُ اللهَ كثيراً، وشكرتُ له طويلاً، ووجدتُ
/ [٤٨ أ] إلى الخدمة في الجهتين طريقاً فسيحاً، ومجالاً رحيباً، وقلتُ: الآن حين
أُجَلِّي عن عقيدتي، وأفصحُ عن طويّتي، فلم يلبث الكلامُ بين السَّمْعِ والقلبِ إلاَّ
أقلَّ من رَجْعِ الطَّرْفِ، حتَّى أتت الأخبارُ بما شرع فيه أصحابُه من بناءِ حِصْنٍ
بِقُرْبٍ من رَنْجَان^(١)، كان الكَفُّ عنه واقعاً، وتوَخَّي مَرْضاةَ الأمير السَّعيد -
قدَّس الله روحه - بالإمساكِ دونه سابقاً، فوجدَ مَوْلانا هذا الصُّنْعَ منافياً للرسائلِ
المتحمَّلة، مُتجافياً عن الشرائطِ الملتزمة، فإنَّ الحصنَ وإن بناه السَّالارُ في ناحيته،
ورَفَعَه في مملكته، فمثله إذا أسَّس محاداً لهذه النواحي موحش، والاشتغال به بعدَ
الإعراض عنه في سالف الأيام مُحرج.

والسَّالار يطيعُ الرأيَ الثاقبَ، لا الهوى الغالبَ، والصَّوابَ الأصيلَ، لا الخطأَ
الدَّخيلَ، ويحرسُ الحالَ بين مَوْلَيْنَا وبينه عما يُريب السَّامعَ، وينطقُ الحاسدَ،

(١) رَنْجَان: بلد بأذربيجان. ياقوت، معجم البلدان، ج ٣ ص ١٥٢.

ويُوقِعُ النَّفَارَ مِنَ الْجَنْبَتَيْنِ، وَيَقْدَحُ فِي صَلاَحِ ذَاتِ الْبَيْنِ؛ فَقَدَّرُ هَذَا الْحِصْنَ
مَعْرُوفٌ، وَخَطَرُ الْجُدُوى فِيهِ مَعْلُومٌ، وَوزنُ الصَّرَرِ فِي إِعْفَاءِ رَسْمِهِ مَضْبُوطٌ.

وقد بادرتُ بخطابي إلى حَضْرَتِهِ؛ لِيصِيخَ لِمُودَعِهِ، وَيُحْكَمَ إِجَالَتُهُ فِي تَتَبُّعِهِ، فَإِنْ
وَجَدَنِي صَدَعْتُ بِالنُّصْحِ؛ أَصْغَى لَهُ إِصْغَاءً قَابِلًا، وَإِنْ اعْتَرَضَهُ الشُّكُّ؛ أَعْرَضَ
عَنْهُ إِعْرَاضَ دَافِعٍ، وَقَدْ أَوْحَشَ هَذَا الْفَعْلُ كُلَّ الْإِيحَاشِ، لَيْسَ لِلْحِصْنِ وَمَقْدَارِهِ،
وَلَكِنْ لِتَصْيِيرِ أَوَّلِ الصَّنِيعِ دَلِيلَ أَعْقَابِهِ. وَمَا أُطِيلُ عِلْمًا بِأَنَّ الْإِيحَازَ يَكْفِي مَعَ
تَمَثُّلِهِ كُلِّ أَمْرٍ عَلَى وَجْهِهِ، وَسَبْرِهِ بِجَزَائِلِهِ وَاسْتِدْرَاكِهِ لَغَوْرِهِ، فَإِنْ رَأَى - أَدَامَ اللَّهُ
عِزَّهُ - أَنْ يُجِيبَنِي جَوَابَ مَنْ يَحْرُسُ مَخَاطِبَهُ عَنِ الْمَعَارِضَةِ، وَنَاصِحَهُ عَنِ الْمُنَاقِضَةِ،
وَيَغْلِبُ مَوَدَّاتِ الْعُظَمَاءِ عَلَى بِنَاءِ الْمَعَاوِلِ؛ فَإِنَّهَا الْحِصْنَ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ؛ فَعَلَّ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

الباب السابع
في الامور والقضايا

كتابُ

إطراءٍ وتَعْظيم وإظهارِ عناية

جَنَابُ السَّلَّارِ مَوْلَايَ الْجَنَابِ المُرُودِ المَعْهُودِ، ولِقَاؤُهُ الطَّائِرُ المِيْمُونُ
[٤٨ ب] المسعود، فَعَيْنَا كُلُّ بَعِيدٍ عَنْهُ تَحْسَدَانِ نَاطِرِي كُلِّ قَرِيبٍ مِنْهُ، وَلَا غُرُوْ؛
فَاللَّوَاظِظُ تَأْنَسُ بِالرَّوْضِ مَوْلِيًّا^(١)، وَالزَّهْرُ جَنِيًّا، وَالذَّهَبُ مَسْبُوكًا، وَالْوَشْيُ
مَحْبُوكًا، فَكَيْفَ أَنْسَهَا إِذَا نَظَرْتُ إِلَى حَدَائِقِ مَجْدِ دَثَرٍ، وَأَنْوَاعِ عَزِّ غَمَرٍ، وَحَظِيَّتِ
بَرِيْعِ كَرَمِ جَمٍّ، وَشَرَفِ ضَخَمٍ، حَيْثُ الْبَيْتُ رَفِيعٌ، وَالْجَنَابُ مَنِيعٌ، وَالْفَضْلُ
وَسِيعٌ، وَالشَّيْمُ حَبْرٌ، وَالْأَلْفَاظُ دُرَرٌ، وَاللَّيْلُ سَحَرٌ؟! فَلَقَدْ افْتَتَحْتُ كِتَابِي مَعَ
الشَّرِيفِ وَأَنَا أَغْبَطُهُ، وَإِنْ كُنْتُ أَغْتَبُطُ لَهُ، وَأَنَا فِيسُهُ، وَإِنْ كَانَتْ نَفْسِي نَفْسَهُ؛ لَمَّا
يَأْمَلُهُ مِنْ مُشَافَهَةِ المَحَاسَنِ بَارِزَةً وَمَكْنُونَةً، وَمُشَاهَدَةِ المَحَامِدِ رَاهِنَةً وَمَضْمُونَةً.

وَحِينَ رَاسَلَنِي السَّلَّارُ بِإِصْدَارِهِ إِلَى حَضْرَتِهِ؛ تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ المَسْتَدْعَى،
وَأَثَرْتُ أَنْ أَكُونَ المَسْتَدْنَى؛ فَرُؤِيَّةُ أَفْرَادِ المَجْدِ وَالْفَضْلِ فُرْصُ العُمَرِ، وَنُحْرُ الدَّهْرِ،
وَالْأَيَّامُ شَحَاحَ كَعَادَتِهَا فِي التَّنَكُّدِ، وَشِيْمَتِهَا فِي التَّعَقُّدِ، فَأَمَّا الشَّرِيفُ فَقَدْ جَمَعَ

(١) المولي: الذي أصابه الولي؛ وهو المطر يأتي بعد الوشمي، لسان العرب، ج ١٥، ص ٤١٣ (ولي).

شَرَفَ مَنْصِبٍ عَمِيمٍ، إِلَى شَرَفِ خُلُقٍ عَظِيمٍ، يَسْتَمِدُّ الْمَوَدَّاتِ إِلَى نَفْسِهِ، وَيَسْتَجِرُّ
النِّيَّاتِ إِلَى حُبِّهِ، وَيَسْلَمُ عَلَى السَّيْرِ، سَلَامَةَ الْإِبْرِيْزِ عَلَى السَّبْكِ. ثُمَّ حَالُهُ عِنْدِي
حَالٌ تَفْتَقِرُ الْأَخُوَّةُ إِلَيْهَا، وَتُعَدُّ الرَّحْمَ الْمَاسَّةَ عُلاوَةً عَلَيْهَا، فَإِنِّي خَبَرْتُهُ عَلَى تَصَرُّفِ
الْأَوْقَاتِ فَكَانَ النَّقِيُّ الْجَنِيْبِ، السَّلِيمُ الْعَيْبِ، الْبَرِيُّ مِنَ الرَّيْبِ وَالْعَيْبِ،
يَتَنَاسَبُ أَصْلُهُ وَفَرْعُهُ، وَيَتَنَاصَفُ نَجْرُهُ وَطَبْعُهُ. وَخِدْمَتُهُ لِلسَّلَّارِ قَدِيمَةٌ، وَمَوْهَبُهُ
اللَّهُ بِرَأْيِهِ جَسِيمَةٌ، إِلَّا أَنِّي أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ لِمَصْدَرِهِ عَنِّي، وَمَوْقَعُهُ مِنِّي، مَكَانٌ أَخْصُ
مِمَّا سَلَفَ، وَأَعَزُّ مَا سَبَقَ، لَيْسَ لَأَنَّ عَلَى الْأَوَّلِ مُسْتَزَادًا، وَلَكِنْ قَدْ اسْتَحْسَنُوا
الْفَضْلَ مَعَهُودًا وَمُسْتَفَادًا. وَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ لَهُ مِنَ السَّعَادَةِ فِي لِقَائِهِ وَمَشْهَدِهِ مَا قَدَّرَهُ،
وَقَضَى مِنْ تَجْدِيدِ الْعَهْدِ بِيَابِهِ وَمَجْلِسِهِ وَطَرَهُ؛ فَالِإِذْنُ لَهُ فِي الْاجْتِمَاعِ مَعِيَ عَلَى بَثِّ
فَضَائِلِ السَّلَّارِ إِحْدَى مُنَنِهِ، بَلْ وَاحِدَةٌ مِنْهُ، وَأَمْرُهُ وَهَيْئُهُ مَتَوَقَّعَانِ لَا عَدِمْتُهُمَا،
وَجَمِيلَ إِحْمَادِهِ فِيهِمَا.

وله تَقْرِيطٌ وَتَشْكُرُ

مُكَاتِبَةُ الشَّرِيفِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - مِنْ فُرْصِ الْأَزْمَانِ وَغُرَرِهَا وَحُجُوبِهَا،
/ [٤٩ أ] فَالْنفُوسُ الشَّرِيفَةُ تُنَافِسُ فِيهَا، وَتُشَاحُّ عَلَيْهَا، وَتُشِيحُ إِلَيْهَا؛ إِذْ كَانَتْ
مَوَدَّتُهُ تَصْدُرُ عَنْ عَرَصَةِ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ الدَّثَرِ، وَحَوْمَةِ الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ الْغَمْرِ،
وَلَا غُرُورَ فَالْعِرْقُ بَيْنَ الرِّسَالَةِ وَالْإِمَامَةِ، وَالذِّينُ دِينَ الْعَدْلِ وَالْاِسْتِقَامَةِ، وَالْخُلُقُ
سَمَحٌ سَهْلٌ، وَالْعَادَةُ بَرٌّ وَبَذَلٌ، وَالْأَدَبُ فَائِضٌ فَسِيحٌ، وَالْعَقْدُ ثَابِتٌ صَحِيحٌ،
وَالْعَهْدُ قَوِيٌّ لَا يُثْلَمُ، سَوِيٌّ لَا يُكَلَمُ.

وَعَرَضَ عَلَيَّ قَاضِي الْقُضَاةِ^(١) فَصَلًّا مِنْ كِتَابِ الشَّرِيفِ إِلَيْهِ قَدْ أَوْدَعَهُ مَا
أَطَابَهُ مِنْ ذِكْرِي، وَأَطَالَهُ سَيِّدِي، فَلَمْ أَسْتَبْدِعْهُ مِنْ ذَلِكَ الْخِيمِ الْكَرِيمِ، وَالْخُلُقِ
الْعَظِيمِ، وَأَيْنَ أَبْلَغُ إِذَا اجْتَهَدْتُ وَاحْتَفَلْتُ، وَاحْتَشَدْتُ وَاسْتَقَلَلْتُ، مِمَّا يُلْزِمُنِي
لِلسَّادَةِ مِنْ هَذِهِ الْعِثْرَةِ الَّتِي أَلْبَسَهَا اللَّهُ الْعِزَّ تَفْضِيلًا، وَرَدَّاهَا الْكَمَالَ تَقْدِيمًا،
وَأَذْهَبَ عَنْهَا الرَّجَسَ وَطَهَّرَهَا تَطْهِيرًا؟^(٢).

(١) لعله القاضي عبد الجبار بن أحمد الذي مر ذكره في ص ٦٧.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾،
سورة الأحزاب، من الآية ٣٣.

واتفق أن قرأت تيممة الكتاب ارتياحاً لمساقط لفظه، واهتزازاً لآثار يده،
فعثرت بالحديث الذي كان كتابي نَفَذَ بذكره، وما شكاه الشريف أبو الحسن من
صنوه، وآثره من ترتب موثوق به، مَسْكُونٍ إلى دينه وسنّره، وسألتُه عما نتجه
خطابي، فشكر اهتمام الشريف بما أراده، وأن وقف الأمر لتمثيل^(١) الرأي فيمن
ارتاده، ونشر الشريف أبو طالب مثل ذلك نشرًا حسنًا مَسْمَعُهُ وَمَوْقِعُهُ، وأضاء
مَطْلَعُهُ وَمَجْمَعُهُ.

وقد قَدِّمْتُ في كتابي^(٢) الأول من وَصَفِ الشريف أبي الحسن ما الله العليمُ
بأنّي لم أَسْتَقْصِ معه حَقَّه، ولم أَسْتَوْفِ حَظَّهُ؛ إذ كان ممن زانَ الله به شجرة الوحي
والتنزيل، وعترَةَ الرسول، والوَصِيِّ والبتول، صَلَّى الله عليهم أجمعين، وإن رَغِمَتْ
معاطسُ الناصيين.

وهذا الشريف أبو طالب يُرَى به علمُه وراءَ سِنِّه، وقد زاده الله فضلاً إلى
فضله، وجُعِلَ حِلْيَةً بين أهله، وما اقتضت الحاجة أن أبسطَ هذا البَسْطَ، وأقصدَ
هذا القَصْدَ، لا سيما مع أشغالي التي أُحَاسِبُ نفسي معها على اللَّفْظِ أَقْتَضِبُهُ،
وَالسَّطْرِ أَكْتِبُهُ، ولكنني أجِدُ في الإفصاح عن محاسن سادتي رَوْحاً في نَفْسِي،
فيستحضرُ الهَزَّةَ، ويُبردُ الغَلَّةَ، ويجلو الصَّدَى، ويُقَوِّي المُنَّةَ. وإذا سمحت الأيامُ

(١) في الأصل: لتميل. والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصل: كتاب.

منهم بمن يعمر بيته معرفةً بالله، وتفقهاً في دين الله؛ فذاك الطيّب أصله وفرعه،
والزكيُّ بذره وزرعه، يختصُّ بي اختصاصٍ / [٤٩ ب] العضو بالجثة، والبعض
بالجملة. وقد نصَّ الشريفُ لذلك المسمّى وهؤلاء الأصحاب على مَنْ تقدّمت
خبرته لأمره، ومعرفته بسبّره. والشريفُ قد ابتداءً للمنة فليتمّم، وقد أسرج في
العارفة فليُلجِم، فلو كان الكلامُ في قضاء الجانبين^(١)، والصلاة في^(٢) الحرمين؛
لكفى ما أصدرته من خطاب، وخطبته من إيجاب، وكتابُ الشريف متعلّع بخبره
ووطره، واهتمامه في هذا الأمر ونظره، إن شاء الله.

(١) لعله يريد جانبي بغداد.

(٢) في الأصل: من، وهو خطأ.

وله

في الإحماد والتأنيس والبسط من الأمل

كتابي، ومواهبُ الله - تعالى - عندَ مولانا الأمير المؤيد فيما يُمضي الله من
حُكمه، ويُسعدُ من نَجْمه، ويُنفذ من أمره، ويُعزُّ من نصره، ويرفعُ من لوائه،
ويظهرُ من بسطته وعلائه؛ على ما يقتضيه تَصَرُّف الأقدار على اختياره،
واستجابتها لإرادته وإيثاره، وأنا سالمٌ في ظلِّه الظليل، ورأيه الجميل، والحمدُ لله
ربِّ العالمين، وصلواته على النبيِّ محمدٍ وآله أجمعين.

وكتبَ فلانٌ يُخبرُ بما كان منك حضوراً عنده، والتقاءً معه، وإخباراً عن الحال
التي أزالَت عن المحجَّة القاصدة، والمعاذير التي أُلجأت إلى الاختبارات الفاسدة،
وأنتَ قد تبيَّنتَ ما هو أحمدُ حاضراً ومغيَّباً، وتحقَّقتَ ما هو أسعدُ بدءاً ومعقباً،
وألزمتَ نَفْسَكَ من فروض الخدمة أضيَّقها، واعتلقتَ من حبال الطاعة أوثقها،
حتَّى تقابلَ إعلانَكَ وإسراؤكَ، وتناصفَ كِتمانَكَ وإظهارَكَ، وعلمتَ كيف
الطريقةُ المثلَى، وأين العُرْوَةُ الوثقى. وشَهِدَ بما شاهدَكَ عليه صفاءُ نيَّةٍ ومُعْتَقِدٍ،
واعتصامُك بولاءٍ مُستَخْلَصٍ ووفاءٍ مُعْتَمَدٍ، وبسطَ القولَ في ذلك بسطاً سألني
معه أن أكونَ بحضرةِ مولانا كفيلاً بما بذلته، وزعيماً بما ضمته، وأنفذَ ما حلفتَ^(١)

(١) في الأصل: خلفت. وهو تصحيف.

عليه منتهياً إلى أقصى آماذ التّوكيد، وسارعت إليه في ضمان الرّشاد والتّوفيق؛
فحمدتُ الله تعالى على أن أحضرك من العزائم أرضاها، ومن الآراء أقواها،
وعدل بك عما لا تُحمد دلائله، ولا تُؤمن غوائله، ولا تُرجى محابّه، ولا تسلم
مغابّه.

وقد علّم الله أنّي لم أزل لحقّك مُوجِباً، وفي اصطناعِك مُرغِباً، ولتنبّهك
/ [٥٠ أ] على حظّك مُؤمّلاً، ولتبيّنك مَوْقع رُشدك مُتمثّلاً، ولمن جاورك من
العمال فأساء عشرتك، وقَبَح مُجاورتك، ذامّاً لائماً، ولتوبيخه وتهجينه مُكرّراً
مُداوماً، وقد عفا الله عما سلف، وجلّل صفح الأمير المُؤيّد ما فرط. وأوردتُ في
مجلسه الشّريف عنك ما وثّق كلّ التّوثقة منك بك علماً بأنّ أمراً أنزله هذه المنزلة
من قيامي، وأرتبه هذه المرتبة من اهتمامي، كيف يقابل بالجدّ في تحقيق ما أوردّه،
وكيف يعاجل بالاجتهاد في تصديق ما أضمنّه.

وقد جمّع مولانا لك بين التّجاوزِ عما سَبَق حتّى سقطتِ المحاسبةُ عليه،
والمراقبةُ عنه؛ وبين إحسانِ يبلغ المراد، ويعجّل الإِسعاد؛ وتقديمِ يزيدُ في الخطر
والرُّتبة، وينظّم بسطَ الجاه إلى تقوية المنّة، وستخطب ألسنةُ الأيام بما تلبسه من
رياش الخطوّة، فتأسفُ على ما فات من أوقاتِك، وتراخى من أمدِ سَعاداتك.
وكُلّ الذي عقده فلان معك مُمضًى على التأييد، مُجرى على التخليد، لا يتعقّبهُ
نسخٌ، ولا يتبّعهُ فسّخٌ، وأنا بالجميع مُتكفّلٌ، ولحصوله وحُصول أوفر منه مُتنجّزٌ،
ولله المشيئةُ.

وعليك أن تُظهر من إخلاصك، ما يبعث على اختصاصك، وتُبدى من ولائك، ما يحث على اجتنائك، فلن يمضي إلا يسيراً من الزمان حتى يُحمَد الله - تعالى - على المناجح التي تُصافحك، والخيرات التي تُغاديك وتُراوَحك، وملاك ذلك أن تحرَس طاعتك عن التَّلَوُّن، وعقيدتك عن التَّنَقُّل؛ ليعرف ثباتك على ما تعتقده، واستمرارك على ما تُصدره وتُورده، وتأتي في زُمرة الأصحاب، والتَّشَدُّدِ على أهل العَيْثِ والفساد، ما يطيب خبره، ويحسُن أثره، وتُتظاهرُ أنباؤه، وتُتضح مَذاهبه وأنحائه، وتأنس بالخدمة والطاعة أنس الأصيل فيها لا الدَّخيل، فسيسمعُ صاحبك - إذا ورد الباب بمشيئة الله - ما توقنُ معه أن الثقةَ إليك توجَّهت، والظنَّةُ عنك قد صُرِفَتْ، وفلانٌ يزيدك في هذه الأبواب بصيرةً، ولا يدخِرُ عنك في النصائح ذخيرةً، وأنا أنتظرُ ما تُنهيهِ حالاً فحالا، وتردُّ به كتبك توالياً واتِّصلاً، مع ذكر أخبارك، وعارضٍ أوطارك، إن شاء الله.

وله تَشْكُرُ وتَزْكِيه وإِحْمَاد

/ [٥٠ ب] كتابي عن سلامةٍ قد هَنَّا الإِنْعَامَ فيها وسَوَّغَه، وظاهرَ الإِحْسَانَ بها وأسْبَغَه؛ ما يتابَعُ اللهُ لِمَوْلَانَا من السَّعَادَاتِ التي فَاتَتْ الأَعْدَادَ وسَبَقَتْهَا، ووصلتِ الموادَّ ونَسَقَتْهَا، ومن أقرَّبها عَهْدًا: صرفه - أدام اللهُ عُلُوَّه - لِلْأَعْنَةِ إلى جِوَارِ^(١) الخِلاَفَةِ، ومثابة الكافَّة، بعدَ أنْ تَهَدَّبَتْ في أحوالِ الدِّيَارَاتِ والجزائرِ عِراضُها ورباعُها، وأطرافُها وقِلاعُها، ومُحِيتُ آثارِ المخالفينِ المَثُورين، ورُتَّبَ مَنْ استكفى من الأولياءِ المنصورين، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلواته على النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وآلِهِ أَجْمَعِينَ.

ولئن كان السَّلَاةُ مُوَفَّقًا في أحواله وآرائه، مُسَدِّدًا في أعماله وأنحائه، واضعًا أمورَه مَوَاضِعَ الصَّوَابِ والرَّشَادِ، مُورِدًا عِزَائِمَه مَشَارِعَ الاستقلالِ والسَّدَادِ؛ إنَّ الذي أتاه في أمرِ الوَلَدِ الأَثِيرِ فلان حين استكفاه واستعمَدَه، واسترعاه وقَلَّدَه، وقَدَّمَه على أكابرِ الولدِ مائلاً عن المحاباةِ إلى الاختيارِ الصَّحِيحِ، وجانحاً بالمالمالاةِ إلى الرأيِ الصَّريحِ، هذا إلى ما أَسْنَى له من أعطِيَّتِه^(٢)، وتَغَمَّدَه به من أَحَبِّيَّتِه،

(١) في الأصل: جواز، وهو تصحيف.

(٢) في الأصل: عطيته.

كذلك من محاسن شيمه، ومعطف كرمه، على ما يتقدم ألسنة التقرير، ويُعدّ
الواسطة بين الإفراط والتفريط.

ومن اشبهت^(١) عليه صورة ما أراده، ولم يعرف فيه نيته واعتقاده، فالحال
لدي واضحه السنه، مشرقه السحنة، لا تستبهم عند التدبر، ولا تستعجم على
التحقق والتصور؛ وذلك أنه مع قضائه في فلان حق الولادة والنجابة، وذمام
الأصالة والإصابة، أجرى بما أتى إلى الأسر إليّ، والآثر لديّ، واختص من ولده
من كان سببه بحضرتي أقوى، ومكانه من عنايتي أقرب وأدنى، فالنية متمثلة،
والمنة متقبلة، والمبرة معظمة، والمقابلة ملتزمة.

وكنْتُ أحسب كتاب السّلالر، بما عقده من هذه الحال، أوّل طالع، فلما أبطأ
عن حينه، وأخطأ الظنّ بعد يقينه؛ أحسنت التأويل له، وقلت: إنه لما رأى ما
جدّد مبرّة إلى حضرتي أداها، وحسنى بعنايتي أهداها؛ كره الكتاب بما يجري مجرى
الاعتداد، الذي يُصان عنه خلوص الاعتقاد.

(١) في الأصل: أشبهت.

وله في البر والإحسان

/ [٥١ أ] كتابي وأمور الحضرة فيما يحرس الله من عِراض مُلكه، وينفذه من أمره وعِزمه، ويُمضي على الأرض وبَينها من حُكمه، جاريةً أسعدَ المجاري وأفضلها، ومُستَمدةً أشرف النعم وأجزَلها، وأنا سالمٌ بدولته - ثبَّتْها الله - ورأيَه - أعلاه الله - والحمد لله ربِّ العالمين، وصلواته على محمدٍ وآله أجمعين.

ووصلَ كتابك فكان ما تصفحُته من فصوله صادراً عن العقل الرّصين وتوفيقِ الله اللّطيف، وتلك عادته - عزَّ اسمُه - فيمن أخلص للدّولة القاهرة نيّته، وعقدَ بمولاتها عقيدته، وسرّني الله بخبرك في السّلامة، وجري الأمور لك على منهاج الاستقامة، وهو - تعالى - يؤكّد ما منحك وقسم لك، ويحرس ما أعطاك وخولك. ولم تُضف من وصف طاعتك لمولايَنا - أدام الله عَلاهما - إلّا بما شهد القلب لصحّته، ودلّ على وُضوح صفحته؛ إذ كانت هذه الطاعة تُسرّ لمن كُتب في السّعداء، وأوتي فضل الله في استمداد النّعماء، فلا يشابر عليها مثابراً إلّا قرّت عيناه، وانبسطت يُمناه، وبلغ مراده، وصافح مُبتغاه.

وقد أوردت ما أنهيته - في المجلس العالي - مَورده، وأوقعته من الإحسان الشريف مَوقعه، ومولانا واقفٌ عليك من محمّده وارتضائه، وعنايته وجميل رائه،

ما تصغرُ أعراض الدنيا في جنبه، وتنالُ منى النفوس ومطالبُ القلوب منه، وقد
أدى رسولك ما تحمّلاه، وأُعيد إليهما جوابُ ما أورداه، فكن - أيّدك الله -
مُنشَرَحَ الصّدر، قويّ الأزر، بسيطَ الأمل، فسيحَ الرّجاء في مسلك الوطر، فإنّ
هذه الرعاية الكريمة ستُسفرُ لك عما يغبّطه الوليّ المصادق، ويُشأحك فيه الأخ
الموافق، واهتمامي بذلك مُتكفّل، والموعود به مُتنجّز - بمشيئة الله - وإذا عادَ
الجوابُ عمّا كتبتُ به [إلى]^(١) الحضرة العالمة، أتاك كتابي على شَرَحٍ تعتمده، ومثالٍ
تقصّده، بعون الله.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

وله

في التَّائِسِ وَبَسْطِ الْأَمْنَةِ

كتابي - أطل الله بقاء الاستيذار^(١) - ومولانا فيما يرفع الله من كلماته، وينصر من راياته، على أسعد ما عوده الله في مجاري الأمور ومصارفها، ومشاهد القدرة ومواقفها، وأنا سالم في ظلّه، والحمد لله، وصلاته على النبي محمد وآله.

ووصل كتاب / [٥١ ب] الإستيذار؛ فاشتد سكوني، وتضاعف - بما عرفت من ترادف النعم عليه - سُروري، وسألت الله أن يجعل منائحته عنده حاضرة لا تغيب، وراهنه لا تغرب^(٢) وتستجيب، إن الله - تعالى - فعّال لما يريد.

وعرفت ما وصفه الإستيذار من تصوّفه منذ كان على طاعة الدولة القاهرة يسوي فيها بين سرّه وإعلانه، ويثابر عليها مثابرة لياليه وأيامه، وذلك - والله الحمد - مشهود منه، لا يحوج إلى إقامة شهادة، وموعود لا يضطر إلى استزادة، ومولانا محمد لمذاهبه، راض عن شاهديه وغائبه، ناو فيه ما ينويه - حرس الله ملكه - في أخص المعتزين إلى رائه، والمعتزين بولائه.

(١) لعله تحريف الأستاذار = أستاذ الدار، وهو منصب تدل الإشارات الأولى لظهوره أنه عُرف في عهد البويهيين، انظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج ٥، ص ٢٣٨؛ الصابي، الهفوات النادرة، ص ٧٥.

(٢) في الأصل: لا تقرب.

وقد حَضَرَ فلان المجلسَ فأدَّى المشافهاتِ، وحكى وُجوهَ المهِّمَّاتِ، وسمع في
الجواب، ما أصدَّره لسانُ الصواب، ثم حضرني فجابته ما يؤدِّيهِ، ويعرفُ
الإستِذار مقصدي ومعتقدي فيه، بإذن الله. فإنْ رأى أنْ يواصلني مُواصلَةً
الواثق، ويسْترسلَ في المهِّمَّاتِ والعوارض؛ فَعَلَّ، إن شاء الله.

وله

في إعظام النعمة فيما يكسب من الإحماد
ويوفق فيه من لزوم الطاعة

كتابي - أطل الله بقاء مَوْلانا الملك - والأمير مَكْنُوفُ بنعمته، وأنا مسعودُ
بخدمته، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلواته على النبيِّ محمدٍ وآله أجمعين.

وَوَقَفَ خادِمُ مَوْلانا على ما أَهْلُ له من المجلسِ العالي خطاباً ألبس به إحماداً
عَمَّا أَدَّاهُ وَأَنهَاهُ فلان، وَفَقْنَا اللهَ معاً للخدمة المفروضة، وشكر النعمة الموفورة.
وعبدُ مَوْلانا وابنُ عبده، إذا ورد عليه ما يفوتُ مرمى أمله وظنُّه؛ لم يكمل
لجوابٍ، ولم يشجعَ لخطاب؛ فيجعل الدعاءَ جُنَّتَه، ويَجْمَعُ عليه سرَّه وعلا نيَّته.

والله يطيلُ بقاء مَوْلانا مصرِّفاً للأيام والزمان والأقدار والأمصار، فلا يزالُ
خَدَمُهُ في ارتفاعِ نواظر، وكُفَّارِ نِعَمِهِ بينَ مَهالكٍ ومَحاذِر. والمهَمَّات التي رَسَمَ
مخاطبة خادِم مَوْلانا فيها يوكلُ بها همَّه، وبصره وسمَّعه، ويستنزِلُ توفيقَ الله في
أداء لوازِمها، وسُلوِكٍ مناهجها، ويُنهي ما يتجدَّد في كُلِّ أمرٍ على سُنَّةِ أمثاله،
بمَشِيئَةِ الله.

وله

/ [٥٢ أ] إيجاب وإيناس ورفع وتنويه

كتابي ومولانا سابغ ملابس البسطة، متظاهر المُلْك والقُدرة، وأنا سالمٌ بدولته البَهِيَّة^(١)، وكلمته العالية، والحمد لله، وصلواته على النبي محمد وآله.

ووصل كتابك سارَّ المطلع والموقع، بارَّ المورد والمودع، فكان ما ضمَّنته من خبرك في سلامة - يسوغك الله موادَّها - ونعم - يثمر لك أعدادها - زائداً في الارتياح لتدبره، وانشرح الصِّدر لمصدره، والله يُوالي إليك منائح آتية من وراء الآمال، مُواتية لأسباب الإقبال.

وقد عرَّض كتابك في المجلس، وصادف من إيجاب مولانا [ما]^(٢) قد بشرتك بوصفه، وشحنتُ سابق كتابي بذكره، وإنه - حرس الله أيامه، ونصر أعلامه لنا ولك - أدام الله عزَّك - وفَّاك^(٣) ما يُوفي على أصفى مَباغيك ودواعيك؛ إذ كان مَبْنَى سياسته الكريمة، على إعزاز ذوي البيوتات القديمة، وأنت - أيُّدك الله - في واسطة فضل لا تخفى مَذاهبه، ولا تغمض مَعاقدُه ومَناصِبُه، وعندي من تمهيد

(١) في الأصل: إليه.

(٢) إضافة يقتضيها السياق.

(٣) في الأصل: وفيك.

هذه الحال عند كل ذكرٍ تقتضيه، وأمر يسوع الشروع^(١) فيه، ما تطالبني به
محاسنك ومناسبتك، ومحامدك وضرائبك، وسيعين الله بدولة مولانا على ما في
النفس قضاءً لِّلوازِمِك التي تحضُّ المروءة عليها، وتُهب الحُرمة إليها.

وفلانٌ يعرفك ما رسمت إخراجَه من معاملتك، فتعلمُ أني احتطتُ لك
احتياط الصديق، ووضعتُ النظر والتسويغ وُضع ذوي الاهتمام الصريح.
وحذفتُ ما كانت العميدية والقمية^(٢) ألزمته^(٣) من صُروف، وطالبت به من
قُروف^(٤). وأما المكاتبه عن الديوان المعمور، فقد تقدَّمتُ بزيادتك فيها، والتبليغ
بها إلى رتبة لا أعرفُ أحداً يكتبُ بمثلها، ولا كوتِبَ منذ استقرَّ مولانا على سُرير
مُلكه بالرِّيِّ إلا بما هو دونها، وعنايته - حرسَ الله ملكه - تضاعفُ لك على الأيام
إكراماً إلى إكرام، وتصلُ إنعاماً بإنعام.

(١) في الأصل: الشرع.

(٢) يبدو أنها فرقتان من الغلمان.

(٣) في الأصل: وألزمته.

(٤) المقصود بالقُروف هنا المغارم أي الضرائب غير الشرعية.

وله

وَصَلَ كِتَابُ مَوْلَايَ بِذِكْرِ الْحَلْفِ الَّذِي رَسَمَ مَوْلَانَا عَقْدَهُ عِنْدَ وُجُودِهِ الْبَصْرَةَ
بَيْنَ سَعْدٍ وَرَبِيعَةَ^(١)، أَخْذًا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ حِينَ وَافَى
الْمَدِينَةَ، وَقَدْ تَحَقَّقَتْ حُرُوبُهُمْ أَعْدَادَهُمْ، وَضَاعَفَتْ أَحْقَادَهُمْ، وَاسْتَفْزَتْ
أَحْلَامَهُمْ، / [٥٢ ب] وَبَرَّتْ أَجْسَامُهُمْ، وَفَرَّقَتْ أَهْوَاءَهُمْ، وَأَرَاقتْ دِمَاءَهُمْ،
وَتَخَوَّنَتْ أَحْوَالَهُمْ، وَانْتَسَفَتْ أَمْوَالُهُمْ^(٢)؛ فَجَمَعَهُمْ عَلَى السَّلَامِ مَعَ الْإِسْلَامِ، وَأَلَّفَ
اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بِمِيَامِنِ الْإِيمَانِ.

وَقَدْ كَانَ هَذَا النَّزَاعُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَانَا - وَالنِّزَالُ، وَالْعِرَاكُ
وَالْقِتَالُ، تَالِي مَا حَكَيْتُ فِي إِحْنِ ثَّارٍ، وَعُقُولٍ تُسْتَطَارُ، وَأَمَالِكٍ تُتَّهَبُ،
وَدِمَاءٍ يُتُّهَدَرُ، وَضَغَائِنَ لَا تَخْلُقُ حَتَّى تُسْتَجَدَّ، وَلَا تَنْحَسِمُ حَتَّى تُسْتَمَدَّ،
قَدْ شَابَتْ عَلَيْهَا مَفَارِقُ الزَّمَانِ، وَنَوَاصِي الْأَيَّامِ، وَانْدَرَجَ فِي مَضَارِّهَا
وَمَعَارِهَا مَنْ لَمْ يَكُنْ يَضْرِبُ فِي الْحَيَّيْنِ^(٣) بَعْرَقَ، وَلَا عُدَّ مِنْهُمَا^(٤) فِي شُعْبٍ،
سِوَى خُطَّةٍ جَلَبَهَا الْإِشْتِرَاكُ فِي الْخِطَّةِ، وَدَائِرَةٍ وَلَدَهَا تَجَاوُرُ الدَّارِ
وَالْحِلَّةِ، فَذَكَرْتُ بِهِمُ الْحُرُوبَ الْمُتَطَاوِلَةَ؛ كَحَرْبِ ابْنَيْ وَائِلٍ وَقَدْ دَامَتْ

(١) هذه إشارة مهمة في دراسة تاريخ البصرة الاجتماعي.

(٢) في الأصل: أحوالهم، وهو خطأ.

(٣) في الأصل: الجيين.

(٤) في الأصل: منها.

ثمانين^(١)، وحرب ابني قَيْلَة^(٢)، وقد بقيت مئة وعشرين. وكتب الله لَمَوْلَانَا مِنْ جَمَالِ هَذِهِ الْأُلْفَةِ وَفَخْرِهَا، وَثَوَابِهَا وَأَجْرَهَا، مَا يَوَازِنُ الْجِبَالَ، وَيَعَادُ الرَّمَالَ، فَكَمْ خَائِفٍ أَمِنَ، وَفَضْلٍ رَهَنَ، وَدَمٍ حُقِنَ، وَحِمَى حُرِسَ، وَصَلَاحٍ غُرِسَ، وَسَدَادٍ أُسِّسَ، وَنَشْرٍ ضُمَّ، وَشَعَثَ لُمَّ، وَخَيْرَ أُتِمَّ، وَسَيْفٍ أُغْمِدَ، وَضَالٌّ أُرْشِدَ، وَهَدًى مُهْدًى، لَا زَالَ الْعَالَمُ فِي ظِلِّ سُلْطَانِهِ، وَفَضْلِ زَمَانِهِ.

وأما الكتابُ الذي أنشأه مَوْلَايَ فِي هَذَا الْأَمْرِ؛ فَعَقِيلَةُ الدَّهْرِ، وَبَيْتِيمةُ الْفَضْلِ، وَزُبْدَةُ الْأَحْقَابِ، وَفَضْلُ الْخُطَابِ، أَقُولُ ذَلِكَ مُتَحَقِّقًا لَا مُتَجَوِّزًا، وَمُتَشَبِّهًا لَا مُتَرَخِّصًا، قَوْلَ مَنْ أَتَقَنَ شُرُوطَ الْأَحْلَافِ، بَيْنَ الْأَسْلَافِ وَالْأَخْلَافِ، فَدَرَى كَيْفَ كَانَ حِلْفُ الْمُطَيِّبِينَ^(٣)، وَحِلْفُ الْفُضُولِ^(٤)، وَحِلْفُ الْأَحَابِيشِ^(٥)، وَحِلْفُ

(١) حرب بكر وتغلب، وتُسمى حرب البسوس. ويقال في مصادر أخرى: أربعين سنة. انظر: المرزباني، معجم الشعراء، ص ٢٤٨، ص ٤٧٠.

(٢) حرب الأوس والخزرج، وتسمى يوم بعث. سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ١٥٠.

(٣) حلف كان قبل الإسلام حول التنافس على المهام التي تتعلق بخدمة الحجيج، فانقسم العرب قسمين: قسم غمسوا أيديهم في الطيب وتعاهدوا على النصرة. وفي المقابل، تعاقد القسم الآخر وغمسوا أيديهم في الدم؛ فسُمِّي هؤلاء المطيبين، وأولئك اللعقة، وهم الأحلاف. ابن حبيب، المنمق، ص ٢٧٣.

(٤) حلف كان بين بني هاشم وبني زهرة وبني تيم وبني أسد من قريش على دفع الظلم عمَّن هو من مكة أو من خارجها. وقد كان رسول الله ﷺ قد دخل فيه قبل بعثته. سيرة ابن هشام، ج ١، ص ١١٠؛ ابن حبيب، المنمق، ص ٢٧٩.

(٥) هم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهون بن خزيمه بن مدركة، وبنو المصطلق من خزاعة، حالفوا قريشاً على نصرة المظلوم. ابن حبيب، المنمق، ص ٢٢٩.

الأحلاف^(١)، وروى ما أنشئ بين المضريّة والرّبعيّة^(٢)، وبينهما وبين اليمنيّة، ومع ذلك فما قرأت أكمل شروطاً، ولا أتقن أصولاً، ولا أكثر عيوناً، ولا أمتن فصولاً، ولا أقرب ألفاظاً، ولا أبعد أغراضاً، مما أنشأه سيّدي، فمن يعلمني قلتُ بما عرفت، وشهدتُ بما علمت، وإلاّ فليدعُ تمنية النفس الباطل، وليرتع مع النّعام الهامل، فلا يقدرُ مَوْلَاي ما أنجّه من نتائج البلاغة، وثمار البراعة، فإنّي عارفٌ بما يناله وسعُهما، ويزخرُ به بحرهما، وإنما هو إقبالُ مَوْلَانَا - كَبَتَ اللهُ أعداءه، وأدام سُلْطانه وعلاءه - ينفثُ في جنانه، ويلقى على يده ولسانه، ولكنّ الشّأن في طبع يقبل الإقبال، وخاطر يحتمل الاستقلال.

وليس من فرض / [٥٣ أ] ذلك الكتاب أن يختصر على هذا القدر في الوصف، ولا يوفي بقدر الطاقة بعض الحق، ولكنّ وصوله وافق عِلَّةً قد شكوتُ - إلى سيّدي - أمرها، وإن كان - كما وصل - مُديلاً بالشفاء منها. ومن هذا الذي لا يشفيه ذَوْبُ العلوم، وصَوْبُ العقول؟! حَرَسَ اللهُ مَوْلَاي - للعبارة عن تلك المكارم والمعالي، بتلك الألفاظ والمعاني، وأنا أعتذر إلى مَوْلَاي من صدر الكتاب بغير خَطِّي، وتخلّل الخلل للفظي؛ فإنّ الضعف قبض يدي عن التّحرير، وخاطري عن التّجويد، لا عدِمته مُفيداً ومُقيلاً، وآخذاً بالسّبق فعلاً وقِيلاً.

(١) ست بطون من قريش: عبد الدار وجمح ومخزوم وبنو عدي وكعب وسهم، تحالفوا على ألا

يتخاذلوا. ابن حبيب، المنق، ص ١٩٠.

(٢) في الأصل: والرّبعيّة. وهو خطأ.

وله

ثناءً وتقرّيزاً وإطراءً وتعظيم

وَصَلَّ كِتَابُ مَوْلَايَ؛ فَبَشَّرْتَنِي عَادَةً بِرَّهِ، بِمَا يَتَلَقَّانِي مِنَ الْمَسَارِّ عِنْدَ فَضِّهِ،
فَصَدَّقَ ظَنِّي بِفَكَهِ إِيَّاهُ عَنْ مُحَاسِنَ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى جِلَاءِ الطَّرْفِ، حَتَّى تَشْفَعَهُ
بِجِلَاءِ الْفَهْمِ، وَتُمَتِّعَ السَّمْعَ، إِمْتَاعَهَا لِلْقَلْبِ.

لَا جَرَمَ أَنِي أُجَدِّدُ التَّبَاهِيَّ بِمَا حَازَ اللَّهُ لِسَيِّدِي مِنْ فُضَائِلَ هَجَنْتُ مَنْ قَبْلَهُ،
وَأَتَعَبْتُ مَنْ بَعْدَهُ، وَإِنْ كَانَ لَا هُجْنَةَ عَلَى مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ جَرِيهِ، وَلَا مَطْمَعٍ لَتَالٍ فِي
بُلُوغِ هَدْيِهِ، أَدَامَ اللَّهُ لَهُ مَا حَبَاهُ، وَأَوْزَعَهُ شُكْرَ مَا أَوْلَاهُ، فَإِنَّ الشُّكْرَ إِنْ كَانَ فَرَضاً
حَتْمًا، وَلِزَامًا جُزْمًا، عِنْدَ نِعَمٍ تَوْفَّرَ حَالًا، وَتَكَثَّرَ مَالًا، فَإِنَّهُ أَوْجَبَ فِي مَوَاهِبِ فَضْلِ
تَزِيدٍ فِي قِيَمَةِ الْمَرْءِ، وَتَمْلِكُهُ زَمَامَ السَّبْقِ.

وَتَمَثَّلْتُ مَا أَجَابَ بِهِ مَوْلَايَ فِي مَعْنَى الرُّومِ، وَلَا ارْتِيَابَ عِنْدَ مَنْ صَحَبْتُهُ
مُسْكَةً عَقْلٍ، أَوْ نَصَحَ لَهُ لِسَانُ حَزْمٍ، فِي أَنَّ هَمَّةَ مَوْلَانَا لَا تَرْقُدُ عَنْ هَذَا الدَّاءِ الْعِيَاءِ
حَتَّى تَحْسَمَهُ، وَلَا تَهْجِعُ عَنْ هَذَا الشَّتَاتِ الْمُسْرِفِ حَتَّى تَنْظِمَهُ؛ فَقَدْ بَلَغَ سَيْلُ
الدِّينِ زُبَاهُ، وَاسْتَشْرَى الْكَفْرُ وَنَالَ مُنَاهُ، وَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ وَإِنْ أُمْهَلَ لِئُهْمَلِ. وَمَا تَعْرِفُ
الْأَلْبَابُ وَلَا أَرْبَابَهَا اللَّهُ سَيْفًا لَا يَنْبُو عَنْ ضَرْبِيَّتِهِ، وَلِلْإِسْلَامِ لَيْثًا لَا يُكْذِبُ عَنْ
فَرِيستِهِ، غَيْرَ مَوْلَانَا - أَدَامَ اللَّهُ عُلاَهُ - فَلْيُرْهِفْ مَوْلَايَ خَاطِرَهُ لِإِنْشَاءِ الْفُتُوحِ
شَرْقًا وَغَرْبًا، وَبَرًّا وَبَحْرًا، لَا سِيَّامًا وَقَدْ بَشَّرْتَ الْقَصِيدَةَ نَسِيجَةً وَحَدَهَا، وَقَرِيعَةً
دَهْرَهَا، وَكَرِيمَةً لِدَاتِهَا، وَعَقِيلَةً أَخَوَاتِهَا، بِمَا أَرَانِي الْقُوَّةَ فِي أَزْرِ الْإِيمَانِ وَسَاعِدِهِ،

والضعفَ في أداني الكُفر وأباعِده، واللهُ يسهِّل لمَوْلانا المطالبَ، ويحصِّن بدعوته
المشاركَ والمغاربَ، ويحرِّزُ / [٥٣ ب] هذه الفضيلةَ خصوصاً لأيامه، حتَّى يلمَّ
شَعَثَ الإسلام بمكانه، فما وراءها حسنة تُقاس إليها، فضلاً عن أن تفضلَ عليها.
وأعودُ لذكر القصيدة: أمَّا تعجُّبُ سيِّدي من تزايد هذا الشُّعر، وإثقاله
عَوَاتقَ الوصفِ، وارتفاعه عن أبواعِ الفضلِ، وجمعه بين شرف المصدر، وسُهولة
المأخذ، وعلوِّ المطلع، ولُطفِ الموقع، وبُعْدِ المقاصد، وقُرْبِ الموارد؛ فقد جلبتُ
من الدعاء، مثل الذي أوجبَتْ من الشَّاء، وستصير الدنيا دارَ ندوتها، ومنبرَ
خطبتها، فلا نعمة على المسلمين أعظم من تقوية المُنن بها، إلى أن ينجزَ مَوْلانا
وَعْدَه فيها.

وسائرُ مَنْ عوَّل مَوْلَاي على قيامه واهتمامه، وانتصاره وانتقامه؛ فجوابي فيه:
أنَّ حرارة الأكبادِ تبرَّدُ بالشَّرابِ، دونَ لمعانِ السَّرابِ، جعل الله العالمَ وقايةَ رِكابِ
مَوْلانا، وعَمَرَ عِزَّهُ عُمَرَ النُّسورِ والدُّهورِ، إنه فعَّال لما يشاء.

وعبدُ مَوْلَاي - أدام الله عِزَّهُ - المنحازُ إلى ظِلِّه، المرتَهِنُ بفضله، أبو محمد
صاحبي، مستَضِحُّ القصيدة التي خدمتُ معالي مَوْلانا بها، وعولتُ على
تشجيع مَوْلَاي ونشيدِهِ لها. هذا ولولا كَرَمُ مَوْلانا - حَرَسَ الله سلطانه - لما
شَجَّعنا على إيراد هذه البضائع المزجاة أسواقَ مجده، وإنْ كان لا تثريبَ على
مستنفدِ وَسْعِهِ، وباذلِ جهده، فإنْ رأى سيِّدي أن يجيبَ بما يمهدُ أسبابَ تطوُّله،
ويصرِّفني في محابِّه على ما أعتدَّ^(١) بتحمُّله؛ فَعَلَّ، إن شاء الله.

(١) في الأصل: اعتمد.

الكتاب الثامن
في الزعم والتمجيد

كتاب

في تقبّيح آثار غامطِ نعمة، والاعتذار مما ناله من نقمة

وَصَلَ كِتَابُ السَّلَارِ بِذِكْرِ فُلَانٍ - أَحْسَنَ اللَّهُ تَوْفِيقَهُ - فَتَمَثَّلْتُ مَا ذَكَرَهُ، وَتَبَيَّنْتُ مَا صَوَّرَهُ، وَقَوْلُهُ الْمَسْمُوعُ الَّذِي لَا يُرَادُّ، وَكَلَامُهُ الْمَقْبُولُ الَّذِي لَا يُضَادُّ، وَلَكِنَّهُ بِعَقْلِهِ وَفَضْلِهِ يَعْرِفُ مَا يَجِبُ عَلَى الْمَأْمُورِ لِلْأَمْرِ، وَيَلْزَمُ الْمَسُوسَ لِلْسَّائِسِ، وَيَتَحَقَّقُ أَنَّ الْأَمِيرَ السَّعِيدَ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - إِنَّمَا أَقَرَّ فُلَانًا - تَوَلَّى اللَّهُ إِصْلَاحَهُ - وَقَدَّمَهُ، وَبَسَطَهُ وَأَكْرَمَهُ، وَمَنَحَهُ وَأَوْلَاهُ، وَقَلَّدَهُ وَوَلَّاهُ؛ اسْتَخْلَاصًا لِنَيْتِهِ وَعَقْدِهِ، وَاسْتِقْصَاءً لَطَاعَتِهِ فِي يَوْمِهِ وَغَدِهِ.

وإني / [٥٤ أ] حين أفضت الأمور في ظلِّ مولانا إلى تدبيري، ووقفت الأعمال على تقديري، جريت على تلك السنة؛ إقراراً له على عمله، وتحقيقاً لظنه وأمله، بل زِدته إكراماً في الخطاب، وأقساماً من الإيجاب؛ لموقعه من سيدي، فما أفرق بين أقاربه وأقاربي، ومناسبه ومناسبي، وكان هو مستمراً على طريقة لا شك في أن سيدي قد تصوَّرها وأنكرها، وعلمها وذمها؛ فجعلت أغضي عليها، ولا أخليه من التنبيه فيها، وصارت كتبه تنفذ إلى جنبات كان ينقبض من قبل عنها، وبدأ يستمدُّ المعونة والمعوثة منها، وأمرته غير مرة بالحضور؛ ليزداد تأنساً بالخدمة،

وأزیده من مَوَارِدِ النِّعْمَةِ، فجرى على شاکلةٍ واحدةٍ؛ إخلالاً بالخروج، وتصرفاً مع کَوَازِبِ الظُّنُونِ، فلم أضایقه في اختياره، ولم أسدَّ عليه طريقَ إثارة، واشتدَّت على الرَّعِيَةِ وطأته، واشتدَّت في نُفُوسِهَا وأموالها شوکتُهُ، وكانت الاستغاثةُ منهم تَتَّصِلُ ولا تخفُّ، والعادةُ منه تدومُ ولا تكفُّ، فلا أبلُغُ في التَّنْكِيلِ والتَّغْيِيرِ المبلُغَ الذي يلزم؛ تأمِلاً لارتداعه، وکراهةً لتقصيرِ باعِهِ، إلى أن دَعَتِ الضرورةُ القومَ إلى ممانعته ومدافعتِهِ، فحسبته لا يستنصر إلاَّ بِجَنَبَتِي، ولا يلتمس العُدُوَّ إلاَّ من حَضَرَتِي، وانتظرته لأردَّه قوِيَّ اليَدِ، ماضِي الحَدِّ، فعدَلَ إلى نواحٍ مختلفة، وورَدَ مشارِعَ مفترقةً، وأنا في كلِّ ذلك أكره فيه ما يختارُ لنفسه، وأعلمُ أنه مأخوذٌ عن طريقِ حَزْمِهِ، وأنَّ سَيِّدِي غيرُ مُحْمَدٍ لما بدا من فعله؛ إذ^(١) النِّعَمُ لا تُقَابَلُ بالسُّرُودِ على مَولِيهَا، والغُموطُ لمستدعيها، ولم يَجْزُ تَرْكُ العَمَلِ شاغراً؛ فأخرجتُ فلاناً ضابطاً وناظراً. وكان فلان - أحسنَ الله رُجْعاه، ووفَّقه لما يرضاه - بَدَلَ من نفسه تَسْلِيمَ القلعةِ؛ إذ التَّحَصُّنُ بذلك البلد - مع انصرافه وانحرافه - لم يَسْغُ، ثم تلوَّنَ جارياً على طريقِ الممانعة، ومخاطباً أصحابه بالمنازلة والمقارعة، ووقع من فلانٍ ضربٌ من التَّسْرُع - حَفَرَهُ له القومُ - بابتداء المنازعة، وتخطَّيها إلى المنازلة، وقد علمتُ أنَّ سَيِّدِي يؤثرُ مَصَالِحَ الدَّوْلَةِ على كلِّ قَرِيبٍ وقُرْبَى، ولا يَحْتَمِلُ في مَضَرَّتِهَا ذَا رَحِمٍ بعيدةٍ أو دنيا، أمتع الله بحياته، واتصالِ مدَّتِهِ.

(١) في الأصل: إذا.

وله

كتابي - أطل الله بقاء السَّالار - ونعم الله - تعالى - عند مولانا تجمعُ سُمُوَّ المكان، على علُوِّ الشان، / [٥٤ ب] وثبات الأركان، إلى القُدرة والإمكان، وما أخدم فيه بحضرته - أجلها الله - وفي ممالكه - حرسها الله - جارٍ على السَّداد، مُطرِدٌ أحسنَ أطراد، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلواته على النبيِّ محمدٍ وآله أجمعين.

وكان كتابُ السَّالار وَرَدَ عل عادته في برِّ يصل أوله بآخره، ويجمعُ بادئه إلى حاضره، فبشَّر من اجتماع السَّلامة والسَّعادة لديه، بما سألتُ الله إدمانه له وإفاضته عليه، وتطوَّقتُ منه كما اعتنقتُ شكره، وسألتُ الله أن يجعلني بفرضه من الناهضين، وبحقِّ فضله من العارفين. وعرفتُ ما خاطب به السَّالار أبا الحسن متعرِّفاً خبره، ومستعلماً فيما باشره أثره، ووقع ذلك بحضرة مولانا أحسنَ موقعٍ مثله، وعدّه في المشكور والمنشور من برِّ السَّالار ونتائج وُدّه، وتلك الأمور التأمّت أحسنَ التَّام، وجرت على أسدِّ نظام.

هذا وكان هذا المولى تلك البقعةَ محظوظاً من العناية والقربة، ومُسترعى تدبير هاتيك النعمة، ومُقدراً فيه أن يشكر بلساني الطَّاعة والخدمة، وأخذ يتلوّن فيمهل، ويتبدّل فيُحتَمَل، ويُكاتِب أطرافاً لم يسوِّغ له الانقطاع إليها؛ فيزجر، ثم يُنظر، ويحذر ثم يؤخر؛ رجاء أن ينتبه من رَقَدَتِه، ويستيقظ من سِتِّته.

وكان أشدَّ ما يُنكر منه، وأقبح ما يذكر عنه: البلوغُ إلى أخذِ الأموال المحجورة، والولوغُ في الدماء المحظورة. وكانت المواعظُ تصدرُ إليه فلا تعملُ في صدره، والأمثالُ تقلُّبُ على عينه فلا تؤثرُ في قلبه، إلى أن خلعتَه تلك الرعيةُ اضطراراً، فلم يكن له غناءٌ دافع، ولا وفاءٌ ممانع، وحسبناه يردُّ الحضرةَ البهيّة فيداوي كلمه، ويسدُّ ثلمه، إلى أن أخذ مرةً نحو بقاع الجبل فنُفي عنها، وعدل إلى جرجان فأبعد منها، وامتدَّ إلى حدود خراسان فلم يسكنها، وظنَّ قلاعه بناحية الدامغان تحمي أصحابه عن الدَّمغ والإبعاد، والقصد والإقصاد، فما كان إلا ريثماً أضبوا على الغيِّ، واقتدوا بصاحبهم في البغي، حتّى تبرأ منهم حصنهم، واشتمل عليهم وهنهم، وقد كان الأحبُّ إلى مولانا أن لا تتكدَّر عند ذلك الرجل الصنيعةُ، ولا تُرتَجَعَ لِقَلَّةِ أمانته الوديعةُ؛ لحقَّ أبيه وذويه، وقبل ذلك لا اتصاله بفلان نسباً، وإن باين رأيه طريقاً ومذهباً.

وهذه - أدام الله عزَّ السَّلاَ - الدَّوْلَةُ التي حكم الله لها بالاستظهار والاستيلاء، وأوطأها متنُّ الاستقلال والاستعلاء، فمن شايعها: ربح متجره، وصفا مورده ومصدره، وكان بين عيشٍ رَغْد، / [٥٥ أ] وطالعٍ سَعْد، ومن ولّاها ظهره: أظلمت عليه مذاهبه، وخسرت بضائعه ومكاسبه، وأصبح على جدِّ عاثر، وأمسى بشملٍ متناثر. والذي وكَّد الله بين مَوْلَيْنَا الملك السيِّد والأمير المؤيَّد وبين السَّلاَ من حالٍ رفعت كُلفه التميُّز، وأماطت حشمة التحيُّز؛ يقتضي بحقَّ

السفارة، وخدمة الوزارة، أن أهدي إلى سمعه من أنباء جيوشها المنصورة،
وألويتها المنشورة، ما أتقنه يرتاح له أصدق ارتياح، وينشرح صدره به أتم
انشرح، والله يصل هذه الوصل بالثبات، ويكنفها بخلوص النيات، ويزيد
الأعداء سقوطاً على الأفواه والشفاه، والمناخر والجباه.

وله

وَصَلَ كِتَابُكَ بِذِكْرِ مَا سَهَّلْتَهُ سَعَادَةُ الدَّوْلَةِ الْعَالِيَةِ وَيُمْنُهَا، وَلَطْفُ عَادَةِ اللَّهِ عِنْدَهَا وَحُسْنُهَا، حَتَّى اسْتَجَابَ الْمُخَالَفُونَ الْمُخَاطَبُونَ مِنْ نَوَاحِي كَذَا لَمَّا رُسِمَ، وَوَقَفُوا عِنْدَ مَا مِثْلُ وَحْتِمٍ؛ فَسَرَّنِي اللَّهُ - تَعَالَى - بِذَلِكَ سُرُورًا يَنْتَجِهُ مَا يُوَالِيهِ عِنْدَ أَوْلِيَاءِ النَّعَمِ مِنْ إِظْهَارِ وَتَمَكُّينَ، وَاسْتِيْلَاءٍ عَلَى أَمَدِ الْمَاضِيْنَ وَالْغَابِرِينَ، وَسَأَلْتَهُ أَنْ يَدِيمَ لِمَوْلَيْنَا مِنَ الْعِزِّ أَثْبَتَهُ قَوَاعِدَ، وَأَرْفَعَهُ مِصَاعِدَ، وَأَعْلَاهُ سِمَاكَأً، وَأَجْرَاهُ أَفْلَاكَأً، إِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ.

وَأَنْهَيْتُ مَا وَقَفْتُ لَهُ قَرَعًا لِلْأَمْرِ مِنْ بَابِهِ، وَتَوَثَّقًا لِدَوَاعِيهِ وَأَسْبَابِهِ، حَتَّى أَسْمَحَ الْمَرَادُ فِيهِ وَلَمْ يَجْمَعْ، وَاسْتَمَرَّ الْمَرَامُ فِيهِ وَلَمْ يَجْنَحْ، وَاسْتَوْفَى سَعْيُكَ مِنَ الْإِحْمَادِ، مَا يَفُوتُ غَايَاتِ الطَّلَبِ وَالْإِزْتِيَادِ. وَفَلَانُ أَبِي إِلَّا خَذَلَانًا تَعَثَّرَ فِي أَذْيَالِهِ، وَتَمَرَّغَ فِي أَوْحَالِهِ. وَقَدْ سَاءَ لِي مَا جَرَى لَا لِقَدْرِهِ، بَلْ لِلْجَرَاءَةِ فِيهِمَا يُذِيعُ مِنْ ذِكْرِهِ، وَسَيَعْرِفُ مَغَبَّةَ مَا أَتَاهُ، وَيَجْتَنِي ثَمَرَةَ مَا جَنَاهُ، وَتُسَلِّمُهُ يَدَاهُ بِحَيْثُ لَا تَسْتَقِرُّ قَدَمَاهُ، وَلِلَّهِ الْمَشِيئَةُ وَالْأَمْرُ، وَلِأَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ الْعُلُوُّ وَالْقَهْرُ، فَمَنْ زَاغَ عَنْ^(١) سِرَاطِ^(٢) الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقِيمِ: صَلَّى بِعَذَابِهَا الْأَلِيمِ. هَذِهِ سَكَرَاتٌ وَلَهَا إِصْحَاءٌ، وَغَمَرَاتٌ بَعْدَهَا انْجِلَاءٌ، وَالْمَوْقُوقُ مَنْ لَمْ يُقَدِّمْ عَلَى مَا تَسُوءُ مِصَائِرُهُ، وَلَمْ يَرُدَّ عَلَى مَا تُسَوِّخُ مِصَادِرُهُ.

(١) فِي الْأَصْلِ: مِنْ.

(٢) سِرَاطُ لُغَةٌ فِي صِرَاطٍ.

وله

كتابي وورَدَ من فلان ما أنبأ بأن فلاناً حين صار إلى شاطئ البحر فاستوقفه
مشملاً / [٥٥ ب] الذُّعر، استولى من ندبهم فلانٌ على موضع كذا، فلم يجد
المخالف وراءه مرجعاً، ولا أمامه مشرعاً، وآته على جملته في الحيرة والدمار،
والحذار من سواد الليل وبياض النهار، وأن أكثر من قدرهم أنصاره خذلوه،
وقلبوا له المجنَّ وأسلموه، وقد ترصدت فرق أخر لتفريق شمله، وتقطيع حبله،
وهذه عادة عند من جحد إحسان مولانا وإنعامه، ثم لم يقبل إقالته وقد أعطاه
أمانه، وستنجلي الحال - إن شاء الله - عن انتهاء أمره، وتناهي عمره. إن غمط
النعمة عقلاً يمنع، وعثارٌ يصرع.

وقد أنفذت الكتب إلى المجلس العالي، وأنا راجٍ أن أشفعها بكتابٍ في ترك
فلان آية من آيات الله عبرة لمن اعتبر، ومثلة لمن ازدجر.

وله

كتابي والأمور - بحمد الله ومِنِّه، وما قسم للدَّولة القاهرة من فضله ونعمته -
جاريةً على ما يزيد الأولياء قوةً مَنَاجِب، والأعداءَ ضعفَ جَوَانِب، والله الشُّكْرُ،
وصلاته على نبيِّه محمدٍ وآله أجمعين.

وَوَصَلَ كِتَابُكَ؛ فَأَنْسْتُ لِمَا أَتَيْت، وَأَحَدْتُ مَا أَنْهَيْت. أَمَّا فَلَانٌ فَقَدْ كُفِّيتَ
شُغْلَ الصِّدْرِ بِهِ، وَتَوَزَّعَ الْخَاطِرُ بِسَبَبِهِ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ قَدْ عَلِمَ بِمَكَانِ فَلَانٍ مِنْ
الْخُصُوصِ بِالدَّوْلَةِ، وَأَنَّهُ رَبُّ ذَلِكَ الْبَيْتِ وَتِلْكَ النِّعْمَةِ. وَحَدِيثٌ كَذَا قَدْ عَجِبْتُ
مِنْ فِكْرِكَ فِيهِ، وَذَكَرْتُ لَهُ:

وَمِنْ دُونِ لَيْلِي ذُو بَحَارٍ وَمَنْوَرٌ^(١)

والذي يجب أن يشتغل به فلانٌ حديثُ فلانٍ حتَّى يذيقَه من وبالِ فعلِه أمرٌ
مَذَاق، وَمِلاكٌ ذلك: أَنْ يُعَانَ فَلَانٌ مَعُونَةً تَوْمُنُهُ انْتِهَازَ فُرْصَةٍ مِنْ نَاحِيَتِهِ، أَوْ نَفُوذَ

(١) ذُو بَحَارٍ وَمَنْوَر: جِبْلَانِ فِي ظَهْرِ حَرَّةِ بَنِي سَلِيم. وَالشُّطْرُ مِنْ قَصِيدَةِ لُبْشَرِ بْنِ أَبِي خَازِمٍ،
وَصَدْرُهُ:

أَلَيْلَى عَلَى شَحْطِ الْمَزَارِ تَذَكُّرُ

المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ج ١، ص ٣٦٧؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٤١، ج ٥،
ص ٢١٦؛ لسان العرب، ج ٥، ص ٢٤٥ (نور).

حيلة في مساءته^(١)، ثم التجرد لما يحصّ جناح فلان ويبريه، ويُنكي ضرباً من النكاية فيه، فليس يكفي أن يكون التأثير أجمع قولاً لا فعلاً، ووعداً لا نجزاً. والذي يُحتاج فيه إلى قيامك واهتمامك أن تُراعيني بأخبار فلان في مقارّ قدمه، وإن كانت دحض مزلة، ومصارف عزمه، وإن كانت بين خلّة وذلة؛ فإن مولانا خاطبني اليوم بفصلٍ مفرد، وقال: أوعز إلى فلان ليراعي بأخباره غصة، ويجعل إعلامك أحواله نوبة، فأما اجتماعه مع من اجتمع معه، فكما يقال: مُثقل استعان بدقنه^(٢)، وفي عبّ: صريحه أمة^(٣)، / [٥٦ أ] وإن سفت به الريح في أثناء الأمواج إلى مكانٍ سحيق، فربّ طائرٍ بجناحه، إلى موضع اجتياحه.

(١) في الأصل: مساءاته.

(٢) مثّل يُضرب للدليل يستعين بمثله، أي: بما لا دفع عنده. الميداني، مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٢٦٦.

(٣) عبّ صريحه أمة: مثّل يضرب للضعيف يستصرخ بمثله. الميداني، مجمع الأمثال ج ٢، ص ٥.

وله

وَصَلَ كِتَابُكَ، وَعَرَفْتُ مَا أُنْهَيْتَهُ وَاقْتَصَصْتَهُ، وَأَبْدَيْتَهُ وَلَخَّصْتَهُ، وَلَيْسَ عَلَى عَنَاءِ مَوْلَانَا بِكَ مُسْتَزَادٌ، وَلَا وَرَاءَ إِيْجَابِي لَكَ مُرَادٌ، وَلَكِنَّ الْأُمُورَ الْمُنَوَّطَةَ بِكَ مُمْتَشِرَةٌ، وَالْأَسْبَابَ الْمَوْكُولَةَ إِلَيْكَ مُضْطَرِبَةٌ، وَأَيْدِي الْأَكْرَادِ بِالْعَيْثِ وَالْفَسَادِ مُنْبَسِطَةٌ، وَهَيْبَتِكَ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَنُفُوسِهِمْ مُرْتَفَعَةٌ، وَذَلِكَ يَثْلُمُ جَاهَكَ وَيَنْتَقِصُهُ، فَيَكْذُرُ عَلَيْكَ الْإِنْعَامَ وَيَنْغُصُهُ، وَلَيْسَ يُمْكِنُ إِلَّا أَصْرَحَ بِقُصُورِكَ، وَلَا أُخْبِرُ عَنْ عَجْزِكَ وَخُسُورِكَ، وَكَيْفَ جَرَتْ الْحَالُ فَسَبِيلُكَ أَنْ تَزِدَادَ اجْتِهَادًا وَجِدًّا، وَتَسْتَنْفِدَ الطَّاقَةَ حَتَّى لَا تَبْقَى وَسْعًا، وَتَدَاوِيَ هَذَا الْأَمْرَ بِدَوَائِهِ، وَتَلَطَّفَ لِحَسْمِ أَدْوَائِهِ، قَبْلَ أَنْ يَضْجَرَ السُّلْطَانُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - وَيَقُولَ: اضْطَنْعْنَاهُ، وَرَفَعْنَاهُ، وَأَعْطَيْنَاهُ، فَلَمَّا تَرَكْنَاهُ وَأَمْرَهُ ضَاعَتِ الْمَهْمَاتُ عَلَى يَدَيْهِ، كَضِياعِ إِحْسَانِنَا لَدَيْهِ.

وَأَنَا مُجْتَهِدٌ مَعَ الْأَشْغَالِ الْقَاطِعَةِ، وَالْمَهْمَاتِ الْمَانِعَةِ، فِي إِمْدَادِكَ بِمَنْ تَطُولُ بِهِمْ يَدُكَ، وَيَنْبَسِطُ مَعَهُمْ أَمْرُكَ، وَلَكِنْ بَعْدَ إِلَّا يَطُولُ مُكُثُّهُمْ، وَلَا يَتَرَاخَى لِبُثُّهُمْ، وَيَكُونُ سَبِيلُهُمْ سَبِيلَ النَّجْدَةِ الَّتِي تَصُلُّ حَتَّى تَفْصَلَ أَمْرًا وَحِيًّا، وَلَا تَنْتَظِرُ أَمْدًا^(١) قَصِيًّا. وَهَذَا - يَا أَبَا عَيْسَى - خُمَارُ سُكْرِ كُنْتُ أَحْذَرُ مِنْهُ، وَأَدْفَعُ بِجَهْدِي عَنْهُ أَيَّامَ الْقَبْضِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَوْغَادِ، الَّذِينَ ارْتَضَعُوا دَرَّ الْفَسَادِ، فَغَرَّتْكَ الْغَوَارُ حَتَّى تَوْصَلْتَ إِلَى اسْتِنْقَاذِهِمْ، وَحَلَّ عِقَالَهُمْ.

(١) فِي الْأَصْلِ: أَمْرًا. وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ.

لا جَرَمَ أَنِي أَلْقَيْتُ حَبْلَ الْأَمْرِ عَلَى غَارِبِهِ، وَعَلِمْتُ أَنَّ مَشَارِقَهُ تُظْلِمُ عَلَيْكَ
مِنْ مَغَارِبِهِ، وَكَيْفَ جَرَتِ الصُّورَةُ فَلَيْسَ بِجَمِيلٍ أَنْ تَسْتَسْلِمَ لِلْعَجْزِ، وَتَنْضَوَ
مَلْبَسَ الْكَافِي الشَّهْمِ، فَابْنُ بَابُوِيهِ وَابْنُ عَنْتَرَةَ قَدْ أَجْرِيَا بَنَوَاحِي أَصْفَهَانَ إِلَى
مَنْكَرَاتٍ، وَقَطَعَا^(١) الطَّرِيقَ دَفْعَاتٍ، وَلَا بَأْسَ؛ فَسَوْفَ يُرَى - بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ -
كَيْفَ تَرَوَى السَّيْفُ الْعِطَاشَ، مِنْ دِمَاءٍ أَوْلَئِكَ الْأَوْبَاشَ، وَكَيْفَ يُتْرَكُونَ طُعْمَةً
لِلسَّبَاعِ، وَأَكْلَةً لِلضَّبَاعِ. وَقَدْ تَكُونُ لِلْبَاطِلِ جَوْلَةٌ، وَلِلْفَسَادِ مُهْلَةٌ، ثُمَّ يَأْتِي مِنَ
الْإِنْتِقَامِ، وَالْإِصْطِلَامِ، مَا يُسْقِطُ الْهَامَ عَلَى الْأَقْدَامِ، وَمَا يُعْجِزُكَ فِي هَذَيْنِ الْغَارَةِ
عَلَى أَحْيَائِهِمْ، وَسَبْيِ أَوْلَادِهِمْ وَنِسَائِهِمْ.

عَلَى أَنَّ مَوْلَانَا / [٥٦ ب] مُوعِزٌ فِي إِنْهَاضِ سَبْعِ مِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ
وَالْعَرَبِ إِلَى أَصْبَهَانَ؛ لِحَوْطِ أَطْرَافِهَا، وَصَوْنِ أَكْنَافِهَا؛ فَقَدْ طَالَ عَهْدُ أَكْرَادِهِمْ
بِعَادَتِنَا فِي صُلْبِهِمْ، وَتَنْكِيلِنَا بِهِمْ. وَأَنَا أَتَوَقَّعُ تَأْثِيرَكَ فِي هَذِهِ الطَّوَائِفِ مُسْقِطًا
لِلرَّقَبَةِ، وَمَصْرَفًا لَهُمْ عَلَى أَحْكَامِ الرَّهْبَةِ، وَلَا تَفَكَّرَنَّ فِي ابْنِ عَكْبَرٍ؛ فَإِنَّهُ سَيَشْغَلُ
بِنَفْسِهِ، وَيَسْقُطُ لِيَدَيْهِ وَفَمِهِ^(٢). وَالسَّلَامُ.

(١) فِي الْأَصْلِ: وَقَطَعُوا.

(٢) مِنْ دَعَائِهِمْ: لِلْيَدَيْنِ وَالْفَمِ، أَيْ: كَبَّهَ اللَّهُ - تَعَالَى - لِلْيَدَيْنِ وَالْفَمِ. مِثْلُ يَضْرِبُ لِلشَّاتَةِ. الثَّعَالِبِيُّ،
التَّمْثِيلُ وَالْمَحَاضِرَةُ، ص ٣١٥.

وله

قد عَرَفَ مَوْلَايَ أَمْرَ عَكْبَرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فِي تَمَرُّدِهِ مِنْذُ حُلَّتْ تَمَائِمُهُ، وَسَوْءَ
مَعْتَقِدِهِ مِنْذُ فَارَقْتَهُ حَوَاضِنُهُ، وَأَنَّهُ كَانَ لَا يَقْصُرُ عَنِ الْإِفْسَادِ مَا أَطَاقَ، وَلَا يَكْفُ
عَنِ الْإِضْرَارِ مَا اسْتَطَاعَ، فَمَتَى لَزَّ مِنْ جَنْبِهِ، كَتَبَ يُظْهِرُ طَاعَةً مُنَبَّئَةً الْقِرَائِنَ،
وَيُبْدِي مُوَالَاةً مَذْمُومَةً الدَّفَائِنِ، وَيُوهِمُ أَنَّهُ وَارِدُ الْحَضْرَةِ - أَجَلَّهَا اللَّهُ - وَخُتْلَطُ
بِخَدَمِهَا - أَيَّدَهُمُ اللَّهُ - فَإِذَا أُرْخِيَ مِنْ خَنَاقِهِ؛ عَادَ لِرَأْيِهِ الَّذِي فِيهِ أَوْضَعُ، وَعَلَيْهِ
وَضَعُ، وَرَجَعَ لِمَذْهَبِهِ الَّذِي بِهِ غُذِيَ، وَعَلَيْهِ أَنْشَيْ، حَتَّى إِذَا جَرَّدَ مَوْلَانَا عَزَمَهُ
لِلْإِبَادَةِ هَؤُلَاءِ الْمَفْسِدِينَ؛ أُبَيَّةً لِلْمُلْكِ، وَحِمِيَّةً لِلدِّينِ؛ قَدَّرَ عَكْبَرُ أَنَّ أَبَاطِيلَهُ تَرُوجُ
بِحَضْرَتِهِ، وَخَارِيقَهُ تَنْفُقُ فِي جَنْبَتِهِ؛ فَوَاصَلَ تِلْكَ الْكُتُبَ الطَّوِيلَةَ الْأَلْفَاظِ، الْقَصِيرَةَ
الْأَغْرَاضِ، مَعَ رُسُلٍ لَا يَتَحَمَّلُونَ إِلَّا إِفْكَاءً، وَلَا يَتَأَبَّطُونَ إِلَّا شَرًّا، فَلَمْ يَدْعُ مَوْلَانَا
مَعَ عِلْمِهِ بِقَصْدِهِ وَعَزَمِهِ أَنْ قَبَلَ كِتَابَهُ، وَاسْتَمَعَ كَلَامَهُ، وَصَرَفَ أَعْيُنَهُ حَيْوَلَهُ
الْمَنْصُورَةَ عَنْ طَلَبِهِ، وَوَقَفَ جُحْمَ جُيُوشِهِ الْمَظْفَرَةَ عَنِ الْإِيقَاعِ بِهِ.

فَلَمَّا وَجَدَ إِلَى الْمُدَافَعَةِ سَبِيلًا، وَصَادَفَ إِلَى الْمَرَاوِغَةِ طَرِيقًا؛ مَضَى عَلَى غِرَّتِهِ،
وَاسْتَمَرَ عَلَى شَرَّتِهِ، وَعَلِمَتِ الْخُسْرَوِيَّةُ^(١) وَالْجَرَجَانِيَّةُ^(٢) أَنَّهُ مُتَعَثِّرٌ فِي ذُيُولِ

(١) من طوائف الأكراد. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٤٤٦؛ العتبي، اليميني، ص ٣١٤؛ الذهبي،
تاريخ الإسلام، ج ٢٦، ص ٤٨٦.

(٢) عساكر جرجان، وكان لهم دورٌ في الصراع السياسي في خراسان. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج ٧،
ص ٤١١.

الخذلان؛ ففارقوه، واعتصموا بحبل الطاعة ولزموه، ودبر أمرهم بما أثمر أمن السبل، واتصال الرفق، وعمارة المزارع والدساكر، وزوال الرقبة عن الوارد والصادر؛ فكر عكبر راجعاً عن مضايقه، فرسم مولانا تلقيه عني بكتاب يقطع طمعه عن ورود هذه الحضرة، ويحذره من دخول الأعمال المدبرة من هذه الجنبه، وانتشر ذلك في أصحابه؛ فتخلف عنه^(١) أكثرهم، وتقاعد به معظمهم، وبادروا إلى الطاعة، ضارعين في التماس الإقالة.

ورأى الرجل أن الطرق عليه مظلمة، والمنافذ دونه مبهمه؛ فخرج إلى الحضرة / [٥٧ أ] البهية، تقوده الضرورة التي وصفتها، وتحذوه الصورة التي كشفتها. وهؤلاء الأكراد الذين ضمهم إحسان مولانا وأمانه، وشملهم فضله وإنعامه، كان من أول ما شرط لهم وعقد، وألقى إليهم وعهد: أن لا يجري لعكبر وإخوته عليهم رياسته، ولا تملكهم منه قيادة، ومولانا محيط بأن ركن الدولة يعرف الرجل وخبثه، وإفكه ونكثه، وأنه لا يؤهله لزعامه، ولا يحظيه باستنامة، إلا أنه أشفق من أن يوحى بكتاب يتضمن هذا الذكر، ولم يكن عن قوة عزم، ولم يصدر عن أمر جزم. وهؤلاء الشهبان^(٢) وحش في صورة الإنس؛ فلم يؤمن متى طرقهم هذا النبأ أن يتأخروا عائدين في جهالتهم، مرتدين في عمايتهم، ويصير ما قد أنشئ من^(٣) التدبير حتى انضم النسر، وانسد الحلل، بعرض الانتقاض، وبسنن

(١) في الأصل: عنهم.

(٢) من طوائف الأكراد، وقد ورد ذكرهم ص ١٢٣.

(٣) في الأصل: امن.

الانتكاث، وما مُرادُ عَكْبَرٍ إلّا هذا؛ فإنّ القومَ لو راجعوا غوايتهم؛ لنفقت سوقُ
عَكْبَرٍ بعدما كَسَدَتْ، ولهبّت ريحُه بعد ما رَكَدَتْ. ومَوَلَايَ يتدبّر ما أوردُته،
ويقفُ على كتابي إلى أبي إسحاق الكاتب - أعزّه الله - فقد بسطته، وينوبُ عن
مَوَلَانَا - أدام الله أيامه - بحَضْرَةِ مَوَلَانَا الأمير؛ حتّى يُوردَ جميعه مَوْرَدَه، ويتبدّى
القول فيه ويردّدَه؛ ففي ذلك التقرُّبُ إلى الله - تعالى - ثم إلى أولياء النعم، وكلّ
طائفة من طوائف الأمم.

وله

وَصَلَ كِتَابُكَ - أَيُّهَا الْحَاكِمُ، أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِكَ - وَعَرَفْتُ مَا أَنْهَيْتَهُ، وَتَمَثَّلْتُ
[مَا] ^(١) تَشْكِيَّتَهُ، وَقَدْ خَاطَبْتُ أَبَا فَلَانٍ فِي بَابِكَ، بِمَا يُؤَدِّي إِلَى مُحَابَّكَ، وَقَدْ بَلَغْتَنِي
هَنَاتُ فَلَانٍ، وَلَا يَزَالُ يَتَرَدَّدُ فِي مَخَازِيهِ، وَيَتَعَثَّرُ فِي مَسَاوِيهِ، إِلَى أَنْ أَوْغُرَ ^(٢) فِي تَنَاوُلِ
السُّحْتِ الَّذِي جَمَعَهُ وَأَطْغَاهُ، وَالْحَطَامِ الَّذِي نَظَّمَهُ وَأَغْوَاهُ، وَأَيْمَ اللَّهِ لَسْتُ أَشْكَاكَ
مِنْ بَعْدِ لَا تَرْكَنَهُ عِظَةً وَازِعَةً، وَعِبْرَةً رَادِعَةً، فَتَقَدَّمَ بِعَرَضِ هَذَا الْفَصْلِ ^(٣) عَلَيْهِ؛
لِيَكُونَ جَارِيًا مَجْرَى الْإِنْذَارِ إِلَيْهِ، وَالَّذِينَ يَرِيشُونَ نَبْلَهُ، وَيُفَوِّقُونَ جَهْلَهُ، قَدْ أَخَذَتْ
عَلَيْهِمْ هَذِهِ الرُّقْعَةُ بِحُجَّةِ الْإِمْهَالِ، وَكَرِهْتُ فِيهِمْ ^(٤) خَطَّةَ الْاسْتِعْجَالِ، فَإِنْ عَادُوا
رَأَوْا كَيْفَ يَكُونُ التَّقْوِيمُ، وَالتَّثْقِيفُ، وَالْإِنْكَارُ، وَالتَّأْدِيبُ.

وقد بلغني أَنَّ فَلَانًا اعْتَرَضَ بَعْضَ مَا حَكَمْتَ بِهِ، وَزَعَمَهُ مُخَالَفًا لِقَوْلِ الْأُمَّةِ
بَأْسَرِهِ، وَأَبُو عَلِيٍّ مَنْ إِذَا أَحْسَنَ لَمْ يُحْسَبْ / [٥٧ ب] لَهُ، وَإِذَا أَسَاءَ لَمْ يُحَاسَبْ
عَلَيْهِ، وَهُوَ - فِي مَذْهَبِ نَفْسِهِ - ضَعِيفُ الْحِفْظِ، فَكَيْفَ فِي عِلْمِ أَصْحَابِنَا، وَهُوَ
أَوْسَعُ مِنَ الْبَحْرِ! وَقَدْ نَالَ مِنَ الْإِنْكَارِ، مَا أَلْجَأَهُ إِلَى خَطَّةِ الْإِعْتِذَارِ، وَكَانَ سَبِيلُكَ

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل: أوعز. وهو تصحيف.

(٣) في الأصل: اللفصل! وهو خطأ.

(٤) في الأصل: فيه. والصواب ما أثبتناه.

أَنْ تَزَجِرَهُ زَجْرًا يَمْنَعُ مِنَ التَّطْوِيلِ، وَالْقَالَ وَالْقِيلَ؛ فَإِنَّكَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَمَنْنِهِ، الْمُوثُوقُ
بِدِينِهِ وَعِلْمِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ وَفَهْمِهِ، وَمَوْعُظُكَ لَدَيَّ أَحْصَى مَوْعِظَ، وَمَشْرُوعُكَ عِنْدِي
أَعْدَبُ مَشْرَعٍ. وَكَاتَبْتُ بِأَخْبَارِكَ، وَذَكَرْتُ أَوْطَارَكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وله ذمُّ وتَهْجِين

اختلف - أطل الله بقاء مَوْلَاي - أهل الدِّين في خَبَر الواحد: هل يوجب العمل بغالب الظَّن؟ وقد صار مَوْلَاي يقول في خَبَر الفاسق بإيجاب العلم، فلست أدري ما هذا الرأي الذي حَسَن خَرَق الإجماع لديه، وَحَبَّب تَرْكَ الاتفاق إليه. وبعد، فعَهْدِي به وطُودُ يَذْبُل وأنف مُعْتَق لا يطوران^(١) بمقارنة حِلْمِهِ، ولا يُقدِّمان على مُسابقته في اجتماع لَبِّهِ، فكيف استخفَّهُ ما لا يرفع السَّمْعُ أَسْتَارَهُ لَوَعِيهِ، ولا يكشف القلبُ غطاءه لِحَفْظِهِ؟! وقد أَلْفْتُ منه رُجوعاً إلى رأيي فيما يشاهد، واستمداداً لمشورتي فيما يُعَاين، فكيف استبدَّ دوني بأمرٍ يغيبُ عنه وأحضره، وآثَر عَزْلِي عن مُهمٍّ ينأى دونه وأقر به؟!

وقد كان هذا الأهُوجُ فلانٌ الذي فَقَدَ الحياءَ صغيراً، فلم يُحْظَ به كبيراً، منذ استبدل أبو محمد - أدام الله عِزَّهُ - يطلق فيه من القول ما لا يتسع صدرُ البحر لاجتماعه، ولا يثبت قلبُ الصَّخر على سَماعه، فيتجاوز ويتجاوز، ويُسامح

(١) يَذْبُلُ وَمُعْتَق: جبلان عظيمان في بلاد العرب. ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٥٤، ص ٤٣٣. لا يطوران: لا يحومان حوله، ولا يدنوان منه، ولا يقربانه. لسان العرب، ج ٤، ص ٥٠٨ (طور). والمقصود: لا يبلغان مبلغه.

ويترخص، ولا يراه [إلا^(١)] كلباً نبح فلا يعرج عليه، ولا يلتفت إليه. ثم لا أمسك عن تقويمه إلا استحقاراً، ولا أنصت عن تأديبه إلا استصغاراً، حتى صار الإبقاء إغراءً، والإغضاء إغواءً، فجلس - وحياء مولاى التي أعدها غموساً - في صحن دار مولانا، فتكلم فيه بما يوجب الحد، ويقتضي الجلد، ولم يكن ذلك منه مساترة ومصاداة، بل وقع مجاهرة ومباداة، إلى أن اشتبك الخاص والعام في معرفته، ووقف الملك والسوقة على جليته، وحملته القحة بعد ذلك على معارضة أبي محمد - أدام الله عزه - حتى إذا مسه بطرف من تأنيبه، صرح في وجهه، بما كان يُورده / [٥٨ أ] وراء ظهره، فقنعه تقنيماً ضعيفاً بحسب عجزه، وضعف قلبه ويده، وبلغ ذلك الساقط إلى نسوان جمعهن حتى حصرن واستغنن، وما ترك طريقاً للتشيع إلا سلكه، ولا باباً للتقبيح إلا قرعه، بل ولجه.

وقد كان خبر ما تلفظ به ترقى إلى مولانا وامتنع، ورسم معاقبته لولا أن أبا محمد انقبض، ولم يغنه ما أتاه، ولا أقنعه ما جنّاه، حتى أخرج البرد تهوي نحو جرجان، كأنها قد أتت تخبر بشر بن مروان بقتل مصعب، ونشط مولاى لتلك الأساطير الطوال والطوامير^(٢) العراض، ولم يقل لما حمى^(٣) دمه لآل إسحاق بن

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) الطومار: نوع غليظ فاخر من القراطيس، يكتب فيه - عادة - إلى الملوك. قال ابن سيده: هو

الصحيفة، وقيل: دخیل، وأراه عربياً محضاً. الصولي، أدب الكتاب، ص ١٤٨؛ النديم،

الفهرست، ج ١، ق ١، ص ١٨، ص ١٩، ص ٢٠؛ لسان العرب، ج ٤، ص ٥٠٣ (طمر).

(٣) هكذا في الأصل. ولعلها: لسامعي ذمة.

بُندار بأصفهان: فلان - قدّس الله روحه - فلم لا أتوقّف، ريثما أتعرف، وأحلم،
قدر ما أعلم.

ولو جرى هناك ما يُستعظم هذا الاستعظام، ويستوجب هذا الملام؛ لكان
ذلك الصديق الصدوق يُنكر أو يخبر، ويؤدّب أو يُغيّر. لا جرم أنّ هذا الوقاح
أخذ الكتابين بيده يطوفُ بهما على كلّ بادٍ وحاضر، وحافٍ وناعل، ومُسْتَعْشٍ
وحاسر، حتّى ترك أبا محمد مُضْغَةً، وألبسه في الخدمة الشريفة هجئةً، وكاد يُدرّع
جاهه وَصْمَةً، ويوسعُ بناءه ثُلْمَةً، وبلغني ذلك وهو لا يُقلعُ عن الإذاعة، والنّشر
والإشاعة، فبعثتُ مَنْ تناولَ الكتائينِ منه، وإن كان على ما بلغني فرّق من
نُسخهما^(١) ما صحيفة المتلمّس^(٢) أقلُّ منه ضرراً، وكتابُ قريش^(٣) في مُباينة
رسول الله - صلى الله عليه [وسلم]^(٤) - أحسنُ منه أثراً، والله المستعان.

وأنا أكتبُ - يعلم الله - ويدي تتعثّرُ غيظاً مما وُرد، وحنقاً مما اتّفق، ولأنّ

(١) في الأصل: نسخها.

(٢) جرير بن عبد المسيح من بني ضُبَيْعَة، وهو خال طرفة بن العبد. كان ينادم عمرو بن هند ملك
الحيرة، فرأى منه أمراً نكراً؛ فكتب كتاباً إلى عامله على البحرين بقتله، وحمله إياه، ولما شك
بالأمر دفع الكتاب إلى غلام يقرأ، فقرأه وعرف ما فيه، وقال له: النجاء فقد أمر بقتلك، فهرب.
ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ١٠٤.

(٣) هو صحيفة مقاطعة قريش لبني هاشم وبني عبد المطلب، حينما حصروهم في شعب أبي طالب،
وقد علّقوا تلك الصحيفة في الكعبة، فأكلتها الأرضة إلا كلمة (باسمك اللهم). (وكتاب
قريش) مكررة مرتين في الأصل.

(٤) زيادة منا.

مَوْلَايَ تَبْلُغُ^(١) بِهِ سَلَامَةُ الطَّنْعِ وَسَلَامَةُ الْخُلُقِ إِلَى أَنْ يُتْلَاعَبَ بِحَلْمِهِ، وَيَتَعَبَّثَ بِصَفْحِهِ، أَيْقَدَّرْ مَوْلَايَ أَنَّ هَذَا اللَّعِينَ اسْتَبَقَى مَوْضِعًا لِلتَّظْلُمِ لَمْ يَطَأْهُ بِأَعْقَابِ عَثْرَتِهِ؟ وَغَادِرَ مَكَانًا لِلتَّأَلُّمِ لَمْ يَعْمَرْهُ بِأَشْخَاصِ أَشْرَتِهِ؟ وَأَنَّهُ لَمْ يَنْظَمْ نِسْوَةً يَتَضَاغِينَ بِيَابِ الْمِيدَانِ الْعَالِي، فَلَوْ لَمْ أَسْتَكْفَ سَطْوَةَ مَوْلَانَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمَلْعُونَةِ فِي الْقُرْآنِ^(٢)؛ لَكَانَتْ تُجْتَثُّ مِنْ أَصُولِهَا، وَتُقْتَلَعُ بِعُرُوقِهَا^(٣)! وَكَانَتْ عَلَى تَرَكِّ الْمَكَاتِبَةِ اسْتِيحَاشًا إِلَى أَنْ يَحْضَنِي مَوْلَايَ عَلَيْهَا؛ لَمَّا أَنْكَرَهُ مِنْ أَنْبَاءِ الْكِتَابَيْنِ الْوَارِدَيْنِ. وَمَا^(٤) عَرَفَ مَوْلَايَ جَلِيَّةَ الْحَالِ، وَلَا اطَّلَعَ عَلَى صِدْقِ الْمَقَالِ، وَلَا غَرَوْ فَإِنَّ ذَا الْحَلْمِ قُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا، وَقُعِقَتْ لَهُ الْحَصَا^(٥).

وَأَقُولُ أُخْرَى: إِنَّ مَوْلَانَا قَطَعَنِي بِقَدْرِ مَا وَصَلَ ذَلِكَ الْحَرَّ النَّفْسِ،

(١) فِي الْأَصْلِ: يَبْلُغُ.

(٢) هِيَ شَجَرَةُ الزَّقُومِ، شَبَّهَ بِهَا لَفْتَنَتَهُ. يَشِيرُ إِلَى الْآيَةِ ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرِّهَآةَ الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾ سُورَةُ الْإِسْرَاءِ، مِنَ الْآيَةِ ٦٠. انْظُرْ: الْقُرْطُبِيُّ، تَفْسِيرُهُ: الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، ج ١٠، ص ١٨٣.

(٣) يَشِيرُ إِلَى الْآيَةِ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ، الْآيَةُ ٢٦.

(٤) فِي الْأَصْلِ: وَلَمَّا.

(٥) فِي الْمَثَلِ: «لَا تُقْرِعْ لَهُ الْعَصَا، وَلَا تَقْلُقْ لَهُ الْحَصَا»، يُضْرَبُ لِلْمَحَنِّكَ الْمَجْرَّبِ. الْمِيدَانِي، مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ، ج ٢، ص ٢٤١. وَالَّذِي قُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا ذُو الْحَلْمِ: هُوَ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِي. الْمِيدَانِي، مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ، ج ١، ص ٣٧.

وأَوْحَشَنِي بحسب ما آنس / [٥٨ ب] ذلك الأخ العزيز! نعم، ورأيتُ مَوْلَايَ
يشهد له في فَضْلِ من كتابه بالفَضْل، وأظنّه لم يكتب بذلك حتّى استغفر الله
سَبْعِينَ مَرَّةً، ثم لم يجدْ مغفرةً يُرجى نفعُها، ويَحْسُنُ وقعُها. ومن الكبائر أنّ أبا محمد
يقطعُ مكاتِبته لهذا الزُّور الذي قامَ مقامَ رأيِ العَيْنِ، وعاد عِثانُ فيه ذا
الشهادتين^(١). لست أزوَى من التَّقْرِيعِ، ولكني أُمسِكُ ونيرانُ قلبي تَفُورُ، وأَرْضُ
صَدْرِي تَمُورُ. وأنتظرُ كتابَ مَوْلَايَ أبي محمد بما يمسحُ وجهَ الظلم بيدي العَدْلِ،
وإليّ بألف طومار من التَّنَصُّلِ، إنْ كان سمعي ينفُتِحُ للعذر. والسلام.

(١) لعله قصد الخليفة عِثان بن عفان.

وله

في تهجين غاشٍّ لوليِّ النعمة وذمِّ طريقته

كتابي - أطل الله بقاء سيِّدنا - ونعم الله لمولانا الأمير المؤيَّد مُتضاعفةً،
ودواعي التَّوفيق والتأييد إليه مُترادفة، والحمدُ لله ربَّ العالمين، وصلواته على
محمدٍ وآله أجمعين.

وعادَ الجوابُ عما طالعتُ به حَضرة سيِّدنا - أحضرها الله المناجَحَ - فعقد لي
أنواعاً من التَّشريف لا تكمل الهممُ لاقتراحها، ولا تقوى المنن على التماسها،
وسألتُ الله الكريمَ أن يجعلني لأنعم مولانا من الشاكرين، ويمدَّ ظلَّه علينا -
كافةً خَدَمِهِ المغمورين بأياديه ومِنته، والمستظهرين على الدَّهر بحُسن رأيه وعِزِّ
رايته، وكَرَمِ إيجابه، وشرفِ رعايته، إنه إذا شاء فعل.

وعُرض ما لم يَجْزِ الإِعراضُ عن إنهائه؛ وهو أنَّ إبراهيمَ بن القاسم كان - كما
عرَف سيِّدنا - يلبسُ هذه المددَ طريقته، ويغشي بأنواع الحيل صورته، ويتصرَّفُ
على أصنافٍ من الخيانة صارت السَّبب في ضياع الأموال، وتبليد الأعمال، وتحجُّز
الناس كافةً عن التَّنصُّح، بما اتَّفَق له من فَضْل رتبة، وتحسم الأَطماع جميعاً عن
التقرب بما اتَّجِه له من مزية القُرْبَة، وتقسم ما اسْتُرْعِيَه بين تَضْييع اقتضاه عَجْزُه
ونَقْصُه، وتغميضٍ أَوْجَبَه ارتشاؤه وغِشُّه.

وقد كنتُ أُلقيتُ إلى سيدنا الأستاذِ اطلّاعِ مَوْلانا الأميرِ على بعضِ ما أتاه
بامتدادِ الأيامِ، وجَنّاه بمساعِدَةِ الزّمانِ. هذا إلى ما كان يَشيُرُ به من أسبابِ حَدَثِ
المُغابِ والمصائرِ عن مغزاهِ منها، ويبيّهُ عليه من أحوالِ أَخْبَرِ^(١) التّائِجِ
والعواقبِ عن مَرَمَاهِ فيها. فلما بَسَطَني مَوْلانا لمشارَفَةِ هذه الأمورِ بجميلِ
هِدَايَتِهِ^(٢)، / [٥٩ أ] ونَشَطَني لمطالعةِ هذه المِهْمَاتِ بموفورِ عِنايَتِهِ؛ لم أدْعُ أَنْ أزلْتُ
الشُّبُهَةَ على هذه الأوقاتِ في احتياليهِ واختيانيهِ، ودفعْتُ المِرْيَةَ في اقتطاعِهِ
واحتجانيهِ، وكشفتُ عن حَقائِقِ ارتفاقِهِ عن الحقوقِ المُنْتَهَبَةِ، وارتشائه عن
الأموالِ المقتسَمَةِ، وأبْنْتُ عن أخذه من بيتِ المالِ أَكْثَرَ ما وَصَلَتْ إِلَيْهِ يَدُهُ، ومن
مُسْتَضْعَفِي الرِّعْيَةِ ما أَوْهَمَهَا أَنَّهُ يوفِّرُهُ، مقبِّحاً للأُحْدُوثةِ عن وليِّ نِعَمَتِهِ، وواقفاً في
مَهَبِطِ سَخَطِ اللَّهِ ونَقَمَتِهِ.

وقد كان هذا أَجْمَعُ يُتَجَاوَزُ عنه، وَيُعْضَى عن سالفِ ما بَدَرَ منه، وَيُقْتَصَرُ على
قَبْضِ يَدِهِ عن التَّبَسُّطِ، وَغَضُّ مَنْزِلَتِهِ عن التَّسْلُطِ، حَتَّى أَحَبَّ أَنْ يَنْتَعَشَ من
عِثْرَتِهِ بِأَيِّمانٍ يَجِدُّدُهَا، وَيُرَمِّمَ من رِتبَتِهِ بِأَقْسامٍ يُؤَكِّدُهَا، فَحَلَفَ بِحَيَاةِ مَوْلانا - أَطالها
اللهُ - على أَشْيَاءَ لم يَتَجَاوَزْ يَوْمُهُ حَتَّى أَقَرَّ فيها بِحَنَّتِهِ، ولم يَتَخَطَّ نَهَارُهُ حَتَّى أَفْصَحَ
بِكُذْبِهِ وَبَهْتِهِ؛ فَوُجِدَ الإِغْضَاءُ عن هذا عَجْزاً لو كانت سَيِّئَاتُهُ السَّابِقَةُ حَسَنَاتٍ

(١) في الأصل: أحرّت. والصواب ما أثبتناه.

(٢) مكررة في الأصل.

مقبولة، وجرائمه السالفة مساعي مشكورة، فكيف وهو رهين جرائر تخرج^(١) بها
الصدور، وغريق كبائر تضيق عنها الحلوم؟!

لا جرم أنه أذيق وبال تلبسه بالصرف عما كان يلابسه، وقُلد طوق الخزي
بالإبعاد عما كان يتقلده، وحلّ إقطاعه جزاء لما يقتطعه. فأما الحنث في اليمين فقد
علم سيدنا أن يمينه لو أخذت في مقابله، لما تُعدي أيسر الواجب في معاملته، غير
أن مولانا لم يفارق كريم طبيعه، ولم يحلّ كبر الخيانة حبة حلمه، ورسم أن يقتصر
من مراقبته على طرده وردّه إلى قيمة مثله، وترك مطالبته بعظيم ما ضمّ عليه يده،
وملاً منه حُضنه. وذكرت جملة الحديث على رسمي في الخدمة، أنه ضني الله
بحقوقها، ووفّقني لشروطها، إن شاء الله - تعالى.

(١) في الأصل: يخرج.

الكتاب التاسع

في القصة التي ولدنا بها
وما جرى من أخبارها

كتاب

في تهنئة بولادة وزيادة رتبة

كتابي - أطال الله بقاءك - عن سلامة، قد وصل الله أسبابها بالنعم رهنها ومؤتفها، ووكد أطنابها بعزة البسطة وشرفها، والحمد لله رب العالمين، وصلواته / [٥٩ ب] على محمد وآله أجمعين.

ووصل كتابك مفتتحاً بما عود الله العزيز أمره، العلي ذكره، من اعتزى إلينا برأيه ورويته، وعول علينا في سر أمره وعلايته، وكان على الإخلاص لنا مثابراً مواظباً، وفي التحقق بنا ثابتاً راتباً - من تيسير المحاب وتسهيلها، وتقريب الآمال وتعجيلها؛ ليتناول أمانيه بطراوتها وطلاوتها، ويحتني ثمار زكائها وحلاوتها، لا يعتاض عليه بعيد، ولا يتوعر دونه شديد؛ وبوصف ما كان من السلار إليك حين راعى - مع حق النجابة التي أفردك الله بمزيتها، والكفاية التي توحدك الله بحليتها - حلولك لدينا محل أعز الأولاد، وآثر الأعضاء والأنجاد؛ فألقى إليك بعهد، ووصل ضمائه بعقده، واسترعاك معقب أمره، وأوطأ عقبك كافة أهله، ومكنك في حاضر الوقت وعاجله، الأمر من عدة قلاع، شفعها بعدة من الضياع،

إلى ضروبٍ من التَّكْرِمَةِ صارت ألسنة نيتِه فيك واعتقاده، واعتضاده بك واعتداده.

وشرح فلانُ الصورةَ وفتَّحها، ولخَّصَ القِصَّةَ وحَقَّقها، فحمدنا الله كثيراً على ما عودناه في المؤثرين لدينا، والأقربين إلينا، تمكيناً وتمهيداً، وتقديماً وتأيداً؛ لتتسابق المنائح إليهم مُتَّصِلَةً الوُرود، وتتظاهر المناجح عليهم مُرتفعة الجُود، واعتدنا للسَّلاَر بما اعتمد فيه توخِّي مَسَرَّتنا، والزيادة في دواعي الثقة بحضرتنا، وذلك هو المأمول من مثله، في وفور فضله، وعرفانه بالدَّهر وحُكمه، وعِلْمه بالتقرب أين مَفْضاه وممرُّه، ومجاله ومُسْتَقَرُّه.

وسرَّنا له فيما دَبَّر به أمره، وحفظ^(١) فيه نيتَه؛ أن عزل الهوى عن زمامه، وعدل عن الرأْي وأحكامه؛ فوَلَّى مَنْ كان أشدَّ أزرًا، وأثبت حِجْرًا، وأطيب خَبْرًا، وأكثر نَفَرًا، وهو مُتَمِّمٌ من صلة السَّبب إلى ظِلٍّ لا انحسارَ لمداه، وحبلٍ لا انحلالٍ لِقَواه.

وسألنا الله له إطالة العمر، وتأخير الأمد، وإدامة السَّلامة، وتبليغ الأمل، وارتحنا لما أُلقيت إليك مقاليدُه استيجاباً واستحقاقاً، لا إيجاباً واتفاقاً، فإنك — بحمد الله ومنه — النجيبُ الذي لا يُفْصَحُ قَادِحُه، والليِّبُ الذي لا يُمَسِّكُ مادِحُه، قد اكتنفتك بواعثُ الاستقلال، وشملك الغناء في كلِّ حال، أنال الله

(١) في الأصل: وحفظه. والصواب ما أثبتناه.

فيك المراد، وحرّس عليك إحسانه المعتاد، وضاعفه بعد ذلك وزاد.

/ [٦٠ أ] ويجب^(١) أن يتلقّى ما كان من السّالار^(٢) بحقه من التقبّل والإكبار،
وحُسْنِ القَبول والائتمار؛ فقد قَضَى الحقّ وبالغ، وتناهى في الجميل وسارع،
واستعمل ما يستعمله الجامعُ علماً بالأيام، وخبراً بالنقض والإبرام، وإتقاناً
لأسباب السياسة، وكماً في السّبر للعامة والخاصة، وقد كاتّبناه نشكّر له ما قدّمه،
ونلتزم له المنة فيما تجشّمه، ونُعلمه أنّ الذي أتاه زيادة في التّمازج، ومادة للتّصافي
والتّواشج.

(١) (ويجب) مكررة مرتين في الأصل.

(٢) في الأصل: السلام.

وله

تهنئة بجعل ولي عهد

كتابي - أطل الله بقاء السَّلاَر - وأمور ممالك موكَّينا الملك السيِّد والأمير المؤيَّد في الاستقامة والاطِّراد، كفاء ما عودهما الله من الإنجاح والإسعاد، وأنا في ظلِّها حامدٌ لله ربِّ العالمين، وراغبٌ إليه في الصلاة على النبي محمد وآله أجمعين.

ولولا أنَّ صَفْوَةَ الأنبياء - صلواتُ الله عليهم أجمعين - وخيرة الله من الخلفاء الراشدين أفضيا بالعهود إلى ذوي الاستقلال، ورأياه من أصالة الرأي وآلة الكمال، وصار ذلك دولةً في دول العرب والعجم، وسائر الملوك والأمم، حتَّى عُدَّ المغفلُ عنه مضيِّعاً عزِّمه، والمقدَّم له مطيعاً حرِّمه - لما كتبتُ مهنتاً بما رآه السَّلاَرُ من إلباسِ فلانٍ جمالِ العهد والتَّفويض، مَشْفوعاً بإخسانه السَّائغ المستفيض، مع ثقتي بأن الله يحفظ الجمالَ بمكانِ السَّلاَرِ أبداً، ويصلُّ في البقاء بعدَ أمدٍ أمداً، ولكن أسألُ الله أن يُديمَ أيَّامه عامراً مكانه بنفسه، ومصرِّفاً أمره بيده، ورافعاً وُلده بامتدادٍ من عمره، وبالغاً فيهم ما يحاولُ بمرأى طرفه، ويجعلُ ما عقده أيمنَ معقود، ومن اعتمده أنصحَ مفوضٍ إليه استحقاقاً. وحصل من اعتداد مَوْلانا عما أتاه ما لا يقارع على وفور أقسامه، ولا يزاحم على مَشَارِعِه وجمامه.

وله تهنئة بولاية عهد

كتابي - أطال الله بقاء السَّلاَر - ومولانا سابغٌ ملابس العِزِّ والاستظهار،
مَسْعُودٌ / [٦٠ ب] بمواتاة الأيام والأقدار، وأنا سالمٌ في ظلِّه الظِّلِّيل، وبرأيه
الجميل. والحمدُ لله وحده.

ووصلَ كتابُ سيِّدي مُخْبِراً بما أتاه السَّلاَر في مَعْنَاه، وتوخَّاه من وفاقِ
مولانا وتحرَّاه، حتَّى جَعَلَهُ وَلِيَّ أَمْرِهِ وَعَهْدِهِ، وَمَرْجُوَّ يَوْمِهِ وَغَدِهِ، وَأَفْضَى إِلَيْهِ
بَسَدٍ خَصَاصِهِ، وَأَوْطَأَ أَعَزَّتِهِ أَثَرَهُ زِيَادَةً فِي اخْتِصَاصِهِ، غَيْرَ ذَاهِبٍ عَنِ الْجَلِيَّةِ
إِثَاراً لِلأَقْرَبِ نَسَباً، بَلْ مَاضِياً مَعَ الصَّوَابِ أَيْنَ صَادَفَ مَطْلَباً؛ فَسَرَّنِي اللهُ
بِهَذِهِ الْمِنَحِ الْمُرَادِفَةِ، وَالْمَنَنِ الْمُتَنَاصِفَةِ، وَسَأَلْتُ اللهَ إِطَالََةَ بَقَاءِ مَوْلَيْنَا؛ لِنَبْلُغَ
فِي ظِلَالِهِمَا الْآمَالَ، وَنَكْتَسِبَ بِعِزِّهِمَا الْجَلَالَ وَالْجَمَالَ، وَشَكَرْتُ لَهُ أَنْ
أَحْضَرَ السَّلاَرِ مِنَ الْعِزَائِمِ أَثْبَتَهَا قَوَاعِدَ، وَأَوْكَدَهَا مَعَاقِدَ، وَمِنَ الْآرَاءِ
أَرْفَعَهَا مَرَاقِبَ، وَأَحْمَدَهَا عَوَاقِبَ، وَحَمْدُهُ - تَعَالَى جَدُّهُ - أَنْ سَنَى ^(١) لِسَيِّدِي
مَا أَحَبَّهُ، وَأَسْنَى حَظَّهُ فِيهَا آثَرَهُ وَطَلَبَهُ، وَأَعْلَمَ مَنْ خَبَرَ عَنْ قُرْبٍ، أَوْ نَظَرَ عَنْ
بُعْدٍ، أَنَّ فَضِيلَةَ الْوَلَايَةِ، طَبَّقَتْ مَفْصِلَ الْكِفَايَةِ، وَوَلَايَةُ الْعَهْدِ، حَصَلَتْ

(١) في الأصل: يسني.

للمستقلّ الفرد، وحمّاه عن أن يكون الهوى رائداً في اصطفاؤه، وقائداً إلى استرعائه.

وقد أنهيتُ إلى المجلس العالي ما وَرَدَ؛ فاهتزّ مَوْلانا لسماعه، واستشّرح فلاناً حقيقة أحواله وأوضاعه، واعتدّ للسلار اعتداداً طالَ عنائه، وحسُن ارتهاؤه، وسكن إلى ما أُوتي سيّدي من الأمر الذي كان متربّصاً به حتّى استقرّ قراره الاستحقاق^(١)، واستمرّ بأحسن أطرادٍ وأجمل مساق، فخارَ الله لسيّدي فيما لا بسّه وتطوّقه، وبلّغه في كلّ حالٍ أمله وحققه، وأعانه من طاعة مَوْلانا على ما هو ملاكُ النعم وقوامها، ومساكُ الرُتب ونظامها، ووفقه لمقابلة اعتماد السلار إياه، بقضاء الفرض فيما استكفاه وولاه، إنه يفعل ما يريد.

وسيّدي يجعلُ عماد ما أُوتيّه، والعتاد فيما أُوليّه، الانقطاع إلى الله - تعالى - في سرّ أمره وجهره، وبطن أمره وظهره، وينوي الخير؛ فإنها نيّة تحفظ الرغائب عن الشرور، وتحرس المواهب عن الندود، ويخاطبني بخبره ووطره، إن شاء الله.

(١) في الأصل: لاستحقاق.

وله

تهنئة بمتجدد نعمة وعلو رتبة

/ [٦١ أ] أما قبلُ، أطال الله بقاء سيدي، فالحمد لله مُولي النعم، ومُسدي المنح، منه ابتداء الإحسان، وإليه مرجع الشكر آخر الزمان، وصلى الله على النبي محمد وآله الأخيار.

وأما بعدُ، فهنا الله سيدي الموهبة التي ساقها إليه، ومدَّ رواقها عليه؛ إذ^(١) كانت من عقائل المواهب، مُسفرة عن خصائص المراتب، وكيف لا تكون كذلك، وقد صدرت عن مالِك الأرض، ووليّ البسطِ والقبض، ومُصَرِّف الثقلَيْن، ومُدبِّر الخافقين، مولانا الملك السيّد، مكنوفة بكرم رائه، وشرف اختصاصه واختبائه، وخطبتها^(٢) عناية مولانا الأمير المؤيد، وحلّت من سيدي محلّ الإيجاب، والاستيجاب، والاستحقاق، دون الاتفاق، فعرفه الله ميامن أغزر شريعة، بأشرف ذريعة، وأبرع فضيلة، حصّلها بأرفع وسيلة، كما عرّفني فيه ما لم أزل أُؤثِّره وأرتجيه، وأعدّه به وأمنيّه، فحقّق الله ما قدّرتُه، وصدّق طيري الذي زجرتُه.

وأتاني كتاب مولانا دالاً على أنواع التكرمة التي أهل سيدي لها، وأصناف

(١) في الأصل: أو.

(٢) في الأصل: وخطبتها.

الأثرة التي اختصّه بها؛ فقويّ أملي وامتدّ، واستخّصّف أزرّي واشتدّ، ودعوتُ له
ثم لمولانا الأمير بثباتِ الوطأة، ودوامِ القدرة، واتّصالِ السلطان والبسطة؛
لنبلغِ المنازلَ الساميةَ باستيطانِ طاعتها وخدمتها، وشكرِ فضلها ونعمتها؛ لما به
تُستدامُ النعم دونَ الشرور، وتُحفظُ المنن عن مَشارعِ الكُنود، والله يسمع ويحيبُ.

كتبتُ هذه الأُحرفَ من بُوزنجرد^(١)، وإذا يسّر الله وصولي إلى الحضرةِ العاليةِ
بمنّه، ومثولي في المجلسِ بإذنه؛ قمتُ عن سيّدي بحقِّ الشكر، وخاطبتهُ بمزيدِ
تخليصٍ وشرح، وأقولُ قولاً مجملاً؛ ليقابلَ سيّدي هذه الرعايةَ بما يُرغب في
تشبيدها بأشباهها، وتشيعها بأمثالها؛ فقد علِمَ أنّي لم أُجلّ له - قطُّ - عن صورةٍ
إلاّ أرته الصّواب، ولم أُجلّ قلمي إليه بمشورةٍ إلاّ لفته الرّشاد. والله حسبي،
وصلواته على محمدٍ وآله.

(١) في الأصل: برزينجرد. والأرجح ما أثبتناه. وبوزنجرد (بفتح النون): قرية من قرى همذان.
وبسكون النون: من قرى مَرُو. السمعاني، الأنساب، ج ١، ص ٤١٢.

وله

جَوَابُ تَهْنِئَةِ بِمَزِيدِ رُتْبَةٍ

كتابي، ونَعَمْ اللهُ مُتَظَاهِرَةٌ، فِي الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،
[٦١ ب] وصلاته على محمدٍ وآله أجمعين.

وَوَصَلَ كِتَابُكَ يَبْسِمُ عَنْ تَغْرِ الْإِخْلَاصِ الصَّادِقِ، وَيَصِلُ طَارِي الْحَقِّ
الوَاجِبِ بَرَاهِنِ الذَّمَامِ السَّابِقِ، قَدْ وَصَفَتْ فِيهِ مَوْرِدَ الْبَشْرِ عَلَيْكَ، وَعَظَمَ
النُّعْمَى بِهَا لَدَيْكَ، فِيمَا جَدَّدَهُ لِي مَوْلَانَا تَشْرِيفًا لَمْ تَخَاطَبْهُ طَوَالِغُ الْأَمَالِ وَالطَّلَبَاتِ،
وَلَمْ تَخْطُبْهُ ^(١) نَوَازِعُ الْهِمَمِ وَالرَّغَبَاتِ، بَلْ تَطَوَّعَتْ بِهِ سِمَاءُ الْمَجْدِ، وَجَادَتْ لَهُ أَنْوَاءُ
الْمُلْكِ، فَتَضَمَّنَ مِنَ الْخَلْعِ أَسْنَاهَا، وَمِنَ السُّيُوفِ أَمْضَاهَا، وَمِنَ الْأَفْرَاسِ أَجْرَاهَا،
وَمِنَ الْمَرَائِبِ أَبْهَاهَا، وَمِنَ الْإِقْطَاعَاتِ أَوْفَرَهَا وَأَنْهَاهَا، ثُمَّ لَمْ يَقْنَعْ بِأَنْ جَادَ أَرْضِي،
وَنُورَ رَوْضِي، حَتَّى تَتَّبَعَ كُلَّ وَارِدٍ فِي جُمَّلَتِي، وَنَاهِضٍ لَخْدَمَتِي، فَطَبَّقَهُ بَغِيْثُ خَصِّهِ
بِسُقْيَاهُ ^(٢)، وَفَضَلَ تَوَحَّدَ سَنَاؤُهُ وَسَنَاهُ.

وهذه المواهبُ والرَّغَائِبُ، وَإِنْ عَلَتْ بِهَا الْمَنَازِلُ وَالْمَرَاتِبُ، وَتَجَدَّدَتْ مَعَهَا الْمَفَاخِرُ
وَالْمَنَاقِبُ، وَكَانَ فِيهَا الْعِزُّ الرَّاهِنُ الرَّاتِبُ؛ فَإِنَّ الْمُلْكَ السَّيِّدَ أَتْبَعَهَا بَعَارِفَةَ فَعَمٍ ^(٣)

(١) فِي الْأَصْلِ: يَخْطُبُهُ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: سَقْيَاهُ.

(٣) فَعَمُ الْوَرْدُ: انْتَشَرَتْ رَائِحَتُهُ الزَّكِيَّةُ وَمَلَأَتْ الْمَكَانَ. لِسَانُ الْعَرَبِ، ج ١٢، ص ٤٥٦ (فَعَم).

الخافقين عَرَفُهَا، وأفعم المشرقين وَصَفُهَا، وتوضَّحتْ جِباهُ التاريخ بغيرها،
وافْتَتَحَتْ صَفَحَاتِ السَّيْرِ بخبرها؛ إذ رَكِبَ - أدام الله سلطانه - إِلَيَّ بِنَفْسِهِ، غُلُوءاً
في الكَرَمِ، وإسداءً لقاصية النِّعم، وتوخيّاً لوفاق مَوْلانا في خادِمِهِ، ورَيْبِ
مَكَارِمِهِ، فكان يوماً غَبِطَتْ سَماؤُهُ أَرْضَهُ، ونجومُهُ تَرَبَّهُ، ووقعَ الإجماعُ، بحيث
ازتفعَ النزاعُ، على أَنَّ هذه المكرمة لم تُقسَمْ لأحدٍ قبلي، فيجاريني في رِهانِها،
ويجاذبني على عِنانِها.

والحمدُ لله مُسْنِي المِنَّةِ ومُتَّيِّحِها، ومُجْزِلِ الفَوَاضِلِ ومُبِيحِها، حَمْداً يُوَفِّقُ لشكر
نظرة الجميل، وإنعامه بما يوفي على التأمل، وإياه أسألُ أَنْ يَصِلِّيَ على النبيِّ محمدٍ وآلِهِ،
ويطيلَ بقاءَ مَوْلانا ملكِ الملوك^(١) ما رُوِيَ أخبارُ مَساعِيهِ، وتُلتِ آثارُ مَعاليهِ، مشبوحَ
الباعِ بتَصْرِيفِ أزمَةِ^(٢) الزمانِ، يدين له الثَّقَلانِ، ويتصرَّف - كَهَمِّهِ - المَلَكوانِ، ويديمَ
أيامَ مَوْلانا الأَميرِ المؤيَّدِ، ورايَتَهُ تفرِّغُ الرِّاياتِ، وولايَتُهُ تَسعُ الولاياتِ، نافذَ
الأوامرِ، ضاحِكِ المآثرِ، مَحْدوماً بأيدي الأقدارِ، مُبَلِّغاً في أوليائِهِ وأعدائِهِ قاصيةَ
الإيثارِ، ومعونتي على أَنْ أَكونَ لهما خادِماً تَرَكُو لَدِيهِ الصَّنِيعَةَ، وتُحَرِّسُ عنده
الودِيعَةَ، وتُعتمدُ منه النصيحةُ، وتشهدُ لَدِيهِ النِّيَّةُ الصَّريحةُ، والله سميعٌ مجيبٌ.

وَأَنْتَ - أَيْدِكَ اللهُ - مُسْتَغْنٍ عَنْ أَنْ تَصِفَ حَالَكَ فِي قُوَّةِ أَمْلِكَ، وَشِدَّةِ
جَذْلِكَ؛ إِذْ كُنْتُ / [٦٢ أ] أَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْكَ بِالِاخْتِيَارِ، قَبْلَ الْإِخْبَارِ، وبِالْمُشَاهَدَةِ
قَبْلَ شَهَادَةِ الْبَيَانِ، لَا عَدْمَتُكَ، وَأَعَانَ اللهُ عَلَى الْمُنَوِيِّ فَيْكَ.

(١) انظر ص ٤٣، حاشية (١).

(٢) في الأصل: أزمته، وهو تحريف.

وله

كتابي وأروقة العز علينا ممدودة، وأفنية الملك لدينا ممهودة. والحمد لله،
وصلواته على النبي محمد وآله.

ووصل كتابك مخبراً بانكفائك عن وجهتك، متعرِّفاً المناجح في عزمتك،
مُلقي المحاب في هَضمتك، ربيع السَّعي في مسيرك وأوتيتك؛ فأنسنا الله بما ألبسك
من أثواب الجمال، وأفاض عليك من مدارع الإقبال، حتى عَرَفَ البعيدُ عرفانَ
القريب، وأيقنَ الغريبُ إيقانَ النسيب؛ أن الدولة القاهرة حين عُدَّت ابناً
وفتها، وصنوها وأخاها؛ منحتك من السَّعادة ما يفوت الآمال أن تُخطيه،
والظنون أن ترومه وتقتضيه، وتلك حالها وحالك ما أردت، وأين توجهت
وقصدت.

فالحمد لله ولي الحمد ومُسْتَحَقُّه، وقاسم الفضل لمن فضَّل من خلقه، وزاد الله
أيام مولانا الملك امتداداً، وأركان عزته اشتداداً، وقوانا على طاعته التي من
استشعرها امتطى النجم تمثيلاً، وأوسع الدهر تذليلاً، وأوزعنا الله أن نشكر ما
عوّده في أنفسنا إيراً زَند، واعتلاء جُند، واتصال سَعْدٍ بسَعْد، ثم في المخلصين
لنا والأخصيين بنا؛ تمكُّناً من الرغائب، وتدرُّجاً في المراتب، واقتراعاً^(١) لمحاسن

(١) في الأصل: واقتراعاً. وهو خطأ.

الزمان، واتساعاً في المكان والإمكان، وزادنا ابتهاجاً بما أُوتيتَه وأُتيته، وانتهيتَ إليه وأنهيته، فأكمل به فلانٌ سيّدي رِفْدَه، وأنجز معه وَعْدَه، وتجاوزَ به الاقتصادَ إلى الإكثار، وجمع فيه الإيثارَ إلى الاستبصار^(١)، حين اختَصَّك بالقلعة التي كان قدَّمها على قلاعِهِ ومعاقله، وجعلها أخَصَّ رِباعه ومنازله، مبالغاً في التنويه، ومتحرّياً من الجميل ما لا يَنازِعُ فيه، ومثْلُهُ آتٍ من المآثر ما يطيبُ شكره، ويطير ذِكْرَه، ويحصلُ به مِن إحمادِ مَوْلانا ما تَنافَسَ عليه القلوبُ والنفوسُ، ويشتركُ في استمداده الرئيسُ والمرؤوسُ؛ وَمِن اعتدادنا ما لا تَميلُ قواعِدُه، ولا تحول معاهِدُه، فهَنَّاكَ اللهُ ما أُطْرِفْتَ، وعَرَّفَكَ بركةَ ما استأنفتَ، وَمَنَحَكَ أضعافَ ما استزدتَ واستضفتَ، ونحن نتوقَّع ما يردُّ منك بتخليص / [٦٢ ب] الصُّورة وإيضاحها، وإنهاء جليَّتِها والكشف عن أوضاحها، مع أخبارك وأوطارك، إن شاء الله.

(١) في الأصل: إلى ترك الاستبصار.

وله

تهنئة بمتجدد الوزارة

كتابي - أطال الله بقاء الشَّريف سيّدي ومَوْلای - والأُمور بمضاء رأي
مَوْلانا وعُلُوّ رايته، ونُفوذ حُكم مَوْلانا الأمير المُؤيّد وعُلُوّ حِكْمته، على ما عَوَدَهما
اللهُ الكريم نَجْمًا صاعداً، وعِزًّا زائداً، وسُلطاناً متيناً، وفضلاً مبیناً، وما فَوَّضاه إلى
مَنابِي، وناطاه باستخدامي، جارِ بعون الله - تعالى - على ما النُّجح فيه مَضمون،
والحلل عليه مأمونٌ. والحمد لله ربّ العالمين، وصلواته على النبيِّ محمدٍ وآله
أجمعين.

ووصل كتابُ سيّدي مهتئاً بالنعم التي ألبسني الله - تعالى - أجدها،
ومنّحني أجلّها، فيما أهّلني له مَوْلانا من إكرامٍ اقترنَ طارئُه براهِنه، وناشئُه
بقاطنُه، وإنعام هو، وإن كانت شِعابُه تسيلُ إليّ منذ صحبتُ الزمان، وتقرُّ عندي
منذ عرفتُ الأيام؛ فإنّ موافيه أوفى^(١) على ماضيه، وحاضره أرمى^(٢) على
مُنقضيهِ؛ وشرفني به مَوْلانا من اختصارِ طُرُق الآمال إليّ، وجمع شُعَبِ الأعمال في
يديّ، إلى ضروبٍ من الإحسان، إن استنجدتُ عليها الوصفَ تقاعداً بي، وإن

(١) في الأصل: أوفى. وهو خطأ.

(٢) أرمى: أربى.

استمددت لها بالشرح لم يهتز لي، وعرفت ما أنبأ عنه الشريف من طاعته سلطان الغبطة، وبذله الإمكان في إكبار المنحة، وتصرف فيه من الأدعية التي موثقها مأخوذة، ومواقيتها معلومة، وصحفها منشورة، وكتبها مرقومة، فهي بالإجابة متقبلة، وبالسعادة متكفلة. وفهمت الجميع.

وأما تفضل الله علي: فقد جاوز حدود النعم المعهودة، والقسم المشهودة، التي تضمن آيات عز^(١) وسعادة جد، ومساعدة قدر، فإنه - وله المنة - شفع كل منحة سوغنيها، بمحنة رد المنابذين فيها، وكل رتبة فتح لي بابها، بنكبة مكن منهم أنيابها؛ فنلت بحوله وقوته ما ابتغيت، وقد بغيت على ما بعيت، وبقي أن أؤدي فرائض هذا الطول العظيم، والمن الجسيم.

وأما إفضال مولانا الملك السيد: فهو الذي لو استعرت له كواهل الأطواد، ومئون / [٦٣ أ] السبع الشداد؛ لما أقلتته عظماً، ولرأته^(٢) أمماً، ولو كان البحر مداداً، والشجر أقلاماً حداداً^(٣)؛ لما طمعت في الإخبار عن قدره، والإفصاح عن

(١) في الأصل: وعز.

(٢) في الأصل: ولا رأته.

(٣) من قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ سورة الكهف، الآية ١٠٩، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِذْتُ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ سورة لقمان، الآية ٢٧.

عُلُوْ أَمْرِهِ، وَلَكِنِّي أَكِلُ إِلَى مَا يَرُوهُ الرُّكْبُ، وَيَنْطِقُ بِهِ الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ.

وَأَمَّا مَا جَدَّدَهُ مَوْلَانَا لَخَادِمِهِ وَغَدِيَّ مَكَارِمِهِ مِنَ التَّشْرِيفِ الَّذِي لَوْ ضُرِبَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ لَقُلْتُ: جَاَزَ الْجُوزَاءَ سَمْتًا، وَعَزَلَ السَّمَاءَ الْأَعْزَلَ سَمَكًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَقَدْ أَتَى بِمَا أَنْفَ عَلَى الْحِسَابِ وَالْمَحْسَبَةِ، وَالْمَنْحِ الرَّاهِنَةِ وَالْمَكْتَسَبَةِ، وَجَادَ^(١) مِنَ الْمَوَاهِبِ بِمَا لَا يَطْوُلُ بِهِ بَاغُ الدَّهْرِ، وَلَا يَتَّسِعُ لَهُ صَدْرُ الْبَحْرِ.

والله - تعالى - يُضَاهِي عَلَيْهَا مَلَابِسَ التَّمَكِينِ، وَيَجْرُسُ سُلْطَانَهُمَا عَلَى الدُّنْيَا وَالدِّينِ؛ لَتَدْوِمَ الْحَوْزَةَ مُحْفُوظَةً فِي أَيَّامِهَا، وَالْبَيْضَةَ مُحْرُوسَةً فِي ظِلَالِ أَعْلَامِهَا، إِنَّهُ فَعَّالٌ لَمَّا يَرِيدُ.

وَالشَّرِيفُ مُسْتَعْنٍ بِمَا جَمَعَنَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ حَالٍ لَوْلَا أَنَّهُ مِنْ مُضَرٍّ فِي سُوَيْدَاءِ قَلْبِهَا، وَمِنْ هَاشِمٍ فِي سَوَادِ طَرْفِهَا، وَمِنْ الرِّسَالَةِ فِي مَهَبِطِ وَحْيِهَا، وَمِنْ الْإِمَامَةِ فِي مَوْقِفِ عِزِّهَا؛ لَقُلْتُ: هِيَ الْقُرْبَى، وَالرَّحِمُ الدُّنْيَا، فَلَا غَرَوَ أَنْ أَكُونَ عِنْدَ النُّعْمَةِ أَسْوَغُهَا، وَالذَّرَجَةِ أُبْلَغُهَا، نَاطِرًا فِي عَطْفِي مَسْرَّةً وَاعْتِبَاطًا، وَعَامِرًا طَرْفِي بِهِجَةِ وَنَشَاطٍ، وَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَقَ فَرَسُهُ فَجْثًا وَنَعْرًا، وَهَذَا جَعْفَرُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ أَثْنِي عَلَيْهِ فَخَجَلُ. بَلَغَ اللَّهُ الشَّرِيفَ فِي نَفْسِهِ وَأَحْبَبْتَهُ، نَهَايَةَ مُرَادِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَلَا أَعْدَمْنِي وَدَّه^(٢) الَّذِي لَوْ مُثِّلَ شَخْصًا لَأَوْطَاهُ الْوَفَاءَ خَدَّهُ وَجَبْهَتَهُ، وَلَوْ

(١) فِي الْأَصْلِ: وَجَدْتُ. وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: آدَهُ. وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ.

أصبح الزمان أدهماً لكان قرحته، لا بل والله غرته، ولكن على الشريف، بعد هذا تكليفٌ مني وتوظيف؛ وهو أن يُنْهَضَ لي لِسَانَهُ وَقَلَمَهُ، ويتعب بَنَانَهُ وفَمَهُ؛ شكراً للأمير الجليل صاحب الجيش مَوْلَايَ وَمَنْ أَنَا عَبْدُهُ، عن أياديه التي هي مَشَارِقُ الجَدِّ، وأَثَمَانُ الكَرَمِ المَحْضِ، ولقد ملأني منها آنفاً، بعد الذي أولاني سالفاً، ما يُحْصَى رَمْلُ عَالِجِ قَبْلِهِ، ولا يستطيع غيرُ الحَفْظَةِ حِفْظُهُ، وهذه جملةٌ تغني من ألقى السَّمْعَ، وأخلى لها الذرع:

وقد يُدْرِكُ الموحى بُبَانَةَ نَفْسِهِ وذو القَوْلِ لم يدرك من الأمر طائلاً

الأشغال - أيد الله الشريف - عليّ مُزْدَحِمَةٌ كَالْعَادَةِ فِي بَاكُورَةِ الْأَعْمَالِ، وكرهتُ تأخَرَ الجوابِ؛ طلباً للجِسامِ، وانتظاراً لخلوِّ الفِكرِ، وتوقُّعاً لانتجاعِ القرِيحةِ؛ فأمليتُ إملاءً مَنْ يَسَابِقُ لِسَانُهُ قَلَمَ كَاتِبِهِ، ويَسْتَرْسِلُ فَيُلْقِي الكَلَامَ عَلَى عَوَاهِينِهِ، علماً بأنَّ / [٦٣ ب] الشريفَ إن رأى جميلاً أراه، وإن شاهد تقصيراً واره.

وله

كتابي - أطل الله بقاء الأمير مولاي - ومولانا بما يكنفه من تفضل الله وإحسانه، وبركة الملك السيد وسعادة أيامه مُعافى موفور، والله محمود مشكور، وصلاته على خيرته محمد وعترته.

وقد جمع الله للأمير صاحب الجيش من علو الخطر، وحسن الأثر، وارتفاع المكان، وانقياد الزمان، والرأي المستنبط دفائن القلوب، والعلم المستخرج ودائع الغيوب، والفضائل التي لو قُسمت على البرية ماضيها وغابرها، وبرها وفاجرها، لو سعت جماعتهم، وكفت كافتهم - ما يكبر معه محله عن التهاني بما يتجدد لديه من النعم ولو كانت القطر عداً، وأعجزت الألسنة وصفاً، وتخطت الشكر سبقاً، وأتعبت الأيدي حسباً؛ إلا أن للأولياء المخلصين، والأوداء المختصين، أن ينبؤوا عن إكبارهم لما يضاعف الله الكريم من بسط يده، وإسعاد جدّه، والزيادة في ارتفاع قدره، وأنبساط قدرته وأمره.

وعرفت خبر الوصلة التي لا مرمى يطلب وراءها للجلال، ولا نُعمى تقف إزاءها في الجمال، ولا شمل أشرف منها^(١) اجتماعاً، ولا مزية أتم منها^(٢) ارتفاعاً،

(١) في الأصل: فيها.

(٢) في الأصل: منه.

فَبَيْنَا أَنَا فِي تَوْفِيَةِ هَذِهِ الْحَالِ حَظَّهَا مِنَ الْإِسْتِبْشَارِ بِهَا، وَالتَّبَشِيرِ بِكَرَمِ مَنْصِبِهَا؛ إِذْ عَرَفْتُ خَبَرَ الْبَلَدِ الَّذِي أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَى أَهْلِهِ، وَعَطَفَ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِهِ؛ إِذْ أُضِيفَ إِلَى مَا يَلَا حِظَّهُ الْأَمِيرُ بِعَيْنِ إِيَالَتِهِ، وَيَنْفِي خَلْلَهُ بِفَضْلِ أَصَالَتِهِ؛ فَلَزِمْتَنِي فِرَوضُ شُكْرِ أَسْأَلُ اللَّهَ الْمَعُونَةَ عَلَى أَدَائِهَا، وَالتَّوْفِيقَ لِتَحْمُلِ أَعْبَائِهَا، وَمَنْ سُرَّ - أَدَامَ اللَّهُ عُلوَّ الْأَمِيرِ - فِي هَذِهِ الْحَالِ لِنِعَمِ مُسْتَفَادَةٍ، وَرُتَبِ مُزْدَادَةٍ، فَسُرُورِي لِمَا أَعْلَمَهُ - أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ - يَكْتَسِبُهُ فِي كُلِّ عَمَلٍ يَدْبُرُهُ، وَأَمْرٍ يَقَرُّرُهُ؛ مِنْ أَحْدُوثَةٍ جَمِيلَةٍ، وَمَثُوبَةٍ جَزِيلَةٍ، وَيُؤَثِّرُهُ؛ مِنْ إِحْيَاءِ عَدْلٍ وَإِمَاتَةِ ظُلْمٍ، وَنَشْرِ نَصَفَةٍ وَطَيِّ غَشْمٍ، وَرَفْقٍ بِضَعِيفٍ، وَإِغَاثَةٍ لِلْهَيْفِ، وَعِمَارَةٍ لِسُبُلِ الْخَيْرَاتِ، وَإِضْاحٍ لَطُرُقِ الْمَبْرَاتِ، فَبَارَكَ اللَّهُ لِلْأَمِيرِ فِي الْأَمْرِ الَّذِي عَقَدَهُ، وَأَحْمَدَهُ إِيَاهُ وَأَسْعَدَهُ، وَجَعَلَهُ مَوْصُولًا مِنْ زَكَاءِ الْوَلَدِ، وَنَمَاءِ الْعَدَدِ، وَاتِّصَالَ الْحَبْلِ، وَتَكْثِيرِ النَّسْلِ، وَعَرَفَهُ مَنْ يُؤْمِنُ مَا بَاشَرَهُ، / [٦٤ أ] بِتَدْبِيرِ الْخَيْرِ وَالْخَيْرَةِ، وَالْبَرَكَاتِ الْحَاضِرَةِ وَالْمُنْتَظَرَةِ، وَجَعَلَ الْمَنَاحِ إِلَيْهِ أَرْسَالًا، لَا تَمَلُّ تَوَالِيًا وَاتِّصَالًا، وَعَيْنُ كَلَاءَةِ اللَّهِ تَرَعَاهَا وَتُرَاعِيهَا، وَيَدُّ حِرَاسَتِهِ تَحْفَظُهَا وَتَقِيهَا، إِنَّهُ فَعَالٌ لِمَا يَشَاءُ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يُصَرِّفَنِي عَلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ؛ فَعَلَّ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وله

تهنئة بالوزارة إلى أبي الفتح بن أبي الفضل ابن العميد

أنا أهني - أطل الله بقاء مولاى - الوزارة بإلقائها إلى فضله مقادتها،
وبلوغها في ظلّه إرادتها، وانحيازها إلى جنبته واضحة المجد والفخر، وتوشحها
من كفايته بغير سائلة على وجه الدهر، وأشكر له - أدام الله نعمته - حنوه عليها،
وعطفه عنان الفكر إليها، حتى قرّت لديه قرارها، وأثقت بيديه نارها، بعد أن
هفا قلبها إشفاقاً من استشراف أناس النقص لها، وخرج صدرها من تحدّث
أحلاس الجهل بها.

ولا غرو؛ فهي وليدة داره، قد آلت لا تخطّ خطته، وعاهدت لا برحت
عرصته، فالحمد لله الذي أقر عين الفضل، ووطأ بها دار المجد، وترك الحساد
يتعثرون في ذيول الخيبة، ويتسقطون في فصول الحسرة، حمداً يديم أيام الأمير
السيد ويُطيل بقاءه، ويحرس عزّه وينصر لواءه؛ فلقد شرح صدور المحاسن، وشدّ
ظهور المحامد، بتفويض الصدر إلى من وليه بحقّين: قديم وحديث، وأوليه
بفضلين: مكتسب وموروث؛ لأن مولاى وإن كان بكفايته، مُستغنياً عن التّغويل
على أوليته، فليس الاعتزاء إلى العميد - قدّس الله روحه - ييسر؛ فيحقّر أمره،
ولا الانتفاء إلى الأستاذ الرئيس - برّد الله ضريحه - بقليل؛ فيترك ذكره. هيهات!
إنّ الرّئاسة خيّم ثمّ متشبّثة بأعطافهم، متنقلة في أكنافهم، حتى استكمل مولاى

جَلَّالَهَا، وَوَفَّاهَا حَظَّهَا وَجَمَّالَهَا:

فَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا^(١)

وَقَّقه الله لَطَاعَتِهِ الَّتِي هِيَ أَسْعَدُ مَتَجَرٍّ، وَأَعْظَمُ مَفْخَرٍ، ثُمَّ لَطَاعَةِ وَلِيِّ نِعْمَتِهِ؛
فَهِىَ حَتْمٌ لَا يُرْفَعُ مَكْتُوبُهُ، وَفَرَضٌ لَا يُنْسَخُ وَجُوبُهُ، وَلَقَاءٌ فِي نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ نَجْرًا
وَطَبْعًا، الشَّرِيفَةِ أَضْلًا وَفَرَعًا، أَفْضَلَ سَعَادَةٍ قُسِمَتْ لَوَالِي عَمَلٍ، وَأَخْضَرَ
/ [٦٤ ب] بَرَكَةٍ أُسْهِمَتْ لِمَسَامِي أَمَلٍ، بِمَنْتِهِ.

أَنَا مُسْتَغْنٍ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ الْأَمِيرِ - عَنْ أَنْ أَصِفَ مَا خَصَّنِي مِنْ
بَهْجَةِ هَذِهِ الْمُنْحَةِ، وَخَلَصَ إِلَيَّ مِنْ جِدَّةِ هَذِهِ النِّعْمَةِ؛ فَإِنِّي وَالْوِزَارَةَ فِي خِدْمَةِ
الْأَسْتَاذِ الرَّئِيسِ أَخَوَانِ، وَرَدَّنَاهَا^(٢) جَمِيعًا، وَوَرَّثْنَاهَا مَوْلَايَ مَعًا، غَيْرَ أَنِّي قَدْ
جَلَوْتُ مِنَ الشُّكْرِ لِلَّهِ مَا رَجَوْتُ أَنْ يَحْمِنَنِي مَوَاقِفَ الْجُحُودِ، وَيُؤْذَنَ مَوْلَايَ
بِعَوَارِفِ الْمَزِيدِ، وَصَدَقْتُ نَذْرًا أَسْلَفْتُهَا مِنْذُ مَدَّةٍ، وَأَنْجَزْتُ شَرْوَطًا قَدَّمْتُهَا مِنْذُ
بُرْهَةِ، وَآخِرَ دَعْوَايَ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١) لأبي العتاهية في الخليفة المهدي. الأغاني، ج ٤، ص ٣٣.

(٢) في الأصل: وردناهما.

وله تهنئة بمولود

من المواهب التي يجبُ عليَّ إشاعة ذِكْرِها، والإطنابُ في شُكْرِها، وارتياحُ
نفوسِ أولي الأخطار لها، وانسراحُ صُدُورِ ذوي الأقدارِ بها: مَوْهبةٌ كَثُرَتْ محاسِنُ
الأرضِ، ووفّرت أعدادَ أبناءِ المجدِّ، وأطلعتْ مزيداً في نجومِ السُّرُورِ كالموهبة
عندك يا مَوْلَاي - أدام الله عِزَّكَ - في الفارسِ الذي بَسَطَ البِشْرَ على وُجُوهِ
الزمانِ، وأرى الطَّلَاقَةَ في مَطْلَعِ الأيامِ، وضاعَفَ المسرَّةَ في قلوبِ الأوداءِ،
وأهدى الكَمَدَ لِنفوسِ الأعداءِ. وإلى الله - عزَّ وجلَّ - أرغبُ في تعريفكم -
مَعاشِرَ سادتي وآبائه - أعظمَ السَّعاداتِ في طُلُوعِهِ ونِمائِهِ؛ فإنكم أهلُ بيتٍ تَقْوَى
بِهِم مَنُّ المكارِمِ، ويشتدُّ فيهِم أزرُ المحامِدي، وتَقَرُّ لَهُم أعينُ المحاسِنِ، ومَن هذا
الذي لا يمتلئ بهجةً، ولا تغصُّ أعضاؤه غِبطَةً، وقد طَلَعَ في أفقِ الحرِّيَّةِ أسعدُ
نجمٍ، ونَجَمَ في حدائقِ المروءةِ أزكى غُصْنٍ؟ وأقولُ: الحمد لله، كلمةً رضي الله
- تعالى - بها مِن خَلْقِهِ على عَظِيمِ مَنِّهِ، وجَسِيمِ إِحْسَانِهِ وطَوْلِهِ، وأُتْبِعُها بالشكرِ
لله؛ استدامةً للطيفِ صُنْعِهِ، واستزادةً من كريمِ فَضْلِهِ، وأسأله - بعدَ الصَّلَاةِ على
النبي محمدٍ وآله - أن يعمِّركَ - يا مَوْلَاي - حتَّى ترى هذا الهِلَالَ قمرًا باهرًا،
وبَدْرًا زاهرًا، تكثر به عِدَّةُ حَفَدَتِكَ، وتعظمُ به غُصَّةُ حَسَدَتِكَ، ثم تُهَنِّأُ في أسباطِهِ

بعد أولاده، وتكفل الجميع على مُرادك ومُرادِه، من حيث لا تهتدي النوائبُ إلى عِراضِكم، ولا تطمعُ الحوادثُ في انتقاصِكم، والمسؤولُ أكرمُ مأمول.

أنا أشكو - يا مولاي - تأخّر المبشّر عني مع المشاركة التي وكّد الله / [٦٥ أ] أسبابها، والمشابكة التي مهّد أنسابها، وقد كان يجوز أن يُحسن الظنّ بمساهمتي، ويُجملَ التقدير في مُخالصتي، ولا أحلّ بمنزلة الأبعد عن الأهل والعشيرة، وأقابلَ عمّا عندي من صفاء العقيدة والسريّة. وأعتذر من تأخري لملازمتي المدينة، على خدمة الحاضرة الجليّة، وأسأل تعريفِي اسم الفتى - أيّده الله - وكنيته، فغرة الفضل لا يخفى اسمُها، وقرحة المجد لا يطوى ذكرُها، ولو ترك غفلاً لو سمّته المفاخر، وسمّته المناقب، وقيل: هو الشّعري العبور والنجم الثاقب.

وله

إلى أبي الفرج الحنّاط

وَصَلَ كِتَابُكَ - يَا سَيِّدِي وَوَلَدِي، أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ - فَأَهْدِي مَسَرَّةً طَالَ بِهَا
الْعَهْدُ، وَاشْتَدَّ قِبَلَهَا الْعَتَبُ، وَفَكَكْتُهِ عَنِ التَّهْنِئَةِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي جَلَّتْ عَنِ النَّعَمِ،
وَوَسَّعَتْ بِفَضْلِهَا كَافَّةَ الْأُمَمِ، فَلَا فَتَحَ يُقَرَّنُ إِلَيْهَا مَذْ عُرِفَتْ فَتَوْحُ الْأَمْصَارِ، وَلَا
بَشَرِي تُقَاسُ بِهَا مِنْذُ رُويَتِ السَّيَرِ وَالْأَخْبَارِ، مَنَّا مِنْ اللَّهِ أَصْفَاهُ لِمَوْلَانَا الْأَمِيرِ
الْمُؤَيَّدِ، مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ - أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ، وَأَدَامَ مُلْكَهُ - حَتَّى أَعْلَنَ كَلِمَتَهُ، وَرَفَعَ
حَكَمَتَهُ، وَأَعْلَى يَدَهُ وَجُنْدَهُ، وَجَمَعَ أَسْبَابَ السَّعَادَاتِ عِنْدَهُ، وَعَرَّفَ الْقَرِيبَ
وَالْبَعِيدَ، وَالضَّالَّ وَالرَّشِيدَ، أَنَّهُ رَاعٍ دَوْلَتَهُ، مَا ^(١) اتَّصَلَتْ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي مُتَوَالِيَةً،
وَحَافِظٌ رَايَتَهُ، مَا اعْتَقَبْتَ ^(٢) الظُّلْمَ وَالْأَنْوَارَ مُتَنَافِيَةً، وَاللَّهُ مُنْجِزُ مِيعَادِهِ، وَمُسْتَرِعٌ
مَنْ يَرْضِيهِ عِبَادَهُ وَبِلَادَهُ.

وَأَمَّا اغْتِبَاطُكَ بِمَا جَدَّدَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَمَنْحَنِي مِنْ طَوْلِهِ، فَجَارٍ مَجْرَى الْمَشَاهِدِ
الَّذِي لَا يَقَامُ عَلَيْهِ شَهَادَةٌ، وَلَا يَلْتَمَسُ فِيهِ أَمَارَةٌ؛ إِذْ كُنْتَ آخِذًا بِنَصِيصِكَ فِي أَبْنَاءِ

(١) فِي الْأَصْلِ: وَمَا.

(٢) فِي الْأَصْلِ: اعْتَقَبَ.

الدَّوْلَةَ، ثم مكانك مكانُ أخصَّ الأولاد، وأعزَّ الإخوة، بلى تَعَجَّبْتُ من فَصَاحَتِكَ، كما أُعْجِبْتُ ببلاغتك، وتخيَّل إليَّ أنَّ روحَ عبد الحميد^(١) انتقلت إليك، وقرِحةَ ذي الرياستين^(٢) خُلِعَتْ عليك، وخاطرَ الحسن بن سهل^(٣) أُعِيدَ فيك، وبدِهةَ إسماعيل بن صبيح^(٤) حُصِّلَتْ لك، وأرجو أن تكونَ قد اكتسبتَ من الفضلِ بعدنا ما أوجبَ هذه البراعةَ العجيبةَ والصَّناعةَ، أو شاهدتَ ليلةَ القَدَرِ، التي هي خيرٌ من ألفِ شَهرٍ، فسألتَ / [٦٥ ب] أن يجعلَكَ اللهُ إمامَ الكتابة، وزمامَ الخطابة، فصعدَ الدَّعاءُ إلى الله سَريعاً، ونزلت^(٥) الإجابةُ تحملُ من الله فضلاً وسيعاً، فإن يكن ما أوَمَّلَ كما أوَمَّلَ؛ فالحمدُ لله مُؤَيِّ الفَضْلِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وإن يكن سُقْيَاكَ من غير غَمَامِكَ، وجِلَادُكَ بغير حُسَامِكَ؛ فلا بأس .

(١) يقصد عبد الحميد الكاتب.

(٢) هو الفضل بن سهل وزير المأمون وكاتبه.

(٣) استوزره المأمون بعد موت أخيه الفضل بن سهل. وكانت له عنده حظوة كبيرة. ثم تزوج المأمون ابنته بوران، وزُفَّت إليه في عرسٍ باذخ. ابن الزبير، الذخائر والتحف، ص ٩٨، وانظر كذلك ص ٣٢، ص ١١٩، ص ٢٥٦.

(٤) من جِلَّةِ كِتَابِ العصر العباسي، كتب ليحيى البرمكي، ثم للرشيد، ثم لابنه الأمين. ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٢١٩.

(٥) في الأصل: ونزعت.

قد يجيّدُ الفارسُ الطَّعْـ
منَ برُمجٍ مُستعارٍ^(١)

ولو شئت لقلتُ: من ألقى النسخة إليك، وأملاها على يديك، فتعلم أن
بجرّجان قوماً يعرفون عيبَ أصبَهان؟ وهذا مزحٌ ولكنه صدق، وانبساطٌ ولكنّ
تأويله حقّ، كفاني الله بُعدك، وأراني وجهك، وسلّم عليك وسلّمك، وأبقاك ما
أحببت وأغنمك، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(١) البيت لابن الرومي من قصيدة هجاء مقدّعة. وفي ديوانه: الطعنة بالرمح المعار. ديوانه ج ٣،

ص ١٠٥٢. وفي بيت سابق في القصيدة ذاتها:

أنيك الناس لعرسيه
هـ برمجٍ مستعار

فيبدو أن الصاحب كتب البيت من حافظته.

الباب العاشر
في الشكاري

كتابُ تَعْزِيَةٍ^(١)

سَيِّدِي يَعْرِفُ مِنْ شُرُوطِ الزَّمَانِ وَعَادَاتِهِ، وَشُؤُونِ الدَّهْرِ وَتَارَاتِهِ، وَيَخْبِرُ مِنْ شِيْمَةِ الْأَيَّامِ فِي تَبْعِيدِ الْقَرِيِّينَ، وَتَفْرِيقِ ذَاتِ الْبَيْنِ، مَا يَمْلِكُ مَعَهُ حَلْمَهُ، وَيَرَاجِعُ لَهُ حَزْمَهُ، مَتَى أَتَتْ اللَّيَالِي بِمَا تَعَاقَبَتِ الْقُرُونُ عَلَى مِثْلِهِ، وَأَعْيَتْ الْحِيْلُ دُونَ دَفْعِهِ. وَلَوْلَا أَنَّ الْحَالَ النَّاظِمَةَ لَنَا تَتَّصِلُ بِاللُّحْمَةِ، وَتَرْفَعُ حِجَابَ الْحُشْمَةِ، لَأَوْجَبَ أَدَبُ التَّوْقِيرِ فِي بَعْضِ مَا يَقْتَضِي تَسْلِيَةً، وَيَسْتَدْعِي تَعْزِيَةً، فَضَلَ الانْقِبَاضَ عَنِ الذِّكْرِ، وَالتَّعْوِيلَ عَلَى مَوَدَّعِ الصَّدْرِ، وَلَكِنْ تَجَاوَزَ الْمَوَدَّةَ الصَّادِقَةَ، إِلَى الْأَسْبَابِ الْمُتَلَاخِقَةِ، يَجْرِي مَجْرَى النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ، فِي الْمَسَرَّةِ إِذَا اتَّفَقَتْ، وَالْمَسَاءَةِ إِذَا طَرَقَتْ.

وَبَلَغَنِي مِنْ خَبَرِ الْمَفْقُودَةِ السَّعِيدَةِ - أَحْسَنَ اللَّهُ مُنْقَلَبَهَا، وَرَفَعَ مَعَ الصَّالِحَاتِ رُتْبَتَهَا^(٢) - فَكَانَ جَزَعِي عَلَيْهَا جَزَعُ الْمَرْءِ عَلَى كَرِيمِ الْأَمْهَاتِ، وَعَقَائِلِ الْعِمَّاتِ، وَشَارَكْتُ سَيِّدِي فِي الْوَحْشَةِ مُشَارَكَةً مَنْ لَا يَتَمَيَّزُ فِي مَنْحِهِ وَمَحْنِهِ، وَلَمْ أُطِلْ فِي

(١) كتب هذا الكتاب في التعزية بوفاة إحدى سيدات بيت الإمارة، كما سيظهر من الفقرة الثانية من الكتاب.

(٢) في الأصل: رويتها.

الإبانة عن صورتى علماً بما يتمثلُّه منى قبل التَّمثيل، ويتيقَّنُه عندي أمام التَّطويل؛
فللضَّمائر ألسنة ناطقة، وعِبارةٌ سابقة، وسَيِّدى أصدُقُ رأياً، وأُثبِتُ قلباً، وأُخَصِّرُ
عزماً، وأُجمَعُ لباً، من أنْ يُكَفَّ عن الجَزَعِ بلطيفِ التَّذكير، ويَصَدَّ عن القَلَقِ بحُسنِ
التَّبصير، فأطال الله مُدَّتَه، وحَفِظَ مُهْجَتَه، وحرَّم على ^(١) الحوادثِ أعزَّتَه، وجَعَلَ
ما عَرَضَ خاتمةَ الرزايا قِبَلَه، وبلَّغَه في دينه ودُنياه أَمَلَه.

وكان في الحقِّ إذا تَعَذَّرَتْ حَالُ المشافهةِ ألاَّ أَقْتَصِرَ في التَّعْزِيَةِ على المكاتبة،
حتَّى أُصْدِرَ أَوْجَهَ كُتَّابِي، وأُنَبِّهَ أَصْحَابِي، ولكِنِّي عَرَفْتُ ما في التَّخْفِيفِ؛ فَآثَرْتُه،
واقْتَصَرْتُ على هذا الخطاب؛ فَأُصْدِرْتَه. وسَيِّدى يَعْرِفُنِي ما آتاه الله من التوفيقِ
الكريم، في جَمِيلِ العِزَاءِ وَحَمِيدِ التَّسْلِيمِ؛ لَأُنْصِبَه حِيالَ طَرْفِي، وأَجْعَلَه مِثَالَ فِعْلي.

(١) «على» مكررة في الأصل.

وله

أنت - يا شيخي - أثبت عقلاً وديناً، وأحضر فضلاً ويقيناً، من أن تتصدى لما يولي الله من نعمة إلا تصدى الشاكر، وتلقى ما يبلي الله من محنة إلا تلقى الصابر. ذلك هو الهدى الصالح، والمتجر الرابع، وعنده تحصل مرضاة الله؛ فتكثر الحسنات، وتبتغى إرادة الله؛ فتكفر السيئات.

وعرفت ما أزعجك - أيذك الله - من الفجعة في قرين الخير - جعل الله المنقول إليه خيراً له من المنقول عنه - فساءني ذلك، لا تسخطاً لقدر الله، وهو عدل، ولا تكرهاً لقضاء الله، وهو فضل، بل لما علمته يصل إليكم - أيذك الله الجماعة - من جزع لا تخلو منه قلوب البشر عند طروق النوب.

وشاهدت من انزعاج فلان ما زاد في الوجوم زيادة قربه إلي، وتقديره أهل الخصوص لدي، ولك^(١) في بقاءه مع إبقائه على أكفائه ما سدّ ثلم الرزية، وأغنى عن إطالة التعزية، وقد أطلت عند ركوبي إليه وعظه، وأذكرته في التسليم لله حفظه، جبر الله مصابكم، وقد فعل، وألهمكم التسليم لما حكم به فعدل.

(١) في الأصل: وذلك.

وله^(١)

كتابي، والأمور بالحضرة العليّة^(٢)، وهذه الحضرة البهيّة^(٣)، مُستقرّة على ما عَوَّدَ الله فيها، وأسعد من مجاريها. والحمد لله ربّ العالمين، وصلواته على نبيّه محمد وآله أجمعين.

وتهيبُ الأكابر - أدام الله تأييد الأمير - فرض وكيد، وحتم على مَنْ ألقى السَّمْع وهو شهيد، ومن قضاياه الانتباض عن الإكثار، عند حوادث الأقدار؛ إجلالاً، والاقتصار على الدعاء بكرة وأصالاً؛ لتحصل مزيّة التقرب، ولا تُغفل قضية التهيب.

ولما عَرَض بحضرته - أجلّها الله - ما أوجب التَّسْلِيَة عن السَّعِيدَة - رَحِمَهَا الله - فزَعْتُ من المطاولة بالتَّعْزِيَة، إلى مُواصلة الأدعية، / [٦٦ ب] فأطال الله بقاء الأمير مَسْرُوراً غير مَهْمُوم، ومَوْفُوراً غير مَثْلُوم، وَكَتَبَ له عن أَجْرِ ما قَدَّرَه وأَجْرَاه، واقتضاه وقضاه، أَفْضَلَ ما كَتَبَه لمن سَلَّمَ له تعالى أَمْرَه وحُكْمَه، ولم يَتَسَخَّطْ قَدْرَه وحَتَمَه، وورثه الله عُمَرَ مَنْ قَدَّمَه، وغفر لمن اختار له جِوَارَه واستقدمه، وما أذكر ما مَسَّنِي في هذه الحال؛ ذهاباً مع فريضة الإكبار والإجلال.

(١) كتاب تعزية بوفاة سيدة.

(٢) في الأصل: العالية.

(٣) في الأصل: الهية.

وله

وَرَدَ كِتَابُ مَوْلَايَ بِذِكْرِ مُضِيِّ فَلَانٍ، فَوَجَدْتُ نَفْسِي كَالْمَصَابِ بِنَجِيبٍ مِنْ
أَبْنَائِهِ، أَوْ عَزِيزٍ مِنْ أَعْضَائِهِ، وَوَرَدَ عَلَى قَلْبِي مَا غَشَّاهُ كَرَبًا يَتَعَذَّرُ دَوَاؤُهُ، وَيَتَعَسَّرُ
جَلَاؤُهُ، فَمَا أَدْرِي بَعْدَ هَذَا مَا أَكْتُبُ وَمَا أَقُولُ، وَكَيْفَ يُذَمُّ هَذَا الزَّمَانُ الْخَوْنُ،
وَلَكِنِّي أَنْشُدُ:

مَا أَعْلَمَ الدَّهْرَ بِمَنْ أَحَبُّ؟!

وَأَرَدُّ:

هَذَا الزَّمَانُ يَسُوءُنِي فَجَعَا بِكُلِّ خَلِيلٍ
فَكَأَنَّهُ يَمْضِي إِلَى مَا سَاءَنِي بِدَلِيلٍ^(١)

وَاللَّهِ أَسْأَلُ أَنْ يَطَهِّرَنَا لِلِقَائِهِ، فَكُلُّ - لَا بَدَّ - وَارِدُ هَذَا الْخَوْضِ، وَإِنْ مُدَّ فِي
أَجَلِهِ، وَأُخِّرَ فِي مَهَلِهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ طُولِ الْأَمَالِ، وَقَصْرِ الْأَجَالِ، وَشُرُورِ
النَّفُوسِ، وَسَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ، وَرَحِمَ اللَّهُ فَلَانًا؛ فَلَقَدْ كَانَ قَلِيلَ النَّظِيرِ فِي أَشْكَالِهِ، بَلْ
عَدِيمَ الْمِثْلِ فِي أَمْثَالِهِ. وَسَأَكْتُبُ إِلَى فَلَانٍ مَعْزِيًا، وَإِنْ لَمْ أَجِدْهُ أَوْلَى مِنِّي بِالْفَجِيعَةِ؛
فإِخَاءُ الْمَوَدَّةِ الْخَالِصَةِ فَوْقَ الرَّحْمِ الْمَاسَّةِ.

(١) هذا المعنى أخذه من شعر يزيد بن الحكم الثقفي، ففي قطعة له في عمه عبد الرحمن يقول:

وَأَعْرَضَ عَمَّا سَاءَ وَكَأَنَّا يُقَادُ إِلَى مَا سَاءَنِي بِدَلِيلٍ

أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ج ١٢، ص ٢٩٤.

وله

كتابي - يا أخي - وأنا لا أعلمُ أعزّيك أم نفسي؛ فليس المصابُّ عندك بأعظم منه عندي؛ لأن فلاناً وإن كان أخاك ميلاداً، فقد كان أخي إخلاصاً ووداداً، وإن فُجعت به وفقدت كبيراً يُعوز البدلُ منه، فقد رزئتُه؛ فعدمتُ أثيراً يُعوز العوض عنه.

وقد مضى لي أقارب، ضمتهم إليّ المناسب، فلا أذكرُ فجيعَةً بهم أخذت مأخذ هذه من صدري، وأثرت تأثيرها في صبري، وما أرضى خاطري - مع استيلاء القلق، واستعلاء الجزع - لإطالة الكتاب، والإبانة عن قدر الاكتئاب، فرحم الله فلاناً رحمته أولياءه، وأجزل في أكرم داريه جزاءه، وعند الله نحتسبه، وإياه نسأل تطهيرنا لما نترقبه، فهذه آجال - لا بد - متناهية، وإنما هي آماذ دانية، وأخرُ مُتراخية.

ومخاطبتي لك تنظّمك وسائر الإخوة / [٦٧ أ] والولد، والله يجبر كسرَكم، ويوفر أجرَكم، ويُلهمكم فضلَ التسليم، ويحرُسكم عن الإضرار والتّصميم، وأنا لكم ولفلان^(١)، رحمه الله، وأعزّكم كما تأملون، وأزيدُ مما تحاولون، بل يتضاعفُ اشتمالي واهتمامي بفقد من فقدتم، وتجِدون شفقتي وإشاري أين أردتم. وفلانٌ ينوبُ عني في صغيرِ مُهمّكم وكبيره، وقليلِ أمرِكم وكثيره، فعرفوني ما يهدي الله إليكم من رُوح تسليته، وحُسن الانقيادِ بمشيئته، إن شاء الله.

(١) في الأصل: ولفتيان، مهملة الحروف إلا الأخير.

وله^(١)

قاضي القضاة الأجل - أطال الله بقاءه، وأحسن عزاءه - يعرف من وجوه
حكم الله في عبادِه، ونُفوذ مشيئته في أنواع مرادِه، ما يدعوه إلى التسليم إذا أتته
نابئة تزعج فكره، ويحدوه على الصبر الجميل إذا اعترته حادثة تخرج صدره،
ويحرسه عن التناهي في الجزع إلى ما يحظره الدين ولا يسوغه، وينازع القليل
البصيرة فيبلغه.

وإن امرءاً علِم أن الإحياء والإماتة يجريان بأمر من لا يتهم عدله، ولا يصدر
إلا عن الحكمة فعله؛ لخليق بأن يقدم الصبر والاسترجاع، ويؤخر التفجع
والالتئاع، فكلنا عواري بعرض الاقتضاء، وأغراض لأشهم القضاء، والله يوفقنا
للقاء، ويجعلنا من الصابرين لبلائه، إنه رؤوف بعباده لطيف.

وبلغني نفوذ قضاء الله في الخال - رحمه الله - فشاركته أقضى القضاة فيما
مس قلبه، وساهمته فيما تحيف صبره، وتصورت استيحاشه - كان - منه؛ فازددت
استيحاشاً؛ لانتهاء أجله، وانقضاء مهله. على أن أيام العمر، وساعات الدهر،
كمراحل معدودة، إلى وجهة مقصودة، فلا بدّ مع سلوكها من انقضائها، وبلوغ
الغاية عند انتهائها، والله يغفر للمتوفى ويرحمه، ويحرس قاضي القضاة ولا يثلمه،
ويصونه في نفسه وسائر أعزته وأهله بلطفه، وعطفه.

(١) كتاب تعزية إلى قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد بوفاة خاله.

وقاضي القضاة - أدام الله تأييده - يمدني بذكر ما يستحضره من عزيمة، تفلُّ
غرب المصيبة، وتقوي نفس ابن الخال - أعزه الله، ورحم أباه - بنصبه منصبه،
وإجرائه مجراه؛ ليتدارك ما ضعف من مُنته^(١)، ويتماسك ما خار^(٢) من قوته، إن
شاء الله.

(١) في الأصل: منيته.

(٢) في الأصل: خامر.

ولله

/ [٦٧ ب] للفجائع - يا شيخي - أطال الله بقاءك - اختلاف مواقع،
وللمصائب تباين مراتب، ومن أشدها لدعاً، وأعظمها وقعاً: فجיעة أخرجت
صدور قوم مؤمنين، ومصيبة خصت العلم والدين؛ لفقد الشيخ المنقطع القرين،
أبي عثمان - رحمه الله، وأكرم مأواه ومثواه - فقد كان للإسلام جهاً ممتداً، وللدين
رُكناً مشتداً، وللعلم شهاباً لا يخبو، وللدأب سهماً لا ينبو، يذب عن حق الله
القائم، ولا تأخذه^(١) في الله لومة لائم. عاش عظيم الخطر، ومات جميل الأثر.
التقوى شعاره، واليقين دثاره، وحجج الله مفزعاً، وآيات الله مرجعاً، فيا له
مُصاباً ما أعظمه على الموحددين، وأسرّه إلى الملحددين! أذكرنا فقد الأئمة الأبرار،
وأعلام الأئمة الأخيار، ونقول - كما أدبنا الذكر الحكيم - إنا لله وإنا إليه
راجعون^(٢). ونسأل الله العدل في قضائه، الرحيم بأوليائه، أن يتغمّد الماضي
بغفرانه، ويُفَسِّحَ له في رضوانه، ويجزّل حظّه من حسناته، ويرفع درجاته في
جَنّاته؛ فلقد كان واسعَ الحظيرة، نقيّ السريرة، قويّ البصيرة، لا تتغيّر^(٣) به في

(١) في الأصل: يأخذه.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ سورة البقرة،
الآية ١٥٦.

(٣) في الأصل: لا يتغير.

خَشْيَةُ اللَّهِ عَادَةً، وَلَا تَمْلِكُهُ فِي مَخَافَةِ اللَّهِ هَوَادَةٌ، وَلَوْ لَا أَنَّ الْمَوْتَ طَرِيقٌ يَسْلُكُهُ
الْبَرِيءُ وَالسَّقِيمُ، وَمَشْرِعٌ يَرُدُّهُ الْبَرُّ وَالْأَثِيمُ؛ لَمَا انْشَرَحَ بِالْعِزَاءِ صَدْرٌ، وَلَا صُحِبَ
مَعَ الْبَلَاءِ صَبْرٌ، غَيْرَ أَنَّهَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي أَنْبِيَائِهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - وَأَوْلِيَائِهِ،
يُبْقِيهِمْ مَا كَانَ الْبَقَاءُ أَعْمَرَ لِمَكَانِهِمْ، وَيَتَوَفَّاهُمْ إِذَا كَانَتِ الْوَفَاءُ أَصْلَحَ لِأَدْيَانِهِمْ،
وَإِنْ يَشْمَتُ مُلْحِدٌ فِي كَلِمَةِ اللَّهِ، وَمَعْتَرِضٌ لِنَقْمَةِ اللَّهِ؛ فَتِلْكَ عَادَةٌ مَنْ خُتِمَ عَلَى قَلْبِهِ
وَسَمِعَهُ فِي الشَّمَاتَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ وَمَا يَحِلُّ بِهِمْ.

كَتَبَ بَعْضُ الشَّنَوِيَّةِ^(١) إِلَى مُوَافِقٍ لَهُ فِي ضَلَالَتِهِ، مُطَابِقٍ لَهُ عَلَى جَهَالَتِهِ: كِتَابِي
وَقَدْ وَهَى عَمُودُ الْإِسْلَامِ، وَانْقَضَتْ دَوْلَةُ الْكَلَامِ، وَشَاخَ أَبُو الْهُذَيْلِ^(٢)، وَمَاتَ
النِّظَامُ^(٣). فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ جَعَلَ مِنْ أَخْلَافِهِمْ مَنْ صَدَعَ بِالْحَقِّ، وَذَبَّ عَنْ حَوَازَةِ
الصِّدْقِ.

فاعلم - يا أخي، أدام الله عزك - أن أبا عثمان رحمة الله عليه وإن كان لك أباً،

(١) الشَّنَوِيَّةُ: هم أصحاب الاثنين الأزليين: النور والظلمة، وعلى هذين الأصلين وما بينهما من
اختلاف يقوم هذا الفكر الديني عند الفرس القدماء. انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١،
ص ٢٤٤.

(٢) أبو الهُدَيْلِ: محمد بن الهُدَيْلِ المعروف بِالْعَلَّافِ، أحد كبار مفكّري الاعتزال. انظر عنه:
البغداديّ، الفرق بين الفرق، ص ١٢١.

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن يسار البصري، المعروف بالنِّظَامِ، ابن أخت أبي الهُدَيْلِ، وأستاذ الجاحظ.
يُعدُّ من أذكياء المعتزلة وذوي النباهة فيهم. انظر عنه: البغداديّ، الفرق بين الفرق، ص ١٣١.

فقد كان لي عمًّا حَدَبًا، وأخًا في دين الله مُتَجَبًّا، ما وزنْتُ به أحدًا قطُّ إلا رجح، ولا أنهضتُه لمسعاةٍ فَضْلٍ إلا أنجح، وقضى نحبَه؛ لما أنزل الله أمرَه؛ فمَسَّنِي من ألمِ المصيبة ما أجرى الدَّمْعَ، وشَغَلَ الذَّرْعَ، وأنفذ ذخيرة التَّمَاهُلِكِ، وكاد يغري بقبح التَّهَالِكِ، لولا التَّأْسِي / [٦٨ أ] المكتوب، والتَّعْزِي المفروض، والتَّسْلِي المحتوم، فإن كنتَ فقدتَ منه - قدس الله روحه - شَخْصَه، فما فقدتَ - مع اهتمامي - إشفافَه وبرَه، وحنوَه وفُضْلَه، وستجدُ - إن شاء الله - عندي من الإكرام لك، والرفع منك، والبسط من جاهك، ما يُجَوِّج كثيرًا من الناس إليك حاجتهم إلى الشيخ - رحمه الله - قبلك.

وقد خاطبتُ في حاضرِ الوقتِ مَوْلَايَ أبا العباس - أدام الله تأييده - في ذلك بما يصيرُ عنوانَ رأيي فيك، ورعايتي لدواعيك، وإن كان هو - أدام الله عزَّه - بفضله وعقله، من الاهتمام بالدين وأهله، على حالٍ تغني عن البحث، وتجزي^(١) دونَ الحثِّ، فادَّرغ - أيَّدك الله - التسليمَ لما قضى الله وأمضى، وتلقَّ حُكْمَه بحُسن الصَّبْرِ والرِّضا، فلو لا استئثار الوفاة بالآباء، لما علَّت درجاتُ الأبناء. وعرفني ما تُوفِّقُ له، ثم كاتبني في حاجاتِكَ خُصوصًا، وحاجاتِ كُلِّ متوسِّلٍ بك، ومتقرِّبٍ إليك عموماً، فسيأتيك من الجواب والإيجاب ما يزيدُ على العادة المألوفة، والخلقة المشهودة أيامَ أبيك، أحسن الله خلافتَه فيك، إن شاء الله.

(١) في الأصل: ويجزي.

وله^(١)

هو الدَّهْرُ - يا شيخي وكيري - فلا تعجب من طَوَارِقِهِ، ولا تنكر هجومَ
بَوَائِقِهِ، عطاؤه في ضَمَانِ الارتجاع، وحبّاءه في قران الانتزاع، بينا يمنح المرء حتّى
يسلُب، وبينما يعطي حتّى يحرب. واللبيب يستشعر الفجیعة، حين يؤتي الودیعة،
ويتمثلُ الفقدان، ساعة يُصافح الوجدان، علماً بأن الله - تعالى - جعل الدار دارَ
امتحانٍ لا دارَ مقام.

وبلغني من مُضِيِّ الفتى - قدّس الله روحه، وبرّد صَريحه - على حين أمّلتُه
لأحوال، ورجوته لكفايةً واستقلال، ما أجرى الدَّمْع، وأعظم الفَجْع.

ولم أدِرِ أأتصوّر^(٢) حاله؛ وقد اختُصرَ شبابه^(٣)، وتقطّعت أسبابه، ولم تُغنِ عنه
طراوته في العيون وحلاوته، وعزّه على العشيرة، وكثرة الحامين له دون العظيمة،
فلا يملك عن رُوحه دفعاً، ولا يستطيع للحتّم ردّاً بنفسه ولا بذويه - أم حالك؛
وقد أخذَ عن عينك قُرَّتُها، وعن نفسك ثمرتها، وعن دنياك حَسَنَتُها، وعن مُناك
غايَتُها، فلا القلقُ ينفع، ولا الحيلة تدفع، ولا الفدية تُقبل، ولا البليّة تُمهّل، وكلّ

(١) تعزيةٌ بوفاة شاب.

(٢) في الأصل: أتصور، بهمزة واحدة.

(٣) اختُصرتُ الكلاً: إذا جززته وهو أخضر؛ ومنه قيل للرجل إذا مات شاباً غَضّاً: قد اختُصِرَ؛ لأنه
يؤخذ في وقت الحُسْن والإشراق. لسان العرب، ج ٤، ص ٢٤٤ (خضر).

ذلك يزيد المؤمنين إيماناً، والموقنين إيقاناً، / [٦٨ ب] فَيُعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِمَنْ يَغْلِبُ؛ وَلَا يُغْلِبُ، وَكَيْفَمَا شَاءَ يَفْعَلُ وَيَقْلِبُ، إِلَّا أَنَّ الْأَرْضَ خَلِيقَةٌ، وَالْأَهْدَى طَرِيقَةٌ: مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّطِيفَ الرَّؤُوفَ لَا يَعْطِي إِلَّا إِذَا كَانَ الْعَطَاءُ أَرْبَحَ، وَلَا يَأْخُذُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْأَخْذُ أَصْلَحَ، وَابْنُكَ وَإِنْ كَانَ ظَهْرًا، فَقَدْ عَادَ أَجْرًا، وَإِنْ كَانَ فَخْرًا، فَقَدْ رَجَعَ ذُخْرًا، فَأَحْسِنِ الْعِزَاءَ، وَأَجْمِلِ الرَّجْعَى؛ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى^(١).

واعلم أَنَّ النَّاسَ قَبْلَكَ فُجِعُوا فَجَزِعُوا، وَذُهِبُوا فَذَلُّوا^(٢)، ثُمَّ لَمْ يَرُدَّ التَّسْلُبُ مَنْ مَاتَ، وَلَمْ يُرْجَعْ التَّهَالُكُ كُلُّ مَنْ فَاتَ؛ فَعَادُوا إِلَى التَّسْلِيمِ، وَفَوَّضُوا إِلَى الْقَادِرِ الْحَكِيمِ. وَإِنَّ الْمَرْءَ لَيَقْدَمُ السَّلْوةَ فَيُجْبَرُ مُصَابِهِ، كَمَا يُؤَخَّرُهَا فَيَحْبِطُ ثَوَابُهُ. أَخَذَ اللَّهُ بِكَ إِلَى مَا هُوَ أَوْلَى بِسَنِّكَ وَدِينِكَ، وَحُسْنِ عَقِيدَتِكَ وَيَقِينِكَ.

أُحِبُّ أَنْ تَعْرِفَنِي خَبْرَكَ فِي التَّفْوِيزِ إِلَى اللَّهِ، وَحُسْنِ الرِّضَا بِقَدَرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ الرِّزَّءَ مَا كَانَ أَفْطَعَ؛ كَانَ الْعَوْضُ أَوْسَعَ، وَأَنْتَ وَإِنْ احْتَجْتَ إِلَى الْأَوْلَادِ، فَحَاجَّتْكَ الْعُظْمَى إِلَى حُسْنِ الْمَعَادِ، وَاللَّهُ أَسْأَلُ لَكَ وَلِنَفْسِي التَّوْفِيقَ وَالتَّسْدِيدَ، إِنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا

تَعْقِلُونَ﴾ سورة القصص، الآية ٦٠، وقوله: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ

وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ سورة الشورى، الآية ٣٦.

(٢) في الأصل: فذهبوا.

وله

كذا فليجلّ الخطب، وليفدح الأمر^(١)

وكذا - أطل الله بقاء مولاى - فليتنقطع^(٢) على أبي القاسم - برّد الله مضجعه -
الأكباد والقلوب، وتتساقط الأعضاء والنفوس، وعند هذا الرّزء فليحسن أطراح
الصبر، وليقبّح التمسك بأسباب الحزم، فوالهفاء على أن بقينا بعد...^(٣) ما رزئنا
حتى نتشاكى القلق! ووا أسفاه على أن حيينا بعد ما دهينا حتى نتواصف الجزع!
وليت المنايا قدّمت منّا من أخرت، قبل أن أقدمت على من تحيّرت، ويا حزنانه على
أن لا نملك الأعمار؛ فتتبرأ منها؛ إذ أتى ما لا يُطاق، ولا نخير في الآجال فتتقضى
منها؛ إذ دها ما لا يُستطاع! وليت الخطوب إذ أقبلت جاءت بما كانت الأفهام
تُجوّزه، والصّروف إذ تمكّنت هجمت بما كانت الأفكار تُخطّره! بل جرى المقدار
على ما لم يقدر، وتجرأ الزّمان على ما لم يُتخيّل، فما أقبح العيش من بعده! وما أنكد
العمر مع فقده! أفحلم ما أشاهده وقد سخنت العيون؟ أم حقّ ما أرى وقد

(١) صدر بيت من قصيدة أبي تمام المشهورة في فتح عمورية ومدح المعتصم، وعجزه:

فليس لعينٍ لم يفيض ماؤها عذر

الأصفهاني، الزهرة، ج ٢، ص ٥٣٠.

(٢) في الأصل: فليتنقطع.

(٣) أخرج الناسخ مخرجاً من هنا، وكتب في هامش الورقة كلمة هذا رسمها: مس.

طَرَقَتِ المَنُونُ؟ فِيا لَها فَجَعَةً بِأَكرَمِ مَقْبُوضِ ما أَنْكَأَها في الصَّدْر! ورزِيئَةً / [٦٩ أ]
بأنفَسِ مَفْقُودِ ما أَقْصَمَها لِلظَّهَر!

كَتَبْتُ - أَطالَ اللهُ بقاءَ مَولاي - وَحالي حالٌ مَن كانَتْ لَه بِالأَمْسِ يَدٌ عالِيَةٌ
فَسَلَبَها، وَنَفْسٌ سامِيَةٌ فَحَرَبَها، فَهَلْ في الخَلْقِ أَخْسَرُ صَفْقَةً مَمَّنْ دَفَنَ يَدَه بِيَدِهِ،
وَأَهْدَى نَفْسَه لِمَلَحِدِهِ؟ وَهَلْ في الخَلْقِ أَعْظَمُ كُزْبَةً مَمَّنْ رَأى سَيِّدَه يَجُودُ بِرُوحِهِ،
وَوَلَدَه يَقْضِي حَتْفَ أَنْفِهِ، وَرامَ أَنْ تُقْبَلَ فِدِيَّةٌ مَن قَبْلَه، فَدَفَعَ القِضاءَ في صَدْرِهِ،
وَتَرَكَ مَفْرَداً بَيْتَهُ؟ فلا عِزَّاءَ مُرِيحٍ، ولا فِناءَ سَريحٍ.

وَأَدْعُ وَصَفَ ما لَقِيتُ وأَلْقَى، وأَعْلَمُ أَنَّ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى، وأَقُولُ: يا
سَوءَ صَباحٍ أَتى مَولاي فيهِ الخَبَرُ؛ فَرَأى الرَّجاءَ وَقَدْ انْقَطَعَ، وَأَصَمَّ الناعِي وَقَدْ
أَسْمَعَ! لَيْتَ شِعْري ما ذا يَصْنَعُ؟! وإِلامَ يَفْزَعُ؟! وأَيَّ تَجَلُّدٍ يَجِدُ؟ وَعَلى أَيِّ سُلْوانٍ
يَعْتَمِدُ؟! وَكيفَ يَسْتَقَرُّ عَلى الأَرْضِ وَفَلذَتِهِ في بَطْنِها؟ وَيَراجِعُ الأَيامَ وَمَهْجَتَهُ في
كَفِّها؟!

قَدْ قَلْتُ يَسيراً، وَأَخَرْتُ كَثِيراً، وَلا بَدَّ مَن الرُّجُوعِ إلى اللهِ - عَزَّ اسْمُهُ - وَلا
مَهْرَبَ مَن الأَخْذِ بِأَدَبِ اللهِ - تَعالَى ذِكْرُهُ - وَسَيَكْثُرُ في مَجْلِسِهِ عَدَدُ المَعزِّينَ،
وَتَطوُلُ بِحَضْرَتِهِ خُطْبُ المُسْلِمِينَ، لَكِنِّي أَقْتَصِرُ عَلى فَضْلِ أَحْسَبُهُ أَوَقَعَ ما يُذْكَرُ،
وَأُظَنُّهُ أَنْجَعَ ما يورَدُ: مَولاي يَتَدَيَّنُ^(١) بِتَعْدِيلِ رَبِّهِ، وَيَعْرِفُ مَوقِعَ اللُّطْفِ في

(١) في الأصل هكذا: «يتديل»، مهملة الحروف.

صُنْعُهُ، وَلَا يَشْكُ فِي اقْتِرَانِ الصَّلَاحِ بِفَعْلِهِ. [و^(١) تَرَكُ التَّسْلِيمِ اعْتِرَاضٌ عَلَى حُكْمِهِ، وَارْتِيَابٌ بَعْدَهُ، وَقَدْ نَزَّهَ اللَّهُ قَدْرَهُ عَنْ أَنْ يَقُولَ مَالُكَه: دَبَّرْتُ فَتَسَخَّطُ مَا قَضَيْتُ، وَحَكَمْتُ فَتَكْرَهُ مَا أَمْضَيْتُ، حَاشَ لِلَّهِ! فَمَا مَوْلَانَا مَنْ يَدْعُ تَذَكُّرَ يَوْمٍ لَا يَنْفَعُ] فِيهِ^(٢) مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ^(٣).

هذا وعليه من سادتي أبي الحسن وإخوته نِعَمٌ تُسْتَحْفَظُ بِحُسْنِ التَّمَاهُكِ، وَمِنْحٌ تُسْتَبْقَى بِتَرْكِ التَّهَالُكِ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَتِلْكَ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ مَغْفِرَةً تَحْتَفُّ بِالرُّوحِ وَالسَّلَامِ، وَتَفْسُحُ لَهُ فِي دَارِ الْمَقَامِ، وَيُعْظِمُ لِمَوْلَايَ مِنَ الذُّخْرِ، وَجَزِيلِ الْمَثُوبَةِ وَالْأَجْرِ، بَعْدَ مَحَاسِنِ مَنْ فَقَدَ، وَمَحَامِدِ مَنْ عَدِمَ، وَيُبْقِيهِ مَوْفُورًا فِي أَعَزَّتِهِ، مَحْوَطًا فِي نِعْمَتِهِ، لَا تَهَمُ النِّوَابُ - بَعْدَمَا اجْتَرَحْتَ - بِفَنَائِهِ، وَلَا تَتَعَرَّفُ الْمَصَائِبُ - بَعْدَمَا أَتَتْ - إِلَى أَفْيَائِهِ، آمِينَ، اللَّهُمَّ اسْمَعْ وَاسْتَجِبْ.

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) زيادة مقتضاة.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ سورة الشعراء، الآيتان

وله

إلى أبي القاسم عليّ بن أحمد الحراويني^(١) يُعزّيه بابنه

/ [٦٩ ب] إذا شاركتك - يا سيّدي، أطل الله بقاءك - في الرّزية، فكيف
أخاطبك بالتّعزية؟ إلّا على رسمٍ من الناس معهود، وطريقٍ في التّخاطبِ ممّهود،
وأنت وإنّ لحقّك على ذلك الفتى - رحمه الله - وجدّ الآباء، وما ينالهم في فقد
الأبناء؛ فقد كنتُ أقسم له إشفاق الأولاد، وألصقه بالنّفس إلفاق الأكباد. لا
جرّم أنه بدّه قلبي من خبر نعيه ما ملأ الصّدر ناراً، وأنفق الصّبر إسرافاً، لولا
فكري في أنّ الله - تعالى - وإنّ امتحنَ بالبليّة، فقد أحسن في البقيّة؛ حراسةً لك
في مهجّتك، وسائر أعزّتك، مدّ الله في عمرك وأعمارهم، ونقل النّوائب عن
جوارك وجوارهم. والدّنيا مضمّوبة على شرط العطاء والارتجاع، والحباء
والانتزاع، وليس الجزعُ برادّ من ختم عمره، ولا القلقُ بمعيدٍ من تناهى أمره،
فاستغش ثوب الصّبر؛ فإنه أسترّ، واستجزل حظّ الأجر؛ فإنه أوفر، وسلّم لأمر
الله؛ فإنه فضّل، وارض بحكمه^(٢)؛ فإنه عدل، وطالعني بما توفّق لك؛ لأوفّق
رأيك فيه؛ فإني إلى حين التّأسيّ أخوج، وإن كنتُ بالبعث على التّسلي أنطق،
والسلام.

(١) هكذا في الأصل. ولم نعرفه.

(٢) في الأصل: بحكم.

وله

أبيات

يا أصبهانُ سُقِيتِ الْغَيْثَ عَنْ كَثَبٍ	فَأَنْتِ مَجْمَعُ أَوْطَارِي وَأَوْطَانِي
وَاللَّهُ وَاللَّهُ مَا أَنْسَيْتُ بَرَكِي بِي	وَلَوْ تَمَكَّنْتُ مِنْ أَقْصَى خُرَاسَانَ
يَا حَبِّذَا أَرْضُهَا، وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ	وَالدَّهْرُ مَا خَانَنِي فِي حَزْبِ إِخْوَانِي
ذَكَرْتُ دِيمَرْتَ إِذْ طَابَ الْغَنَاءُ بِهَا	يَا بُعْدَ دِيمَرْتَ مِنْ أَبْوَابِ جُرْجَانَ ^(١)

(١) هذه الأبيات للصاحب بن عباد، وقد أوردها المافروخي معزوةً له، وكان قد قالها لما افتتح جرجان وشاهد طبرستان، فهاجرت له ذكرى أصفهان. محاسن أصفهان، ص ١٣. وأورد ياقوت البیتين: الأول والرابع في ترجمته لديمرت التي قال عنها: من نواحي أصبهان. وقد عزاها للصاحب. معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٤٥.

وله

تعزية في أبي محمد يحيى بن محمد بن زيادة العلوي

كتبْتُ ويا ليتني ما كتبتُ، فإني ناعِ الفضل من أقطاره، وداع^(١) المجد إلى شقِّ
ثوبه وصداره، ومُخبرٌ بأنَّ شمسَ الشرفِ كاسفةٌ، وأرضَ الكرمِ راجفةٌ، والمحاسنَ
منقضيةٌ، والمناقبَ موديةٌ، والمآثرَ مودعةٌ، وبقايا النبوة مرتفعةٌ، وآمالُ الإمامةِ
منقطعةٌ، وأنَّ العِزَّةَ تَنْدُبُ وارثَ شرفِها، وتبكي حافِظَ كنفِها، والمروءة قد
تضيّف نهارها للغروب، وآذنت^(٢) شمسُها بالوجوب، والدينَ منخزلٌ واجمٌ،
/ [٧٠ أ] وللتقوى دمعان: هامٍ وساجمٌ، والسَّماحة تشكو إلى السَّجاجة بثَّها
وحُزنها، وتصفُ كيف أوْهتِ الفجيرةُ أزرَها ومَتْنَهَا، والأدبَ مُنزوٍ إلى جانبِ
مَهْجورٍ، ومعصمٌ بدمعه^(٣) مُستسلمٌ مقهور^(٤)، والحلمَ قائلٌ: لا طودَ بعدَ الذي
تَرَعَزَ، ولا رُكنَ بعدَ الذي تَضَعَضَ، فأما قِرَى الأضيافِ فقد شَمَتَ به البُخلُ،
واستولى على طرفه الذُّلُّ، وجَلَّلَ الكسوفُ جَوَانِبَ هَالِيتِهِ، ونادى الشُّحُّ فوقَ

(١) في الأصل: واداع.

(٢) في الأصل: وآذن.

(٣) في الأصل: بدمه.

(٤) في الأصل: معمور.

دارته، فلا نارٌ تُرفع للضيّفان، ولا أجفان تقع على الجفان، ولا هداة للركب ولا حداة، ولا نصفاء، ولا طهارة.

وأما الجاهُ وبذله لمرمل^(١) واقف حتى يهبّ عليه نسيمُ الشروة، وعائد حتى يُكفى مساسَ الخلّة، وحائر حتى يأمنَ استمرارَ النكبة، ولهفان حتى تُزحزح عنه عشواءُ الحيرة: فهيّاهات هيّهات! مرّ - والله - صاحبه، وقام ناديه، واضطربت أسبابه، وقيل: ذهب فكيف كان ذهابه؟ وأمّا الرأي يُعمل جليله ودقيقه، ويُستطاع تصميمه وتحقيقه، حتى يُكاد العدو وهو غارٌّ غافل، ويُقتل الحسود وهو قارٌّ^(٢) ذاهل: فامرّ حمّ حمامه، وانقضت أيامه، وسلّم عليه، وأسلم ليديه.

فإن يقل متبرّم بما قلت، أو متضجّر وقد أطلت: من المندوبُ لنعرفه؟ ومن المفقودُ لنعلمه؟ ومن الذي هذه أوصافه؟ فقد تراخى تبينه، وتمادى تعينه؛ أقل: حاشاه أن يُعرّف باسمه ونعوته دونَ جلاه، أو يسّمه غير مكارمه وعُلاه، نعم سأكنّيه ونعم المكنّى، وأسّميه ونعم المسمّى: ذلك الشّريف السيّد بالإطلاق، العفيفُ بالاتفاق، الكريم بالإجماع والإصفاق، السّجّيح الأعراق، شريف خراسان، ومنظور العراق، أبو محمد يحيى بن محمد العلوي - قدّس الله روحه -

(١) في الأصل: للمرمل.

(٢) في الأصل: مار.

وقد فعل، ولقاه ما قدّم وعمل، عاش^(١) بين دينٍ يحميه، وخير يُنميهِ، وعلمٍ يفتنّيه، ومجدٍ يبتنيه، وإحسان يُوليه. ساعاته برّ، ونظرته بشرّ، وداره ندوة العلم والبذل، واستقراره على قمة العلياء والفخر، كأن الشعري علقت بين عينيه تلمع للمنجد والغائر، وتهدي سارياً إلى سائر.

ألا فليكيه الشُّبانُ والشَّيب، والبعيدُ والقريبُ، والقاطنُ والغريب، والعالمُ والأديبُ، والسائلُ والمعتاف، ومن ضمه الأوساطُ والأطراف، بلى فليكيه^(٢) المعرفُ، والمحصبُ، ومنى، والمَشعر، والبيتُ العتيق المعظم، والركنُ / [٧٠ ب] والخطيم، وزمزم، أليس بالأمس اجتمع وفدُ الله في حرّمه، ومهبط وخيه، وأوّل رُسله، ومقام خليله، ومَضجع ذبيحه، ومولد حبيبه - صلى الله عليه وعلى إبراهيم وعلى آلهما أجمعين - فلما درى يمانٌ، ومُغرقٌ، وتهامٌ، وفصيحٌ، وأعجم، ومبين أن هذا الشريفَ بحاضرِ الموسم تطابقوا على أن يصليَ بهم إماماً، ويتخذَ من مقام إبراهيم مقاماً، فقامَ عدّة صلواتٍ رفعتها الملائكة البرّة، والأرواح السّفّرة، إلى حيثُ البيتُ المعمور، واللّوحُ المحفوظ، ذخيرةً إلى يومٍ نشر الصّحف، وتطايّر الكتب، يومَ العَرَض، ويوم ردّ القرض؟ فإذا تصفّح أبوه رسولُ الله - صلى الله عليه وعلى ذُرّيته الهاذية، وعترته الزاكية - وجوهَ بنيه وأقربيه؛

(١) في الأصل: «وعاش» بزيادة واو.

(٢) في الأصل: فعلى أن يبيكه.

كان هذا الابن - إن شاء الله - من النجباء السُّعداء، نعم وفي جُملة الشهداء، والأثرُ المقبولُ شهيد، بأنَّ المقبوضَ غريباً شهيداً^(١).

لم أفتح كتابي وأنا واثق بأنَّ لساني ينطقُ بحيث ينطقُ، وأنَّ بناني بحيث يسترسلُ مع حالي في الوجوم الذي براني برَيِّ الأخلَّة، ونَقَصَني نَقَصَ الأهلَّة، وتركني حَرَضاً، وأوسعني مَرَضاً، وغادرنِي والخيالُ أَكثَفُ مني جَثَّةً، والطَّيفُ أوفَرُ مني قوَّةً، ولكنَّ فضائلَ المفقود - رحمه الله - تمثَّلَتْ لعيني؛ فاستعبرتُ مِن غمرِها، واغترفتُ من بحرِها، واستقتُ من سَيْلِها، واهتدت بقَمَرِ لَيْلِها، وهي التي لو تعاطت الخرسُ الخبرَ عنها لعادوا بالأسنةِ طوالَ حداد، وعوارِضُ صِلابِ شِداد، يَسْمُون جِباةَ المنابر، وَيَشْحَنُونُ صُدُورَ المحاضر، وإنما أردتُ - وقد اقتضيتُ^(٢) الخطاب - أن أقيمَ للشَّريف رَسْماً في التَّسْلِيَّة، وحُكْماً في التَّعْزِيَّة، وأين السلوانُ مني أو منه؟ يا بَعْدَ ما بيننا وبين الصَّبر، وقد رُمينا بواحدةِ الفَجاجع، وواسطةِ المصائب، وفادحةِ الفُوداح، وقادحةِ القُوداح!

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - رفعه: «موتُ غريبةٍ شهادةٌ»: رواه ابن ماجه (١٦١٣)، ويروى: «موت الغريب شهادة»، رواه أبو يعلى في مسنده (٢٣٨١)؛ والطبراني في المعجم الكبير، ج ١١، ص ٥٧، ص ٢٤٦؛ والبيهقي في شعب الإيمان (٩٨٩٢)، وهو حديث ضعيف.

(٢) في الأصل: اقتضيت. والصواب ما أثبتناه.

ولولا أنّ حالي فيما نالني هَضٌّ وهاض، وأطال الانخزال والانخفاض، ولم يرض بأن فَضَّ الأعضاء، حتّى أفاض الدِّماء، ونتائجهُ أمراض تركتُ جِسْمِي لحماً على وضم؛ وأعلالُ أسلمني عللٌ منها إلى نهل، وأنا منذ مضى ذلك الطَّوْدُ الأشمُّ، ومال ذلك الجبلُ الأصمِّ، وفُقِدَ^(١)، كاد الدهرُ يُجني عليَّ بعواديهِ، ويُجيني ثمرة اليأسِ فيه، لولا أنّ الله تعالى [مَنْ]^(٢) بلطفٍ من لطائفهِ، وجعل هبة الروح عارفةً من عوارفهِ؛ لاحتجّت في الإبانة عن صوري / [٧١ أ] إلى قولٍ لا يلتقي طرفاه أو يلتقي الجبلان، ويفترق المَلَوَان. ولعلّ سامعاً ما أقول لم تتصوّر له شيمتي، ولم تتمثّل^(٣) له في نفسه همّتي، يظنني كمن سبق^(٤)، أو لحق من أبناء الكتابة، وآباء الخطابة، أفخّم الأمر جذباً بضِيعِ البلاغة، ورفعاً من طرف الفصاحة، وقد نزّهني الله - تعالى - عن هذا الظنِّ؛ فإني - منذ كنتُ - أسْتِهِنُّ بِشَرَارِ الدَّهْرِ حتّى أراه مُسْكِيناً، ويراني مُسْتَكِيناً، وأعدّه ضعيفَ الكيد، ويعتدّني قويَّ الأيد، لا تطمَعُ مَسَارُهُ مني في اهتزاز، ولا مضارُّهُ في استفزاز، إلّا أنّ هذه النازلة خصوصاً ثبتت لي، فطامنت من طماحي ما شاءت، وأجاءتني إلى أضيق المنافذ وقد جاءت.

(١) في الأصل: وفقد. والصواب ما أثبتناه.

(٢) زيادة مقتضاة.

(٣) في الأصل: يتمثل.

(٤) في الأصل: سبقه.

وكان الداعي الأقوى إلى ما مُنيت به منه بِسَمِّ الأرقم، وجَرَّعتُ فيه طَعْمَ العَلَقَم؛ أَنَّ الشَّرِيف - أَكْرَمَ اللهُ مِثْواه - لَمَّا قَضَى حَجَّه الَّذِي تَجَشَّمْ لَهُ أَصْعَبَ الطَّرِيق، وَرَكِبَ إِلَيْهِ أَبْعَدَ السَّبِيل، وَالتَزَمَ عَنْهُ أَثْقَلَ الْكُلْف، وَجَدَّدَ بِهِ أَشْرَفَ الْقُرْب، وَاسْتَوْجَبَ عَنْهُ أَقْرَبَ الزُّلْف؛ عَدَلَ إِلَيَّ قَبْلَ^(١) وَطْنِهِ وَوُطْرِهِ، وَوَلَدَهُ وَبَلَدَهُ، وَطَلَعَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - كَطَلْعَةِ الرِّضْوَان، وَتُرَعَةَ^(٢) الْجَنَان، وَقَدْ زَادَتْ مَعَالِيهِ؛ فَصَفَا عَلَى طَوْلِ الْعَمْرِ، صَفَاءَ التَّبَرُّ عَلَى مُثَبَّتِ الْجَمْرِ، وَشَهِدَتْهُ؛ فَرَأَيْتَهُ قَدْ أَخَذَ مِنْ وَقَارِ النُّبُوَّةِ بِقَدَرِ إِرْثِهِ، وَازْدَادَ تَوَاضَعًا أَفَاضَتَهُ سِمَاوَةٌ عَزَّه، وَعَادَتْ صَحِيفَتُهُ بِيضَاءَ نَقِيَّةٍ كَصَدْرِهِ، وَلَدَّ لَنَا الْعَيْشُ وَطَابَ، وَوَلَّى رَقِيبُ الْغَمِّ وَغَابَ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ مَا الَّذِي تَجُنُّهُ ضَمَائِرُ الْغَيْبِ، وَالَّذِي خَبَّأَتْهُ^(٣) الْمَقَادِيرُ لِأَبِي خُبَيْبٍ^(٤).

فَبَيْنَا نَحْنُ فِي أُنْسٍ وَنَعِيمٍ^(٥)، وَخَيْرٍ نَاضِرٍ مُقِيمٍ، نُصْبِحُ عَلَى مُذَاكِرَةِ بَأْصَنَافِ الْعُلُومِ، وَنُمْسِي عَلَى جِدَالٍ بَيْنَ خُصُومٍ لَيْسُوا بِخُصُومٍ؛ إِذْ مَرَضَ - قَدَّسَ اللهُ

(١) في الأصل: إلى ما قبل.

(٢) الترعة: الدرجة، وقيل: الروضة على المكان المرتفع خاصة. لسان العرب، ج ٨، ص ٣٢ (ترع).

(٣) في الأصل: خبأت به.

(٤) أبو خبيب: كنية عبد الله بن الزبير بن العوام، كان يُكنى أبا بكر. وخبيب: أكبر ولده، ولم يكن يَكْنِيهِ بِهِ إِلَّا مِنْ ذِمَّةٍ، يَجْعَلُهُ كَاللَّقَبِ لَهُ. الأصفهاني، الأغاني، ج ١، ص ١٦. فلعلَّ الصاحب رمز إلى شيء ما.

(٥) في الأصل: ونعم.

روحه - فلحقننا رَوْعَةً، وملكننا لَوْعَةً، ثم أبَلَّ - رحمه الله - فأنشَرحت الصُّدُورُ،
ورَكِبَ؛ فشمل السُّرُورُ، ونُذِرَت على صَحَّتِهِ النُّدُورُ، ثم أبى الزمانُ إلَّا نكدًا، وأن
يترك شَمَلَ الفتى طرائقَ قَدَدًا، ونُكِسَ؛ فنكستِ الرؤوسُ، وزَهَقَتِ النفوسُ،
وأشعرت الصُّدُورُ مخافةً، ومُلئت القلوبُ كآبةً، ونحن مع ذلك على طَمَعٍ، ينهض
على ظَلَعٍ، فلما كُتِبَتْ له سَعَادَةُ المحتَضِرِ، وانتهى به العمرُ إلى الأجلِ المنتظرِ؛
نَعَتَهُ السَّمَاءُ صَائِحَةً، والأَرْضُ نَائِحَةً، ولحقت الناسَ دهشةٌ عَمِيَاءُ، وغشيتهم
خُطَّةٌ صَمَاءُ، وانقبضتِ اللَّهجاتُ عن القولِ، ولم يَرِ شَخْوصٌ ^(١) قومٌ تشخص إلى
قوم.

ثم انبعثت / [٧١ ب] الأحرانُ والهمومُ، وانطلقت الألسُنُ والعيونُ؛ فلا
تسمع إلَّا أَنَّةً أو رَنَّةً، وإلَّا نَشِيْجاً أو زَفَرَةً، ولا ترى إلَّا صَارِخاً أو صَارِخَةً،
وشادِخاً بالدم في وَجْهِهِ أو شادِخَةً، كأنَّا نرى رسولَ الله قد احتَضَرَ ثم قُبِضَ،
وأَمِيرَ المؤمنين - عليه السلام - قد طُعِنَ ثم احتمل؛ أو كأنَّا بِالطَّفِّ ^(٢) نشاهدُ
تلك الأجسامَ العظيمةَ كيف تُذال وتُبْتَذَلُ، وتلك الدِّمَاءَ الكريمةَ كيف تُراقُ،
فالدنيا دَهْمَاءُ، والخضرَاءُ غِبْرَاءُ، والأَصَابِعُ تشير إلَيَّ علماً بأنِّي أعظمُ الحاضرين
اكتئاباً، وأكثرهم مُصَاباً، وأقلُّهم اضطراباً، وأشدَّهم جزعاً مُثَاراً، أو صَبِراً مطاراً،
وقد زَمَتْ نفسي زَمَّ السَّكِينَةِ، لو لم تنطق الدموعُ بلسانِ النَّمِيمَةِ.

(١) الشخوص: جمع شخص، وهنا معناه سواد العين.

(٢) الطف: المكان الذي دارت فيه واقعة كربلاء، واستشهد فيها الحسين بن علي عليهما السلام.

وحضرنا المُعَزَّى، فإذا اليوم يوم [أَيَوْم] ^(١)، وذلك الشُّقُّ شَقٌّ مَظْلَم، ولم أَدْرِ كيف السَّبِيلُ وقد عَلَتِ الأَزْمَات ^(٢) على الألباب، وامتنع جانبُ التسليم والاحتساب؛ ففرغتُ إلى كتابِ الله عندَ اشتدادِ الفَزَعِ، وامتدادِ الجَزَعِ، وأمرتُ القُرَّاءَ بتناوبِ التَّلَاوةِ؛ فهدأ الناسُ إعظاماً لكلامِ ربِّ العالمين، يسمعونَ له مُنْصَتِينَ، إلى أن قيل: قد جُهِزَ ذلك الشخصُ الزَكِيُّ، والسَّيِّدُ النَّبِيُّ. وأقبلَ به وقد رَكِبَ الأعناقَ، بعدَ العِتاقِ، وعَلَا الأجيادَ، بعدَ الجياد ^(٣)، وفاحَ فَتِيْتُ المِسْكِ من مآثره، كما كان يفوحُ من مجامره، وقام الناسُ له كقيامهم - كان - إليه، واصْطَفَوْا للصَّلَاةِ عليه ^(٤) اصطفاً فهم للسلام عليه، وصَلَّى اللهُ عليه برحمته وملائكته، بإذنه ومشيتته، والخلائقُ أفواجاً بعد أفواج، وبحوراً ترمى بالأفواج، ولا موجَ إلَّا حَلَبُ العُيُونِ والأَحْدَاقِ، ودمعٌ كالدمِّ المَهْرَاقِ، فلم يَمَرَّ سَرِيرُهُ بأَرْضٍ إلَّا وَدَّتْ لو حُطَّ عندها، وأودعَ ثَنِيهَا؛ لَتَسْمَوْ عَلَى جَارَاتِهَا، وتُعَدَّ ثَانِيَةً طَيِّبَةً فِي طِيبِ التُّرْبَةِ ^(٥)، وثالثَةً

(١) إضافة منّا - قدّرنا أنها ساقطة من الناسخ - لتفي المعنى الذي أَرَادَهُ الصَّاحِبُ، وتعني اليوم الشديد الهائل. لسان العرب، ج ١٢، ص ٦٥٠ (يوم).

(٢) في الأصل: الأرباب، بدون نقط.

(٣) الأجياد: الأعناق، والجياد: الخيول.

(٤) الجملة في الأصل: «واصطفوا للصلاة اصطفاً فهم للصلاة عليه» وحذفنا «اصطفافهم للصلاة»؛ ليستقيم السياق.

(٥) في الأصل: التُّرْب.

الغريين^(١) والحائزة عَلاً أخواتها في شَرَف الرُّتبة؛ فحسبنا البلاد تتجاذب وتتضل، وتتغايُر وتقتتل، وأبى الله إلا أن يكون ثواؤه حيث اختار له بل اختار لمجاوريه وزائريه، ويُسعدُ به وارديه وصادريه؛ فهناك ينزل الرضوان، وثَمَّ تهبطُ الجنان.

لقد فارق - والله - أحياء نيسابور رجلٌ فيه يقال: فذُّ فرد، وأسدُّ وَرْد، وشهابٌ لامع، وصبحٌ ساطع، وماءٌ رَوَاء^(٢)، وكرمٌ ما شئت وحياء، ووَصَلْ أمواتها قادمٌ تقدُّمه حسناته، وتحفُّه قرباته، وتصلِّي عليه صلاته وصلاته، وتزكِّيه صادقةً زكواته وصدقاته، ويشفع / [٧٢ أ] له جدُّه في الدين واجتهاده، ويخصِّم عنه حجَّه في الله وجهاده. نعم - أطل الله بقاء سيدي - لو أن الكلام سهلتُ حُزونه، ولانت مُتونه، وطاعت عُيونه، ودانت أبكاره وعُونه، ثم عُمِّرت عُمر العُصور، وعُمِّرَ النسور، أمدُّ بخاطرٍ لا يُنْزَف، وطبع لا يُنْزَح، ثم شغلت عمري بالثناء على مَنْ رُزئناه - شَرَف الله مأواه - لكنْتُ - بعد الإكثار والإطالة، وخوف السامة والملالة - قاصر السَّعي قصيرِ باع القول، قُصاراي أن ألوذَ بدمَّة الصَّمت، وألبسَ ثوبين: من إقصارٍ وعَجْز.

(١) في الأصل: الغري، والغريان: بناءان كالصَّومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب عليه السلام، كان قد بناهما أحد ملوك الحيرة من المناذرة. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٩٦.

(٢) ماءٌ رَوِيٌّ وَرَوِيٌّ وَرَوَاءٌ: كثيرٌ مُرَوٍ. وماءٌ رَوَاءٌ: أي عَذْب. لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٤٥ (روي).

وإنما أنفثُ بنفثَةِ المَصدورِ، وأُلقيَ بَيِّ على حَواشي الصُّدورِ، وبالله العياذ من
استِشراء الحزن حتّى لا أَجرَ، واستِعلاءِ القَلق حتّى لا صَبْرَ، إنّ ذلك من مَواقِف
الجهّالِ الذين تَسْتَهويهم يَدُ الغرورِ، والكفارِ الذين ييأسون من أَصحاب القبورِ،
فرجوعاً إلى الله رجوعاً! ورَضِيَ بحكم الله وخضوعاً!

والحمدُ لله الذي لما عمّرَ الشَريفَ أبا محمد - صلوات الله عليه - عمّره
عزیزاً، وفطره عَظيماً، وجعله بنفسه وجنسه شَريفاً كريماً، أعماله بيضٌ، وإفضاله
مستفيضٌ، وذِكره سائرٌ، والثناءُ به طائرٌ، وحين قبضه قَبَضَه سعيدياً، وتوفّاه حميداً،
وختم له بحالٍ يُغَبِّطُ عليها للدارِ الباقية، وإن لم يُغَبِّطُ بها في هذه الفانية. ثم الحمدُ
لله على أن سدَّ حَصاصَةً من الشَريفِ بَمَن مكانه محتشمٌ، ومقامه مقدّمٌ، وحُلُقُه
وفضله مرموقٌ، وأدبه مشهورٌ، وسَبْقُه معهودٌ، يَروي المكارِمَ مرفوعةَ العبادِ،
مَوصولةَ الإسنادِ، قد ورثَ الشَرفَ جامعاً عن جامعٍ، وشَهِدَ له نداءُ الصَّوامِعِ.

فإن تكُ أيدينا بالأُمسِ أُمسَكَتِ على القلوبِ خَوْفَ انصداعها وانزعاجها؛
لقد مسحَتِ اليومَ على الصُّدورِ عند انشراحها وانفراجها، ولئن سَخنت عُيونُ
حين حَدَثَ الحادِثُ؛ لقد قرَّت عُيونُ حين انتصبَ الوارِثُ، وتلك الرياسةُ منتقلةُ
إليه، وحاصلةُ بيديه، يتوارثها غُصْنٌ عن شَجرٍ، وهلالٌ عن قمرٍ، ونحن - معاشرَ
إخوان الماضي وكافّةِ شيعته - أكرمهم الله - أيّد وراءه طوال، بل جبال إذا أُريدت
الجبالُ، تُشَحِّدُ له البصائرُ، وتُبتَدِلُ فيه الذخائرُ.

ويدعوني الإشفاق - مع ذلك - إلى أن أقول: حَتَمَ على سيدي أن يلبسَ
مَعْرَضاً لهذا الأمرِ يستقلُّ معه بفرائضه، ويضطلع بوظائفه، ويثابر على لَوَازِمِهِ،
ويقسم الشَّهَوَاتِ على شرائطه؛ فلقد كان حتَّى اليوم ابناً وهو الآن أبٌ /
[٧٢ ب] أو جدّ. وفي صُعداءِ المجدِّ مَسْلَكٌ وَعَرٌّ، ومَذْهَبٌ حَزَنٌ، ولن يفرعَ
الدَّروَةَ إِلَّا بِتَقْوَى وَحِلْمٍ لا يميلُ إلى جانبِ الحُرْقِ، ولا ترتقي إليه هِمَّةُ الذِّلِّ؛
وبذِلٍ لا يذوبُ صاحِبُه مع التَّبَذِيرِ، ولا يجمدُ مع التَّقْتِيرِ، ومنافسةٍ في اقتناءِ
المودَّاتِ؛ حتَّى يعطيَ مَنْ فوقه حظَّ التَّوقِيرِ، وَيَسْمَحَ لِمَنْ كان مثله بفضلِ التَّقْدِيمِ،
ويجذبَ بمن يُدانيه إلى رُتَبَةِ النظيرِ، ويكونَ للباقيين أباً يدافعُ عنهم مدافعتَه عن
تِلَادِهِ، ويناضلُ مُناضلتَه عن أولاده، فيزورَ منهم الصَّحِيحَ، ويعودَ المريضَ،
ويُغِيثَ المنكوبَ، ويُعينَ المحروِبَ، ويشفعَ في المجرمِ، ويسألَ في المذنبِ،
ويَتَحَمَّلُ مَضَرَّةَ القومِ، ويراهُ الغنمَ كُلَّ الغنمِ، طاهرَ الأثوابِ، سَهْلَ الحجابِ،
مؤدَّبَ الأصحابِ، يستحفظُ رأيَ سُلْطَانِهِ، بغايةِ إِمْكَانِهِ، ثم لا يدعُ بينه وبينَ
أقارِبِهِ، والمساوين له في مَناسِبِهِ، تِرَةً ولا ذَخْلًا، ولا يسيءُ فيهم قولاً ولا فعلاً،
ويُشْعِرُ الذينَ يَحْدُجُونَ بالنَّمِيمةِ أَنَّ أسواقَهُم بائرةٌ، وعليهم الدائرةُ.

والعلماءُ يَسْعَوْنَ العلماءُ؛ فهم الأركانُ والأعيانُ، والإخوانُ والأعوانُ،
والمشايخُ والصُّدُورُ، وإليهم تؤولُ الأمورُ؛ فليعظَّمْهُمْ كُنْهَ الإِعْظَامِ، وليُكَبِّرْ
صَغِيرَهُمْ فوق أكابر الزمانِ؛ فَإِنَّ فقيهَ العَرَبِ عليَّ بنَ أبي طالبٍ - رضي الله عنه -

فَضَّلَ أَكْفَاءَهُ بِالْعِلْمِ؛ فَصَارَ أَفْخَمَ شَأْنًا، وَأَعَزَّ سُلْطَانًا، وَأَعْظَمَ نَفَرًا، وَأَبْهَرَ شَمْسًا
وَقَمَرًا، ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

ولست أريدُ بهذا القولِ طائفةً دونَ أخرى تقابلُها، ولا فرقةً سوى فرقةٍ
تماثلُها، بل أرى العِلْمَ أينَ حَلَّ بأعلى نسبٍ، وأقوى سَبَبٍ، والأُمَّةُ وإن اختلفتْ
مذاهبُها، بين مُحَقِّقٍ ومُبْطِلٍ، ومُسَهِّلٍ ومُحْزِنٍ، ومُخْطِئٍ ومُصِيبٍ، وأَصَمٍّ عن الحقِّ أو
مُجِيبٍ، فحُرْمَةُ المعرفة لا تُضَاع، وسَوَامِ الدَّرَايَةِ لا تُرَاع.

وكان سبيلُ كتابي أن يَرِدَ على سَيِّدِي الشَّرِيفِ خَامِسَ وَفَاةِ الْفَقِيدِ - رحمه
الله - لولا أن المَرَضَ أَخَذَ بِالْجَوَانِحِ، وَثَقُلَ عَلَى الْجَوَارِحِ، وَالْآنَ حِينَ اسْتَقَلَّتْ
وَأَبْلَلْتُ؛ فَكَتَبْتُ، لَا بَلْ عَجَزْتُ وَأَمَلْتُ، فَلْيَقْبَلِ الْعَذْرَ كَمَا عَرَفَهُ، وَلْيَقْبَلِ عَلَى مَا
يَحُوطُ دِينَهُ وَشَرْفَهُ. وَمَعَ كُلِّ الَّذِي تَصَرَّفْتُ فِيهِ فَإِنَّ الْأَسْفَ عَلَى مَنْ فَقَدْنَاهُ إِزَاءَ
نَظَرِي، وَشُغْلِ خَاطَرِي، لَمْ أَرْضَ عَنِ اللَّيَالِي، وَقَدْ سَخَطَتْهَا الْمَعَالِي:

/ [٧٣] أَلَمْ أَجَانِبُ الدُّنْيَا بِسَهْلٍ وَلَا الضُّحَى بَطْلَقٍ وَلَا مَاءَ الْحَيَاةِ بِبَارِدٍ^(٢)

(١) سورة الزمر، من الآية ٩.

(٢) من قصيدة لأبي تمام يرثي خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني. شرح ديوانه لإيليا حاوي، ص ٦٦٤.

الكتاب الحادي عشر

في الأدب والنحو والمنطق واللاهوت

كتابُ

شَوْقٍ وَاسْتِزَادَةٍ وَبِرٍّ وَتَوَجُّعٍ لِعَارِضِ عِلَّةٍ

أنا إذا وجدتُ لمكاتبةِ الشَّريفِ بخطِّي فراغاً، وإلى مُطاولته بها في نَفْسي
مساغاً؛ أَسْغَتُ غَصَّةً، وانتَهزتُ فرصةً، وإذا حُجزتُ العلائقُ، وَمَنَعَتِ العوائقُ؛
لم أعدم حُجَّةً، ولا يعدمني رخصة، وأنا - والله - من الشوقِ إليه بما أَكْبَرُهُ عن
كَشْفِهِ، ويدفعُ أدبُ الوقارِ عن وَصْفِهِ؛ إذ هو في قَبيلِ ما يُسَمَّى كَلْفاً، وطريق ما
يُدعى شَغْفاً. هذا وفرط الغرام بقرب مَوْلَاي وَلَوْعَ بالفضل؛ فلا تَبَرُّؤَ منه، وَلَهْجُ
بالمجد؛ فلا تنزَّهَ عنه، والله عواطفُ وعَوَارِفُ، ومَواهبُ ولطائفُ، تعين الشملَ
على اجتماعه، وتُديل القلبَ من نزاعه.

وَوَصَلَ كتابُ الشَّريفِ مع فلان فحسبته سافرَ إليَّ قَريبَ العَهْدِ، بَبْنَانِهِ وَبَيَانِهِ،
وَفَقَرِ يَدِهِ وَلِسَانِهِ، واهتززتُ لنشره، وارتحت لَفَضِّهِ، وتهيَّأتُ لاجْتِنَاءِ وَرْدِهِ،
والارْتِواءِ مِنْ شُرْبِهِ، فلَمَّا أَلْفَيْتُهُ بغيرِ خَطِّهِ؛ عراني فُتُورٌ مُسْرِفٌ، وَكَسَلٌ مَجْحَفٌ؛
فعدلتُ إلى التذكرة؛ إذ كانت بين مَسَاقِطِ أَقْلَامِهِ، وتساقِطِ الدُّرِّ مِنْ كَلَامِهِ،
وَبَرَدَتْ غَلِيلاً، وجلتُ ناظراً كَلِيلاً، واستعديتها على الشوق، فلولا أنها هاجتُ

مَزِيدَ تَذَكُّرٍ، وَأَثَارَتِ قَدِيمَ تَحَشُّرٍ؛ لَكَانَ مَا أَهْدَتْ مِنْ غِبْطَةٍ، وَأَدَّتْ مِنْ بَهْجَةٍ،
حَقِيقًا بِأَنْ يُذَكَّرَ، وَخَلِيقًا بِأَنْ يُشْكَرَ.

وَقَدْ تَقَدَّمْتُ فِي الْأَبْوَابِ أَجْمَعُ بِمَا يَجْمَعُ الْمَرَادَ، وَيُضَدِّقُ الْارْتِيَادَ، وَفَلَانٌ يَفْصِلُ
مَا أَجْمَلْتُ، وَيَلْخِصُّ مَا أَهْمَمْتُ، بِعَوْنِ اللَّهِ. وَمَوْلَانَا الْأَمِيرُ لَمَوْلَايَ مُحَمَّدٍ وَلِمَنْزِلَتِهِ
مُكَبِّرٍ، وَعَلَى قَدِيمِ تَحَقُّقِهِ مُحَافِظٍ، وَلِمَا عَادَ بِسَدَادِ أَمْرِهِ مُؤَثِّرٌ مُتَخَيِّرٌ. مَدَّ^(١) اللَّهُ أَسْتَارَ
ظِلِّهِ، عَلَى أَتْبَاعِ فَضْلِهِ، بِمَنْهٖ.

عِنْدَ انْتِهَائِي إِلَى هَذَا الْفَصْلِ، عَرَضَ فَلَانٌ كِتَابًا إِلَيْهِ مِنْ مَوْلَايَ صَدَرَ عَنْ
عَارِضٍ تَأَلَّمْ؛ فَطَوَانِي عَلَى جَزَعٍ وَتَحَرُّقٍ؛ إِذْ لَا فَرْقَ - يَشْهَدُ اللَّهُ - عِنْدِي بَيْنَ سُقْمِهِ
وَسُقْمِي، وَمَا يُقَسِّمُ لِحَسْمِهِ وَجِسْمِي، وَإِنِّي لِأَسْتَنْزِلُ / [٧٣ ب] الْعَافِيَةَ عَلَى أَنْ
تَكُونَ لَهُ مَشْرُوطَةً، وَأَسْتَمِدُّ السَّلَامَةَ عَلَى أَنْ تَدُومَ بِهِ مَنُوطَةً، وَاللَّهُ يَلْغَنِي فِيهِ وَفِي
نَفْسِي خَيْرَ الْمَطَالِبِ، وَيَكْفِينِي وَإِيَّاهُ كَدَرَ الْمَشَارِبِ، وَاعْتِرَاضَ الشَّوَابِ.

وَأَعُوذُ لَسَقِّ الْجَوَابِ: إِنْ الَّذِي يَصِفُهُ مَوْلَايَ عَنِ الْأَمِيرِ إِجْلَالًا لِقَدْرِهِ،
وَإِشْبَالًا عَلَى أَمْرِهِ، وَإِجْزَالًا لِحَظِّهِ؛ لِرَافِعِ طَرْفِي، وَفَائِتْ شَكْرِي وَصَفِي. ذَلِكَ
دَلِيلُ ثَبَاتِ الدَّوْلَةِ، وَتَزَايِدِ النِّعْمَةِ، وَتَضَاعُفِ الْبَسْطَةِ، وَنَيْلِ الْبُغْيَةِ، وَاللَّهُ يُوفِّقُ
مَوْلَايَ لِمَا يُوَافِقُ هَذِهِ الْحَالَ التَّمَاسًا لِلْقُرْبَةِ، وَاخْتِصَاصًا بِالطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ. وَمَتَى
حَمَلْتُ فَلَانًا إِلَيْهِ مَا يُوْرِدُهُ، وَإِنْ كَانَ فَجًّا عَلَيْهِ؛ فَلْيَتَصَوَّرْ مَوْلَايَ إِخْوَانَهُ بِحَيْثُ

(١) فِي الْأَصْلِ: وَمَدَّ.

تقديمُ الله وتفضيلُهُ، أو من حيث تقريبُ السلطان وتأهيلُهُ. وأنا أقطعُ الكلامَ؛
فإني أخشى اللّومَ يلجُ بي، ويستفزّ قلّمي، وأسألُ مَوْلَايَ أَنْ يُخَاطِبَنِي بِخَيْرِهِ؛ فهو
أخصُّ ما أترقّب، ويُبَاسِطَنِي فِي وَطَرِهِ؛ فهو أسرُّ ما أقدم، إن شاء الله.

كتاب تأنس ومداعبة

أنا أُلطف - يا شيخي - الكاغد في مكاتبتك، بحسب ما أوجب من لطف منزلتك، وأعتذر إليك، من تأخر الأجوبة عنك، عما أعتد لك باتصال الابتداءات منك؛ فإني إذا قرأت من خطك حرفاً؛ وجدت على قلبي خفاً، وإذا تأملت من كلامك لفظاً؛ ازددت من أنسي حظاً. ودليل الشوق إليك: ما تجده من نفسك، وتستمليه عن صدرك، وكلا! فإن الذي عندي أحرّ وقعاً، وأحدّ لدعاً، وقد زاد فيه ما استشعرته من ترفيهك عن السفر، وتوفيرك^(١) على الوطن^(٢).

وأجزيك الخير؛ فإنك تطفئ بكُتُبك لهب البعد، وترش على نار الحنين ماء الوصل، فلا تشبه بمن يوصل فيقطع، ويسأل فيمنع، ويقبل عليه فيعرض، ويُسبّط إليه فينقبض، ويُلان له فيشتد، ويعتد به فلا يعتد، ومن التيه ثوبه ورداؤه، والنجم أرضه وحداؤه، ومن الخضراء له عرشت، والغبراء باسمه فرشت! ويظن الشمس أخف سرجه ضياء، / [٧٤ أ] والأيام عبيداً والليالي إماء، ومن ينظر في عطفه، ويرمق العالم بمؤخر طرفه. فإن تسأل عنه؛ لم أشجع لذكره، مع ما قلت في

(١) في الأصل: وتوفيرك.

(٢) في الأصل: الوطن.

فخامة أمره، لكنني أثق بالسَّميع العليم، وأستعيذُ به من الشيطان الرجيم؛ فأقول:
هو أبو سعيد، وليس بالمهلب، ومحمد، وليس بابن الحنفية، وابن المرزبان بن
الفرخان، اسمان لم يشهدا بيعة الرضوان. وحقك إن كنتَ قرأتَ له كتاباً منذ مدّة
قد تجاوزتُ عدد النساء وبلغتُ حولاً كاملاً أو كادت، ولا أدري لم اعترض اسمه
في كتابي إليك حتّى أضعتُ من بياضي ما تراه، ومن كلامي ما تقرأه!

وله تَوَدُّدٌ وَتَشْكُرُ

كتابي - أطال الله بقاء سيدي - ومولانا فسيح مجال العزم، رفيع مناط الملك، وأنا بدولته، وعز خدمته سالم. والحمد لله رب العالمين.

ووصل كتاب سيدي مبشراً بما كان الأمد واقفاً عليه لا يتعداه، والرجاء منصّباً إليه لا يتخطاه، ونوازع النفس تنهض له خاطبة، وبواعث القلب تلهج به طالبة، من قربه الذي يجمع أسباب المحاب موفاةً، وينظم أشتات المسرة مهداة، فيعلم الله ما استسلفت من البهجة التي لم تدع مني جارحة إلا طبقتها، واستأنفت من الغبطة التي لم تترك مني جانحة إلا ملكتها؛ فألفيتني كمن حُكِّم في أوطاره فتحكّم، وأسرج في آرائه وألجم، وأزاحت الأيام عِلته كيف أراد، وارتاحت له الليالي بما شاء وارتاد؛ فقد كنت من بُعد سيدي في وحشة تدع حُطوط النفس منحوسةً، وغمة ترجع حقوق الأنس منقوصةً، وكيف لا أتشوّف سيدي بعيداً، ولا أتناول به الأمانى قريباً، وقد آتاني الله من وده، وكريم عهده، ما تحار فيه النواظر، وتُعقد عليه الخناصر؟! فغيبني محروس بحضوره عن الألسنة الجارحة، والعيون الطامحة، وذكري محفوظ بمنابه الكريم، وقيامه الجميل. ولولا أن الإكثار يُزري على الإخلاص، وينقص جدّة

الاختصاص^(١)؛ لأطعتُ ما يُملِيه ويطالبني به فكري؛ اعتقاداً لم يَهْجُنْه التَّصَنُّعُ، واعتماداً لم يعترضه التَّعَمُّدُ، والله يُدِيمُ النِّعْمَةَ لديه كما أدامها لإخوانه به، ويُهِنِيه ما قَسَمَ له كما هَنَأَهُمْ / [٧٤ ب] العارفةُ عنده، بمنه.

وقد أكثر الناس في وَصَفِ ما يَهِيْجُه الشَّوْقُ إذا أخذت الدَّارُ تَتَقَارَبُ، والمحالُّ تَتَجَاوَرُ، وصَحَائِفُ البُعْدِ تُدْرَجُ، وملابِسُ القُرْبِ تُنْشَرُ. وما أوضح بَراهِينَ ذلك! فإني مُسْتَقِيها من صَدْرِي، ومُسْتَمْلِيها من قلبي؛ لاسْتِبْعَادِي الشَّقَّةَ، هذه المَدَّةَ، وتقديرِي بأنَّ اليومَ الواحدَ أمدُّ من الحَوْلِ الكاملِ، والعامِ المتواصلِ. والله يقَرِّبُ لنا البعيدَ، ويلقِّينا الفألَ السَّعيدَ، ويكْمِلُ الرغائبَ بمشاهدته، ويُسَبِّغُ المواهبَ بمشافهته، إنَّ الله يفعل ما يريد.

ومما أبشَّرُ به سيَّدي: اهتزازُ مَوْلانا لمورده، وارتياحُه لمَقْدَمِهِ؛ فإنه منذ أولِ ما وَرَدَتِ الكُتُبُ نبياً تَوَجَّهه إلى هذه الحَضْرَةِ، يقولُ في هذا الباب أقوالاً تخلِّدُ الشَّرْفَ وتؤبِّدُه، وتَذْخِرُ المجدَ وتمهِّدُه. زاد الله مَوْلای عندَه قُرْبَةً، وضاعَفَ كُلَّ يومٍ له رُتْبَةً، فإن رأى أنَّ يجعلَ كتابَه مقدِّمةَ النِّعْمَةِ في وُصُولِهِ، وتَعْرِيفِي خَبَرِهِ عَنْوَانِ المنحَةِ في وُروُدِهِ، ويذكر لي أخبارَه، ويكلِّفني أوطارَه؛ فعَل، إن شاء الله.

(١) في الأصل: للاختصاص.

وله

كتابي - أطل الله بقاء سيدي - ومولانا سابع السعادة، مُتناول بيد القدرة
مبالغ الإرادة. والحمد لله.

فأما أنا فإنَّ حُمَيَّاتٍ اختلفت بي، وأَعْلَالاً تصدَّت لي، وكنتُ منها في أحوالٍ
تحوَّنت القوة، بقدر ما تحيَّفت به الصَّحة، وقد تفضَّل الله الكريم بالإقالة، وأعادني
إلى جَميل العادة، ولم يبقَ إلَّا الضَّعف الذي يزولُ على الأيام، والله ولي التطوُّل به
والإحسان.

ولولا هذا العارضُ لقد كنتُ تلقَّيتُ سيدي بعدَّة كتبٍ على أيدي الرُّسل؛
استعجالاً للموهبة في مُشاهدته، وإكباراً للمُنحة في مُكاشرته، وتعرُّفاً لخبره ورأيه،
ووقتِ وُروده، وصَلَّه الله بأسبابِ سرَّائه. وبالأَمْسِ تهيَّأ لي الرُّكوبُ إلى سيدي
ذاكراً الصورة، وراغباً إليه في إعلامي حالَ سَلامته، واطِّرادِ أموره على إشاره
ومُحبَّته، وإنَّ جاز أنْ يعرِّفني الوقتَ الذي يكون انفصالي على طالع البركة؛ مَنْ به؛
فمُولانا يهتمُّ بذلك، ويرسمُ مُراعاته، ولذلك أَمَرَ - أعلى الله أمره - بإصدارِ هذه
المخاطبة مع أحد التَّراسين^(١).

(١) التَّراس: صاحب التُّرس. لسان العرب، ج ٦، ص ٣٢ (ترس).

وتشوّفي لغاية المحبّة، ونهاية / [٧٥ أ] البُغية، وبلوغ المراد والطلبية، بقاء
سَيِّدي، يَحْدُونِي على الاهتمام، ويَهْزِنِي للاستعلام، ولا أحتاجُ إلى تعريفه زيادةً
تُراعَى بتزايد الدّارِ قريباً؛ فإنه يُستَمَلَى من كرم عهده في ذلك ما تجده شاهداً عدلاً،
فإن رأى أن مخاطبني بما التَّلُحُّ له شديداً، والطَّرْفُ إليه حديد، ويذكر لي من مهمّة
ما يبعثُ عليه خلوصٌ من وُدّه؛ فعَل، إن شاء الله.

وله

ذَكَرَ فَلَانٌ أَنَّهُ يَخْرُجُ عَلَى طَرِيقِ الْمَفَازَةِ إِلَى حَضْرَتِي، مُجَدِّدًا الْعَهْدَ بِخِدْمَتِي، وَذَلِكَ صَوَابٌ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ دَلِيلٌ، قَدْ اسْتَأْفَ أَخْلَاقَ الطَّرِيقِ، وَلَقَّبَ بِدُعَيْمِصِ الرَّمْلِ^(١)، وَضَرَبَ فِي عَامِرِ بْنِ فُهَيْرَةَ^(٢) بَعْرَقَ، وَأَجَالَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَرْيَقِطَ^(٣) قَدْحًا، وَبَارَى الشَّنْفَرَى^(٤)، وَبَاتَ بِمَوْمَةَ^(٥) وَأَمْسَى بِغَيْرِهَا، وَكَانَتْ خَوْوَلَتُهُ لَتَابْطَ شَرًّا^(٦)، وَعَمُومَتُهُ فِي عَمْرٍو بْنِ بَرَّاقٍ^(٧)، وَرِضَاعُهُ فِي سُلَيْكِ الْمُقَانِبِ^(٨).

(١) دُعَيْمِصِ الرَّمْلِ: اسم رجل من عبد القيس كان أهدى أدلاء العرب للطرق، يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ، فَيُقَالُ: أَهْدَى مِنْ دُعَيْمِصِ الرَّمْلِ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ دَخَلَ وَبَارَ، وَهِيَ بَلَدَةٌ تَزْعُمُ الْعَرَبُ أَنَّهَا بَلَدَةُ الْجَنِّ، وَلَمْ يَدْخُلْهَا إِنْسِيٌّ غَيْرُهُ، فَرَمَتْهُ الْجَنُّ بِالرَّمْلِ حَتَّى عَمِيَ. وَيُقَالُ: هُوَ دُعَيْمِصِ هَذَا الْأَمْرِ، أَي: عَالِمٌ بِهِ. الثَّعَالِبِيُّ، ثَمَارُ الْقُلُوبِ، ص ١٠٤.

(٢) مَوْلَى لِأَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ، قُتِلَ يَوْمَ بَثْرَ مَعُونَةَ. سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ، ج ١، ص ٢٠٧.

(٣) دَلِيلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْهَجْرَةِ إِلَى يَثْرِبَ. سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ، ج ٢، ص ١٠٠.

(٤) شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ، يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْعَدُوِّ؛ وَهُوَ أَحَدُ الصَّعَالِيكِ وَصَاحِبُ لَامِيَةِ الْعَرَبِ.

(٥) الْمَوْمَةُ: الْفَلَاةُ الْوَاسِعَةُ الَّتِي لَا مَاءَ وَلَا أَنْاسَ بِهَا. لِسَانُ الْعَرَبِ، ج ١٢، ص ٥٦٦ (موم).

(٦) تَابْطٌ شَرًّا مِثْلُ الشَّنْفَرَى مِنْ صَعَالِيكِ الْجَاهِلِيَّةِ وَعَدَائِيهَا. النِّشَابِيُّ، الْمَذَاكِرَةُ، ص ٤٥.

(٧) عَمْرٍو بْنُ بَرَّاقٍ مِثْلُ سَابِقِيهِ. الْمِيدَانِيُّ، مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ، ج ٢، ص ٤٦.

(٨) سُلَيْكُ الْمُقَانِبِ: هُوَ سُلَيْكُ بْنُ السَّلَكَةِ التَّمِيمِيِّ، وَهُوَ مِثْلُ سَابِقِيهِ. ابْنُ قَتَيْبَةَ، عَيُونُ الْأَخْبَارِ،

ج ١، ص ١٧٥.

ووصفه العرب أنه كالكدر يردُّ المِشارِعَ، وأنه أهْدَى من النّجم، وأنه لا يضلُّ حتّى يضلَّ النّجم، وقالوا فيه: الخريّت^(١)، وسمّوه بالأحدّ المصلّات^(٢)، أو خير من ذلك جمال من أردستان^(٣) يُجمّع على علمه بالطريق؛ ليركبه على بصيرة ويقين، وسيّدي يجهّزه؛ فقد علّم أنه جهيزة، ويُعينه على الظّعن؛ فقد علّم أنه ظعينة، ويذكر قول رسول الله صلى الله عليه [وسلم]^(٤): «رفقاً بالقوارير»^(٥)، ويقول لأبي الفتح: «هذه ثم ظهّور الخضر»^(٦)، وليوصه ليستظهر على الفلاة، بناقة

(١) الخريّت: الدليل الحاذق الماهر الذي يهتدي لأخوات المفاوز، وهي طرقها الخفية ومضابقتها. لسان العرب، ج ٢، ص ٣٠ (خرت).

(٢) الأحذ: القاطع. المصلّات: الماضي في الأمور. لسان العرب، ج ٣، ص ٤٨٣ (حذ).

(٣) أردستان: مدينة بين قاشان وأصفهان. ولم أهد لما قصده الصّاحب.

(٤) زيادة مثلاً.

(٥) متفق عليه من حديث أنس: البخاري (٦١٤٩، ٦١٦١، ٦٢٠٢، ٦٢٠٩-٦٢١١)، مسلم (٢٣٢٣)، وألفاظ الحديث عندهما: «يا أنجشة (حادي غلام له ﷺ) رويدك سوقاً بالقوارير»، «رويدك بالقوارير»، «رويدك سوقك بالقوارير»، «ويحك بالقوارير»، «سوقك بالقوارير»، «لا تكسر القوارير»، «رويداً سوقك بالقوارير»، وفي «مسند» أحمد ألفاظ أخرى: «ارفق بالقوارير» ج ٣، ص ١٧٢، ص ١٨٧، ص ٢٠٢، «كذلك سيّرك بالقوارير» ج ٣، ص ٢٠٦، «لا تكسر القوارير» ج ٣، ص ٢٥٢. ولم أقف على هذا اللفظ عند من روى الحديث، وأقرب الألفاظ منه لفظ أحمد: «ارفق بالقوارير»، ولفظ مسند الحميدي (١٢٠٩): «رفقاً قوداً بالقوارير».

(٦) هذه قوله قالها رسول الله ﷺ لأزواجه في حجة الوداع: «هذه» أي الحجة مفروضة عليكم «ثم ظهّور»: جمع ظهّر «الخضر - أو: الخضر»: جمع الحصيرة؛ أي: الزمن بيوتكن بعدها، بمعنى: لا يجب عليكم الحج بعدها. والحديث رواه من حديث أبي واقد الليثي: أبو داود (١٧٢٢)، وأحمد ج ٥، ص ٢١٨، ص ٢١٩، وروى من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم.

كالعلاء، وبالزاد والمزاد، كما وصفت . أنفذ من عبد الجبار بن يزيد^(١)، وخالد بن دثار^(٢)، وأصيدف بن فلان، ولا أدري ما أبوه، ولكنه الذي كَلَّ على المهرب من سجن الحجاج، والله يؤيِّده ويهديه.

(١) لعله أخو الوليد بن يزيد بن عبد الملك. يذكر أبو الفرج الأصفهاني أن الوليد طلب إلى إحدى المغنيات أن تغنيه صوتاً، وطلب أخوه عبد الجبار منها صوتاً آخر، فاستجابت له وتركت أخاه وطلبتَه. الأغاني، ج٧، ص ٥٠.

(٢) خالد بن دثار بن كرز الفزاري. انظر ترجمته في تاريخ دمشق لابن عساكر، ج١٦، ص ١٨.

وله

وَصَلِّ كِتَابُكَ - أيها الشريف، أطال الله بقاءك - ولكن بعدَ ماذا! بعد أن
كَدَدْتُكَ بِالْعَتَبِ الْوَجِيعِ، وَقَرَّعْتُكَ بِعَصَا التَّقْرِيعِ:

وَكأنَّ الْأَكْفَ قَدْ عَصَرَتْهُ بعد كدٍّ من ماء وَجْهِ الْبَخِيلِ^(١)

وما كذا كان الظَّنُّ بك، وخُلِقَ الخلقُ الرَّحْبُ، وأنت الحلالُ الحلو والبارِدُ
العذب، وقد ينسى المرء أبعدَ خليليه داراً وحِلَّةً، وإن كان أصدقَهم عهداً وخُلَّةً،
/ [٧٥ ب] غير أني لم أحبك ترضى بالرتبة الدنيا في كرم العهد، وترعى رَوْضَةَ
الهَوَيْنِي فِي صِحَّةِ الْعَقْدِ؛ فَمَلَأْتُ يَدَيَّ ثِقَةً وَرَجَاءً، حَتَّى أَعْدَتَهَا عَلَيَّ صَفْراً
خِلاَءً.

وبعد ذلك فَلَيْتَ شَوْقِي إِلَيْكَ عَلَى قَدَرِ حَظِّي مِنْكَ، كَلَّا! بَلْ أَنْتَ خَدِينُ
فَكْرِي وَسَمِيرُهُ، وَأَمِينُ قَلْبِي وَأَمِيرُهُ، تَصَرَّفَهُ^(٢) كَيْفَ أَحْبَبْتَ، وَتَنَقَّلَهُ كَيْفَ
طَلَبْتَ، وَتَسَلَّمَهُ لَتَنَاوِبِ الْبِرِّ وَالْجَفَاءِ، وَتَتَلَاعَبُ بِهِ كِتْلَاعُ الْأَفْعَالِ بِالْأَسْمَاءِ^(٣)،

(١) البيت من قصيدة لأبي تمام. ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج ٥، ص ٢١؛ الإربلي، التذكرة
الفخرية، ص ٣٣١، والرواية: «وكان الأنامل اعتصرتها» يصف شراباً غير مرضي أنفذه من
بعض أصدقائه.

(٢) في الأصل: وتصرفه: بزيادة واو.

(٣) في الأصل: الأسماء بالأفعال، وقدّمنا وأخرنا للسجع.

فإذا استنزلتكَ عن كتاب تصدّره ، أنفقتَ بالمعروف، وجُدتَ بالنّزر المشفوه^(١)،
حتّى كان بياضَ قِرطاسِكَ من شيبة الحمد، وسوادُ أنفاسِكَ من سواد الناظر
والقلب. فلا تفعل - جُعلت فداك! - فبغير هذا نزلت السُّورُ، وتُليت النُّذرُ،
وتكرّرت العِبرُ، وترَبَّعت ربيعة وتمَصَّرت مُضَرُّ، وآخرُ دَعْواي: أن كيف شئت
فكن، وقل: إذا عزَّ أخوك فهنُّ. سقى الله عهدك غيثاً كغزارةِ فضلك، وسلامةِ
طَبْعِكَ، وصَفاء وُدِّكَ، ولا عاشت المحاسِنُ مِن بعدك.

(١) المشفوه: القليل.

وله

كتابي - أطل الله بقاء صاحب الجيش - ونعم الله عندي بدولة الملك السيّد
مُتواليةً، ومَوادُّ الخير نامية، والحمد لله ربّ العالمين.

وكان كتابُ صاحبِ الجيش وَرَدَ مع فلان جامعاً من الفوائد أشدّها للشكر
استحقاقاً، وأتمّها للحمْد استغراقاً، وتعرّفتُ من إحسان الله فيما وفّره من سلامته،
وهنّاه من كرامته، أنفَسَ مَوْهوب ومَطْلُوب، وأحمدَ مَرْقُوب ومَخْطُوب، وأدّى
فلان ما تحمّل من مُشافهة صادرة عن مطلع الودّ الجليّ، ومُسْتودَع العَهْد الوفيّ:
صاحبِ الجيش، أصحبه إيّاه متجاوزاً حدَّ الإلطف، إلى طرفٍ من أطراف
الإشراف.

وصاحبُ الجيش بما عَوَّد من كرم نفسه، ومحامد فعله، وإيفاء يَوْمه على أُمِّه،
وعِدته بالمزيد في غَدِه، لا يُستكثرُ منه البلوغ إلى أبعد آماذِ المَبَارِّ وأَرْفَعِهَا، وأَوْقَعِهَا
بِحُسْن الاختيار وأبدعها؛ فقد أفردَه اللهُ من خلالِ الفضل بما أَمِنَ فيه شَرِكَةَ أُولى
المجاورات، وسُهمَة ذوي المساهمات. والإقصارُ عن التّأهّي في مُقابَلته، إلى
التّباهي بما فضل الله من شاكلته، أسدُّ منهاجاً ومذهباً، وأسعدُ منالاً ومطلباً، والله
لا يُحلي من التّجمل / [٧٦ أ] بمكانه، ويحفظُ التّكثُّرُ به على إخوانه.

ولو كانت الكتبُ والرُّسلُ كفاءَ مَوْدَعِ الصُّدُورِ، ومَوْقَعِ الودِّ الموفور؛

لصدرت تباعاً، ونفدت سِراعاً، لا قصورَ في الإذمان دونها، إلا أن الثقة بالتصافي المتزايد، والتناجي بخلوص السرائر والعقائد، يفسح في طرق العذر، إذا وقع تعويلٌ على المشاركة المحضة، والاستئمان الغضة. وما تجشم صاحبُ الجيش إنفاذه من تحفةٍ كبرها قدرًا، وصغرها ذكرًا، وكثرها إصدارًا، وقللها إخبارًا؛ فقد زاد في حُسْن مَوقِعها فَتَحها للأنس باباً يَنُصاف إلى أبواب المباشطة التامة، والاسترسال في الأوطار الخاصة والعامة، وإن كنتُ - يعلم الله - بما لديه، أوثقُ مني بما تنضمُّ اليه عليه، علماً بأنه - أدام الله عزَّه - لا يفرق بين النعم التي سَوَّغني الله صَفْوَهَا، والمنح التي أسبغَ عليه عَفْوَهَا، أدام الله الموهبة بمواصلَة أيامه، وحَرَس ما أودعه من غُرر إنعامه.

وقد أتت المشافهاتُ على جَواب الرِّسالة الواردة، وفلانٌ يؤدِّيها بإذن الله على السُّنة الجارية؛ إذ كان صحيحَ الأداء، حميدَ الاستيفاء.

وله

وَصَلَ كِتَابُكَ الْمُوثُوقُ بِثُبُوتِ عَهْدِهِ عَلَى تَلَوْنِ الْحَالَاتِ، الْمَسْكُونُ إِلَى رُسُوخِ
وُدِّهِ عَلَى تَبَايُنِ الْأَوْقَاتِ، وَكَانَ مَوْقِعُهُ بِحَضْرَتِي مَوْقِعَ آنَسٍ مَا يَتَوَقَّعُ، وَمَطْلَعُهُ عَلَى
مَجْلِسِي مَطْلَعِ أَسْرٍّ مَا يَتَطَّلَعُ، وَتَحَمُّلُ مِنْ خَبْرِكَ فِي السَّلَامَةِ مَا أَعَدَّهُ أَحْصَى غَنِيمَةً،
وَأَعَزَّ مَنْحَةً كَرِيمَةً؛ فَقَدْ كُنْتُ - يَشْهَدُ اللَّهُ - عِنْدَ اخْتِلَافِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ بِأَغْمَارِ
مَالِهَا عَلَى النَّبَاهَةِ لِلْخُمُولِ، وَأَذْنَابِ خَافُوا عَلَى الرُّؤُوسِ وَالصُّدُورِ، أَشْفَقَ عَلَيْكَ
مِنْ بَدَرَاتِ الْجَهْلَةِ، وَبَدَهَاتِ الْعَجْزَةِ، وَأُرَاعِي خَبْرَكَ مُرَاعَاةَ الْمَرْءِ لِأَمْسِ ذَوِي
رَحْمَةٍ؛ غَيْرَةً عَلَى تَمْيِيزِكَ وَبِرَاعَتِكَ، وَتَبْرِيزِكَ عَلَى أَهْلِ صِنَاعَتِكَ، وَوُقُوعِ التَّسْلِيمِ
لَكَ مِنْ شَاهِدَتِهِمْ يَوْمَئِذٍ وَالْعِرَاقِ مُغْتَصَّةً بِالْأَفْضَلِ، مَخْتَصَّةً بِوَجْهِهِ الْعَمَالِ
وَالْمَشَايِخِ، فَلَمَّا أَطْلَعَ اللَّهُ رَايَاتِ الْحَقِّ، وَرَفَعَ غَايَاتِ الْفَضْلِ، بِمَا ذَلَّلَ لِمَوْلَانَا مِنْ
مُقَادَةِ الْبِلَادِ، وَأَحْيَا بِأَيَامِهِ مِنْ مَصَالِحِ الْعِبَادِ؛ أَتَيْتُ أَنْ زَنْدَكَ فِي الزُّنُودِ الْوَارِيَةِ،
وَسَعَدَكَ مَعَ السُّعُودِ الْجَارِيَةِ.

وَتَرَقَّبْتُ كِتَابَكَ - يَا سَيِّدِي - / [٧٦ ب] فَكَانَ بُغْيَةَ الطَّالِبِ، وَمُئِنِّي
الرَّاعِبِ، وَتَصَرَّفْتُ فِيهِ فِي وَصْفِ عَقِيدَتِكَ وَأَنَا بِهَا عَلِيمٌ، وَبِخُلُوصِهَا زَعِيمٌ، ثُمَّ
فِي اعْتِدَارٍ قَدْ كَفَاكَ اللَّهُ أَمْرَهُ، وَوَضَعَ عَنْكَ إِصْرَهُ؛ إِذْ كَانَتْ تِلْكَ الْعَوَائِقُ تَوْجِبُ
الْانْقِبَاضَ عَنِ الْمَوَاصِلَةِ، وَالتَّغْوِيلَ عَلَى الضَّمَائِرِ الْمُتَقَابِلَةِ، وَأُرِيدُ الْآنَ - سَيِّدِي -

أَنْ تَكَاتِبَنِي مُكَاتِبَةَ الصَّدِيقِ الْمُتَحَقِّقِ، وَالْأَخِ الْمُتَخَصِّصِ، وَتُبَشِّرَنِي بِمَا يَتَجَدَّدُ
لَدَيْكَ؛ فَإِنْ فَوَاضَلَ الْمَلِكُ غَمَامٌ يَدُرُّ عَلَى الْأَيَّامِ، وَالتَّنَصُّحُ فِي يَسِيرِ خِدْمَتِهِ يُرْقِي إِلَى
كَثِيرِهَا، وَالتَّقَرُّبُ فِي صَغِيرِ طَاعَتِهِ يَرْفَعُ إِلَى كَبِيرِهَا، وَاللَّهُ يُؤْتِيكَ مَا تَوَثَّرُ وَأَوْثَرُ
فِيكَ بِمَنِّهِ. وَمَنْ أَوْضَحَ مَا تَدُلُّنِي بِهِ عَلَى مَوَدَّتِكَ: أَنْ تَسْتَرْسَلَ إِلَيَّ فِي مُهِمَّاتِكَ،
وَتَحْسَرَ ذِرَاعَ الانْقِبَاضِ فِي حَاجَاتِكَ.

وله مُدَاعِبَةٌ وَعِنَايَةٌ^(١)

أبو الفرج عبّاد بن المطهّر - أعزّه الله - يزعمُ أنّ الشيخ الأمين - رضي الله عنه - سمّاه عبّاداً، والناس يروون:

لشتانَ ما بين اليزيديّين في النّدى يزيدٍ سُلَيْمٍ والأغرّ بن حاتم^(٢)
وفيهمْ مَنْ لا يعلمُ أنه لربّعة الرّقّي^(٣)، ولا أنّ اليزيديّين: يزيدُ بنُ حاتم
المهلبيّ، وهو الممدوح، ويزيدُ بن أسيد، وهو المذموم. وكما لا يدري أنّ الشعر بلغ
أبا الشّمقمق^(٤) فقال - وفَضَّلَ عليهما يزيدَ بنَ مزيدٍ الشيباني -:

لشتانَ ما بين اليزيديّين في النّدى إذا عُدَّ في النَّاسِ المكارمُ والمجدُ
يزيدُ بني شيبانَ أكرمُ منهما وإنْ غَضِبَتْ قيسُ بن عيلان والأزدُ

(١) أوردها البغدادي في خزانة الأدب، ج ٦، ص ٢٧٦. وعلّق قائلاً: «وهي رسالةٌ جيدةٌ أحببتُ أنْ أوردها هنا».

(٢) أورد ابن خلكان القصيدة بأكملها. وفيات الأعيان، ج ٦، ص ٣٢٣.

(٣) هو ربّعة بن ثابت الأسدي الرّقّي، شاعر عباسي، توفي سنة ١٩٨ هـ. ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ١٥٧.

(٤) انظر أخباره في طبقات الشعراء لابن المعتز، ص ١٢٥.

وقد قال الآخر^(١):

يزيد الخير إنَّ يزيدَ قُومِي سَمِيكَ لا يزيدُ كما تَزِيدُ^(٢)
ويذكرني مَوْلَاي أنشد كثيراً لأبي الهول الحميري^(٣) في الفضل بن العباس
والبرمكي:

فضلان ضَمَّهما اسمٌ وشُتَّتَ الأخبارُ

كما سَمِعَني أنشد لبشار:

رَأَيْتَ السُّهَيْلَيْنِ اسْتَوَى الْجُودُ فِيهِمَا على بُعدِ ذا من ذاك في حُكْمِ حَاكِمِ
سَهِيلُ بْنُ عَثْمَانَ يَجُودُ بِمَالِهِ كما جَادَ بِالْفَعْلِ سَهْلُ بْنُ سَالِمِ
/ [٧٧ أ] ومن المبتدل في هذا:

شَتَّانَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ حَيُّ أُمَاتٍ وَمَيَّتٌ أَحْيَانِي^(٤)

والمحمدان: محمد بن منصور بن زياد، ومحمد بن يحيى بن خالد.

(١) يقصد ربيعة الرقي.

(٢) كذا في وفيات الأعيان لابن خلكان، ج ٦، ص ٣٢٤؛ والأغاني، ج ١٦، ص ٢٥٦: «يزيد الأزدي... لا يجود كما تجود».

(٣) بعض أخباره وأشعاره في طبقات الشعراء لابن المعتز، ص ١٥٣.

(٤) البيت من قطعة للمخيم الراسبي، كما في كتابي الثعالبي: الإعجاز والإيجاز، ص ١٧٤؛ لباب الآداب، ص ٣٤١.

ولا أحسبُ عبّاداً هذا يعدُّ ما قلته تفضيلاً لعباد بن العباس عليه، وإضافةً له إليه، ولا أن يقول كما قال يونس بن حبيب: أشدُّ الهجاء الهجاء بالتفضيل. وذلك كما قال صديق مولاى القريب، وابن عمّته النّسيب، الفرزدق بن غالب، وقد قيل له: انزل على أبي قطن قبضة، فحسبه ابن مخارق الهلالي، فإذا هو آخر لا يحضرني نسبه، ودم قراه وجواره؛ فقال:

سَرْتُ ما سَرْتُ من ليلها، ثم وافقت أبا قطنٍ ليس الذي لمخارق
وقد تلتقي الأسماء في الناسِ والكنى كثيراً ولكن لا تلاقي الخلائق

فأما التّفضيل الذي أومأتُ إليه، فقد أعجبنى منه أن الخطيئة قال:

فلما أن مدحتُ القومَ قُلْتُم هجوتَ، وهل يحلّ لي الهجاء؟!
فلم أشتُم لكم حسباً ولكن حدوتُ بحيث يُستَمعُ الحداءُ

حتى زعم بعضهم عن الزُّبرقان أن هذا أوجعُ له من قوله:

دع المكارم لا ترحل ليُغيثها واقعد فإنك أنت الطاعمُ الكاسي
وعلى ذكر هذا البيت فلا أدري لم ترك ما قيل قبله! فقد سبق الأعشى بقوله:

فدعنا وقوماً إن هم عمدوا لنا أبا ثابتٍ واجلس فإنك طاعمٌ

لست أدري - أيّد الله مولاى - ما هذا الوسواسُ الخناسُ ﴿الَّذِي يُوسَّوْسُ

فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿١﴾! وإنما حضر هذا الفتى، وله حَقُّ الغُرْبَةِ، وأعظمُ به حقاً، ثم حَقُّ الأدب، وأكرمُ به فخراً، وقد خدمني طفلاً، والآن كهلاً، وهاجر إليّ؛ فتظاهرتُ حُرُماته لديّ، وهذه التَّسميَةُ - أيضاً - لها ذمام يُرعى، وذمار لا يُنسى؛ وسألني أن أخاطبَ مَوْلَايَ في بابه، وأسمِّيهِ في مَرَعَى جنابه، وتصوّر لي الأنسُ بمطاولة مَوْلَايَ، وحسبُني أناجيه عن قُرب، كما أنا مكاتبُهُ عن بُعد؛ فلجَّ الطبعُ والقلم، وحضرتُ هذه الأبيات والعبرَ، ومَوْلَايَ وَلِيّ ما يُؤليه، ويختصّه بالجميل فيه، فقد كان / [٧٧ ب] أبو عيسى النوشجان بن عبد المسيح أنشد والدي:

وإنَّ ائتلافَ النَّفْسِ أدنى قرابةً لمن يدّعي القُرْبَى ^(٢) إذا كان ظالماً

(١) سورة الناس، الآية ٥.

(٢) (القربى) مكررة مرتين في الأصل.

وله

إلى الخطيبين

[كتاب] ^(١) شيخني أبي حفص وولدي أبي مسلم ^(٢) كتابُ شيخِ الفضلِ شابِّ الظرف، وخطابُ شابِّ السنِّ شيخِ العقل، آنسَ أصدقَ الإيناس، واختصَّ أبلغَ الاختصاص، فلا عدمتُهما معاً، ولا عدما البرِّ جميعاً. فأما شكرُك لسيِّدي أبي العباس - أدام الله تأييده - فكلفةٌ قد حَطَّ الله عنك وزرَّها، ووضع دونك إصرَها؛ إذ كنتَ شيخَ الدَّارِ والأهل، ولي بمنزلة الأخ، وله بمنزلة العمِّ، فكيف يُدَّخر عنك البرُّ والبشرُّ؟! وكيف يجبُ عليك الثَّناء والنَّشرُّ؟! بل أنا مُستبطنٌ له - أدام الله تأييده - أو لك، فما أقلُّ ما أسمعُ باجتماعه معك، وإن يك ذاك بقلَّة استدعاءٍ منه؛ فقد أضاع حظاً، وإن كان لسوء استجابة منك؛ فقد أضعت حقاً، فمن كان منكم ^(٣) مقصراً فليعتب. والسلام.

وأما البُشرى فقد وَصَلتْ منك إلى مَعْمُورِ القلبِ بالودِّ؛ فلا بدَّ أن يكونَ مشروحَ الصِّدرِ بالأنس، وختمتَ على مَوْفُورِ الحظِّ من خُلُوصِ العقدة، فكيف لا يكون وافيَ القِسْطِ من عُمومِ البهجة؟! فتعال - أيها الشيخ - نشتغلُ بالحمدِ لله،

(١) زيادةٌ رجَّحنا ومكانها هنا؛ فاقتضت تغيير ما بعدها.

(٢) في الأصل: شيخني أبو حفص وولدي أبو مسلم.

(٣) في الأصل: منكم.

وَنَقْطَعُ إِلَى الشُّكْرِ لِلَّهِ؛ فَمَا أَحْسَنَ مَا صَنَعَ، وَمَا أَعْظَمَ مَا دَفَعَ، وَمَا أَجْزَلَ مَا مَنَحَ،
وَمَا أَوْسَعَ مَا فَتَحَ، اللَّهُمَّ فَوْقَ مَا يُوَافِقُ رِضَاكَ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَرْجُوكَ وَيَخْشَاكَ،
إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، فَعَالَ مَا تَشَاءُ. عَلَّقْتُ هَذَا الْجَوَابَ؛ لِيَحْرَرَ، ثُمَّ رَأَيْتُ إِنْفَاذَهُ
بِخَطِّي عَلَى اضْطِرَابِهِ، أَنَسَ لَكَ، وَأَبْرَّ بِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ - جَلَّ.

الباب الثاني عشر
في أسرار ما بين الم

كتابُ

تَشْكُرُ وِإِنْبَاءَ بِمُتَجَدِّدِ النُّعْمَةِ فِي مُؤْتَنَفِ تَبْجِيلٍ وَمَزِيدِ تَرْتِيبِ

/ [٧٨ أ] كتابي - أطل الله بقاء الأمير صاحب الجيش - ومولانا الملك السيد مصرف أعنة الأيام، معدّل أقسام الزمان، مكنوف من الله الكريم بإنفاذ الأمر، وإعزاز النصر، وتيسير المطالب، في أرجاء المشارق والمغارب. والحمد لله، وصلواته على النبي وآله.

ووصل كتاب الأمير قد ابتدأني به كما ابتدأ بالغر من مننه، والزهر من منحه، واستغرق الشكر بيض نعمة، وجرى في استنفاد الحمد على خصائص شيمه؛ فازدادت أياديه شمولاً ووفوراً، وعوائد طوله بُدوّاً وظهوراً، وأنبا الخطاب من أحوال حضرته منبع الفضائل ومعدنها، ومرتع المحامد وموطنها^(١)، عما بمثله يرتفع ناظر المخلص له موالاة لا يستحلها فتور، ولا يعترضها تقصير ولا قصور، وسألت الله - تعالى - أن يعتمده من سابغ المزيدي في كل حال مرقوبة، ومزية مطلوبة، ومنقبة محبوبة، بما يصدق الرجاء ويحققه، ويشفعه - من بعد - ما يفوته ويسبقه، إن الله سميع مجيب.

وكنت ذكرتُ للأمير خبري في المسير إلى الحضرة العالية؛ لتجديد العهد

(١) في الأصل: ومواطنها.

بالخدمة السّامية، ووردت من تفضّل الملك السيّد وإكرامه، وبسّطه وإنعامه،
وتقريبه وإيناسه، ورّفعه واختصاصه - بعد أن أهّلني للاستقبال والتّلقّي،
وشرّفني بالسؤال والتّحفي^(١) - على ما حصل الإجماع، ورُفع النزاع، في أنه لم
يحظّ بمثله أحدٌ من واردي هذه السدّة الكريمة، وقاطني جوانبها العظيمة، مع أنها
كعبة الآمال، ومحطّ الرّحال، ومقصدُ غلب الرّجال، وأعيان ذوي الجلال
والكّمال.

هذا وأنا من أنشاء الخدمة، وأغذية النّعمة، ومن لو اقتصر به على الإيلاء إذا
حضر، والمثول من بُعدٍ إذا وصل؛ لكان له في ذلك الشّرف الصّميم، والمجدّ البالغ
العميم، لكن أريحية الملك، وهزّة المجد، قسمتا لي ما يُعدّ منقبة العمر، وواسطة
الدّهر. ولولا علمي بأنّ الأمير يتطلّع صورتي تطلّعاً يقتضيه علمه بموالياتي
ومما حضتي، لما أطلت فيما خصّني ذكره، ومسّني أمره. على أني قد اقتصدتُ
واقْتَصَرْتُ، ثقةً بأنّ الذي أوليته أعظمَ خطراً، من أن يخفى نبأً وخبراً. فأطال الله
بقاء مولا نا الملك لإنهاض المنن، وعقد المنن، ورّفَع الخدم، والجذب بأنواع الهِمَم،
وأدام أيام الأمير مؤيّد الدّولة؛ لنصافح / [٧٨ ب] الميامن بفضله وفي ظلّه،
ونستخلص المناهج باعتلاق حبله.

والأميرُ الجليل - بحقّ اعتمادي رأيّه ووُدّه، واعتقادي بلوغ المحابّ به

(١) لعلّه يشير هنا إلى وروده عام ٣٧٠هـ إلى خدمة عضد الدولة عن مؤيد الدولة وعن نفسه، فتلقاه
عضد الدولة على بعد من البلد، وبالع في إكرامه. ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٣٩٣.

وعنده - أولى من تجشّم الشُّكرَ عني؛ فإني عاجزٌ عن الواجب، قاصرُ القوّة عن أداء اللازم. وكتبي تتّصل - والله المشيئة - إلى ^(١) الأمير من الحضرة العالية مدّة بُني، ثم من حضرة مؤيّد الدّولة عند عوّدي، أنهي فيها ما يتجدّد، وأنتهي إلى أمر يرسم في الجواب ويردّ. فأما كتابُ الأمير إلى مولانا، فقد كان أوصله المجرّز في اجتيازه، واستغرق أوفى السّهام من اعتداده، وحلّ في التقبُّل، وشُكرِ التفضُّل، أخصّ مواقع أمثاله، وهو يستصحبُ الجوابَ في أنصرافه، بإذن الله عزّ وجلّ.

(١) (إلى) مكررة مرتين في الأصل.

وله تَشْكُرُ وإظهارُ اعتداد

كتابي - أطل الله بقاء السَّالار - ومولانا فيها يحكم الله له به من الاستظهار،
وعُلُو المنار، ومُساعدة الأفضية والأقدار، على ما يُسرُّ الله به أولياء الدَّعوة
المسموعة، وأبناء الدَّولة المتبوعة. والحمد لله حقَّ الشاكرين، وصلواته على النبي
محمد وآله الطاهرين.

وَوَصَلَ كِتَابُ السَّالار؛ فَتَطَامَنَ لَهُ شُكْرِي ضَيْلَ الشَّخْصِ، رَاضِياً بِخُطَّةِ
الضَّعْفِ، وَقَدْ كُنْتُ أَدَّعِي، وَيُدَّعَى لِي، مُطَاوَلَةَ الْأَفْعَالِ وَإِنْ بَهْرَتْ حُسْنًا، وَقَهَرَتْ
فَضْلًا، بِلِسَانٍ يَنْتَصِفُ قَوْلًا، وَيَسْتَعْلِي شُكْرًا، حَتَّى زَحَمَنِي مِنْ مَكَارِمِ السَّالار مَا
يَحْصِرُ عَنْهُ الْمُبِينُ، وَيَصْحَبُهُ الْعِيُّ وَبُئْسَ الْقَرِينُ، لَكِنِّي إِذَا فَكَّرْتُ فِي أَنَّ انْبِسَاطَ يَدِهِ
بِالْمَحَامِدِ، وَرَحَبَ بَلَدِهِ بِالْمَآثِرِ، مَنْقَبَةٌ تُجَالُ فِيهَا سِهَامِي، وَيُفَاضُ عَلَيْهَا بِقَدَاحِي؛ لَمْ
أَخْشَ وَصْمَةَ الْعَاجِزِ، وَلَمْ أَخَفْ هُجْنَةَ الْقَاصِرِ؛ فَلِلتَّابِعِ مِنْ جَمَالِ الْمَتْبُوعِ حُظُوظٌ
يُجَادُّ بِهَا رَوْضُهُ، وَحَقُوقٌ تَضْحَكُ عَنْهَا أَرْضُهُ. فَأَمَّا الَّذِي قَالَهُ السَّالارُ وَاصْفَاءً
اعْتِقَادَهُ بِالْخُلُوصِ لِمَوْلَايُنَا: فَبَرْدٌ^(١) الْيَقِينِ، مُغْنٍ فِيهِ عَنِ الْوَصْفِ الْمُبِينِ، لَوْلَا أَنَّ
السَّالارَ يَضِيفُ شَرَفَ الْفِعْلِ إِلَى كَرَمِ الْقَوْلِ؛ لَيَأْخُذَ بِحَاشِيَتِي الْفَضْلُ، وَيَتَنَاوَلُ

(١) في الأصل: وبرد.

بِيمِينِهِ رَايَةَ السَّبْقِ. وَمَوْلَانَا مَعْتَدٌ بِذَلِكَ اعْتِدَادًا / [٧٩ أ] إِنَّ قُدْرَ أَنَّ الْخَبَرَ يَضْطَلَعُ
بِتَمَثِيلِهِ، وَالنَّظَرُ يَتَّسِعُ لِإِقَامَةِ دَلِيلِهِ، فَهِيَهَات! وَعَلَى الضَّمَائِرِ مِنَ الضَّمَائِرِ شَوَاهِدُ،
بِرَاهِينُهَا أَنْطَقُ، وَأَسْبِقُ، وَالرَّجُوعُ إِلَيْهَا أَحْزَمُ، وَأَلْزَمُ.

وَأَمَّا الْاِسْتِرْسَالُ الَّذِي قَدْ عَمَرَ السَّلَّارُ طَرَقَهُ بِمَبَارٍّ وَافِيَةِ الْقَدْرِ، مُوفِيَةٍ عَلَى
الْقَطْرِ؛ فَعِنَانُ شَرَفٍ لَا يَجَازِبُ عَلَيْهِ، وَرِهَانُ فَضْلٍ لَا يُسَابِقُ إِلَيْهِ، وَمَوْقِعُ مَا
يَتَجَشَّمُهُ بِحَضْرَةِ مَوْلَانَا مَوْقِعُ مَا إِذَا تَأَمَّلَهُ تَقَبَّلَهُ، وَإِذَا نَشَرَ بَرَّهُ تَشَكَّرَهُ. وَاللَّهُ يَحْرُسُ
هَذِهِ الْحَالَ، فَمَا أَنْصَرَ عُودَهَا، وَأَثْبَتَ عُمُودَهَا، وَأَحْسَنَ مَطْلَعَهَا وَمَبْدَاهَا، وَأَشْبَهَ
مَرَاحَهَا بِمَغْدَاهَا!

وَالشُّبْلَانُ قَدْ اشْتَدَّ الْإِعْجَابُ بِهِمَا إِلَى التَّعَجُّبِ مِنْهُمَا، وَحَقًّا أَقُولُ: إِنَّ الْأَسْدَ
لَا تَذُلُّ إِلَّا لِأَشَدِّ مِنْهَا قُوَّةً، وَأَحْضَرُ مِنْهَا نَجْدَةً، وَإِنَّ مَنْ يَأْمُرُ اللَّيْثَ فَتَطِيعُ
وَتَسْمَعُ، وَيُطْلِقُ^(١) الْأَسْوَدَ فَتَصِيدُ وَتَرْجِعُ؛ لِقَوِيٍّ أَيْدُهُ، حَفِيٍّ كَيْدُهُ. أَمْتَعَ اللَّهُ
السَّلَّارَ مَوْلَايَ بِمَا آتَاهُ مِنْ أَبْكَارِ الْفَضَائِلِ وَعُيُونِهَا، وَأَفْرَادِ الْمَادِحِ وَعُيُونِهَا.

(١) فِي الْأَصْلِ: وَتَطْلُقُ.

وله تَشْكُرُ واعتِدَاد

كتابي - أطل الله بقاء سيدي - ومولانا فيما يسدّد الله من رائه، ويرفع من لوائه، على ما يُعلي نواظر أوليائه، ويُوهي قواعداً أعدائه. والحمد لله، وصلواته على محمد وآله.

ووصل كتاب سيدي؛ فملكني به مُلكاً مجدداً، واسترقني معه استرقاقاً مخلداً؛ لما ظاهره فيه من أياديه التي تُثقل عواتق الأطواد، وكواهل السبع الشداد، ولو كنت نهضت بفرض إحسانه فيما أسلف؛ لرجوت أن أنهض بعض النهوض بحق ما استأنف، ولكن لي في ماضي تفضله، ما يصدني عن لوازم مُستقبله. لا زالت يده العليا، ومننه الطولى، ولا انفك الشكر في إसार إنعامه، والحمد في ذمام إكرامه، لا ينالان من ذرى مكارمه ذروة، ولا يحلان من عرى فواضله عروة.

فأما الذي اعتمد به سيدي حضرة مولانا من الألفاظ التي ابتسمت عن حُسن التوصل، وتنزهت عن فُبح التعمُّل؛ فقد صادف من تقبله الكريم، واعتداده العظيم، ما لا يُنال بإهداء الأمصار / [٧٩ ب] إليه، وافتتاحها له وبين يديه، وعدّ انبساط سيدي من أقوى دلائل المودة الخالصة من الشوائب، المشفوعة بالصفاء الدائب.

والرسولُ يذكر ما وَعَاه، من المجلس - أعلاه الله - وفكرُ سيّدي فيها^(١)
أُسهم لي من هذا التَّعَهُد، وقُسم لي من هذا التَّفَضُّل، مُستعْظَمٌ مُستَكْبِر، تكاد
الأماني تقعدُ عن اقتبائِهِ، والآمالُ تصغرُ عن التماسِهِ، إلّا إذا تصوّر سعةَ صدرِهِ
بالمنايح وقد ضاقَ البحرُ بالإضافةِ إليه، وطولَ يَدِهِ بالمكارم لا زالت راهنةً لديه،
والله يُعينني على الدُّعاء؛ فإنه أقربُ مأخذاً ومتناولاً، وأحضرُ نفعاً وطائلاً.

(١) في الأصل: في أن، ولعل الأرجح ما أثبتناه.

وله تَشْكُرُ واعتداد

كتابي عن سلامة إحصان الله بها مقرون، والمزيد فيها عن فضله مضمون.
والحمد لله رب العالمين، وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين.

وكان كتابك وصل حسن الموقع لطيفه، وأتبعته تصنيفاً رائع المودع شريفه؛
فأنست بمخاطبتك، واعتددت بتحفيتك، وقد زاد برك حتى كاد يجهد الاعتداد،
ويسبق الأعداد، والفاضل تنازعه نفسه إلى أقاصي المحاسن، والتناهي في درج
المحامد، والله يزيدك من فضله بمنه وطوله.

ومما يحتاج فيه إلى اعتذار، واسع الأقطار: تأخر الجواب عن الكتاب إلى الآن،
وما كان ذلك إهمالاً وإغفالاً، لكن أشغلاً عرّضت وأغلاً، ومن اتسع صدره
بالبر، لم يضق عن قبول العذر، وأنت تديم إيناسي بمخاطبتك، مشفوعة بتتائج
فضلك، وثمرات علمك وفهمك؛ فإني أرتاح لسماع كلامك؛ أنساً بأن علوم
الطبيعة، لم تُخلّ عندك بحقوق الشريعة، كفعل قوم حرموا مزية السداد، وضرب
على بصائرهم بالأسداد.

وله

كتابي - أطل الله بقاء مَوْلَاي الأمير - ونعم الله عند مَوْلَيْنَا الملك السَّيِّد،
والأمير المؤيد على ما يُؤثره الأمير مَوْلَاي بحُكم المشاركة التي رَفَعَ اللهُ بُنيانها،
وشَيَّد أركانها؛ / [٨٠ أ] فله الحمدُ ربَّ العالمين، وصلاته على النبيِّ محمدٍ وآله
أجمعين.

ووصلَ كتابُ الأمير بعد أن أخطأني مُدَّةً، وتخطَّاني بُرْهة، وما أقولُ ذلك
استزادةً لكرمه، واستبطاءً لشيءه؛ فقد أسلفني من طوله ما أعجزني شكره، كما
أعوزني حُضره، غير أنَّ العادةَ عند السَّادة مَطْلوبةٌ، والزيادةُ من السَّعادة مَحْطوبةٌ،
ولو قد فَسَحَ - أدام الله نعماءه - في المكاتبَةِ والمناوَبَةِ، والمراسلة والمواظبة؛
لا سَتَمَدَّدْتُ التَّطَوُّلَ بِفَضْلِ الإِكْثَارِ، ولو كَدْتُ الإِذْكَارَ بِبَعْضِ الإِذْكَارِ، ولكني
أَقِفُ حيثُ أَمْرُهُ وَرَسْمُهُ، وأَقْتَصِرُ على ما يَقْصُرُني عليه حُكْمُهُ، فإذا صَرَّفَني على ما
أنا نازِعٌ إليه من مهمَّاته؛ تَصَرَّفْتُ، وإذا صَرَّفَني إلى جانب التَّوقُّفِ؛ خَدَمْتُ بالنيَّةِ
وخَفَّفْتُ.

فأما نِعْمته عليَّ في آنفٍ ما رَسَمَ إلقاءه إليَّ، فنعمةٌ ساميةٌ المَطْلَبِ، سائغةٌ
المُشْرَبِ؛ إذ رأى إشراكي في المشورة، بعد إعلامي جَلِيَّةَ الصُّورَةِ، وقد أغنى الله
الأميرَ بعزمه الذي خَصَّته المناجِحُ المنتظمة، وارْتَهَتْهُ الميامِنُ المزدحمة، عن تجاوز

فَاتِحَةُ الاسْتِخَارَةِ، إِلَى وَاسِطَةِ الاسْتِشَارَةِ، إِلَّا أَنَّهُ يَزِيدُ بَسْطُ أَهْلِ ثِقَتِهِ وَمُشَايَعَتِهِ، بِمَا
يُؤَهِّلُهُمْ لَهُ مِنْ مَشَاوِرَتِهِ. وَقَدْ اسْتَمَعْتُ مِنْ فُلَانٍ مَا أَدَّاهُ، وَشَكَرْتُ شَرَفَ لَفْظِهِ
وَكَرَمَ مَعْنَاهُ، وَخَدَمْتُ طَاعَةَ الْأَمِيرِ مَوْلَايَ بِقَدْرِ مَا اتَّسَعَ لَهُ عِلْمِي، وَاضْطَلَعُ بِهِ
فَهْمِي. وَالسَّلَامُ.

وله

جوابُ تشكُّرٍ عن مُتجدِّدِ رُتبةٍ بمسْتخْلَصٍ ومُتَحَمِّلِ نِعْمَةٍ

كتابي - أطلال الله بقاء الأمير مولانا^(١) - فيما يرفعُ الله من قَواعدِ مُلكِه،
ويُظَاهِرُ من نفاذِ أمرِه على ما يفوتُ أقصى النعم، ويجوزُ مَرَمَى الهَمَم. والحمدُ لله،
وصلواته على النبيِّ محمدٍ وآله أجمعين.

ووصلَ كتابُ الأمير على عادته في تأهيل عبده، لجزيل رفده، والرفع من
قدره وهمته، بتصرفه على عوارض خدمته، مُنبئاً عن استبشاره لما أنعم به
مولانا^(٢) على خادمهما أبي العباس أحمد بن إبراهيم^(٣)؛ إيعازاً إلى الكافة، من
عُظماء الدولة القاهرة، وكُبراء الكتّاب والحاشية، في استقباله، مُعظمين لمورده،
ومُراعين في التَّخَفُّفِ لموقعه، إلى ما رآه مولانا - لا زال على الآراء، مُصَرِّفاً أعنة
/ [٨٠ ب] القضاء - من تجليل مقدّمه شرف تلقّيه، وإلباس مدخله كرم تحفيّه،
ومثله لي الأمير من^(٤) إنهاء مكان ذلك من نفسه، لا زالت محروسةً في ظلّ الملك

(١) يظهر من سياق هذه الرسالة أنه يريد بمولاه هنا ركن الدولة.

(٢) في الأصل: مولانا. ولعله يقصد عضد الدولة ومؤيد الدولة.

(٣) هو أبو العباس الضبي، خليفة الصاحب بن عباد في الوزارة، وقد خدم في دواوين البويهيين

حتى وصل إلى هذه الرتبة. انظر: بتيمة الدهر، ج ٣، ص ٣٣٩.

(٤) في الأصل: عن.

والقدرة؛ إذ كانت بركة حضرته سبب هذا الجمال وهذه القربة، فلم أدر بأي مواهب الأمير عندي أثني وأمدح، ولا عن أيها أعرب وأفصح؛ أبا عتاده إياي لمهمه؟ أم بما قسم لخدمته أبي العباس أحمد من كريم هممه؟ أم بخطابه هذا الذي قمت بفرضه، وخدمت في حسن عرضه. وقد قلت في ذلك ما حسن إصغاء مولانا له، وصادف اهتزازَه وتقبُّله، وقال حرس الله ملكه: إن أبا العباس - أيده الله - وإن كان تليد خدمتنا، ووليد نعمتنا، ومن خلدت له في صُحف رعايتنا التي لا تُجاري إلى أمدها، ولا يفتري يومها عن الإشارة إلى غدها؛ فإن الذي رَسَمناه به من ذلك المقام لمقتضى له من فضل التقريب، وقاضٍ من مزيد الترتيب، بما يُوجب على الأيام، قاصية الإنعام، والغاية المتناهية في الإكرام.

وخادمُ الأمير مولاى أبو العباس، لا زال في كنف استخدامه، وشرف ذمامه، منذ ورد، فأورد في المجلس العالي من وصف خصائص نعم الله التي سوغها الأمير مولاى فاحتل رُباها، واختط ذراها؛ من رأي جميع، وصدرٍ وسيع، ومعرفة بالإيراد والإصدار، وعلم بالمراتب والأقدار، واشتغال بخصال، هن درج الكمال؛ من حَزامة تنبي السياسة بها صادقة، وفروسة كانت الفراسة بها سابقة، وآداب نفس مُحليها^(١) النحائر^(٢) الكريمة، وتستوفيها الغرائز العظيمة؛ إلى آداب مُكتسبة، هي تكملة للألباب، وتبصرة الملوك والأرباب، وتنشر عن الأميرين ما

(١) في الأصل: تملّيحها.

(٢) جمع نحيزة، وهي الطبيعة. لسان العرب، ج ٥، ص ٤١٥ (نحز).

يَقْتَدِيَانِ فِيهِ بِمَوْلَايَ؛ طَلَبًا لَّأَمَادِ الْإِسْتِقْلَالِ، وَاسْتِكْمَالًا لِحُظُوظِ النِّجَابَةِ وَالْإِقْبَالِ.
وَأَنَا أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى مَا يَسَّرَهُ، وَأَشْكُرُ لَهُ عَلَى مَا قَدَّرَهُ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُرِيَ مَوْلَانَا - أَعَزَّ
اللَّهُ رَايَتَهُ - فِي الْأَمِيرِ مَوْلَايَ وَالْأَمِيرَيْنِ مَا تَخَطَّبُهُ هِمَّتُهُ الْوَاطِئَةُ أَخَادِعَ النَّجْمِ،
السَّامِيَّةُ عَنْ مَنَازِعِ الدَّهْرِ، وَكَنَفُهُ - حَرَسَ اللَّهُ مُلْكَهُ - عَلَيْهِمْ مُمْتَدًّا، وَأَزْرَهُمْ
بِجَمِيلِ رَأْيِهِ مُشْتَدًّا، فَإِنْ رَأَى أَنْ يُصَرِّفَ عَبْدَهُ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، عَلَى مَا يَقِفُ عِنْدَهُ؛
فَعَلَّ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وله تَشْكُرُ وتُؤَدُّ

/ [٨١ أ] كتابي - أطل الله بقاء الأمير صاحب الجيش - وأحوال حضرة
مَوْلانا الملك مُنْتَزِمَةٌ انتظام نِعَمِ الله عنده، ومَوَاقِعُ آرائه مَسْعُودَةٌ كما أسعد الله
جَدَّه، ومَوَاهِبُ الله لَمَوْلانا الأمير المؤيَّد متضمنةٌ من العِزِّ أَمْنَعَه، ومن الخيرِ
أَوْسَعَه. والحمد لله ربِّ العالمين، وصلاته على النبيِّ محمدٍ وآله أجمعين.

ووصل كتاب الأمير في تأهيل عبده، لجزيل رفده، والرفع من قدره وهِمَّتِه،
بتصريفه على عوارض خِدْمَتِه؛ فمألني من منائحه ما يرجع العدُّ دون تقصِّيهِ^(١)
وأحصائه، وأولاني من فواضله ما يقصر الحقُّ قبل حَقِّه وقضائه، وبشَّر من
استجابة أمورِ حضرته، لقضايا إرادته، بما أنجز وَعْدَ الله - تعالى - في إدامةِ
سعادته وزيادته، ورغبتُ بأحبِّ الوسائل لديه، في إطالة بقاء الأمير لمكارمِ
يُشِيدُها ويُعَمِّرُها، وعوارفَ يَجِدُّها ويُمَهِّدُها، وسألتُ لِنَفْسِي التَّوْفِيقَ في فُرُوضِ
مُوالاته ومُشايعته؛ لأبشَرها باستنفادِ الطَّاقة، واستغراقِ الوُسْعِ، وتَجَرِيدِ النِّيَّةِ،
وإخلاء الذَّرْعِ، والمسؤول قَرِيبٌ مجيب.

وانتهيتُ إلى الفصل بذكر فلانٍ في مَوْرده ومُنْصرفه، وما قَصَّده الأميرُ في

(١) في الأصل: تقضيه.

إنفاذه، وأنهاه في عَوْدِهِ إلى مَرْكَزِهِ، واستكثره - أدام الله عِزَّهُ - من الإكرام الموجب له في وصوله، وعند رُجوعه. والأَمِيرُ بما آتاه الله من الطَّباعِ المتناهِيةِ في الكَرَمِ والسَّجَاحَةِ، والأخلاقِ المستوفية للعَظَمِ والسَّاحَةِ، يعمدُ لكبير ما يوليه فيصَغُرُهُ، وصغير ما يُتَوَخَّى رِضاه فيه فيكَبِّرُهُ، فِعْلَ مَنْ يملكُ القلوبَ بفضله، ويعمرُ الصُّدُورَ بوُدِّهِ، ويستوقفُ الألسنةَ على شُكْرِهِ، ويُشغِلُ الأقوالَ بحَمْدِهِ.

وقد عرض ما ورد، ووجدتُ مَوْلانا يَسْتَعْفِي من استيفائه، للبرِّ المسرف في أثنائه، قال: إن ذلك الغُلامَ صَدَّرَ، والاستقصار لما أُتِيَ في بابهِ يُوجب تَذَمُّماً، ويقتضي تَنَدُّماً، لولا أنَّ التَّعْوِيلَ واقعٌ على ارتفاعِ التَّعَمُّلِ عندَ المشاركةِ السَّابِقَةِ، واطِّراحِ التَّصَنُّعِ مع المخالصةِ الصادقة.

وأما الذي خَصَّنِي به الأَمِيرُ من نتائجِ الفضلِ، في هذا الفصلِ، فمنظومٌ إلى أياديه التي تَوَفَّرَتْ عَلَيَّ حتَّى غمرتُ، وتوالَتْ إِلَيَّ حتَّى عالتُ، فأنا رَفِيقُ شُكْرِها، ورَهينُ مَنِّها، أُنْثِي عليها ما سامَرَ الأملُ، وأشكُرُ عنها ما أُخَّرَ الأجلُ، غيرَ شاكٍّ في أني لا أبلغُ الأمدَ المقصودَ، / [٨١ ب] ولا أطبِّقُ ^(١) الغرضَ المطلوبَ، ولكن لكلِّ عاملٍ قَدْرُ اجتهاده، ومزِيَّةُ عَزَمِهِ واعتقاده. حَرَسَ الله على الدنيا نضرتها وجدَّتْها، وعلى الخلائقِ عدَّتْها وعمدتها، بإطالة بقاءِ الأَمِيرِ وإدامةِ نَصْرِهِ، ومُواصلةِ أيامِهِ وإنفاذِ أمرِهِ.

(١) أطبَّقَ: أصيب.

وله

كتابي - أطل الله بقاء الأمير - غُرَّة شهر رمضان - جعل الله أيامه غُرّاً، وأعوامه زهراً، وأوقاته أسعاداً، وساعاته أعياداً، وآتاه في هذا الشهر الكريم مَوْرِدَه ومأتاه، أفضل ما قسم فيه لمن تقبَّل أعماله؛ فبلَّغه آماله، فأصلَح به وعلى يديه، فحرس الله منائحه ومناجحه لديه - وأنباء الحضرة العالية واردة بما يُظهر الله للملك من نِعَم تحرس حريم الخلافة، وتعود بفضلها على الكافة، ومولانا الأمير بين تفضُّل من الله يديمه، وحق من مصلح الدين والدنيا يقيمه. والحمد لله رب العالمين، وصلاته على النبي محمد وآله أجمعين.

ووصل كتاب الأمير قد ابتدأني فيه من سابغ آلائه، وفائض برِّه واقتضائه^(١)، بما لو وقفه مقسوماً ما بين أمم لو سعههم فضله، وأثقلهم حمْلُه، وألجأهم إلى الإقرار بالعجز عن بلوغ قدره، والاضطلاع لشكره، عند ترافد قواهم وقدرهم، واجتماع أولهم مع آخرهم، فابتدأت بالحمد لله عُدَّة الشاكرين وعمدتهم، ومفزعهم في رخائهم وشدتهم، وسألته أن يطيل بقاء الأمير الجليل كما جعله للإسلام عماداً، وللشور سداداً، وللملك يداً باسطة قابضة، وللدين عيناً حارسة حافظة؛ ليمتلي الدهور وأمره ممتلئ، ورسمه متقبَّل، وعزّه مؤثَّل.

(١) في الأصل: واقتنائه.

ولما استتممت قراءة ما شرفني بإصداره، ووقفني على شكر إفضاله به وإثاره؛ أدّى إليّ فلانٌ ما تحمّل عن الأمير من رسالته التي ملكني بها مُلكاً مجدداً، واسترقني معها استرقاقاً مؤبداً؛ فحرّتُ بين مفاخر تفرع النجم، وفواضل تكثر القطر، ولم أدر أيمكنني من رأيه الشريف أسامي وأفافر؟ أم بموضعي من إشفاه الكريم أباهي وأكاثر؟ أم أشتغلُ بما أهلني له من أوصافٍ هي مُستقاة من سعادة ملاحظته، ومُستملاة من زيادة محافظته؟ وإذا كان الله - تعالى - قد نصّب الأمير^(١) علماً حقّ، وجعله لسان صدق، وألبسه المجد قشياً لا يُنهج، وآتاه الكمال / [٨٢ أ] وافيّاً^(٢) لا يخدج، فلا عجب أن أفاض عليّ بحر اهتمامه، وساق إليّ سحَب إنعامه، كما أودع - تعالى - قلبي من الإخلاص لآيائه، بقدر ما بسط من لساني في الثناء على زمانه. هذا واعترافي بالعجز عن فرضه، وأنصرافي إلى التسليم لطوله ومنه، يُعربان عني ببيانٍ يقول متى سكت، وينوب متى أمسكت.

وقد حضر فلانٌ مجلس مولانا، فصادف ما أوصله، ثم ما تحمّله؛ اعتداداً^(٣) اتسعت منافذه ومناهجه، وكثرت بواعثه ونتائجه، لا زال هذا الحبل موصولاً، وزاد الله النعمة فيه سُبوغاً وشمولاً، وهو صادرٌ في غيد - بإذن الله - وسائر في كنف الكرامة، بعون الله.

(١) في الأصل: للأمير.

(٢) في الأصل: وفيّاً.

(٣) في الأصل: اعتذاراً. ولعلّ الصواب ما أثبتناه.

وله تَشْكُرُ وتَحَدِّثُ بالنِّعَمِ

كتابي - أطل الله بقاء الأمير - وموادَّ البَسْطَةِ والقُدْرَةِ للملكِ السَّيِّدِ راهنةً،
والدنيا لعالي رأيه دائنةً. والحمدُ لله ربَّ العالمين، وصلواته على محمدٍ وآله أجمعين.
ووصلَ كتابُ الأميرِ قد ألبس به عبده من حُسْنِ رائه، بكرم ابتدائه، ثوباً من
العِزِّ لا يُبْلِيه الدَّهْرُ، ولا يَنْحَسِرُ عنه الفَخْرُ؛ فكان المَفْزَعُ إلى الدعاء، شِيمَةً مُخْلِصِ
الصَّنَائِعِ والأولياءِ؛ وقد قرعتُ بابَ السَّماءِ منه بما الله وليُّ استجابته، والإجراءِ فيه
على حُسْنِ عادته، وما أآخرُ كتابي عن حضرة الأميرِ تقصيرٌ - بالله العيادُ منه - في
خِدْمَتِهِ، ولا ذهابٌ عمَّالي من الشَّرَفِ بإجابته، إلاَّ أني خِدْمَتُهُ - أدام الله عُلاه -
خِدْمَتِي لمَوْلانا، فكَتَبِي لا تَرُدُّ مَجْلِسَهُ الشَّرِيفَ إلاَّ إذا بُسِطَتْ لها، وكانت أجوبةً
لمِهْمَاتٍ أَسْتَحْدِمُ فيها، وإذ قد رآني سيِّدنا أهلاً لأدعى الحالكين إلى التَّخَصُّصِ،
وأبعدهما^(١) عن التَّقْبُضِ، فسأكتب متشرِّفاً، وأنتظر الجمالَ بالجواب مُستشرفاً،
بإذن الله.

فأما إنعامُ مَوْلانا على عَبْدِهِ، وصَنِيعُ يَدِهِ، واستقبالُهُ بنفسه والدنيا تسييرُ

(١) في الأصل: وأبعدها.

بَسِيرِهِ، وَخَدُودُ النِّجْمِ مَعَ سَنَابِكِ خَيْلِهِ، وَتَلْقِيهِ إِيَّاهُ بِوُزَرَاءِ بَابِهِ، وَأَمْرَاءِ أَجْنَادِهِ،
وَعُظَمَاءِ قُودَادِهِ، مُتَصَرِّفِينَ مَعَ الْإِعْظَامِ، وَمُتَحَفِّينَ^(١) فِي اللَّقَاءِ وَالسَّلَامِ؛ ثُمَّ [مَا]^(٢)
رَتَّبَنِي بِهِ فِي دُخُولِي إِلَى الدَّارِ الْمَعْمُورَةِ بِالْعِزِّ، وَحُضُورِي الْمَجْلِسَ الْمَحْفُوفَ بِالْمُلْكِ،
وَالْتَبْلِيغُ بِي إِلَى رُتْبَةٍ / [٨٢ ب] لَمْ يَقْسِمْهَا - حَرَسَ اللَّهُ مُلْكَهُ - لِأَحَدٍ مِّنْ غَشِي
بَابِهِ الْمَأْمُولَ مِنْ أَطْرَافِ الْأَرْضِ، وَأَعْيَانِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ؛ وَاسْتَجْلَاسِي بِحَضْرَتِهِ
الَّتِي يَقِفُ بِهَا الْقَمَرَانِ عَلَى النَّوَاصِي وَالْهَامِ، إِلَى ضُرُوبٍ مِنَ الْإِنْعَامِ، أَسْتَعْظُمُ -
وَاللَّهِ! - وَصَفَهَا، وَإِنْ كَانَتْ الْأَخْبَارُ قَدْ سَارَتْ عَلَى مُتُونِ الرِّيَّاحِ بِهَا - فَهُوَ مَا لَا
يَرْحُبُ بِهِ إِلَّا صَدْرُ مَنْ عَصَدَ اللَّهُ دِينَهُ بِعِزَّتِهِ^(٣)، وَجَعَلَهُ تَاجَ مِلَّتِهِ، وَحَكَمَ بِأَنْ
يَمْلِكَ الْأَقَالِيمَ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ، وَتَخْدُمَهُ مَلُوكُهَا بِتَطَامُنٍ وَاسْتِخْدَاءٍ.

وَلَوْلَا أَنَّ سَيِّدَنَا يَأْنَسُ لِعَبْدِهِ بِمَا رَفَعَ مِنْ ضَبْعِهِ، وَبَسَطَ مِنْ يَدِهِ؛ إِذْ كَانَتْ
النِّعْمَةُ مِنْ عِنْدِ مَوْلَانَا صَدْرُهَا، وَبِعْنَايَةِ الْأَمِيرِ الْمُؤَيَّدِ تَوْفُّرُهَا، وَبِبَرَكَةِ سَيِّدِنَا
تَيْسُرُهَا، وَعِنْدَ أَغْرَقِ الْخِدْمِ فِي الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ تَقَرُّرُهَا؛ لَكَانَ فِي الشَّرْحِ إِخْلَالٌ
بِأَدَبِ الْخِدْمَةِ، وَإِسْرَافٌ مَعَ مُعْتَقَدِ الْحِشْمَةِ، وَاللَّهُ يُطِيلُ بَقَاءَ مَوْلَانَا مُصَرِّفًا الدُّنْيَا
بِحِذَافِيرِهَا، وَمُسْتَعْلِيًّا عَلَى تَقْرِيرِهَا وَتَدْبِيرِهَا، وَيُوَاصِلُ أَيَّامَ الْأَمِيرِ الْمُؤَيَّدِ لِلْمُلْكِ

(١) فِي الْأَصْلِ: وَمُتَحَفِّينَ.

(٢) زِيَادَةٌ يَقْتَضِيهَا السِّيَاقُ.

(٣) يُشِيرُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ إِلَى اسْتِقْبَالِ عَصَدِ الدَّوْلَةِ لَهُ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُ ذَلِكَ فِي ص ٣٤٢.

وحِرَاسَتِهِ، والزَّمانِ وسياستِهِ، ويُدِيمُ في ظِلِّهِما^(١) لِسيدنا المَواهِبَ المَنسُوقَةَ،
والمَراتِبَ المَرمُوقَةَ، ويوفِّقُ عَبدَهُما^(٢) لِحَفظِ مَحَلِّهِ بِشَكرٍ يَدِيمُهُ، وفَرَضٍ لِلطَّاعَةِ
يُقيمُهُ، إِنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يَشَاءُ.

(١) في الأصل: ظلِّها.

(٢) في الأصل: عبدَهم.

وله تَشْكُرُ وإطراء

كتابي - أطل الله بقاء مَوْلانا صاحب الجيش - وما يمهدُ الله لمَوْلانا المَلِكِ
السَّيِّد من مَرَاتِبِ العِزِّ والمَجْدِ، وقَوَاعِدِ العُلُوِّ والمُلْكِ، مَهْنِيَّ ما قد آتاني الله من
مَنْجِه، وملأني من نِعَمه. والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصَلَّى الله على محمدٍ وآله
أجمعين.

وَوَصَلَ كتابُ صاحبِ الجيشِ قد أَجْرَى فيه من البرِّ إلَيَّ ما يقصر الوَصْفُ
عن تقصُّيه، ويتقاعد الشكرُ عن المفروض فيه، وأنبأ خطابه من خَيْرِ سَلَامَتِهِ عَمَّا
أجده من أَحْصَى مَوَاهِبِ الله وأَكْرَمِهَا، وأَجَلَّ رَغَائِبِهِ وأعْظَمِهَا. لا زالت يدُ الله
حامية عِراصِهِ وجَنَابَتِهِ، وعَيْنُ الله كَالثَّاقِطِ أَقْطَارِهِ وجهاتِهِ، إِنَّ الله - تعالى - كريم.

ووجدتُ صاحبَ الجيشِ قد كَتَبَ من تَقْرِيطِ فلانٍ وإِحْمَادِهِ، وحُسْنِ تَخَفُّفِهِ
ببابِهِ، وبين يَدَيَّ رِكابِهِ، ما أطاع فيه شَرَفَ الشَّيْمِ، وأرسل به عِنانَ الإحسانِ
والكَرَمِ، وكلُّ غاية يبلغها خادِمٌ، إن اكتنفه السَّدَادُ، / [٨٣ أ] ولم يقعد به جِدُّ
واجتهاد، تَصَغُرُ عن أن يعيرَها صاحبُ الجيشِ فِكْرَهُ، فضلاً عن أن يَتَجَشَّمَ لها
ذِكْرَهُ، ولكنه - أدام الله عِزَّهُ - لا يقنعُ في مآثرِهِ، ترفعُ لمتحرِّمِها عِمَادُهَا، وتُعلَى
لمتخادِمِها نِجَادُهَا، إلَّا بِإِيالَتِهِ منها أَكْثَرُ مما يغلو فيه التماسُهُ وتمنِّيهِ، ويرقى إليه

اقتراحه وترجييه. وحالة أخرى: أن صاحب الجيش يرمق جميع ما يصدر ومن يصدر عن حضرتي بعين مودّة قد وقر الله عليّ موادّها وقوّاهّا، وأحصّد لي مرائرها وعُراها، فهي إن رأيت يسيراً كثرته، وإن شاهدت دميماً سترته، والله يُديم لي ما سَوّغني من حُسْنِ عَهْدِهِ الذي تزيده الأيامُ خلوصَ عقائد، وصفاء مَوارد.

وكان كتابُ فلانٍ ورَدَ بها ألبسه صاحبُ الجيش من أثوابِ التَّقريب والإكرام، ثم التَّخويل والإِنعام، وشرحُ ضروباً من ذلك أجدُ تَكَرُّرها ذهاباً مع التصنيع، وقد أغنى الله عن تعاطيه، وقضى بترك الإفاضة فيه. ومن استبدعت مكارمهُ، واستغربت محامدُهُ، فصاحبُ الجيش مألوفُ المحامدِ، مَعهودُ المناقب؛ لتظاهرها وتواليها، مُعوِّدُ النفوسِ اتِّصالَ أعجازها بهَوادِيا، لا زال كذلك.

الباب الثالث عشر
في الله نزلة ولا يخرج
وما يجري مجرى ذلك

كتاب تقريع وإنذار

كتابي ومولانا متظاهراً أسباب السعادة والسلطان، وعلو الشأن، وسمو المكان، وأنا بدولته سالم. والحمد لله رب العالمين.

وكان كتابك ورد مع صاحبك؛ فعرفت ما أوردت، وتمثلت ما سردت، وأنهيت من عرضه إلى المجلس - حرسه الله - ما ظننته يعود بصلاح حالك، ويُفسح لبعض الطرق إلى آمالك، ولكنك شديد التسرع إلى ما لا تؤمن غائلته، وكثير التقدم إلى ما لا تُحمد خاتمته، ولا بد من أن أصدقك، ثم أقضي - من بعد - حقك، وأعرفك موضع ذلك، ثم أبتدئ^(١) لتقريب أملك: قد علمت أنك قدمت قديماً - في مبدأ ورودنا، وبعد ذلك - هنات، واغتررت في حالات، ولو أوجبت / [٨٣ ب] دواعي التوفيق، واجتمع مع الصواب في طريق؛ لعمرت مكانك بالحضرة التي منها اصطناعك، وعنهما إقطاعك، وفيها سعاد أبوك - رحمه الله - ثم قدمت أنت - أيديك الله - وحين تباعدت عُدت على وجهٍ لم يخف منه ما

(١) في الأصل: ابتدأت.

حسبته عندنا مستوراً، ولم ينكتكم دوننا ما ظننته عنا مكتوماً، وقد جرى بموضع كذا ما جرى مراراً، وقدمت على غير ذلك تحككاً بالحلم واغتراراً، وتقدمت إلى غيرها فأنظرت، والآن فلا إنظار بعد الإنذار، ولا اعتذار مع الإعدار.

وقد رسم مولاى بعد الصَّجَر بما أنبى من سوء مُعاملتك في تلك الضَّياع والبقاع التي لم تُرسم بها، ولم يُجْعَل لك يدٌ في توسُّطها - إخراج فلانٍ إليك، وتحميله ما يورده صريحاً عليك، فإن تكن من أبناء الخدمة الذين يعرفون لوازِمها، ويُقيمون فرائضها؛ نالكَ من الإحسان ما العادة بمثله جاريةٌ في كلِّ نقي الطَّويَّة، سليم النِّية، ولحقَّكَ على الأيام، من مَزِيد الإنعام، ما يشرحُ الصَّدر، ويرفعُ القَدر. وإنَّ قَدَّرتَ أنَّ المقارَّة تقعُ على ما أنت بسيله، فما أبعدَه من تَقديرٍ، وأضلَّه من تدبير! وأنت - حينئذٍ - الجاني على نفسه، المحيلُ لصورته وحقِّه، فقرَّرَ مع فلانٍ ما قد اعتمد لتقريره؛ فقد أوعز وأذن لي في جميعه، واعمل بالأمثلة التي رسمت، وابنِ على الأمور التي قَدَّرت، وكاتبني بما يُعين على صورتك؛ فإنَّ الرغبة في اضطناعك بعثتُ على الإنباه لما رقدت، والإذكار لما غفلت، والله وليُّ التوفيق، وصلى الله على النبيِّ محمدٍ وآله أجمعين.

وله

في تحذير العامة من الخوض في الأراجيف

إِنَّ اللَّهَ - تعالى - مع عظيم حِكْمَتِهِ، وفَسِيحِ رَحْمَتِهِ، واستغنائه عن الأمم ماضيها وبارقيها، واستعلائه على الخلائق طائِعِها وعاصيها - جَعَلَ لمواهبه فُرُوضاً من الشُّكْرِ، مَنْ أَقامها، وعَظَّمَ مَشْعَرَهَا ومقامها؛ ارتبطها عليه، وثبتها^(١) لديه، ومَنْ أساء جوارِها راكباً هَواه، وأخفى مَنارها ناكباً عن منحاه؛ ارتجعها منه، وانتزعها عنه، وتَرَكَه مُثَلَّةً للناظرين، وعِبرَةً للغابرين؛ بذلك جرت سُنَّتُهُ في الأوَّلِينَ، وتقدَّمتْ معذرتُهُ إلى الآخرين، ولنا في الأخذِ بأدبِ الله عذرٌ لا يعتلُّ، وجَدَدٌ لا يَختلُّ، وقوَّةٌ لا تَميلُ، / [٨٤ أ] وأسوةٌ لا تستحيلُ، والله الكافلُ لنا بأسدِّ الضرائب وأحمدها، والمسَهِّلُ لأرشدِ المذاهبِ وأسعدها، له المِنَّةُ، وبه الحول والقوَّةُ.

وإذا تَصَفَّحَ أَهلُ أَصْبَهانَ ما فاضَ عليهم من بركاتِ أَيْماننا، وأنصَبَ إليهم من ثمراتِ إنعامنا، وكَثُرَ من خيراتهم في ظلِّ سُلطاننا، وتَوَفَّرَ من سَعاداتهم في كَنَفِ إْحساننا، حتَّى عادَ المرمَلُ غنيًّا مستظهِراً، والمُقَوِّيَ موسِراً مُكثِراً، والمستترُّ المُخْفِيَ لشخصه مَباهياً بحاله، والمنقبِضُ المكاتِمَ لنفسه مُسامياً بِهاله، ومَنْ كانت السَّلامَةُ معظَمَ مُناه، والأَمْنُ غايةَ ما يسمو إليه مداه، تشيرُ إليه الأصابعُ،

(١) في الأصل: وثبطها. والصواب ما أثبتناه.

وتنعطفُ عليه، وتَفِيَّاً أَفْنَاءُ الناسِ أَفْنِيَةَ الخِصْبِ والدَّعَةِ، بعد البؤسِ والمُتْرَبَةِ^(١)،
وتفَسَّحوا في ضروب اللذات، بعد التَّشْحُطِ في حُصول الأَقْوَاتِ^(٢)، هذا إلى ما
تعمَّدنا به صنفاً صنفاً من فضلِ امتدِّ باعُهُ، ونظيرِ اتسعتِ رباعُهُ، وتسويغِ كِبَرِ
قَدْرِهِ، وتخويلِ فُرْضِ شُكْرِهِ - عَلِمُوا - إنَّ لم تكن البصائرُ مُستعجِمةً، والأبصارُ
مُظلمةً، والأفهامُ كليلَةً، والألبابُ عليلاً - أنَّ أحداً من الولاة عليهم في قديمِ
الدَّهْرِ وحديثِهِ، وتَلِيدِ الزمانِ وطَريفِهِ، لم ينحلَّهم يسيراً من عظيمِ ما أسبَغْنَاهُ، ولم
يُخَلِّ لهم عن قليل من كثيرِ ما سَوَّغْنَاهُ، ولم تخفَّ مؤنُّ خلفائِهِ وخَدَمِهِ، ووطأةُ
أولِيائِهِ وحَشَمِهِ، الخَفَّةُ التي نَصَبْنَاهَا ورَتَّبْنَاهَا قَبْلَهُ، فيمن يصرُّفُهُم عَنَّا ويدبُّرُهُم،
ويُورِدُهُم عَنَّا ويُصْدِرُهُم، ونراهم - أحسنَ اللهُ هُدَاهُمْ - يتحكَّكون بما يعيدُ
بوارقَ الإحسانِ صَواعِقَ الانتقامِ، وقوةَ البَصِيرَةِ في الإنعامِ، صدقَ عَزِيمَةٍ في
الاصطلامِ، وبالله العيَاذُ من أنْ تخفَّ الأحلامُ، ويُؤْخَذَ بالنواصي والأقدامِ.

وعَرِضَتْ - أدام اللهُ عَزَّكَ - كُتُبٌ حُكِي فيها إيضاحُ^(٣) جمهورِ الرَّعِيَةِ لديكم،
في أراجيفَ لا يشجعُ صَدْرُ الزمانِ - بتفضُّلِ اللهِ - على تَصْديقِهَا، ولا تُقَدِّمُ^(٤)
أفكارُ الأيامِ - بإسعادِ اللهِ جَدَّنَا - على تحقيقِهَا، من غيرِ عُذْرِ بَعَثِ ذَلِكَ وَأَوْجَبِهِ،

(١) في الأصل: والمسربة.

(٢) في الأصل: الأوقات. والصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأصل: إيضاح. وهو تحريف.

(٤) في الأصل: يقدم.

ولا داعٍ طَرَّقَ إليه وسَبَّه، غيرَ سوءِ البَطَرِ والأَشْرِ، وقَلَّةِ التَّمييزِ والنَّظَرِ، والتَّمَرُّسِ بالنِّقَمِ السُّودِ، والتَّعَرُّضِ لِلحَتْفِ المرصودِ، وأنْ يَخْتَلِقَ بَعْضُ فَيَصَدِّقَ آخَرُونَ، ويَأْفَكَ زَيْدٌ فَيَتْبَعَهُ زَيْدُونَ، وَيَتْلَوْهُمْ الْجَمِيعُ فِي إِشَاعَةِ الْحَدِيثِ غَيْرَ بَاحَثِينَ عَنِ مَنَبْعِهِ، / [٨٤ ب] ولا فاحصينَ عن مَطْلَعِهِ، فلم ندرِ علام^(١) أمورهم، وبِمَاذَا نَقَابُلُ جُمْهُورِهِمْ. والعِرَاضُ - والله الحمد - ساكنةٌ، والنَّوَاحِي آمِنَةٌ، والمِيَامُنُ رَاهِنَةٌ، والْوَلَاةُ دَانِيَةٌ. أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ الْعَلِيِّ شَأْنُهُ، الْقَوِيُّ سُلْطَانُهُ^(٢)، النَّافِذَ حُكْمُهُ، الْمَاضِي حَتْمُهُ، الَّذِي يُورِثُ مَنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ - قَدْ ذَلَّلَ لَمَوْلَانَا وَلَنَا فِي إِذْرَاءِ^(٣) سُلْطَانِهِ، وَبِعِلَاءِ شَأْنِهِ، الْأَرْضَ تَهَائِمَهَا وَنَجُودَهَا، وَحُدُودَهَا وَصَعُودَهَا، وَسَهْلَهَا وَوَعْرَهَا، وَبَرَّهَا وَبَحْرَهَا، وَعِرَاقَهَا وَشَامَاتِهَا، وَأَطْرَافَهَا وَعَرَصَاتِهَا، وَسَهُولَهَا^(٤) وَجِبَالَهَا، وَمَوْسُومَاتِهَا وَأَغْفَالَهَا، وَضَرَبَ عَلَى كُلِّ مُنْخَرَفٍ عَنِ دَعْوَتِنَا، وَمَنْصَرَفٍ عَنِ طَاعَتِنَا، بِالْهُلُكِ وَالْقَلَّةِ، وَالْحَيْنِ وَالذَّلَّةِ، فَمِنْ مُعَجَّلٍ إِلَى سِوَاءِ الْجَحِيمِ، وَمِنْ مَقِيمٍ عَلَى الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَذَلِكَ حِينَ عِلْمِ عَلَامِ الْغُيُوبِ أَنَّ سِيَاسَتَنَا أَرْفَقُ، وَحَضَارَتَنَا أَسْبَقُ، وَبَاعِنَا أَوْسَعُ، وَخَيْرِنَا أَجْمَعُ، وَالْحَقُّ عَلَى أَيْدِينَا أَعَزُّ نَفِيرًا، وَأَخْوَطُ مَنْبَرًا وَسَرِيرًا، وَأَرْحَبُ نَاطِقًا وَمَجَالًا، وَأَكْرَمُ أَنْصَارًا وَرَجَالًا، وَذَلِكَ بِفَضْلِهِ الَّذِي يُؤْتِيهِ مَنْ يُرِيدُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْمَجِيدُ، فَأَيَّةُ فَسْحَةٍ لِإِرْجَافِ

(١) هكذا في الأصل، ويتضح معنى العبارة بإضافة كلمة (ندبر) أو نحوها.

(٢) في الأصل: لسلطانه.

(٣) إذرءاء: إعلاء، من الذروة.

(٤) في الأصل: وسولها، تحريف.

مَلَا قِيحَ الْفِتَنِ، وَمَفَاتِيحَ الظُّلَمِ، وَقَدْ أَيَّدَ اللَّهُ وَنَصَرَ، وَمَهَّدَ وَأَقْدَرَ، وَرَفَعَ الشُّعَارَ
وَأَعْلَنَ، وَفَتَحَ الْأَمْصَارَ وَمَكَّنَ! فَلَا عَدُوَّ يَخْطُرُ بِبَالِهِ غَيْرُ الْأَسْتِخْدَاءِ، وَيَعْتَلِجُ فِي
صَدْرِهِ سِوَى الْأَرْعَاءِ.

ولولا أَنَّ اللَّهَ أَلْبَسَنَا الْحِلْمَ وَالرَّحْمَةَ، مَا نَفَعَا وَلَمْ يُغْرِيَا، وَنَجَعَا وَلَمْ يُغْوِيَا؛ لَكَانَ
فِيهَا أَضَبٌ عَلَيْهِ الْقَوْمُ مِنْ هَذِهِ الْأَرَاغِيْفِ، مَا يُرْجَفُ عَلَيْهِمْ دِيَارُهُمْ، وَيَصْعَقُ
قُلُوبُهُمْ، وَيُزْهَقُ أَبْصَارُهُمْ، وَيُعْقَبُهُمْ مِنَ الْإِنْكَارِ، مَا أَقْلَهُ يُسْعِرُ جَهْرَاتِ التَّقْوِيمِ
وَيَلْهَبُهَا، وَيُورِّثُ نِيرَانَ التَّثْقِيفِ وَيَثْقِبُهَا، أَوْ مَا دَرَى الْأَغْفَالُ الْجَهَّالُ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ
طُرَاءِ^(١) الْمُلْكِ لَوْ اسْتَزَلَّه^(٢) الشَّيْطَانُ؛ فَالْتَوَى فِي الطَّاعَةِ، وَانْزَوَى عَنِ الْجَمَاعَةِ؛
لَذَرَتْهُ الرِّيحُ وَاخْتَطَفَتْهُ، وَمَحَقَّتْهُ الْمَخَافَةُ وَنَسَفَتْهُ؛ فَلَمْ نَحْتَجْ - بَعُونَ اللَّهَ - إِلَى
تَجَشُّمِ حَرْبِهِ، وَلَمْ نَحْتَكَهُ بِغَيْرِ أَعْوَانِهِ وَحَزْبِهِ، بَلْ كَانَتْ الْأَقْدَارُ كَافِيَةً فِي الْقَضَاءِ
عَلَيْهِ، وَسَوْقِ الْفَنَاءِ إِلَيْهِ. وَهَذِهِ مَعْدَرَةٌ قَدْ قَدِمْتُ، وَنَذَرٌ قَدْ أْبْرَمْتُ، فَمَنْ عَادَ فِيهَا
أُنْكَرَ، وَفَاهَ بِمَا حُظِرَ؛ فَعَلِيهِ وَزُرْ مَا يَنَالُهُ، وَإِثْمٌ مَا يَغْتَالُهُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ
حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ / [١٨٥] وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ
مِنْ وَاَلٍ ﴿٣﴾. فَرَأَيْكَ فِي إِشَاعَةِ هَذَا الْإِنْذَارِ؛ لِيَصِيرَ مَأْدِبَةً لِلْكَافَّةِ، وَحَافِظًا عَادَتَنَا
فِي الْمَرْحَمَةِ وَالرَّافَةِ، قَبْلَ أَنْ تَضْطَرَّ فَرِيضَةُ السِّيَاسَةِ إِلَى مَا تَصْلَاهُ الْعَامَّةُ مَعَ الْخَاصَّةِ
- مَوْفَقًا.

(١) فِي الْأَصْلِ: أَطْرَاءَ. وَالطَّارِئُ عَلَى الشَّيْءِ: الْغَرِيبُ عَنْهُ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: اسْتَزَلَّهُ. وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ.

(٣) سُورَةُ الرِّعْدِ، مِنَ الْآيَةِ ١١.

وله

فِي زَجْرِ السُّفْهَاءِ مِنَ الْعَوَامِّ وَإِنذَارِهِمْ بَعْدَ تَعَدُّدِ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ

أَنْتَ - أَدَامَ اللَّهُ عَزَّكَ - تَعْلَمُ أَنَّ إِحْسَانَ السُّلْطَانِ، إِذَا امْتَدَّتْ ظِلَالُهُ، وَشَاعَ اتِّصَالُهُ، وَكَثُرَتْ أَعْدَادُهُ، وَتَوَالَتْ أُمْدَادُهُ، فَصَادَفَ نَفُوسًا شَاكِرَةً، وَالسَّنَةَ نَاشِرَةً، وَقُلُوبًا عَارِفَةً بِحَقِّ الْإِنْعَامِ، وَصُدُورًا مُنْشِرَةً بِفَرْضِ الْإِكْرَامِ؛ نَمَى عَلَى الْأَيَّامِ وَتَظَاهَرَ، وَتَوَالَى عَلَى الزَّمَانِ وَتَنَاصَرَ، وَإِذَا أَغْرَى بِالْاجْتِرَاءِ عَلَى مَا يُحْظَرُ، وَالْإِقْدَامِ عَلَى مَا يُنْكَرُ، وَصَارَ دَاعِيَةَ الْجُحُودِ، وَمُؤَذِّنًا بِسُوءِ الْغُمُوطِ؛ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يُرْتَجَعَ، وَلَمْ يَمَكُثْ أَنْ يُتَنَزَّعَ، وَصَارَ عَارِيَةً اسْتُرِدَّتْ حِينَ قَلَقَتْ فِي مَمَرِ الْخِيَانَةِ، لَا عَارِفَةً خَلَدَتْ وَأَنْسَتْ فِي مَقَرِّ الصِّيَانَةِ.

ولئن كانت ^(١) نِعَمُ مَوْلَانَا عَلَى الرَّعَايَا مَبْسُوطَةً لَا تُقْبَضُ، وَفَائِضَةٌ لَا تُحْبَسُ، وَسَابِغَةٌ لَا تُقْصَرُ، وَمُبْرَمَةٌ لَا تُنْقَضُ؛ إِنَّ الَّذِي قَسَمَ مِنْهَا لِأَهْلِ قِمٍّ، لِأَفْسَحِ مَذَاهِبَ وَمَشَارِعَ، وَأَوْسَعِ مَشَارِبَ وَمَنَادِحَ، وَأَمْنَعِ جَوَانِبَ وَمَسَارِحَ؛ فَقَدْ جَمَعَ لَهُمْ بَيْنَ الْإِنصَافِ الْمَوْفُورِ، وَالنَّظَرِ الْمَبْذُولِ، وَالْغَيْثِ فِيهِمْ أَقْوَالِ الْمُتَنَصِّحِينَ، وَتَرَكَ تَتَبُّعَ مَا يُرْفَعُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْاِسْتِدْرَاكِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ أَرْجَحُوا مَنْ كَانَ يَطْمَعُ فِي أَمْلَاكِهِمْ، وَيَحْرِصُ عَلَى اخْتِنَاكِهِمْ، وَيَتَبَسَّطُ عَلَيْهِمْ صَارِفًا وَمَصْرُوفًا، وَيَسْتَنْزِلُهُمْ عَنْ

(١) فِي الْأَصْلِ: كَانَ.

مَعَايِشَهُمْ وَالْيَا وَمَعْزُولاً، وَرُدَّ النَّظَرُ فِي أَمْرِهِمْ إِلَيْكَ مَعَ ظَلْفِكَ^(١) عَنِ الطُّعْمِ الَّتِي كَانَتْ تُسِفُّ وُجُوهَ الضُّمَنَاءِ وَالْعَمَّالِ، وَأَكَابِرِ الْمُتَوَلِّينَ لَتِيكَ الْأَعْمَالِ. وَسَمَحْتُ لَكَ فِي الْبُعْدِ عَنْ حَضْرَتِي؛ رَفَقاً بِهِمْ، وَنَظْراً لَهُمْ، فَهَلْ مِنْ حَقِّ هَذِهِ الْمَوَاهِبِ الْبَيْضِ، وَهَذَا الْإِحْسَانِ الْمُسْتَفِيزِ، بَلُوغُ الْجُرْأَةِ بِأَرَاذِلِ الْمُحْتَرِفَةِ، وَأَذْنَابِ السَّفِيلَةِ، إِلَى أَنْ يَرِدَ فَلَانٌ الْحَاجِبُ الْبَلَدَ مَجْتَازاً، وَقَدْ ضَمَّ إِلَيْهِ أَكَابِرُ الْقَوَادِ وَوُجُوهُ الْغُلَمَانِ وَالْخَوَاصِّ، فَيُتَوَكَّبَ عَلَى غِلْمَانِهِ، وَيُقَدَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَلَا يُقْنَعَ بِذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمْ اجْتِمَاعٌ وَتَنَاصُرٌ، وَاتِّفَاقٌ وَتَنَافَرٌ، / [٨٥ ب] وَإِجْرَاءٌ إِلَى مَا يَقْبَحُ ذِكْرُهُ، وَيَعْظُمُ نَشْرُهُ؟!

وَلَوْلَا أَنِي رَغَبْتُ إِلَى مَوْلَانَا فِي إِقَالَتِهِمْ هَذِهِ الدَّفْعَةَ؛ لَتَقَوَّمَ الْحُجَّةُ بِالرَّدِّعِ، وَيَفْرَطُ الْإِنْدَارُ بِالزَّرْجَرِ؛ لَخَرَجَ فِيهِمْ مِنْ نَافِذِ الْأَمْرِ مَا يَقِيمُ الْمِيلَ، وَيُعَرِّفُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَيُنْسِي التَّغَاوِيَّ الَّذِي قَدْ صَارَ شَعَارَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الدِّيَارِ. غَيْرَ أَنِّي جَعَلْتُ الْوَسِيلَةَ فِي اسْتِعْطَافِ رَأْيِ مَوْلَانَا - لَا زَالٍ عَالِياً - مَا رَهَنَ مِنْ مُوَاصِلِهِ لَدَيْهِمْ، وَسَبَقَ مِنْ مَنَائِحِهِ إِلَيْهِمْ، وَشَفَعْتُ فِي أَنْ تُحْمَى تِلْكَ الْمِنْنُ عَنْ كَدَرٍ يَعْتَرِضُ صَفْوَهَا، وَتَنْغِيصٍ يَجْهَدُ عَفْوَهَا؛ فَأَجْرَانِي - حَرَسَ اللَّهُ أَيَّامَهُ - عَلَى عَادَةِ الْإِيْجَابِ، بَعْدَ الْإِحْكَاحِ فِي الْمَسْأَلَةِ وَالْإِرْتِغَابِ؛ إِذْ كَانَ مَوْلَانَا - حَفِظَ اللَّهُ عَلَى الدُّنْيَا ظِلَّهُ، وَهَنَّا أَهْلَهَا عَدْلَهُ - كَمَا يُنْظَرُ وَيُحْسَنُ، وَيُفْضَلُ وَيُنْعَمُ، فَكَذَلِكَ يَوْقُفُ وَيَثْقَفُ،

(١) ظَلَفَ نَفْسَهُ عَنِ الشَّيْءِ: مَنَعَهَا عَنْ هَوَاهَا. لِسَانُ الْعَرَبِ، ج ٩، ص ٢٣١ (ظلف).

ويعاقب ويهذب؛ أخذاً بأدب الله - تعالى - في الحالين: إنعاماً وانتقاماً، وإفضالاً
واضطلاماً.

وبذلك البلد - والله الحمد - من سادتي الأشراف ومشايخي من أهل العلم
والتناهي^(١) من قد صانه الله عن هذه المداخل الذميمة، والمواقف المليمة، وإنما
العتبُ عليهم إذ لم يأخذوا على أيدي السفهاء، ولم يزجروا ما بينهم من الأذنياء،
ولم تخل - أدام الله عزك - من عتب واستزادة، حين لم توعز في تقويم الجناة،
وعرضهم على النقمات؛ نهياً لأمثالهم، عن التشبه بأفعالهم، وقد اعتذرتُ عنك بما
كاد ينقبض، حتى تاتيئ لبسطه، واعتنيْتُ بالكشف عن وجهه، فاعرض كتابي
على الجماعة؛ ليتنبه راقدها، ويتقوّم مائدُها، ويفرق ذاهلُها، ويتقفّ مائلُها، فلئن
بدرتُ - من بعدُ - جنايةً، لتفحشَنَّ النكاية، ولئن اقترفتُ جريمةً، لتصدُرَنَّ
العظيمة. والله وليُّ التوفيق والتسديد، إنه خير مبدئٍ ومُعيد.

(١) في الأصل: والتناه.

وله

في إنذارٍ وتحذيرٍ من حلِّ وثاقِ مأسورينَ من أهلِ العَيْثِ والفسادِ

كتابي ونعم الله عندَ مولانا مشفوعةً بتظاهرِ العِزِّ والعُلُوِّ، ورَفَعِ الوَلِيِّ وكَبَتِ
العُدُوِّ، وأنا في ظِلِّهِ الظَّلِيلِ، ورأيه الجميلِ، مَكْنُوفٌ بالعافية، وصلواته على محمدٍ
وآله أجمعين.

وصلتُ لك كتبٌ ووقفتُ على مودَعِها، وعرضتُ ما وجبَ عَرْضُه في
المجلسِ العاليِ منها، وكان من أحسنِها مَوْقِعاً، وأحمدِها مطلعاً، وأطيبِها خبراً،
وأجملِها / [٨٦ أ] أثراً، قَبُضَكَ على هؤلاءِ النفوسِ الذين ارتضعوا درَّ الفسادِ، وكانوا
السَّبَبَ في جرأةِ سائرِ الأكراد. ورسمتُ في كلِّ وقتٍ لفلانٍ مكاتبتك بما تعلمُ أنه
صادرٌ عن لَفْظِي، ونافذٌ عن اهتمامِ صادقٍ مني، واحتيجَ الآنَ إلى مكاتبتك في بابٍ
هو من مُراعاةِ مولانا ببالٍ، ومن ملاحظته بعيانٍ، وقد وكَّدَ - أعزَّ الله نَصْرَه - عليَّ
القولَ في مكاتبتك مُطيلاً، وعِظَّتْكَ كثيراً، وأن أُتْبَعَ الأمرَ وعيداً، والنَّهْيَ تحذيراً.

هؤلاءِ القومُ، الذين قبضتَ عليهم، باعتقالهم قَلَّ الفسادُ بعد كثرتِه، وخفَّ
الشَّرُّ بعد شدَّتِه، ودَخَلَتْ قلوبُ أمثالهم هَيْبَةً ضَمَّتْ أطرافَهم، وحَسَمَتْ
أطماعَهم، وقد حَظَرَ مولانا عليك الفِكرَ في إطلاقهم، وحَلَّ وثاقَهم، والاشتغال^(١)

(١) في الأصل: والاشتغال.

بأخذ الرهائن - وإن كانت أرواحهم - منهم؛ فإنك إن فعلت ذلك؛ فقد قمتَ - والعياذُ بالله - مقامَ مَنْ عَرَّفَه وَلِيُّ نَعْمَتِهِ، ومالكُ مُهْجَتِهِ، ما يؤثِّره، فعَدَلْ إلى إيثارِ نَفْسِهِ، وأخْلَ بما نَفَذَ من عالي أمره.

وأقولُ مع هذا: متى أفرجتَ عن واحدٍ من هذه الجماعة؛ فقد أوحشتني، وتذممتَ إليّ، وقابلتَ ظنِّي فيك بما لا تستحقُّه عنايتي عليك، وأنا عالمٌ أنَّ هذا الخطابَ - أو بعضه - لو كان في معنى أولادِك لما أَخْرَتِ الارتسامَ، ولا أَجَلَتِ الامتثالَ، فليأتني منك في جوابِ هذا الكتابِ ما أعرضه في المجلسِ مصادفًا للإحمادِ الكثير، والموضعِ اللطيف، وفلانٌ لا بأسَ إنْ وَرَدَ الحضرةَ البهيَّة؛ ليؤدِّيَ عنك في وُروده، وإليك في رُجوعه، فها هنا مهمَّاتٌ شرَّحُها لك يشرِّحُ صدرك، ويبسِّطُ أَمَلَك. وهذا فصلٌ يشرِّحه فلانٌ، فراعني بكتبتك وأخبارك، إن شاء الله.

وله

كتابي - أيها الحكيم سيدي - كتابُ عاتبٍ عليك، شاكٍ منك إليك؛ فإنك ضعيفُ العقيدة والعقده، قصيرُ المدّة في حفظِ المودّة، قليلُ الفكر في حالتي صلتك وهجرانك، خفيفُ الذّكر لطبقتي أكابرِك وإخوانك، إذا زجّيت بالكسل يومك، لم تعرّج على مَنْ يُطيل لومك، وإذا^(١) أدرجت بالملل وقتك؛ لم تلتفت إلى ما يُديم مَقَّتَكَ.

ولولا شغلي الذي قد أجارك من عتبٍ لا السيفُ يبلغ حدّه، ولا السّنانُ يسدُّ مسدّه؛ لو هبّت لك ساعة من نهاري، فتعلمُ كيف أقصُّ بسوءِ عهدِك، وأتركُ سيرتك عظةً من بعدك، / [٨٦ ب] ولكن ما أفعلُ ووقتي منهوبٌ بأيدي الأعمال، وزماني مأخوذٌ بين الحِلِّ والترّحال؟! أtestجيزُ أن يتألّمَ مولانا - أدام الله مُلكه، وقَدّمَ العالمُ قبله وفديّةً له - فتطوي عني خبرَه حتّى أتبلّدَ في أمري، وأتبرّمَ بعُمري، وأكاد أخالفُ معتقدي، وأجني على نفسي بيدي؟! ثم يَمُنُّ الله - تعالى - بعافيته - أدامها الله ما عُرِفَ الدّوام، وتعاقت الليالي والأيام - فلا تكون آخرَ المخبرين إذا^(٢) لم تكن أوّلَ المبشّرين؟!

(١) في الأصل: فإذا.

(٢) لعل صوابها: إذ.

إنك لجاسي الطَّبْع، قاسي القلب، دَمِيمُ المسعاة، قليل المِراعاة، فبالله لقد مضت بي في تلك الأيام ساعاتٌ كانت الأُمنية فيها طُروقَ المنيّة؛ لئلا يقرعَ سمعي أنّ الشكاة انتهت بوليّ نعمتي، ومالكٍ مُهجتي، إلى ذلك الحدّ، وجسمه - وقاه الله بي ثم بالناس جميعاً - دُفِعَ إلى ذلك الأمدِ المشتدّ، والحمد لله الذي كشف البلوى، وأسبغ النُّعمى.

فأمّا حديثُ أبي العباس فكيف ألومُك عليه؟! وأشكوك فيه؟! إذ^(١) كنت قد استجزتَ التقصيرَ في الأهمّ من خبر مَوْلانا - أطال الله بقاءه، وجعل كافّتنا وقاءه! - وهل يُلام تاركُ الفِرْض على تأخير النفل، والمماطلُ بالحقّ على التّضجيع في الفضل؟! وأنا أوْمَلُ أن يكونَ انتقالُه عن الهوى الجاني على نفسه، سبباً لصحّته، وانحساراً لِسَقَمِهِ، بإذن الله.

لعلّك تحسبني - يا أبا الحسن - قلتُ فاشتفيتُ، وأطلتُ فاكتفيتُ، كلا! فقد حمّلتني من جفائك كلاً لم أحْتسبه، وقسمتَ لي من ضَعْفِ وفائك حظّاً لم أرْتقبه، والظنُّ يخطئ مرّةً ويصيب، والتوفيقُ يحضُر ويغيّب، وسنلتقي فأقولُ وتسمعُ، وأصولُ بالعتب فتشجّع، أو أجري على رسمي في احتمالك، وأعملُ حلمي في مُقابلة إهمالك، إن شاء الله.

(١) في الأصل: وإذ.

وله

قد نَجَمَ - أطل الله بقاء سيدي - بأصبهان من الإرجاف ما لا سبب يقتضيه، ولا غرض يستوجه ويستدعيه، إلا كفران النعمة، والتمرس بعُدوان الدولة، وبالله العياذ من الأخذ بالسَّمع والأبصار، من سوء البصائر والأفكار.

وقد كان الإنذار سبق في بعض السنين بما حسبناه، ينبه القوم من^(١) ستتهم، ويأخذهم عن دميم ستتهم، وبلغني - الآن - ما إن لم يتلاف أشفقت على أتباع الجهل من عدوة تتركهم بالعدوة القصوى، وتعرضهم للتي هي أشنع وأخزى. وأطلعت سيدي على ما أنهي وحكي؛ / [٨٧ أ] ليكون من وراء التدارك لما جني ورقي؛ فقد تخوض العوام في الإرجاف إذا وقع نُكر في طرف من الأطراف، فأما إذا كان النصر - بتفضل الله - عزيزاً مبيناً، والحبل حصيفاً متيناً، والمملك باسطاً ذراعيه يميناً وشمالاً، ضارباً رواقه^(٢) سهولاً وجبالاً، فما الفكر في توليد الأباطيل إلا التحكك بالنُوب السود، والتحقق بسوء تي الغموط والجُحود.

ومولانا يُنكر ما أنكرته بما يعم ويخص، ويشلم ويمس، فإن يكن في القول مقنع، وفي العتب مردع، وإلا فليوعز بإذكاء العيون، ونصب الآذان، على من يفوه

(١) في الأصل: عن.

(٢) في الأصل: وافيهِ. والصواب ما أثبتناه.

بُنيّات الجهل، وَيَسْتَوْخِمْ جَوَارَ الإحسان، فإذا ظفر بالواحد منهم أَنه كهُ عقوبةً، وجعلَ للسيّاطِ في ظَهْرِهِ مِشارِعَ مَورودة؛ كيلا يَفْشُو الشَّرُّ؛ فيَصْلَى بِنارِ الغُواةِ البرّاءِ الذين طرِقتُهُمُ الاستقامة، وبُغِيَّتُهُمُ السلامة؛ إذ كان غيرَ محتملٍ أَنْ تكون الرّبيّ، وهي دارُ المملكة، ومقرُّ الدعوة، ومجمعُ الرّاعي والرعية، لا تُسْمَعُ فيها كلمةٌ عَوّراء، ولا تَحْبِطُ على ألسنة عوامّها عشواء. وأهلُ أصبهانَ وهم في حَجَرَةٍ من الأرض تتناوبُ^(١) عليهم شمسُ الإنعام وقمرُ العدل، ثم يلفظُ أحدهم بالعظيمة فيما لا يعلم، ويَهْمِزُ بما يُسلم صاحبه فلا يَسلم. جعلنا الله مَنَّ لا يُحِيل بوارقَ الخيرِ بوائِقَ^(٢) بقلّةِ شكره، ولا يعيدُ عوارضَ الأمنِ صواعقَ بكفرانه وكُفْرِهِ. والسلام.

(١) في الأصل: يتناوب.

(٢) جمع بائقة، وهي الداهية. لسان العرب، ج ١٠، ص ٣٠ (بوق).

وله

إنكارٌ على عاملٍ ظَهَرَ منه تَقْصِيرٌ

قد علمتُ أنك قَصَّرتَ في عِدَّةِ أبوابٍ، وأهملتَ، وَضَيَّعتَ، وإني أَوَّلُ وُروْدِكَ تلك الناحية عَرَفْتُكَ أَنَّ القومَ يَسْتَلِينونَ عَرِيكَتَكَ، وسبيلُكَ أَنْ تَتَشَدَّدَ عليهم؛ لئلاَّ تَتَوَيَّ الحقُّوقُ، فأغفلتَ حتَّى تجرَّأ القومُ؛ وكان من بني فلانٍ ما كان من كَسْرِ الحبْسِ، وَخَرَقِ الهَيْبَةِ، وَمَنَعَ السُّوقَةَ من الجلوسِ؛ فَرُسِمَ في أمرِهِم ما رُسِمَ، واحتيجَ إلى عَزْلِ فلانٍ، وَحَبْسِ الجميعِ.

ولما وَرَدَ فلانٌ اعتذرَ لك بما تَقْصُرُ عن الاعتذارِ بِمِثْلِهِ، واستعادَ لك مِنَ الإيجابِ ما بَعُدَ أَنْ تَجَابَ إليه، فارفعَ طَرْفَكَ، وتلافَ أَمْرَكَ، وقَدِّمَ على كُلِّ أمرٍ رَفَعَ حسابَكَ؛ لِيُعْرِفَ موضعَ قَدَمِكَ، وثقْ - كيف جرت الحالُ - بأنَّ عنايتي تصدِّقُ بك، ورعايتي لا تنحرفُ عنكَ، وأني أوجبُ بموقعك / [٨٧ ب] من فلانٍ من حَقِّكَ ما يقومُ بإزاءِ تقصيرِ اتك، إذا تلافيتَ وتداركتَ، واستدركتَ ما أضعتَ.

وله

إنكارٌ وتَقْرِيعٌ^(١)

كتابي وإن كنتُ أعلم أنَّ الكتابَ ضائعٌ مع انصرافِ التَّوفيقِ عنك، ومُصاحبةِ
الخذلان لك، واستمرارِ العجزِ بك، وظهورِ القُصورِ والمهانةِ فيك؛ إذ وليتَ تلكَ
الناحيةَ هذه المدةَ القصيرةَ؛ فصارَ كلابُها أسوداً عاديةً؛ استلانةً لجانبك، وعِلماً
بتحيرِك في مذاهبك.

مَنْ بنو لاحق السُّقَّاطُ الأوغاد؟ حتَّى يشجعوا لما فعلوا، ويقدموا على ما أتوا،
ويستجيشوا بالعامَّة في حكومةٍ بينهم وبين القاضي! ومرةً يكسرون الحَبْسَ،
وهو حَبْسُ السلطان، وتارةً يُخَوِّجون القاضي إلى مُفارقة البلد، ثم لا يُقنعهم هذا
التسلُّطُ والتبسُّط حتَّى يتلقَّوا أبا الجيش^(٢) - أيَّده الله - مُستغيثين مُتظلمين،
مُوعزين إلى أهلِ البلد بإغلاق الدَّكاكين.

ولو كنتَ ذا رُوحٍ أو نفسٍ أو مُتَّة، لما جسرَ هؤلاء على أن يحكموا بهذا، ولو
رأوه في منامهم؛ لأصبحوا وقد زُهِقت أرواحُهم وجَلاً. والله يعلم أنك كنتَ
كاتبَ القَبْضِ لأبي فلانٍ متخلفاً، فكيف إذا أخذتَ تَسُوسَ؟ فإنَّ كِفايتك ظهرتْ

(١) كتابُ إنكارٍ على عاملٍ ظهر منه تقصير.

(٢) في الأصل: يتلقوا بالجيش. ولصواب ما أثبتناه. واسمه - كما سيأتي بعد قليل - أساتكين.

في كلِّ باب، ودليلُ ذلك ما أحوجت إليه في هذا الحمل^(١) الذي أصدرته؛ من استدانةٍ واستعانةٍ واستسلاف، لا بارك الله في عَجْزة الرِّجال.

وأعجبُ ما مرَّ بي: أنك لم تخاطبَ حضرتي حتَّى الآن بحرفٍ واحد، وقد كاتبْتُ منذ شهر، ورسمْتُ في هذا الباب رُسوماً، فلا - والله! - إنْ أجبْتَ بلفظٍ! وقد كنتُ أحسبُ للقاضي أبي الحسن ذنباً، فصَحَّ عندي بما أتاه بنو لاحق ثانياً أنَّ الجريرةَ كلَّها لاصقةٌ بهم، والفتنةُ ثائرةٌ عنهم. وقد كتبتُ إلى أبي الجيش أساتكين بما تقفُ عليه، وترتسمُه؛ فاقبُضْ على معايش بني لاحق أجمع؛ من ضياعهم ومُستغلاتهم، ودبَّرها مع خاصِّ السلطان، وأشخصهم إلى أضبهان، كما رُسم لأبي الجيش ومنْ تعصَّب لهم، أو ثار في الفتنة معهم، فدُلَّ أبا الجيش عليه؛ ليصرِّف هذه الطائفةَ بين التجريد للسَّياط، والتَّغريم في المال^(٢)، وإنْ كان من العامةٍ مَنْ ينطق بعدَ ورود الأمرِ الجزم؛ فليُصَلِّبْ على بابِ البلد. والسلام.

(١) الحمل: مال السلطان.

(٢) في الأصل: الحال. وما أثبتناه هو الصواب.

[٨٨ أ] وله

قد علمت - أدام الله عزك - أن السياسة تُحرس أحكامها، عن جرأة الخاصة وإقدامها، فكيف عن تبسط أصاغر الرعية وعوامها، وأن من لم يثقف الزجر بالموعظة؛ نبه بالعقوبة الموقظة، ومن لم يقوّمه القول الرادع؛ أفيض عليه العقاب اللامع. وكنا نحسبك تعرف سيرتنا فيمن أثار للفتنة ناراً، ورفع للشّر مناراً، هذا في الأمصار الممصرة، والبلدان المكورّة، فكيف في أصغر بلد، وأقل عدد؟!

وعرض قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد - أدام الله تأييده - كتاب خليفته أبي طاهر الفقيه بناحيك على الحكم^(١) - أسعده الله - بذكر عظيم ما اجترأ قوم من الرعايا عليه، وأجروا بسوء اختيارهم إليه. وإن المعروفين بابن حمّاد وابن علويه أخلاً بالبلد زائدين في هيّج الأوغاد، ومغترّين بما سبق لهما في سالف الآماد. وورد لك كتاب بهذا الذكر، دلّ على سوء التّأّي لما وجب، وقلة التهدي^(٢) لما لزم، وسائر ممالكنا شرقاً وغرباً أفسح بقاعاً، وأوسع رقاعاً، وأكثر أصنافاً، وأشدّ خلافاً، ولا اعتراض لذي مذهبٍ على صاحبه، بل كلّ فرقة تجتمع إلى زعمائها، وتذهب إلى مذاهبها وآرائها، فلا تشجع واحدة على منع الأخرى،

(١) يريد خليفته على الحكم.

(٢) في الأصل: المتهدي.

وَإِكْرَاهِهَا عَلَى الْقَوْلِ بِمَا تَهْوَى. وَكَانَ سَبِيلُكَ أَنْ تَعْمَدَ إِلَى عَشْرَةٍ مِنْ هَؤُلَاءِ السُّقَّاطِ، فْتَمَشَّقَ فِي ظُهُورِهِمْ بِالسَّيَاطِ، وَتَنْفِيَهُمْ عَنِ الْبَلَدِ نَفِيًّا لَا أَوْبَ مَعَهُ، وَلَا رَجُوعَ بَعْدَهُ. وَأَمَّا هَذَانِ اللَّذَانِ أَخْلَا، فَقَدْ كَانَ الْوَجْهُ أَنْ تُتْبِعَهُمَا بِمَنْ يَخْرِجُهُمَا إِلَى الْحَضْرَةِ، مُسْتَوْثِقًا مِنْهُمَا؛ لِيَذُوقَا وَبَالَ الْفِتْنَةِ، وَيَعْرِفَا مَغَبَّةَ سُوءِ الدَّخَلَةِ، وَتَقْبِضَ عَلَى دُورِهِمَا، وَتَحْلَلَ مِثْلَ ذَلِكَ بِأَشْيَاعِهِمَا وَأَوْبَاشِهِمَا.

وَلَوْلَا أَنَّنَا نَرَى الْبُقْيَا أَوَّلَى مَا نَفَعْتُ، وَالرَّحْمَةُ أُخْرَى^(١) مَا نَجَعْتُ، لَكُنْتُمَا فِي أَمْرِ هَؤُلَاءِ بِمَا يَجْعَلُهُمْ آيَةً لِكُلِّ جَاهِلٍ بِأَمْرِهِ، مَعْتَدٍ لَطَوْرِهِ، أَلَا تَعْلَمُ هَذِهِ الطَّائِفَةُ أَنَّ الْحَاكِمَ إِذَا صَدَرَ مِنْ حَضْرَتِنَا فَيَكُفُّهُ أَعْلَى مِنْ كُلِّ يَدٍ، وَطَاعَتُهُ فَرَضٌ عَلَى أَهْلِ الْبَلَدِ؟ وَأَنَّ الْمُعْتَرِضَ لَهُ قَدْ أَبَاحَ مِنْ نَفْسِهِ الْمُحْظُورَ، وَجَلَبَ عَلَيْهَا التَّبَارَ وَالثُّبُورَ؟! ثُمَّ هَذِهِ الْمَذَاهِبُ لَا إِجْبَارَ فِيهَا، مَنْ شَاءَ اخْتَارَ مِنْهَا مَا شَاءَ، سَرَّ ذَلِكَ صَاحِبَهُ أَمْ سَاءَ، وَالْاِخْتِلَافُ فِيهَا مَوْرُوثٌ عَلَى الْأَيَّامِ، مَنَقُولٌ عَلَى وَجْهِ الزَّمَانِ. وَهَذِهِ تَذَكُّرَةٌ وَتَبْصِيرَةٌ، وَحُجَّةٌ وَمَعْذَرَةٌ، فَلْيَقَابِلِ الْجَنَاءُ بِمَا تَوَجَّهَ^(٢) / [٨٨ ب] السِّيَاسَةُ، ثُمَّ مَنْ عَادَ لَمَّا أَنْكَرْنَا، وَأَقْدَمَ عَلَى مَا حَظَرْنَا؛ فَانْظُرْ كَيْفَ تَزَلْزَلُ رُوحَهُ فِي جَسْمِهِ، وَأَرْضَهُ مِنْ تَحْتِهِ. وَلَيْكِنْ أَبُو طَاهِرٍ - أَسْعَدَهُ اللَّهُ - وَسَائِرُ ذَوِي الْمَجْلِسِ عَلَى جِهَاتِهِمْ قَبْلَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ، وَلَيَرِدُ كِتَابُكَ بَارِزًا سَامِكًا لِهَذِهِ الْجُمْلَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) فِي الْأَصْلِ: أُخْرَى.

(٢) فِي الْأَصْلِ: يُوَجَّه.

وله

إلى أبي عيسى الكردي^(١)

كتابي - أطل الله بقاءك - ومولانا - أدام الله أيامه، وهنأه إعرازه وإنعامه -
كما تخطبه همته العالية، وتوجبه كلمته السامية. والحمد لله رب العالمين، وصلاته
على النبي محمد وآله أجمعين.

وهذا الكتاب أنشأته في أمرٍ اختص بعناية مولانا ومراعاته، وعدّه في خاصّ
مهمّاته؛ فتدبّره شديداً، وتبصّره مُبدئاً ومُعيداً، واصبر على ما يثقل حمله، ويخشنُ
مسه؛ فإنه مؤدّ إلى صلاحك، ومُنفضٍ إلى انتظام أحوالك، فلا خير في مُستلذّ
أعقب مكروهاً، كما لا ضير في مُتكرّره جَلَبَ محبوباً.

أنت - أيّذك الله - تعلم أن الأمر الذي أراك له مولانا بدءاً، وبذلتته من

(١) لعله أبو عيسى ابن بدر بن حَسَنَوَيْه، أو أبو عيسى شادي بن محمد، وكلاهما من زعماء الأكراد،
وكان لهما دورٌ مهم في الصراع على السلطة في مناطق نفوذهم، وفي العلاقات المتذبذبة مع
البويهيين. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٥٥؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج ٨، ص ٥٦٤،
ص ٥٦٥.

وعن بني حَسَنَوَيْه وعلاقتهم بالبويهيين، انظر: دراسة الدكتورة جلييلة الهاشمي، الإمارة
الحسَنَوَيْه في الدَّيْنَوَر والشَّهْرَزُور، مجلة المجمع العلمي الكردي العراقي، المجلد الثالث، العدد
الأول لسنة ١٩٧٥؛ ودراسة علي المحيميد، إمارة بني حَسَنَوَيْه وعلاقتها بالدولة البويهية
(٣٥٠-٤٣٩هـ)، مجلة التاريخ العربي، الرباط، مجلد ٨، العدد ٢٧ لسنة ٢٠٠٣.

نفسك مبتدئاً: حماية السُّبُل، وحِراسة الطُّرُق، وحِياطة الأطراف، وتطهير الأطراف^(١)؛ لئلا يشتغل سائرُ عساكرِ السلطان عما هو أخصُّ بخدمتهم، وأولى بكُدِّهم ومُلازمتهم. والأمرُ في جميع ذلك جارٍ على خلاف ما أُصِّل، وغير ما قُلِّد وأُمِّل؛ فإنَّ حاجتنا تشتدُّ إلى إمدادِك برجالٍ تَلْزَمُنَا على إنْهاضهم أموالٌ بعد أموالٍ، وقد فعلنا هذا سنةً بعد أخرى، وثانيةً عقبَ أولى، ثم الحال لا يخرج بالكِفاف؛ فإنَّ المسالكَ آمنةً، والمدارجَ هاديةً، وأبواعَ العَيْثِ مقبوضةً، ومَوادَّ الفسادِ مرفوعةً، ما دمتَ بالبعد، فما هو إلاَّ أنْ تدنو أحنأوك وأخويُّتِك^(٢) حتَّى ينجم الشرُّ طائرَ الشرِّ، متصلَ الضَّرر، فتَخافَ المذاهبُ، وتُراعَ المساربُ، ويُقَطَّعَ على الرُّفق، وتُحتَنك أبناءُ الطرق، وتُبَسِّطَ اليدُ على الضَّياع بالإجحاف، وعلى الأكرَّة بالاعتساف، وتُسَلَبَ^(٣) المزارعُ، وتُخرَّبَ المصانع، والسلطان لا يَصْبِرُ لك على أنْ يَدِرَّ إنعامه، ويستمرَّ إكرامه، ويتزايد اصطناعه، ويتَّصلَ نظره وإقطاعه، وثمره انتفاعه بخدمتك، واستظهاره بمُناصحتك: أنْ يحتاجَ / [٨٩ أ] طولَ المصيف إلى الذبِّ عنك بخواصِّ غلمانِه، وخُلَّصِ أجناده، فإذا دفع في نحورِ الباغين لك السوء؛ كَرَّ أصحابُك على الرِّسائيق بالإفسادِ، وعلى القُرى بالخراب، وعلى الطُّرُق بالإخافة، وعلى الأموال بالإحاطة.

(١) الأطراف: لسان العرب، ج ٤، ص ٥٠٠ (طرر).

(٢) الأحناء: جمع حنو؛ وهو كل شيء فيه اعوجاج أو شبهه، كعظم الضِّلَع. لسان العرب، ج ١٤،

ص ٢٠٤ (حنا). والأخوية: جمع حوية؛ وهي ما تحوى من الأمعاء. لسان العرب، ج ١٤،

ص ٢٠٩ (حوا). استعارهما لأصحابه وتابعيه.

(٣) في الأصل: وتسكن. والصواب ما أثبتناه؛ فالسياق يَعْضُدُّه.

وهذه الكتبُ قد تَوَالَتْ من قُمْ بأنَّ الناحيةَ التي وَرَدَتْموها قد انْتُسِفَتْ، وأنَّ ارتفاعاتها قد أُبْطِلَتْ، والأيدي على مزارعها قد بُسِطَتْ، وتعدَّى الشرُّ والضرُّ إلى الطُّرق بين قُمْ والحضرةِ الجلييلة، فما سُمِعَ فيها بقطعٍ منذ تراختَ ديارك، وبَعَدَ أصحابُك، فلما انكفأت عاد الشرُّ جَدْعاً، والقطعُ مُقْتَبلاً. وها هنا عذرٌ يتعلَّقون به كان يتلبَّسُ وقتاً، ويتموّه دَهْراً، وقد صار الآن بأخلاقه لا تخفى صورته، ولا تغمضُ صفحته؛ فإنكم تحيلون على البرزيكان^(١)، فَمَنْ - ليت شعري! - يسمعُ هذا ويُصغي إليه، أو يعبأ به أو يُعوّل عليه، بعد ما عُرف في عامٍ بعدَ عامٍ كيف الطريقةُ، وما الشَّكلةُ والجديلةُ، وليت شعري ألا يرد البرزيكان مع بعادك، وإنما يشارفون أو أن اقترابك!

وَرَسَمَ مَوْلانا أن أَخاطِبَكَ خطاباً أَسْتوفيه وأَسْتقصيه، وأُلْغِي الهوادةَ فيه؛ لترَوِّي في نفسك، وتستحضرَ جَوامِعَ لُبِّك، وتداويَ هذا الأمرَ بدوائه، وتعجَّلَ إلى معالجة دائه، قبل أن يستفحلَ فيُعْضَلَ، ويكثرَ فيغمَرَ، وتكفَّ أصحابُك إن كانوا^(٢) غامسين أيديهم معك في الطاعة، ومجتمعين على^(٣) فَرَضِ الجماعة، وإن يكونوا عاصين، وعنك مُتباينين، ولما تأمرهم به مُخالفين؛ برأتَ نفسك من

(١) البرزيكان: من عشائر الأكراد. انظر: رسائل الشيرازي، ص ٢٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٧،

ص ٣٨٨؛ وكذلك المؤرخين الكرديين: زكي، خلاصة تاريخ الكرد، ص ١٣٢؛ يوسف، الدولة

الدوستكية، ص ٨٤.

(٢) في الأصل: كان. والصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأصل: عن. والصواب ما أثبتناه.

عُيُوبِهِمْ، وَأَخْلَيْتَ صَحِيفَتَكَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَأَعْلَمْتَ وَلِيَّ نِعْمَتِكَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - الَّذِينَ حُورِبُوا ذَهَاباً مَعَ الضَّلَالِ، وَتَعَرَّضُوا لِلْوَبَالِ، فَإِنَّهُ - أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ - إِذَا هَمَّ بِهِمْ لَحْظَةً أَخَذَهُمُ الْفَنَاءُ قَبْلَ آجَالِهِمْ، وَأَصْفَقَتِ الْبَقَاعُ وَالْبِلَادُ عَلَى اسْتِئْصَالِهِمْ، وَأَوْعَزَ فِي إِحْلَالِ النِّقَمَاتِ بِهِمْ، وَإِعْدَادِ الْمَثَلَاتِ لَهُمْ، بِمَا تُعَوِّدُ فِي نُظَرَائِهِمْ، وَعُهِدَ فِي أَكْفَائِهِمْ، حِينَ رَاغُوا عَنِ الْمَحَبَّةِ الْقَوِيمَةِ، وَزَاغُوا إِلَى الطَّرِيقَةِ الذَّمِيمَةِ، وَكُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ وَالْإِسَارُ، أَوْ النِّفْيُ وَالْحَصَارُ.

ولو أطلعني عليهم^(١)؛ لكان كثيرٌ ممن يشمخُ عليك بأنفه مُقَيِّداً، وبقيدٍ يحالفُك من جسمه مُصَفِّداً. وقد كفلتُ عنك في المجلس المعمور، وقلتُ: إنك تبذلُ غايةَ المجهود، وتصرفُ القومَ عن هذا المسلك المذموم، وتقوم بحماية قُومٍ وآبَةٍ، وما يَنْشَعِبُ إليهما وعنهما من طريق؛ / [٨٩ ب] فلا يُسْمَعُ بداعِرٍ، ولا يُخْبَرُ عن مُفْسِدٍ ولا فاسدٍ، ولا أحسبُك تدعُ ضماني مرهوناً حتَّى ترجعه بالاجتهاد مفكوكاً. وأنا أتوقَّع الجوابَ، فلا تعوِّل على خطابٍ خالٍ تسطُّرُهُ، وكلامٍ عارٍ تُصدِّرُهُ، واقرنِ المقالَ بالفعال، وقابلِ الأمرَ بالامثال، إن شاء الله - عزَّ وجلَّ.

(١) في الأصل: عليه. والصواب ما أثبتناه.

الباب الرابع عشر
في التَّزْوِجِ وَاللَّاحِظِ
وما يشاكل ذلك

كتابُ

استعطافٍ وتَشْكُرٍ واسترضاءٍ وتَنْصُلٍ

قد عُرِضَ ما وَرَدَ مِنْكَ فِي الْمَجْلِسِ الْعَالِي؛ فَأَنْسَ مَوْلَانَا لَمَّا نَشَرْتَهُ عَنِ الْأَمِيرِ
جَمَلًا وَتَفْصِيلًا، وَابْتِدَاءً وَتَرْدِيدًا، أَنْسَا لَا يُضْمُّ قَطْرَاهُ، وَلَا يُدْرِكُ مَدَاهُ، وَسَرَّهُ
— أَدَامَ اللَّهُ لَهُ الْمَسَارَّ، وَأَحْمَدَهُ الْعَوَاقِبَ وَالْمَغَابَّ — مَا أَبْنَتْ عَنْهُ مِنْ تَمْثُلِ الْحَالِ فِي
الْإِعْتِقَادِ وَالْإِعْتِدَادِ، وَصِحَّةِ النِّيَّةِ وَالْوِدَادِ، فَذَلِكَ مَا كَانَ إِرْخَاءُ الشُّجُوفِ دُونَهُ قَدْ
شَغَلَ الْقُلُوبَ، وَأَحْرَجَ الصُّدُورَ.

وَأَمَّا الَّذِي تَصَرَّفَ فِيهِ الْأَمِيرُ مِنْ تِلْكَ الْأَقْوَالِ الْكَرِيمَةِ، وَالْمَخَاطَبَاتِ
الشَّرِيفَةِ، فَهُوَ وَإِنْ جَاوَزَ الْإِقْتِصَادَ إِلَى أْبْعَدِ غَايَةٍ، وَأَبْلَغِ نَهَايَةٍ، فِي السَّرْفِ؛ فَغَيْرِ
مُسْتَبَدَعٍ مَعَ كَرَمِ النَّجَرِ، وَشَرَفِ الطَّبَعِ، وَمُسَاعَدَةِ الْإِقْبَالِ، وَمُقَارَنَةِ التَّوْفِيقِ فِي كُلِّ
حَالٍ. وَاللَّهُ يَحْمِي هَذِهِ الْوَشَائِجَ عَنْ لَوْاحِظِ الْأَيَّامِ، وَعَوَارِضِ الْأَزْمَانِ، وَيَجْعَلُ مَنْ
تَثْقُلُ ^(١) عَلَيْهِ، وَلَا تُحِبُّ ^(٢) إِلَيْهِ، هَهَبَ الصُّرُوفِ الْمُتَقَسِّمَةِ، وَالْخُطُوبِ الْمُتَوَزِّعَةِ،
بِمَنْنِهِ.

(١) فِي الْأَصْلِ: يَثْقُلُ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: يُحِبُّ، بِالْيَاءِ.

وارتفع طَرْفي، واشتدَّ أْزْري لما ذكرتَ أنكْ أنْهَيْتَه مجلياً عن عَقْدي، ومودَعِ
صدري، وأنتَ تعلمُ بطولِ الصُّحْبة لي، وفضلِ الأُنْسِ عندي، أنه لا أحدَ من
قريبٍ وغريبٍ، كانت تلك العوارِضُ على قلبه أشدَّ، وعلى نفسه أشقَّ، مني، وأنَّ
صورتي كانت - لما بَعُدَ تصوُّرها، وتراخى تَقَرُّرها - صورة المأخوذ عن نفسه،
المفَرَّق بينه وبين قلبه؛ وأنَّ هَمِّي أجمعه، وقصدي كلَّه، وشغلي معظمه، بما زاد
الأعداء قَدْراً وعَوراً؛ وأني أوثر في خدمة الأمير ما أوثره في خدمة مَوْلانا، ولكني
الرجُل الذي يُؤمن كيف يُؤتى من اختلاف الحَسَاد، واختراع ذوي الإفساد، وإنَّ
/ [٩٠ أ] كان الله قد عَوَّد أن يكشفَ مَكْرَهُم، ويُحِيقَ بهم خَتْرَهُم، ويُظْهَرَ لمَوْلَيْنَا
أني الأنصَحُ جَيِّباً، الأحمَدُ غيباً.

وفلانٌ قد عرفتُ ما حَكِيَّتَه عنه، وقررتُ ما وصفتَه منه، فجزاه مَوْلانا الخيرَ
عن حَقِّ أَدَاه، وصدقَ أنهاه، وصلاحِ ابتغاه، وخيرِ اعتمده ونواه. فأما اعتدادي بما
خَصَّنِي به ذِكْراً وقولاً صدقاً، فعلى حسب ارتياحي^(١) متى تمثَّل اعتقادي على
حَقِّه، وارتياحي متى حُرِّف عن وجهه.

(١) في الأصل: ارتياحي، تحريف.

وله
في إبطال متوهم الظن والإبانة عن السكون
إلى وكيد الوفاء والعقد

تخيّل الأميرُ مني ارتياباً بعصم عَهْدِهِ، وفي التقدير عدلٌ وظلم، وظنٌّ بي امتراءٌ
بكرم وعده، وبعضُ الظنِّ إنَّم، ولو حال القمرُ عن مسراه، وحارَ الفلكُ في مجراه،
لما جَوَزْتُ على بذله بُخلًا، ولا تمثَلْتُ من عَقْدِهِ حَلًّا؛ إذ الأميرُ أفسحُ في الحزم
مذهباً، وأعلى في العزِّ مَرَقَباً، من أن يُمرَّ أسبابَ الفضلِ ثم ينقضَها، ويمدَّ أطنابَ
البرِّ ثم يُقرِّضَها، كَلَّا! ومَن جعلَ المحاسنَ محبوسةً على مجده، والمحامدَ منقوصةً
حتى كملها بيده! ولكني أعظمُ ما وهب الله منه، فأبخلُ برأيه على هُجْنَةِ
التكدير^(١)، وأغار على وفائه من جرأة المقادير، وولوعُ الشفيق^(٢) بسوء الظنِّ داءٌ
قديم - ومعاذ الله - بل دواءٌ كريم.

فأمّا المهمُّ الذي أشارَ مَوْلَايَ إليه، واستخلفَ منابي عليه، فإنِّي فيه عندَ
حُكمِهِ، وعبدُ رَسَمِهِ، ولو قَدَرْتُ ثم سَخَرْتُ النجومَ، مُهْدِيًا سُعُودَهَا إِلَيْهِ،
وَمُغْرِيًا نُحُوسَهَا بَمَن يَمِيلُ عَلَيْهِ؛ لظَنَنْتُنِي - بَعْدُ - قَرِيبَ المَطْلَبِ، قَصِيرَ الباعِ
والمُنْكَبِ، فَلْيَنعَمْ مَوْلَايَ بِمَكَاتِبِي أَمْرًا وَنَهْيًا، يَحْمَدُنِي جِدًّا وَسَعِيًّا، إِنْ شَاءَ اللهُ.

(١) في الأصل: التكرير. والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصل: الشقيق.

وله تَنَصَّلُ واعتذاراً وتشكراً

كتابي - أطال الله بقاء الملك - عن سعادة مَوْلانا الأمير المؤيَّد، وانتظام أمور
مُلْكِهِ، وانقياد ما دنا ونأى لأمره، وعافيتي في كَنَفِ عِزِّهِ. والحمد لله ربَّ العالمين،
وصلواته على النبيِّ محمدٍ وآله أجمعين.

وَوَصَلَ كتابُ الملك قد تَفَضَّلَ بابتدائه^(١)، زائداً فيما أشكر من جميل رأيه^(٢)؛
فحمدتُ الله على ما رَهَنَ بحضرته، من خصائصِ نِعْمَتِهِ، ورغبتُ إليه في
/ [٩٠ ب] إطالة مُدَّتِهِ، لمكرمةٍ يستأنفها، بعد أخرى يُسَلِّفها، ومنقبةٍ يستقبلها،
بعد ماثرةٍ يحصِّلها، والله سميعٌ مجيبٌ.

ولو أدَّيتَ الفرضَ غيرَ معوِّلٍ على ما يعرفه الملكُ من عقيدتي في مشايعته،
ونيتي في متابعتِهِ؛ لكانتُ كُتِيبِي تَتَّصِلُ إلى بابِهِ، ورُسُلِي تحطُّ بِجَنابِهِ، على اتِّصالِ
الأوقاتِ، وتعاقِبِ السَّاعاتِ، إلَّا أَنِي كما أَتَخَوَّفُ الإِخلالَ، أَتَجَنَّبُ الإِملالَ، وكما
أَشْفُقُ من التَّقْصِيرِ والإِقْصارِ، أَتَوَقَّى مَوَاقِفَ الإِسْأَمِ والإِضْجارِ، وعلى اختلافِ
الصُّورتينِ، فَإِنِّي أَعْتَمِدُ ما فُطِرْتُ عَلَيْهِ من مُوالاةِ ذلكَ البَيْتِ، لا زالَ معموراً،
وبالمناجِحِ مكنوفاً.

(١) في الأصل: بابتدائه. بتسهيل الهمزة.

(٢) في الأصل: رايه بتسهيل الهمزة، وبذا ينتظم السجع.

وقد اعتدّ مَوْلانا الملكُ بؤرود رسوله، وما أَوْصَلَ من خِطابه، وكان يجبُ أنْ
يزيدَ في انبساطه واسترساله؛ إذ كان - أدام الله عِزَّهُ - في منائحِ الله قسيماً، وفي
عوائدِ الله شريكاً.

وله

جوابُ شكوى واستجفاء وتأنيس بمُكاتبةٍ وإجلال

كتابي - أطل الله بقاء الشيخ - عن سلامة، قد أحسن الله الإمتاع بها، وأجمل الدِّفاع عنها، ووصل سوابغ النعم بها، وأجزل حظَّ السَّعادة فيها. والحمد لله ربِّ العالمين، وصلواته على النبيِّ محمدٍ وآله أجمعين.

ووصل كتابُ الشيخ فسَّرَني سلامته - هنَّا الله إيَّاها، وأدام له أوفاهها - بعد أن جمَعَ إلى بُعد الدَّار تركَ المواصلة، وأحوجَ إلى الاستبطاء والمعاينة. فأما الأمرُ الذي حكاه وشكاه؛ فقد طال منه تعجُّبي، وكاد إنكاري يسابق تنكُّري، لولا أن الخبر طويَ عني، ولم يُشرِّ لي، وما حسبتُ الخفَّةَ تستفزُّ ذا سنٍّ وترسُمُ بالعلم لمثل ما وصفه الشيخُ عمَّن تسرَّع، ولا أن حقَّ الهيبة يُتَّبى حتَّى يقع هجومٌ من هجم، وقد كان يجب أن يرَدَّع هذا الإنسان عن فعله أمورًا منها: الاجتماعُ في دارِ الإمارة، وعندها يمتدُّ ظلُّ من الانقباض لا يتحوَّل عنه أهلُ العقول إلاَّ بالتَّحوُّل عن ذلك المكان. ومنها: أن إطلاقَ اللسان بحيث يحضره قاضي القضاة - أدام الله عزَّه - بما يدخل لفظه التكذيب، إخلالٌ بقضيَّةِ الوقار والتَّوقير. ومنها: أن لكلِّ أحدٍ محلاً في نفسه ومكانه، وعندَ واليه وسلطانَه، وقد شاهد الخلقُ العظيم كيف رُبِّتُ الشيخ عندي، وموقعه من نفسي. وأقدرُ أن المنازلَ عندَ السلطان يُستدَلُّ عليها من فعلي، والمراتبُ تُؤخذُ أوزانها / [٩١ أ] عن مجلسي، ولا أبعد أن يكون السامعُ

قدّر الشيخ معرّضاً به، وتعريضٌ مثله أشدُّ إيلاًماً من تصرّيح غيره؛ فحمّل نفسه على الخطر في الانتصار، وركب متن الغرر في الانتصاف، كما يفعله من سابق رأيه رويته، وبصره بصيرته.

والشيخ - أيّده الله - شيخُ أهلِ الرأي بهذه الكورة، ومن له لديّ عظيمُ القدر والخطر، وأنا على جملة التّعتب على المحكي عنه سوء التلفظ، ولولا أنني لم أعرف جليّة الحال إلا من هذا الكتاب، لما اقتصرتُ على هذا القدر، ولكنّ عودِي يقرب - بمشيئة الله وليّ الأمر - فتكونُ زيادتي بقدر تحقّقي للحال، لا لأنّ الشيخ مدفوعُ الخبر، لكنّ حكمَ الله أولى عند النظر، أو يوفّق المسيء للاعتذار، والحليم للاغتفار، فلا ينقبض الشيخُ مما اتفق؛ فهو المحروسُ المكان، المخصوصُ بالتقديم والإعظام، يتميّز عندي عن كثيرٍ من الأكابر، وخلقٍ عظيمٍ من الأمثال.

وهذا ينسخُ جميعَ ما تكلم به مُسرفٌ على نفسه، أو معتدٍ لطوره، ولئيسرَ - مع هذا - بخبره، وعارضٍ وطره.

وله

جوابُ تَنْصُلٍ واعتذار من اجتياز هارب والتَّخْلِيَةِ بينه وبين المجاز

كتابي، والأُمُورُ شرقاً وغرباً لمولايَنا: الملك السَّيِّد، والأَمِيرِ المؤيَّد، منقادةً،
والسَّعادةُ في مصارفِ راياتها وآرائها مُعتادةٌ، وأنا بذلك مَوْفُورٌ مَسْرُور. والحمدُ
لله وليِّ النِّعم، وسابغِ المِنَّن، وصَلَّى اللهُ على النَّبيِّ وآلهِ وسلَّم.

ووصَلْ كتابُ سيِّدي؛ فأنسني اللهُ بما سَوَّغَه من مَواهبه، وأخضَرَه من صادقِ
الرأي وصائبه، وعلمتُ ما اتَّفَقَ في مجازِ الهاربِ وسُلوِكِه مغافِصَةً^(١) لتلك
المذاهب، وأنَّ الحالَ وافقت تَفَرُّقَ الخيلِ عن سيِّدي؛ لانصرافِه عن البيجار^(٢)
قريباً، وإذنه لمن خَدَمَ في تلك الوجوه طويلاً، واستنفاده - مع ذلك - الطَّاقة، فيما
أظهر به الإخلاص والطَّاعة.

وأوردتُ الجميعَ بحضرةِ مَوْلانا أَحْسَنَ إيراد، واستعصتُ من الاستزادة
فضلَ اعتدادٍ، ومعلومٌ أنَّ الوقتَ لو فُسِحَ في استثابة العسْكر، لَبَلَغَ سيدي في
المحلِّ ما سار به الرُّكبانُ، وطَنَّ بذكره البلدان. ومَوْلانا من الثَّقةِ به على ما لا

(١) غافِصَه مُغافِصَةً: أخذه على غرّة. لسان العرب، ج٧، ص ٦١ (غفص).

(٢) انظر ص ١٢٤، حاشية (١).

يتخلَّله امتراءٌ، ولا تعترضه شُبْهَةٌ يُلْتَمَسُ لها جلاءٌ، ومقامي في حِفْظِ الغَيْبِ،
وحِرَاسَةِ الاستِنامَةِ عن الرَّيْبِ، المَقَامُ الَّذِي يُغْنِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عِلْمُهُ بَيَانَهُ
وبرهانه / [٩١ ب] عن اقتصاص شرحه، والإفصاح عن لسانه.

وله

كتابي والأمير المؤيد مختص من نعم الله بأجمعها لأطراف السعادة وأوساطها،
وشروط الإرادة وأشراطها. والحمد لله رب العالمين، وصلواته على النبي وآله
أجمعين.

ووصل كتاب الأمير على عادة تشريفه لعبده، وتنويهه بذكره وقدره؛ فتلقاه
بالدعاء الذي هو جهد مثله، والشكر الذي رضي الله من خلقه، على عظيم منه،
وانتهيت إلى ما حكي عن مواقفه كذا، وعرضته بحضرة مولانا؛ فضاقت له صدرًا،
واشتغل فكرًا؛ إذ^(١) لم يحسب أن مثله مما تسوغ حكايته، أو تصحح روايته، وهو
زور مصنوع، واختلاق موضوع، وقد كانت الثقة مستحكمة بأن رياح المفسدين
إلى ركود، وجمراتهم إلى خمود، وما حسب أن عواذهم تُثمر ما سُمع، وتنتج ما
اخترع.

وقد قرأت ما صدر عن كذا من شرط، ووعيت ما حكي من قول وعقد، فلم
ألحظ ولم أسمع مما ادعى حرفًا، ولا عرفت من كل بعضًا؛ ولم يكن بحضرة الأمير
واصلًا، ولبابه مكاتبًا مراسلًا، فلا قبول بهذه الحضرة البهيّة له ولا إقبال عليه،
ولا فكر فيه ولا إصغاء إليه.

(١) في الأصل: إذا. والصواب ما أثبتناه.

وقد أنفذ فلانٌ بغاية الاستبطاء والإنكار، مع إحاطة العلم بما في هذا الأمر من البُهتان والبُهْتِ^(١)؛ فقد حضر تلك المجامع مَنْ كان كتب بالإيحاء واللَّمْع^(٢)، والإيحاء واللَّحْظ، فضلاً عن مواقع الشرط ومَسَاقِطِ اللَّفْظ.

والأميرُ يتحقَّق ما أنياه عبْدُه؛ فهو - والله! - القولُ الصَّحيح، والحقُّ الصَّريح، وأنا أسأل الله أن يُنزل حواضرَ نقماته، على كلِّ مستقلٍّ لهذه الألفة، يُعْمِلُ لها المكائد، وينصبُّ المراصدَ، ويُلقِي الحمائلَ، ويتمحَّلُ المصائدَ، وإن كانوا سيردُّون قريباً في عثارهم، ويُرَدُّونَ بين شِفَارهم وجِفَارهم^(٣)، ويحرس الله على مَوالينا أولياءِ النِّعم، ترافُدَ الأيدي واتَّفَاقَ الكَلِم.

(١) البهتان والبُهْت: كلاهما بمعنى الافتراء. لسان العرب، ج ٢، ص ١٢ (بهت).

(٢) الإشارة الخفيّة، والنظر الخفيّ. لسان العرب، ج ٨، ص ٣٢٧ (لمع).

(٣) الشفار: جمع شُفْر، وهو أعلى الوادي وحدّ حرفه، ومنه شفير جهنم. لسان العرب، ج ٤،

ص ٤١٩ (شفر). والجفار: جمع جُفْرَة، وهي الحفرة الواسعة. لسان العرب، ج ٤، ص ١٤٣

(جفر).

وله

تنصّل واعتذار^(١)

كتابي - أطل الله بقاء صاحب الجيش - يوم كذا، وسعادة أيام مولانا جامعة من النعم أحسنها^(٢) ظهوراً، وأحصنها وفوراً. والحمد لله رب العالمين، وصلاته على النبي محمد وآله أجمعين.

/ [٩٢ أ] ووصل كتاب صاحب الجيش، مُفتتحاً من ذكر صنّع الله الجميل إليه، بما بداني قبل ارتهانه لديه؛ إذ كنت أجدر المنائح إذا خيّم برّعه، مُضافةً إلى ما سوغني الله من فضله، وقسم لي من منّهِ. وعرفت ما وصف صاحب الجيش به الأحوال التي أثّلها الله - تعالى - في الجنتين، ونظم بها ذات البين، وهي مقدورة بقدرها، ومكنوفة بالمصالح التي لا وفاء بنشرها، ومتصورة في أرفع مراقبها، وأعلى محالها^(٣) ومراتبها. ولولا أن الإسهاب فيما قد عرفت مزيته، وتمثّلت جليته، في رباط العمل، وحصار التصنّع، وبمعزل عن فضيلة التحقق، وجديلة التخصّص؛ لا تسع نطاق القول كفاء عقيدة النفس، ووثيقة الصدر.

(١) وهو كتاب مهم في دراسة الإقطاع عند البويهيين.

(٢) في الأصل: أحسن. والصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأصل: محلها.

وصاحبُ الجيشِ مُؤثِّرٌ في كلِّ أمرٍ ما هو إلى جمالِ هذه الوُصَلِ أدعى، ولحقوقِ فيها أرعى، متعرِّفُ البركةَ فيما يُصدِرُ ويُورد، ويبتدئُ ويجدُّ، واللهُ لا يُخْلِي من خلوصِ مودَّتِه، ويحصِّنُ مآثرَ الأيامِ بإطالة مدَّتِه. وعرفتُ ما قاله صاحبُ الجيشِ في معنى الضَّياعِ العتيبةِ^(١) بالرَّيِّ، معرفةً تقدَّمها إشارُ الإيجابِ على الرَّدِّ، وترجيحُ النَّجَازِ^(٢) على الوَعْدِ، ولو وَرَدَ من تلكِ الحضرةِ البهيَّةِ في أضعافِها ما وَرَدَ؛ لكان الإسعافُ ملتزماً، وتقريبُ المراد مقدَّماً. هذا إذا التُّمِسَ لأفناء الأتباع، ومغمورٍ من الأشياءِ، فكيف لمن يُكَبِّرُ قَدْرَهُ ويُفخِّمُ، ويُجِلُّ محلَّهُ ويُعظِّمُ، ويُرَى توخِّي محابِّه، وتحرِّي إيثاره في آرابه^(٣).

وسأذكر لصاحبِ الجيشِ ما عيَّنه برهائنه، ووضوحه بياؤه: إنَّ جميعَ هذه الأملاكِ والضَّياعِ، صائرٌ في أيدي الدَّيْلَمِ بالإقطاع، ولو أمكن حلُّه في الوقتِ لما أرجئ يومٌ إلى غد، وقد صدَّق الاهتمامُ الآن بفكِّه، وإعادته للواجبِ بحقِّ مُلكِه. ورسمتُ أن يَناظرَ الواحدُ بعد الآخرِ في قبولِ العَوَضِ، والرضا بالبدل؛ ليتسهَّلَ في مُدَّةِ سنةٍ أو سنتين فَضَّ الجميعِ من حيثُ لا تخبُّ نفوسُ الجندِ؛ ويتيسَّرَ المرامُ - بإذن الله - عن قُرْبٍ.

(١) العتيبة: قليلة الخير. تاج العروس (عتب). ولعلَّ صاحبِ قصد الضياع التي لا تدرَّ وارداً كبيراً على بيت المال.

(٢) في الأصل: الإنجاز، والصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأصل: آرايه! والصواب ما أثبتناه.

وقد حُمل فلانٌ في جواب الرسالة ما يؤدِّيهِ، ويقومُ بحقِّ التخليص فيه. ولولا
أنَّ صاحبَ الجيش عارفٌ بأنَّ الملتَمَسَ لم تُقصدْ فيه المدافعة، ولم تتوخَّ^(١) المراجعة،
وعالمٌ بأخلاق الدَّيْلَم، وما يحتاجُ إليه مالُكهم من التَّأْيِّ حلًّا أقطاعِهم؛ لانبساطِ
القول في الاعتذار من هذه المهلة، وإنْ كانت العِدَّةُ، في ضَمَانِ الوفاء والثقة، فإنْ
رأى صاحبُ الجيش أنْ يتصوَّرَ ذلك حتَّى تَصوُّرِه، ويخاطبني بخبره، ووَطَرِه؛
فعل، إن شاء الله.

(١) في الأصل: يقصد... يتوخ، بالياء.

[٩٢ ب] وله

التَّجَرُّمُ - يا سيّدي وخليلي - دأبُّ مَنْ ضاقَ عطنه عن الأخلاق السّميحة،
وتضاءل ودّه عن الطّباع العذبة، فهو دائباً يخلق لإخوانه جريرةً يصلّهم نارَ عتْبِها،
ويؤليهم جانبَ عدْلها، والحرُّ كلُّ الحرِّ مَنْ لحظ أحوالهم بعينٍ تجمعُ إلى النّصفَةِ
التّسمُح، وإلى المعدّلة التّرخُّص، وإنْ شاهد جميلاً كثرَ قليله، وإنْ صادف تقصيراً
حسنَ قبيحه، وقد نزّهك الله عن أن تكون معيّناً وعريضاً تنتهزُ الفرصة، فما هذا
التّعدي الذي علقت أوثق أسبابه، والتّجني الذي ولجت أضيق أبوابه؟!

وقد علّم الناس كيف إشاري إياك وإكباري، وعلمت كيف أباسطك في
خاصّ أحوالي وأسراري، حتّى كأنّا قضينا الشباب على تلاؤم، وصافحنا الكهولة
عن تنادّم، ومتى كان الإغراض الذي أشرت إليه، والانقباض الذي نصصت
عليه؟ ومنّ هذا الواشي الذي يطمع في إحالة حالك، ولو قعد من الدّهْرِ على
رصدٍ، ونفث من السّحر في العقْد؟ فكيف حسبتني ممن تستفزّه السّعاة، وتهزّه
الوشاة؟! إنك تستخفّ حلماً، لعلّ الأطواد الصّمّ تشهد له بالرزّانة، والجبال الشّمّ
تبرأ إليه من الرّصانة.

ولكلّ ذي قلم جانبٌ من البلاغة هو فيه أوسعُ عناناً، وأرحبُ جناحاً. وكنت
في العتب أفسح مجالاً، وأملأ سجّالاً. وقد أردتُ أن أعاتبك على عتبك فأطيل،

وأبدى القول وأعيد، وأذكر ما في هذا الباب من المدام تضاد محاسنك، وتحاد مناقبك، ثم كففت وصدفت، واقتصرت وخففت، نعم وزعمت أنك قد أكثرت عليّ فسئمت، وأطلت فتبرّمت، ولو شئت لقلت: إنك أردت تهجينني؛ فبدأت بنفسك، وتبخيلي؛ فتحاملت على فعلك؛ إذ قد علّم الناس خلاف ما حكيت، ودروا أني بمنّة مما ادّعت؛ أوجب لمن ضمه إليّ السبب الضعيف ما يوجب للأخ المشابك في الأرومة، المشارك في الخؤولة والعمومة.

وإني لا ألومك على الانقباض لوماً، يُريني فعلك لوماً، ولَبُودِّي لو كُفّفت مع كلّ صباح، تنفس حاجات تعاد الرّمْل، وتناسب القطر. فهذا هذا والقصتان قد وقع فيهما بما رأيت، وإن سألت في الالتماس بأمر من العلقم، وأضر من الأرقم. وكلّ ذلك تأتي به مقبول، وعلى جانب الأنس محمول، لا عدمتك.

[٩٣ أ] وله

وَصَلَ كِتَابُكَ، وَعَرَفْتُ مَا كَتَبْتَ بِهِ فِيهَا اسْتِصْحَبَتَهُ، وَ.....^(١) مِنْ اسْتِطَاءِ قَلَّتِهِ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِمَّا فُعِلَ عَلَى تَمَكُّينٍ وَإِثَارٍ، وَلَا بُدْءٍ فِيهِ بِاسْتِبْدَادٍ وَاخْتِيَارٍ، وَلَكِنَّكَ أَشَرْتَ بِهِ مُلْحِفًا، وَأَبْدَأْتَ وَأَعَدْتَ بِذِكْرِهِ مُسْتَسْعِفًا، وَزَعَمْتَ أَنَّهُ جَمِيلٌ، وَمَوْقَعَهُ لَطِيفٌ، وَإِلَّا فَمَوْلَانَا إِذْ أَوْجَبَ أَنْ يُتَعَهَّدَ مِثْلُ فَلَانٍ، دَرَى كَيْفَ يُفَرِّى الْفَرِيَّ، وَيُجْزِلُ الْبَرَّ السَّنِيَّ.

وَقَدْ أَنْهَيْتُ مَا وَرَدَ مِنْكَ؛ فَعَجِبَ مَوْلَانَا مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، وَمَوَارِدِهِ وَمَصَادِرِهِ، وَقَالَ: فَلَانُ بَدَأَ بِالْمَشُورَةِ، وَحَكَمَ بِمَقْتَضَى الصَّوْرَةِ، وَهُوَ الْآنَ يَقُولُ وَيُطِيلُ، وَيَبْدِئُ وَيُعِيدُ، وَلَوْ خَلَّتْ أُولَى سَفَرَاتِكَ عَنَّا وَسَفَرَاتِكَ مِمَّا يَنْتِجُ مَوْجِدَةً، وَيَصْرِفُ مُحَمَّدَةً؛ لَجَازَ؛ فَقَدْ كَانَ فَلَانٌ عَلَى كِبَرِهِ، وَخَطَرِ سَنِّهِ وَفَضْلِهِ، وَبُعْدِ مَسَافَةِ الَّذِينَ اسْتَنْجَدُوا مِنْ عِنْدِهِ، رُوسِلَ دَفْعَتَيْنِ، فَمَا جَرَى بَعْضُ هَذَا التَّخْلِيْطِ وَالتَّبَكُّيْتِ، وَاللَّهُ الْكَافِي وَالْمَعِينُ.

(١) فِي الْأَصْلِ: وَاسْتِطَاءَ. سَهُوٌ مِنَ النَّاسِخِ. وَرَبَّمَا كَانَتْ: وَعَتَبَتْ.

وله

قد صار مَوْلَايَ يَظُنُّ بِي الظُّنُّونَ، عادلاً عن عِلْمِهِ بباطني وظاهري، ويطيعُ فيَّ الرِّيبَ^(١) مع اختياره لشاهدي وغائبي، وما كنتُ أحسبه - لو رآني على حالٍ منافيةٍ لموالاته - لا يُكذِّبُ حِسَّه، ولا يُغالطُ نفسَه، رجوعاً إلى فِطْرَةِ أَمْرِي في مودَّتِهِ، وبادئةٍ حالي في طاعته.

يَظُنُّ مَوْلَايَ - وبعضُ الظَّنِّ إثمٌ^(٢) - أنَّ كِتَابَهُ يَرُدُّ عَلَيَّ فَأَغْفُلُ إجابته، وأُهْمِلُ مُحَاطَبَتَهُ، ثم لا يرضى، وقد أطاع سلطانَ التهمة، وكَدَّرَ صَفَاءَ الثقة، حتَّى يفصحَ بذلك ويصرِّحَ، ويعقدُ الخنصرَ عليه ويحقدَ، ويقولُ: لعلَّ فلاناً يميلُ إلى أنْ أخفَّفَ عنه ولا أثْقَلَ، وأُغَبَّ مكاتبته ولا أَدْمِنَ.

هذا وقد عَلِمَ اللهُ أَنِي لا أرى أعطاني مُهتَزَّةً، والدنيا في عيني غَضَّة، وأَيَّامُ الشَّبَابِ طَلْقَةٌ، إلا إذا اطلَّعتْ كُتُبُهُ وارِدَةً، ونعمُهُ بها متجدِّدة، لا سِيَّما إذا تفتَّحت فيها زهرا تُخطُّه، وأجنتُ بينها ثمرات لَفْظِهِ. ولو كنتُ أعقُّ من ضَبِّ^(٣) لما

(١) في الأصل: الرتب. والصواب ما أثبتناه.

(٢) إشارة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ سورة الحجرات، من الآية ١٢.

(٣) أعقُّ من ضَبِّ: مثل يُضْرَبُ للعاقِ المضِيعِ حق رحمة وإخوانه. وانظر الميداني، مجمع الأمثال،

ج ٢، ص ٤٧.

تركْتُ استمدادَ الفائدة من مخاطباته، ولا سمحتُ بانقطاعِ العائدة في مُحاوراته، ولكن مَوْلَاي ربما انحطَّ في هوى التشكُّك، وعَلَّت عَواديه على دَواعي التحقق، ووقع له أنَّ الصِّديقَ ينزِعُ مَعْرِضَه بلا عِلَّة، والوليَّ يخلعُ ملبسَه بلا شبهة، / [٩٣ ب] ولو جاز على الحقائق الانقلابُ لما اعترضتُ طاعتي لمَوْلانا مِرِيَّة، ولا تبدَّلْتُ لمشايعتي إياه صورةً.

ولو علمتُ أنَّ كتابي تمتدُّ إليه أيدي السُّبُل، وتتحكَّم فيه هناتُ الطُّرق؛ لحملتُه بنفسِي، وأوصلتُه بيدي، ومتى قلت لمَوْلَاي: إنِّي لم أحرَجْ صدرًا، ولم أعدم صبرًا، عندَ كتابه الذي خاطب به سيِّدي أبا محمد، يجرُّحني وكأنه يُداويني، وَيَكْلِمُنِي وكأنه يأسوني، فقد كَذَبْتُهُ عن نفسي وما صدقته؛ وذلك لأنِّي إذا رددتُ طَرْفي وكرَّرت لحظي كثيرًا، واستنهضتُ فِكْرِي غائراً ومُنْجِداً، وصرَّفتُ خاطري مُتِهَمًا ومُشْتَمًا^(١)؛ لم أَرِ لي غيرَ سيِّدي قبله أقابلُها بثقتي، ووُجْهَةً أَصْرِفُ إليها استنامتي، وسنداً متى أردتُ كان وليًّا وعضداً، ومتى شئتُ كان أخاً حديباً. والشأن في أنَّ الكتابَ مفتتحٌ لهمَّ سُلْطاني أردتُ شغلَ الفصول، به وقَصَرها على ذكره، ثم أبى الصِّدْرُ إلا نَفْثَةً، والسَّقاءُ إلا رَشْحَةً.

(١) في الأصل: ومشاماً. والصواب ما أثبتناه.

الباب الخامس عشر
في الشفاعات

[وله] ^(١)

كتابي - أيها القاضي، أطل الله بقاءك - أفردته بذكر أولاد أبي القاسم بن
مقرن - أيدهم الله - وهم في القرب والقربة، والحظ والخطوة أولادي، وصنائعي
وتلادي، ومن حقهم أن أخذوا الحق عني ^(٢)، واستفادوا دلائله مني، ومن اعتقد
كاعتقادهم؛ فليجتهد وليجاهد في الدين كاجتهادهم وجهادهم. ثم قد حصل لهم
مع الدين السر الثخين، والعقل الرصين، وجدد أبو العلاء - أيده الله - عهداً،
وتجشم عن نفسه وشقيقه مشقة وقصداً؛ فصار الحق ضِعْفاً، واستضاف مثلاً
فمثلاً. وطفاهم في العدالة والسداد مُعلِّمان معلومان، ولولا أن تفضيل الخلف
عن السلف، قد كرهه كثير من أهل الفضل والشرف؛ لذكر تفاوت ما بينهما، وبين
كثير ممن فرط لهما.

والأقدمان في السن أبو علي [وأبو العلاء] ^(٣) - وسيتقدمان - ما بينهما من

(١) زيادة منا.

(٢) في الأصل: مني.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

الوقار، مستجدُّ إزار، وإن كان أبو الحسين زيدَ الثالث يجمعُ من فضائل الدِّين والدُّنيا ما ينشد معه فيه وفيهما:

من تَلَقَّ منهم تَقَلُّ: لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مثل النجوم التي يَسْرِي بها السَّاري^(١)

هذا ما عرفتُ، ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا﴾^(٢)، فليكن إيجابُك - أيها القاضي، أَيْدِكَ الله - / [٩٤ أ] كفاء إخباري عنهما، فسيزيد الاختبار من لفظهما على ما قدّمت به. والسلام.

(١) تُنسب لعبيد بن العرنس الكلابي (جاهلي) في: الكامل في الأدب للمبرد، ج ١، ص ٦٨؛ والحماسة البصرية للبصري، ج ١، ص ١٥١. وهو لعقيل بن العرنس في: التذكرة الفخرية للإربلي، ص ٤٥٤. وللعرنس الكلابي في: أمالي القاضي، ج ١، ص ٣٧٢؛ زهر الآداب للحصري، ج ٢، ص ٩٥٨؛ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ج ٤، ص ١٥٩١، معجم الشعراء للمرزباني، ص ١٧٣، وقال: وقيل: هو أبو العرنس.

وهو للعرنس في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني، ج ١، ص ٣٣٢. وللحماسي في: زهر الأكم لليوسي، ج ١، ص ١٨٤. وبلا نسبة في كتابي الجاحظ: البرصان والعرجان، ص ٢٣٦؛ والحيوان، ج ٢، ص ٢٦٦؛ وكذلك في: الزهرة لابن داود الأصفهاني، ج ٢، ص ٥٩٤؛ وخزانة الأدب للبغداد، ج ١٠، ص ١٣١؛ وديوان المعاني لأبي هلال العسكري، ج ١، ص ١٥٦؛ وعيون الأخبار لابن قتيبة، ج ٢، ص ٢٢٦؛ وقواعد الشعر لثعلب، ص ٣٧. وانظر: ابن عبد البر، بهجة المجالس، ج ١، ص ٥٠٣.

(٢) سورة يوسف، من الآية ٨١.

وله عنايةً بذوي^(١) الحرُمات

.... وللوسائل اختلافُ درجاتٍ ومنازلٍ، ومن أولاهم بتحقيق الخطُوة،
وأجرئهم بتقدُّم الخطُوة: مَنْ وَرَدَ أعذبَ شريعةً، بأوكد ذريعة.

وتحمَّل فلانُ كتابَ فلانٍ إلى حضرة مَوْلانا وإليَّ، بما ظهر مَوَاتِه
وحرماؤه لديَّ، فلما خيَّرته في نِوازِع الأمد، ومضاربِ العَمَل؛ كان أقصى
مُراده، ومُنتهى ارتياده، أن أخاطبَ مَوْلای بِذِكْرِهِ، وأشتكيَ عنايةَ لاهتمام
أمرِهِ.

هذا وله - لديه - ذمام البلدية، إلى دِوَاعٍ يحكيها مَرعيَّة، فليؤلِّهِ مَوْلای من
إقبالِهِ واشتمالِهِ، ما يُظفِرُهُ بأمانِيهِ وآمالِهِ، فلولاً رجاءُهِ الذي لم ينزِعْ إلَّا إلى
أرجاءِهِ، ولم يحوِّمْ إلَّا على فنائه؛ لكان فيما أوردَهُ منتجَعٌ بحضرتنا مَرِيع، وظلٌّ من
الإحسانِ ظَلِيلٍ. والله - تعالى - يُحسِنُ توفيقَ سَيِّدِي لِمَا يطيِّبُ ذِكْرُهُ، ويُعرِفُ
بِشْرُهُ، بمَنِّهِ.

(١) في الأصل: لذوي. ولعلَّ الصواب ما أثبتناه.

التوقيع فيه^(١)

إذا اجتمع إلى نباهة الوسيلة، وجاهة الحرمات الوكيدة؛ كان نيل الأرب فيه
مُستجيباً عن كُتب، فليرعَ مَوْلَايَ لهذا الفتى حُسْنَ ارتياده والتماسه، وليهتمَّ
بتقديمه واختصاصه؛ فقد رضي بعد تَنَجُّزِ الكُتب من الحضرة بأن يكون ثمره
سَفَره، وعائدة أَمَله، ما خاطبْتُ به سَيِّدي في معناه، وحقيقٌ مثله بأن لا يخطئه
مُنَاه، وسَيِّدي - أدام الله عزَّه - مِلِّي بخلافتي في قضاء حَقِّه، وإنصافه من دَهْره.

(١) هذا تابعٌ للكتاب السابق، فهو توقيع لما جاء فيه من رجاء.

وله

تقريظ وعناية وإخبار عن شكرٍ بتحمّل نعمة

أنا أحمدُ الله الكريم إذ أطلق الألسنة بمناقب مَوْلَايَ تابعةً للإجماع، آمنةً من النزاع، حتّى البعيدُ الدّار منه ينشر ما ينشره الداني الجوار.

وورّد لأداء الفرض المكتوب من الحجّ فلانٌ، وهو من أعيان كُتّاب خراسان، ومن أشاب نواصي الأيام في مَهَمّات ذلك الديوان؛ فرأيتُ منه محاسنَ درايةٍ وصيانة، وديانةٍ ورزانيةٍ، / [٩٤ ب] وأدّى التّفاؤُض إلى ذكر مَنْ يضمُّه العَصْرُ من أفراد الصّناعة وآحادها، وأركانها وأعمادها، فأعلّمته أنّ ذلك حضارٌ لسَيِّدي سَبْقُهُ، وفي يدي حقُّه، ولقلمي رِقُّه، وحسبتي مُغرباً عليه، مُبدعاً فيما أُهدي إليه، فإذا هو من رُواة فضائل^(١) سَيِّدي وحَمَلَة إحسانه، والمنبئين بمزيةٍ إيجابه وامتنانه، وصار ما أخبر به وعبر عنه نسباً أدناه إليّ، وأعزّه عليّ؛ إذ الشّناء بمهادح سَيِّدي دينٌ أذب عن صحّته، وأوالي كلّ مُجملٍ عن صفّته.

وقد عرّفت سَيِّدي بعض ذلك في خاصّ كُتبي إليه، وأحببتُ أن يردّ فلانٌ بسائره عليه. ومَوْلَايَ أهدى لإتمام منّة تولّى إنشاءها، وأولى بإتباع الدّلّو رِشاءها.

(١) في الأصل: فواضل، ثم شطبها الناسخ، وأشار بمخرج صغير إلى الهامش، لكن التصوير السيئ أكل ما كتبه أمام المخرج، فرجّحنا ما أثبتنا.

وله

جَنَابُ مَوْلَايَ مَثَابَةُ الْعِلْمِ وَمُحْتَمَلِيهِ، وَالْفَضْلِ وَأَهْلِيهِ، فَهُمْ أَيْنَ غَابُوا أَبَوْا
إِلَيْهِ، وَكَيْفَمَا جَوَّلُوا عَوَّلُوا عَلَيْهِ. وَمَنْ اجْتَمَعَ لَهُ إِلَى مَزِيَّةٍ دِرَايَتُهُ وَأَدَبُهُ أَوْلِيَّةٌ شَرَفُهُ
وَنَسَبُهُ، اهْتَدَتْ بِحَضْرَتِهِ يَدُهُ إِلَى أَمَلِهِ؛ فَلَمْ تَضَلَّ، وَاسْتَقَرَّتْ قَدَمُهُ فِي كَنْفِهِ؛ فَلَمْ
تَزَلَّ، لَا زَالَ ذَاكَ كَذَلِكَ.

وَفَلَانٌ فَضِيلَتُهُ وَسِيلَتُهُ، وَشَاهِدُهُ رَائِدُهُ، فَهُوَ وَاحِدٌ بَنِي أَبِيهِ فِي الْعِلْمِ، وَفَرْدٌ
ذَوِيهِ فِي التَّحْصِيلِ وَالْفَهْمِ، حَتَّى إِذَا قُلْتُ: لَا أَعْرِفُ فِي الْأَشْرَافِ - أَيْدَهُمُ اللَّهُ -
بِالْعِرَاقِ مَنْ يُسَاوِيهِ فِي الْمَعْرِفَةِ بَلْ يُدَانِيهِ، قُلْتُ: مَا يَلُوحُ بَيَانُهُ، وَيَقُومُ بُرْهَانُهُ.
وَلَيْسَ مِمَّنْ وَقَفَ لِأَحَدٍ مِنْ مَغَامِسِي^(١) الْأَعْمَالِ أَيَّامَ الظُّلْمَةِ بَبَابٍ، أَوْ تَعَرَّفَ إِلَيْهِ
بَسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ، بَلْ اشْتَغَلَ بِتَدْرِيسٍ أَوْ دَرَاةٍ، وَحَجَّ أَوْ زِيَارَةٍ، وَانْعَقَدَتْ
بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحْوَالٌ، لَوْلَا عِزَّةُ الْهَاشِمِيَّةِ لَقُلْتُ: إِنَّهَا تَفُوقُ اللَّحْمَةَ الْوَاشِجَةَ، وَالرَّحِمَ
الدَّانِيَةَ.

وَكَانَ خَرَجَ إِلَى طَبَرِ سْتَانَ لِمَعِيشَةٍ لَهُ بِهَا مِنْ وَقْفٍ، فَأَقَامَ بُرْهَةً، ثُمَّ أَثَرَ الْأُوبَةِ،
وَقَدْ كَانَ اسْتَسَلَفَ عَنَاءَةً مِنْ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ بِأَصْبَهَانَ بِحَضْرَتِهِ مَجَالِسَ النَّظَرِ

(١) مِنَ الْمَغَامِسَةِ وَهِيَ الْمَدَاخِلَةُ فِي الْقِتَالِ. وَالْمَغَامِسُ الشَّدِيدُ مِنَ الرِّجَالِ، الشَّجَاعُ. يُقَالُ: رَجُلٌ
مُغَامِسٌ، وَأَسَدٌ مُغَامِسٌ. لِسَانُ الْعَرَبِ، ج ٦، ص ١٥٦، ص ١٥٧ (غَمَسَ).

بحضرته، وكلامه لمن شرع في مُكالمته، ورسم مخاطبة الحضرة بذكره، والإنباء عن الرعاية الصادقة لحقه. وعولتُ به على مَوْلَاي كما أعولُ بنفسي، وكشفتُ عن صَفْحَةٍ^(١) ما أعرفُ من فضله، وصحيفة ما أحمَدُ من وده. وغرضه من بين أغراض بني جنسه أن يكونَ ملحوظاً في وطنه من الكوفة بإعزازٍ وتمييز، وإكرامٍ وتقدير؛ / [٩٥ أ] ليظهرَ عليه أثرُ تَخْصُّصِهِ بالعلم الذي أثقُب^(٢) الله في الدَّوْلَةِ القاهرة ناره، ورفع مناره، فإن رأى مَوْلَاي أن يحتمل تطويلي بتطوُّله، ويُسبِغَ عليه وعليّ ثوبَ تَفْضُّلِهِ^(٣)؛ فعل، إن شاء الله.

(١) في الأصل: صفحته.

(٢) (الذي أثقُب) مكررة مرتين في الأصل.

(٣) في الأصل: تطوله.

وله

كتابي وأمرُ حضرة مَوْلانا الأمير المؤيَّد مُستقيمةً، ونَعَمُ اللهُ عليَّ في خِدْمته الشريفة عَظيمةً. والحمدُ لله ربَّ العالمين، وصلواته على نبيِّه محمدٍ وآله أجمعين.

وقد عَوَّدَ اللهُ - عَزَّ اسمُه - أَنْ تكونَ المصالحُ أين سهلت سُبلُها، والمحاسنُ أئى وضحت طرُقُها، منسوبةً إلى أيام الملك السَّيِّد؛ لِيَتَّصِلَ الدعاءُ ما اتَّصلَ الليل والنهار، ويدومَ الثناءُ ما اختلف الظُّلُم والأَنوار، والله يحرسُ دَوْلته القاهرة من شوائبِ القَدَر، ونوائبِ الغَيْر، ويكنفُها بالبقاء ما بقيت الأُمُكنة، ونطقت الألسنة. وكان اتَّفَقَ على تُجارِ أَصْبهانَ، من القَطْعِ في طريق خراسانَ، ما انتشر خَبَرُه، وساءَ على أَكثَرِهِم أَثرُه، وأتتهُم البُشرى بأنَّ القُفُص^(١) الذين باشروا ذلك^(٢) جُدَّ من كِرمَانٍ في طلبهم، وتيسَّرَ الاستيلاءُ عليهم والظَّفَرُ بهم، واقرنت النِّكايةُ فيهم، بارْتِجاعِ ما في أيديهم، وتَصَرَّفوا من الدُّعاءِ لَمَوْلانا فيما اللهُ وليُّ استِماعِه والإِجابةِ إليه، وسألوا أَنْ أَخاطِبَ مَوْلایي شاكراً وراغباً في الإنعام بإعادة بضائعهم إليهم،

(١) القُفُص والبلوص: جماعتان عرقيتان من سلالة واحدة كانتا تعيشان في إقليمي كِرمَان ومكران على الخليج العربي، تاريخهم مشوبُّ بالغموض، حيث لم يكتبوا أي تاريخ لهم، ولا نعرف عنهم إلا ما كتبه المسلمون الذين وصفوهم بأقبح الصفات، ووصموهم بسوء الطبع والأعمال الخسيسة. ويُسمون الآن: كوج وبلوج. انظر: البلوشي، كِرمَان في العهد البويهي، ص ٥٠.

(٢) في الأصل: باشروا من ذلك.

بل التَّصَدَّقُ بها عليهم؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَقْرَبِ أَبْوَابِ الْقُرْبِ، وأدعاهَا إلى الثَّناء الحسن، لا أن مَوْلَاي يُخَوِّجُ مُلْتَمِسَ الْخَيْرِ عِنْدَهُ إِلَى شَافِعٍ، وَلَكِنَّهُمْ عَرَفُوا مَا جَمَعَنَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْوُدِّ الْبَالِغِ، وَعَوَّدَنِي مِنْهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ سَانِحٍ؛ فَمَالُوا مَعَ الْإِسْتِظْهَارِ، وَمِلْتُ مَعَ الْإِسْتِرْسَالِ، فَإِنْ رَأَى مَوْلَايَ أَنْ يَأْتِيَ فِي ذَلِكَ مَا تَحْدُوهُ عَلَيْهِ تِلْكَ الشَّيْمُ الطَّاهِرَةُ، وَالْمَكَارِمُ الظَّاهِرَةُ، وَيَخَاطِبَنِي بِخَبْرِهِ وَأَمْرِهِ؛ فَعَلَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وله

لولا ما أخذته على نفسي، وقدمت فيه نذري، أن لا أمتع علويًا عن مطلبٍ
يتسع له مالي، أو يضطلع به جاهي؛ لكان ما التمسّه أبو عبد الله الحسين بن
العباس الزيدي - أيده الله - من مخاطبة مولاي الشريف - أطال الله بقاءه -
[حرّياً]^(١) أن أستدّم فيه بالمنع، وأدفع / [٩٥ ب] في صدر الإيجاب بيد العذر؛
فمكاتبة من لا يكتب غميرة في العقل، ونقيصة في القدر، لا سيما ممن عسى أن
يقبض بنانه مكاتباً، بقدر ما يبسط راحته واهباً، إلا إذا اتفقت مخاطبة مثله من
الأعيان الأفراد، والأركان الآحاد، ولكن لا بأس، فإنه إن استمرّ على الخلق
الوَعْر؛ جعلتُ كتابي هذا بيضة العقر^(٢).

وبعد - أو قبل - فهذا الشريف حسن الهدى والستر، جميل الطريقة والأمر،
منقطع إلى جانب العفاف والعلم، وأراد المشهد^(٣) - صلوات الله على ساكنه،

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) اختلفوا فيها، فمن قائل: إنها بيضة الديك، ولا ثانية لها قط، ومن قائل: إنها آخر بيضة
للدجاجة، ولا بيضة لها بعدها؛ فتضرب مثلاً للشيء لا يكون بعده شيء من جنسه. الثعالبي،
نهار القلوب، ص ٤٩٧.

(٣) المشهد: مشهد الإمام علي الرضا عليه السلام في خراسان، وهو الذي تُسمى باسمه اليوم مدينة
مشهد في إيران.

ورحمته على زائره - وسأل أن أُصَحِّبَه كتابي إلى الشريف سؤالا، أفضى فيه
الإلحاح، إلى النَّجَاح، والإِتِّحافُ، إلى الإسعافُ. والشريفُ وليّ ما يوليه، كما
يستحقُّه بِنَفْسِهِ وسادتنا من أوليه، إن شاء الله.

وله

قد عَلِمَ سَيِّدِي أَنَّ اهْتِمَامِي بِمَا يَخْصُّ أَعْمَالَهُ، وَيُقَرِّبُ آمَالَهُ، لَا يَتَمَيَّزُ عَنْ
اهْتِمَامِي بِأَمْسٍ مَا أُرَاعِيهِ، وَأَعْمَلُ الْفِكْرَ فِيهِ؛ فَلِذَلِكَ أَسْتَجِيزُ مُحَاطَبَتَهُ، وَمُرَاسَلَتَهُ،
بِمَا هُوَ وَإِنْ ثَقُلَ بَعْضُ الثَّقَلِ، وَزَادَ فِي طَائِفَةِ مِنَ الشُّغْلِ، فَهُوَ أَجْمَلُ مَرْجُوعاً،
وَأَحْسَنُ مَسْمُوعاً. وَمِنْ خَاصِّ ذَلِكَ: أَمْرُ أَبِي الْقَاسِمِ؛ فَهُوَ صَنِيعَةُ ذَلِكَ الْبَيْتِ
وَتَلِيدُهُ، وَرَضِي ذَلِكَ الْجَنَابَ وَعَقِيدُهُ. وَالْعِثَارُ قَدْ يَعْزُضُ ثُمَّ لَا يَسْتَمِرُّ، وَالزَّلُّ قَدْ
يَعْنُ ثُمَّ لَا يَسْتَقِرُّ، وَكَيْفَ جَرَتْ حَالُهُ فَقَدْ فَرَعَ إِلَى ظِلِّي، وَاعْتَصَمَ بِحَبْلِي، وَاعْتَمَدَ
كَلَامِي، وَاسْتَظْهَرَ بِاهْتِمَامِي.

وَسَيِّدِي يَغْطِي بِهَذِهِ الذَّرِيعَةِ عَلَى كُلِّ جَرِيمَةٍ، وَيَقْدِّمُ هَذِهِ الْوَسِيلَةَ عَلَى كُلِّ
عَظِيمَةٍ، وَيَكْظِمُ الْغَيْظَ؛ فَهُوَ أَشْبَهُ بِفَضْلِهِ، وَيَسْتَعْمَلُ الْحِلْمَ؛ فَهُوَ أَلْيَقُ بِخُلُقِهِ،
وَيَعِيدُ أَبَا الْقَاسِمِ إِلَى كَنْفِ إِيجَابِهِ، وَيَحَقِّقُ مَسْرَحَ أَمَلِهِ وَمَسْرَى طِلَابِهِ، فَقَدْ أَنْهَضْتُ
فَلَاناً مَتَحَمِّلاً فِي بَابِهِ، مَا لَا يُسْتَكْثَرُ مِنْ سَيِّدِي بَيْنَ شِفَاعَتِي وَإِيجَابِهِ، فَإِنْ رَأَى أَنْ
يَأْتِي فِي ذَلِكَ مَا هُوَ الْمَعْهُودُ مِنْ مَذَاهِبِهِ، الْمَأْمُولُ مِنْ ضَرَائِبِهِ، وَيَخَاطَبُنِي بِخَبْرِهِ
وَأَمْرِهِ أَنْسَ مَا أَتَرَقَّبُهُ وَأَنْتَظَرُهُ، وَأَوَّلَى مَا أَقْدُمُهُ كَمَا يُوَثِّرُهُ؛ فَعَلْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وله

كتابي - أطال الله بقاء الأمير مولاى - ومولانا مؤيد الدولة - أعز الله رايته،
ونصر كلمته - / [٩٦ أ] ممدود أروقة الملك، معمور أفنية العز. والحمد لله رب
العالمين، وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين.

والأمير بما أوتي من مناقب جمعت محاسن الآراء والحكم، وفضائل السيف
والقلم، يتصور الأمور بصورها، ويتخيل عواقبها من غورها؛ فيعلم أن مولانا
يؤثر له ما هو في الصيت أحسن وأجمل، وفي التدبير أقوم وأعدل، وربما كان بعض
ذلك مثقلاً بعض الثقيل، ولكنه أحزم عند التدبر والتحصيل.

وفلان الرجل نبهت تلك الدولة عليه، وجذب ذلك البيت يديه؛ فكان - ما
أقام - حميد الأسعاء، رضي الأنباء، ثم عرض ما قد يتفق مثله، فإذا حسن نظر الله
وصنعه، أخذ بالفضل من أعز نصره، وأنفذ أمره. ولو لم يكن له بحضرة الأمير
حق محفوظ، ولا ذمام ملحوظ، ولا سبقت خدمة تستعطف الحلم عليه،
وتستصرف الإغضاء إليه؛ لكان التجاؤه إلى هذا الباب العظيم، والظل الظليل،
يمهد له عند الأمير حالاً مستقبلة، ومنزلة مؤتلة؛ وجللت هذه الوسيلة مواقع
الاحترام، وأوردت مشارع الإنعام.

وقد أخرج مولانا فلاناً بذكره، وحمله رسائل في أمره، والأمير يصغي لها
إصغاء مثله، ممن المحاسن في حصنه، والمحامد بين قوله وفعله، ويراجع أكرم
خواتمه في معناه، وأجمل ما يستصفيه ويراه، إن شاء الله وحده.

ولله

وَصَلَ كِتَابُ الشَّرِيفِ؛ فَكَانَ هِلَالٌ عَامٌ، وَزَوْرٌ إِنْعَامٌ، وَعَهْدِي بِمَخَاطَبَاتِهِ
تَفَوُّتُ الْقَدْرِ، وَتُكَاثِرُ الْقَطْرِ. عَلَى أَنَّ الثَّقَةَ بُوْدَهُ تَدْفَعُ فِي صَدْرِ الْعَتَبِ، وَتُوجِبُ
حَمْلَ التَّقْصِيرِ عَلَى كَاهِلِ الْعُذْرِ، وَإِنْ كَانَ الْأَسْفُ عَلَى بَعْدِهِ سَمِيرًا لَا يُجَمِّدُ،
وَسَعِيرًا لَا يُجَمِّدُ، وَقَدْ يَعْتَبُ الزَّمَانُ، وَيَرْعَوِي الدَّهْرُ، وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ.

وَأَمَّا فَلَانٌ فَقَدْ أُنْشِئَ لَهُ أَمَانٌ، لَا يُحْذَرُ مَعَهُ الزَّمَانُ، وَسَيْنَالُهُ مِنْ عَوَاطِفِ
الْجَمِيلِ، وَعَوَارِفِ النَّظَرِ الْحَمِيدِ، مَا يَتَجَاوَزُ أَمَلَهُ، وَيَسْبِقُ مَا طَلَّبَ وَطُلِبَ لَهُ،
وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَحْطَى بِغَيْرِ الْإِحْسَانِ وَالْحَسَنِ، وَقَدْ لَحِقَتْهُ مِنَ الْأَمِيرِ مُلَاحِظَةٌ
أَسْكَنْتَهُ حَرَمًا لَا يُرَاعَى، وَنَالَتَهُ مِنْ فَلَانٍ مُحَافِظَةً أَوْطَنْتَهُ كَنْفًا لَا يُضَاعَ، وَالشَّرِيفُ
شَفِيعُهُ، وَهُوَ الْمَشْفَعُ الَّذِي لَا يُدْفَعُ، وَالْمَتَّبِعُ الَّذِي لَا يُمْنَعُ؟! إِلَّا أَنَّ الشَّرِيفَ يَأْمُرُهُ
بِسُرْعَةِ الْإِنْصِرَافِ؛ فَفِي إِبْطَائِهِ مَا يَبِيعُ جَرَاةَ أَكْفَائِهِ. / [٩٦ ب] وَفَلَانٌ نِعَمَ
الْوَافِدِ، وَالرَّائِدِ، أَلْفَيْتُهُ^(١) حَسَنَ الْفَهْمِ، جَيِّدَ الْوَعْيِ لِمَا يَطْرُقُهُ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَنْ يَرِدَ
عَنْ فُلُقِ الصُّبْحِ، إِلَّا مَنْ اِكْتَسَبَ مِنْ ضِيَاءِ الشَّمْسِ. وَالشَّرِيفُ وَلِيٌّ مُحَاطَبَتِي
بِخَبْرِهِ، وَوُطْرِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(١) فِي الْأَصْلِ: وَالْفَيْتَهُ.

وله

الدول - أطل الله بقاء الأمير - منائح يُداوِلها الله - تعالى - بين الناس، إلاَّ أنَّ في أربابها مَنْ يُجمَعُ به أَمَنَّةُ العامِّ إلى سَعادةِ الخاصِّ، وذلك بفضلٍ يُؤتونه من العِلْمِ والتميز، يَسْتَحلي ثمراتِه أهلُ الشَّرَفِ الأصيل والفَهْمِ الصَّحيح. وذلك مشهورٌ يُرافِدُ العيانُ فيه منقولُ الخبر، ويعاضدُ المشاهدةُ عليه ماثورُ السَّيرِ، والأميرُ من الأفراد الآحاد، الذين خلصتْ لهم الفضائل؛ فسعدَ بهم الأفاضلُ.

والشريفُ الحسينيُّ أبو الحسن علي بنُ محمد - أيده الله - ممن أشهدُ له شهادةً قاطعةً، جامعةً، على تمنِّيهِ أيامَ الأمير حتَّى لولا طلوعُ شَمْسِها لما عاودَ تلك النَّواحي ولا طَرَقَها، ولا راجعَ دارَها ولا سَكَنَها، إلاَّ أنَّ الله حَقَّقَ مُناه، وأراه قُصارى ما كان مُبتغاه؛ فاغتنمَ الخروجَ لأُمورٍ ثلاثة: أولها: كرم الأمير؛ فهو المَفزَعُ والمُنْتَجِعُ، والربيعُ المُرتَبِعُ. وثانيها: أنه يَخْتَصُّ بي الاختصاصَ الذي لولا حُلُولُه من بيتِ النبوةِ ذروةَ النَّسَبِ، ومن مَقَرِّ الوَصِيَّةِ يفاعَ الشرف؛ لقلتُ: إنه الولادةُ أو ألصقُ، والأخوةُ أو أقربُ. وثالثها: أنَّ مَنْ ناهَضَ أملاً، وقَدَّمَ في الرجاء سَلَفاً؛ نازعتهُ نفسُه إلى أن يُشاهدَ مَوَاقِعَ تَأْمِيلِه، محفوفاً بإنجازِ الله وتحقيقه، فإنَّ يكن الأميرُ مشفَعاً لي كتاباً، وعاجلاً للإنجازِ جواباً، فهذا. والأمير مَوْلای يوليهِ، ويوليني فيه ما أعدّه في بِيضِ أياديه، ويصِرُّ فني على أَمْرِه ونَهْيِه.

وله تَنْصَحُ وَتَشْفَعُ

أطال الله بقاء مَوْلانا الأمير، سابغ العِزِّ، ساطع مطالع الملك. والحمد لله،
وصلواته على النبي وآله.

وقد تصوّر - لا ريب - أن مَوْلانا - أعزَّ الله كلمته - يؤثر في الأمور التي
تخص تلك الأعمال ما هو للأمير أوفق، وبرضاه أوقع، وإلى مَباغيه أقرب؛ ولذلك
رَسَم لي أن أخطب بذكر فلان؛ إذ ترك أمره سُدى مما لعل الرأي لا يسوِّغه،
/[٩٧ أ] ومغادرة المتصلين به في جانب الخلاف مما الحزم لا يُرخصه. وإذا
استخلص الجماعة لخدمته، واستفادها إلى طاعته، ووفقها لأمره ونهيه، واستضاف
ما في أيديها من المعامل إلى يده، من دون أثقال تُتجسَّم، وأعباء تُتكلَّف، وأيام
تُندفع، وآجال تُتطاوَل؛ كان ذلك أولى فيما يتجلى لنا من الرأي ويبين، وإن جاز
أن يكون هناك ما يغمض عنا ويغيب.

وكان فلان يُلتمس في معنى فلان ضروباً فيها سرف وشطط؛ فدفع عنها،
ومنع بصريح القول منها، وأُعلِم أن الكلام في ^(١) بابه لا يقع بعد الأحوال التي
وكَّد الله مَبانيها، وثبت رواسيها، إلا من طريق الشفاعة له، وبعد أن يُخلص في

(١) في الأصل: الكلام ما في.

مُوالاةِ الأمرِ نيَّتهِ وعَقْدَه، فلما تَجَلَّتْ له الصُّورَةُ، وتمثَّلَ قَدْرَ المعونةِ، وعَلِمَ كيفَ
يَجِبُ أَنْ يَلْتَمَسَ، وأَقْلَعَ عن أَنْ يَقْتَرَحَ^(١) ويحتكم؛ أَمَرَنِي أَنْ أُخاطِبَ الأميرَ بأنَّ
فلاناً وإن زَلَّتْ به القَدَمُ، فله في ذلك البيتِ الخِدْمَةُ والرَّحْمُ، وهو الرجلُ الذي
كان الماضي^(٢) رَفَعَه، واضطنعه، ونوّه به، ونبّه عليه. وإنما تُسَلَفُ الذِّمَمُ، وتُقَدَّمُ
العِصْمُ؛ لتَنفَعِ عِنْدَ زَلَّةٍ تَتَفَقَّ، وتَنقُذَ عِنْدَ هَفْوَةٍ تَتَجَهُّ، ولولا هذه الحالُ لما عُرِفَ
كيف تُغَلَّبُ الوسائلُ على الجرائرِ، وتُقَدَّمُ الذرائعُ على الجرائمِ، ولا أثرتُ قضايا
الصَّفْحِ، ولا عَلِمْتُ مَزَايا العَفْوِ.

وقد أبى الله إِلَّا سَوَّقَ الأمرَ إلى مَنْ أوتِيَهُ بِحَقِّ، وأُعْطِيَهِ بِفَضْلٍ، فَمِنْ فَرَضِ
إِحْسَانِ الله أَنْ يُتَعَمَّدَ المَسِيءُ بالإقالة، ويُتَعَمَّدَ جَرْمُهُ بقبولِ الإنابة، ويُؤَثَّرَ مِنْ كَرَمِ
الظفرِ ما هو أَلْيَقُ بِآدابِ المَجْدِ والشَّرَفِ. وعسى أَنْ يَكُونَ الصَّوَابُ فِي أَنْ يُسْتَعَادَ
أَمناً على نفسه والمتَّصِلِينَ به، ويُجَرَى فِي حُسْنِ النَّظَرِ والطُّعْمَةِ على رَسْمِهِ، ويمكَّنَ
مِنَ الانفرادِ بحضَانَةِ فلانٍ، ويُجَزَى ما يُسَمِّي له على يَدِهِ؛ لِيُوفِّي الأمرَ فَرَضَ
التَّعَبُّدِ، ويبدَلَ المهجَّةَ في ضُروبِ التَّقَرُّبِ، ويقوِّدَ الذينَ فِي حِصْنِي كَذَا وكَذَا إلى
تَسْلِيمِهِما، والنُّزُولِ عَنْهُما.

وهذا أَمْرُ الأميرِ مَوْلَايَ أَعْرِفُ بِمُضَارَّهِ وَمَنَافِعِهِ، وَمَصَالِحِهِ وَمَفَاسِدِهِ، فَإِنْ
اسْتَوْفَقَهُ؛ أَنْعَمَ بِتَعْرِيفِي إِيَّاهُ؛ لِأَتَوْسَطَهُ وَأَتَوَلَّاهُ؛ فَإِنَّهُ يَجْمَعُ قِضَاءَ ذِمَامٍ مَنْ شَبَّ فِي

(١) في الأصل: يعترج. والصواب ما أثبتناه.

(٢) يقصد الأمير.

خُدْمَة سَلَفِهِ وَشَابَ، وَدَرَجَ فِي تَحْمُلِ الْبِيَجَارِ^(١) لَهُمْ إِلَى أَنْ شَاخَ، وَهُوَ مَعَ تَظَاهُرِ
الْحَرَمَةِ مُسْتَظْهَرٌ بِأَصْرَةِ اللَّحْمَةِ، وَاسْتِصْفَاءِ بَقِيَّةِ تِلْكَ الْقِلَاعِ مَعَ عِظَمِ قَدْرِهَا،
وَفَخَامَةِ ذِكْرِهَا، وَإِزَالَةِ شُغْلِ الْقَلْبِ بِهَا؛ / [٩٧ ب] إِذَا الْأَمْرُ إِذَا أُمُكِّنَ قَوْدُهُ إِلَى
الْمُرَادِ مِنْ طَرِيقِ مُكْثَبَةٍ^(٢)، وَمَنَازِلِ مُصْحَبَةٍ^(٣)؛ فَلَا وَجْهَ لِتَحْمُلِ الْكُلْفِ، وَمُدَافَعَةِ
الْمُدَّدِ، وَتَرْكِ النَّظَرِ فِي الْعَوَاقِبِ وَالْعُقُبِ.

وهذه الأحوال إذا رآها الأمير مَوْلَايَ وَأَمْضَاهَا؛ جَمَعَ إِلَى مَا اقْتَصَصْتُهُ
الاستمدادَ من اعتدادِ مَوْلَانَا، فَيَمْنِ اسْتِجَارِ بِالْكَرَمِ الَّذِي لَا يُضَاعَ آمِلُهُ، وَالْحَرَمِ
الَّذِي لَا يُرَاعُ نَازِلُهُ، وَقَدْ خَاطَبْتُ فَلَانًا بِمَا يَذْكُرُهُ، وَالْأَمِيرَ بِتَدْبِيرِهِ، وَيُدَبِّرُهُ، فَإِنْ
رَأَى أَنْ يَتَفَضَّلَ، وَيَتَمَثَّلَ مَا قَلَّتْهُ فِي مَعْرِضِ مَا يُرَادُ الْحِظُّ فِيهِ لِأَعْمَالِهِ، وَاجْتِمَاعِ
كَافَّتِنَا فِي صَفَقَةِ اخْتِيَارِهِ، وَنَظْمِ الْكَلِمِ مِنْ أَهْلِهَا عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْإِصْفَاقِ عَلَى
مُنَاصَحَتِهِ؛ فَعَلْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ.

(١) انظر ص ١٢٤ من هذا الكتاب، حاشية (١).

(٢) في الأصل: مكثب.

(٣) في الأصل: مصحب.

أَبَابُ السَّادِسِ عَشَرَ
فِي نَوْصِيَةِ الْعُمَالِ بِجَلْبُوسِ الْمَلِكِ
وَلِيْظِمِهَا الْعَفَافُ وَحَسَنُ السِّيَاسَةِ

كتابُ ضُرٍّ ونَفْعٍ

كتابي، ونَعَمْ اللهُ بِالْحَضْرَةِ الْعَالِيَةِ متواليَّةً، والكَلِمَةُ - بحمد الله - عَالِيَةٌ.
والحمد لله، وصلواته على نبيِّه محمدٍ وآله.

وَرَسَمَ مَوْلَانَا الْمَلِكُ أَنْ يُعْرِفَ انْتِقَالَ معاملةِ مَاهِ الْكُوفَةِ^(١) إِلَى دِيْوَانِ مُؤَيَّدِ
الدَّوْلَةِ، وَإِنِّي اسْتَوْهَبْتُكَ لِتَبَاشِرَ مِنْ مَهْمِّي مَا اعْتَمَدُ لَهُ قِيَامُكَ، وَأَرْضَى فِيهِ مَنَابِكَ،
وَأُخْرِجْتُ إِلَيَّ بَوَاقٍ مِنَ الدِّيْوَانِ الْمَعْمُورِ اعْتَدَّ بِهَا عَلَى وَكَيْلِ مَوْلَانَا. وَيَجِبُ أَنْ
تَبَاشِرَ الْعَمَلَ مُبَاشَرَةً مِثْلِكَ، وَتَقِيَمَ فِيهِ غَايَةً جِدَّكَ، وَتَسْتَنْفِدَ نَهَايَةَ طَوْقِكَ
وَوُسْعِكَ، وَتَجْعَلَ مِنْ أَوَّلِ كَدْحِكَ وَهَمِّكَ أَمْرَ الْعِمَارَاتِ، وَالزَّرَاعَاتِ؛ فَإَيَّامُهَا قَدْ
ضَاقَتْ أَوْ فَاتَتْ أَوْ كَادَتْ؛ وَتَرْفَهُ الْأَكْرَةَ لِيُقْبِلُوا عَلَى تَمَكِّنِ ثُلَاقِي^(٢) الْحَالِ بِهِ
.....^(٣)، وَاسْتِحْفَازِ ارْتِفَاعِ سَنَةِ سَبْعِينَ مَعَهُ. وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ عَتَا يَلْحَقُهُمْ، وَلَا

(١) اسم يُطلق على مدينة الدَّيْنُور، وقد مرَّ سببُ تسميتها بذلك في ص ١٢١.

(٢) في الأصل: تَمَكِّنِ ثُلَاقِي.

(٣) كلمة مطموسَة.

عذر الآن بعد نفوذ الخطاب العالي بانتقال المعاملة، وتضمن العمل بالبقايا ما تضمن إيجابها للوكيل.

وهذه البقايا عليك حراستها وتحسينها، وما احتجت من ذلك فيه إلى مزيد استثمار، فإنه إلى الشيخ مولاي، فإنه - أدام الله عزه - رسم تقرير هذه البقايا وجمعها للوكيل، وناب فيها عن مولانا مناب المخلص الخسيس. وأنا أنتظر ما تأتية، وتركي شهادتي فيه؛ فقد كتبت إلى حضرة مولانا بوصفك، وذكرت سابقاً / [٩٨ أ] حَقَّك، وقلت: إني أستوهِبُك لما عرفتُه من سدادك، وحسن قيامك بما يُفَوِّضُ إلى منابك.

وفلان يزيدك توقيفاً وتعريفاً؛ فقد فاوضته ما علمت أن الشفاه فيه أبلغ وأنجع. وأشع مع ذلك في الرعية - حرسها الله - ما خرج به الأمر العالي - أنفذه الله - وعدهم عن كرم مولانا مؤيد الدولة بالإحسان والإنعام، والعدل والفضل، وعني بما يضاهي هذه السيرة الشريفة، وتقتضيه أمثلة الدولة السعيدة، وأبلغ في تألف الأكره والمزارعين، واستعادة الشاردين، ما هو قوائم الصلاح، ونظام السداد، وواتر كتبتك إلي، على نسق الأيام، وقد أمرت أن يُنسخ لك - آخر كتابي - الفصل من الحساب المتسلم من الديوان المعمور، بذكر البقايا المختصة بعملك؛ لتعرف ما يلزمك في ذلك.

وله

وَرَدَ مِنْ مَوْلَايَ أَبِي فُلَانٍ بِذِكْرِ عُمَالِ الْأَرْضَادِ^(١) مَا كَانَ تَطَلُّعِي وَقَفًا فِي سُبُلِهِ،
وَفَكْرِي مُوَكَّلًا بِهِ؛ فَلَمْ يَقْنَعْنِي مَا أَتَاهُ، وَلَمْ يَكْفِنِي مَا كَفَاهُ؛ فَإِنْ ذَلِكَ الْكُوَيْتَبَ
دَامَتْ أَيَّامُهُ فِي الْعَمَلِ، وَطَالَتْ بِهِ نَوَازِعُ الْأَمَلِ، وَغَرَّهَ لَيْنُ الْمَعَامَلَةِ، وَأَمِنَ خُشُونَةَ
الْمُقَابَلَةِ، وَاسْتَعَانَ بِكُلِّ مُتَبَرِّمٍ بِيَمِينِهِ، مُحْاطِرٍ بَوْتَيْنِهِ^(٢)، لَا يَنْزِعُ عَنْ ذَمِيمِ سَجِيَّتِهِ.

وَسَبِيلُ سَيِّدِي أَنْ يَتَجَرَّدَ لِلْجَمَاعَةِ بِنَفْسِهِ، وَيَسْتَكْشِفَ أَحْوَالَهَا بِجَدِّهِ، وَيَسْمَحَ
لْخُصُومِهَا فِي الْمَقَالِ، وَيُصْنَعِي [إِلَى]^(٣) مَا يُرْفَعُ عَلَيْهَا مِنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ، ثُمَّ يَجْمَعُ
لْجُنَاتِهَا بَيْنَ التَّغْرِيمِ، وَالتَّنْكِيلِ وَالتَّقْوِيمِ، حَتَّى يَسْمَعَ الْأَبَاعِدُ عَنْهُمْ تَضَاعِيهِمْ،
وَالسِّيَاطُ تَمْشُقُ فِي ظُهُورِهِمْ، وَتَخْطُ عَلَى جُنُوبِهِمْ، وَتَرْسُبُ فِي مَفَاصِلِهِمْ، وَتَخْتَضِبُ
بِالْعَبِيطِ مِنْ جَوَارِحِهِمْ.

وَالرَّصْدُ لَيْسَ بِذِي أَصْلٍ تُرَدُّ إِلَيْهِ رَفُوعُهُ^(٤)، وَلَا ارْتِفَاعُهُ بِمَا تُنَبِّهُ عَلَيْهِ نَقَائِصُهُ

(١) مرّ التعريف بالأرصاد ص ٥٦.

(٢) الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه. لسان العرب، ج ١٣، ص ٤٤١ (وتن).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) كذا في الأصل. والرفوع هي الارتفاعات، أي ما يرتفع من الولايات من أموال. وقد مرّ هذا
المصطلح كثيراً. وانظر فهرس الألفاظ والمصطلحات الحضارية آخر الكتاب. وربما كانت
تصحيفاً لـ (فروع) بدالة سبقتها.

وخصومه^(١)، وإنما هو نُفْضَةٌ أوقات، وفرصٌ لمحات، فإذا لم تكن على الأيدي
أغلالٌ مخافة، وحدائدٌ مهابة، فالمال نهب ارتفاق، وعرض إنفاق؛ إذ هذه الطائفة
عبيدٌ أيامها، ومبذرة حطامها في وجوه آثامها، وإن لم تراع أحوالها طراد
الساعات؛ نُظِر من الارتفاع في أعقاب نجوم غائرات.

(١) خصوم - هنا - : جمع خصم: وهو ما يخاصم من الأموال.

وله

/ [٩٨ ب] كتابي و مولانا الأمير كما يؤثره علاء نجم، ومضاء حُكم، وأنا سالم في ظلّ إنعامه، وغانمٌ بشرفِ استخدامه. والحمدُ لله ربّ العالمين، وصلواته على النبيِّ محمدٍ وآله.

ووصلَ كتابُك تذكر ما تيسر لك من نظمِ مالِ الحُمْل وإصداره، والبلوغ في الاجتهادِ إلى أبعدِ آماده، وتوفُّرك على ترويج ما خصَّ ومسَّ من التَّسبيب، وتشكو مُعاملة بني حامد وما يتصرَّفون فيه من ذَميم المذاهب، وفهمته.

وقد كان سيّدي أبو العباس^(١) أنهى حُسْنَ تصرُّفك، وحميدَ تحقُّقك، وفضلَ جدِّك، وتَصْيِيرَ التَّقَرُّبِ كُلِّ وَكُدِّك، فاستمدَّ لك من الإحماد أوفرَ الحظوظ والأقسام، ومن الرضا أكمل السَّهام والأقساط. وأنتَ - أيَّدكَ الله - أوجهُ أمثالك محلاً، وأوجبهم حقاً، وأكثرهم تحمُّداً، وأشدُّهم بي تحقُّقاً، وحرماًتكَ تقتضي لك من الرِّعاية أمدها ظللاً، وأردّها فضلاً. وإنَّ وسائلَكَ لتُخاطبني دائماً مستمداً إيجاباً، ومستجدةً إطلافاً، فتصوِّر هذه الحال مثابراً على عمارتها بالانكماش على ما عمر الناحية واستدرَّ الأموال، وبَسَطَ العَدْلَ في الرعايا، وحسم أطماع المتصرِّفين.

(١) لعله أبو العباس الضبي.

وفلانٌ قد كتبْتُ بتقديمِ موافقته، وإنفاذِ ما يتقرر من محاسبته، وعذرُك في التأخر عن أصبهانَ مقبول، ولمثلِ ما اعتذرت به أعفيتُك من ورودِ الحضرةِ العاليةِ في عاجلِ الحال، وإن كنتُ سأستفيدُك للزيادةِ في الرفعِ منك، والتَّوَيه بك، بمشيئةِ الله.

وفلان قد عرفتَ مكانه لديّ، وقُربَ محلّه إليّ، وإني أعدُّه في مَشايخِ أهلِ وُدِّي، وأقدِّمه على أكثرِ مَنْ يتحقَّق بي، وقد عادنا؛ فاعرفْ له قدره، وفخْمَ أمره، وتوخَّ محابّه، وتحرَّ مسارّه، وأجلَّ منزلته عن أن تقعَ معارضةٌ أو تحكُّمٌ فيما يقضي به ويراه، وأجرِ أمرَ مُشاهرتِه في الإطلاقِ والإسلافِ على ما يقترحُ، وكما يلتمسُ، فإنك لا تكاد تتحمَّد إليّ فيما يخصُّني بما هو أوقعُ من هذا وأحمدُ، وعرفه ما خاطبتُك به، بل اعرضه عليه بفصّه، واعلمْ أني لو على قدرِ الاهتمامِ أطلتُ الكتابَ؛ لنظمتُهُ قدرَ المسافة.

وأما فلانٌ فداؤه معك داءُ الحاسِد، وما أبعدَ دَواءه، وأعسرَ شفاءه، وسبيلُك أن تستوفيَ الحقَّ قبلَه من غيرِ إغْناتٍ ولا إرْهاق، وتتركَ ما يفعلُه أصاغرُ الناسِ من استِجازهِ الظُّلمِ للتَّشفي؛ ففي العَدلِ مقنعٌ، بل في أقلِّ منه مُتَّسعٌ، / [٩٩ أ] وما أمكن أن تتركَ الضياعَ في يده ويَدِ وَلده، فلا تقبضْ عليها، ولكن بعدَ أن يصحَّ الواجبُ عنها. ومولانا إنما يُحْظَر في بابهِ الاعتداءُ، فأما استيفاءُ حُقوقِ يَبِّ المالِ فلا عتبَ فيه عليك، والتسويغُ فلا وجهَ للتنكُّدِ دونِ إجرائه، إن شاء الله.

وله

إلى عاملِ ناحية

كتابي ومولانا الأمير المؤيد - فيما يُعلي الله من جدّه، ويرفع من يده - على ما
يؤثره، ونحمدُ الله عليه ونشكره، وأنا معافٍ بدولته، راغبٌ في الصّلاة على النّبيِّ
محمدٍ وعترته.

ووصلَ كتابك بذكرِ ورودِك الناحية، وما شاهدته من اضطرابِ أحوالها،
وتناهي اختلالها، وامتدادِ الأيدي والأطباعِ إلى ارتفاعِها، ووقوعِ التّقصيرِ في
تنفيقي غلاّتها، إلى سائرِ ما لخصّته، وشرّحته، واقتصصته، ووصلته بإنهاء الصّورة،
وتقديمِ المشورة، وفهمته.

وقد كان ذلك الرجل - عفا الله عنّا وعنه - اعتلّ، في مبدإِ ورودِهِ الناحيةَ
واختلّ، ورُبَّ أمرٍ قدّره أحوطٌ وأعود، لم يكن أوفقَ ولا أرفقَ. وإنما تظهرُ كفاءةُ
الكُفّاءة، وجزالةُ العمّال والولاة، إذا أصلحوا الفاسدَ، وثقفوا المائدَ، وتلافوا
الفارطَ، وتداركوا الفائتَ. ولهذا أزعجتُك من يزد^(١) مع حاجتي إلى مُقامك بها،
ولزومك لها، غيرَ أني قدّمتُ أخصّ الأمرين، وأمسّ المهمّين، وسيلُك أن تُفرغَ

(١) مدينة كبيرة من إصطخر في إقليم فارس. السمعاني، الأنساب، ج ٥، ص ٦٨٩؛ ياقوت، معجم
البلدان، ج ٥، ص ٤٣٥.

الطاقة، مستنفداً لجدِّك، ومُستنزفاً لوُسْعِكَ، فقد مثَّلتُ بحَضرة مَوْلانا من أَمْرِ العمل، ما تخلَّله من الخَلَل، فليس يلزمُكَ عَهْدُهُ ما لا تطيقُهُ، ولا يعودُ عليك دَرْكُ ما لا تستطيعه.

والصَّوابُ أنْ تعتنقَ الأمرَ اعتناقَ مَنْ لا يُعوِّلُ فيه على الإحالة، ولا يركنُ إلى الحُجَجِ الشاذَّة، ولا يقولُ: سأُباشرُ راضياً بعفوه، وأخذاً لصفوه، فما اتَّجه من أثرِ حَسَنِ كان جماله لي، وما دخلَ من^(١) وهنٍ وتقصيرٍ كان عازره على المتولِّي قبلي - فليس لهذا أَرِدَت، ولا بهذ الشريطة اعتمدت، ولم أورد ذلك والظنُّ متوجَّهة إليك، وحسنُ الظنِّ مُنصرفٌ عنك، بل لأنَّ الهزَّ والتحريك، ربما كانا^(٢) خيراً للمخاطب من المدح والتقريض، ولستُ أدعُ بعثَ أكثرِ أصحاب / [٩٩ ب] التَّسبيبات، على قبضِ صَدْرٍ من الغلَّات، بعد أنْ لا يُتجاوزَ في السعر القانونُ القائم، فَرَضُهُمْ على هذا قاصداً ما يستتبُّ به الأمرُ، ويزول معه الشغل، ومَنْ كان من المتولِّين قد تخطَّى طريقَ الأمانة والصَّحَّة، إلى الخيانة وسوءِ الثقة؛ فلا تدعِ المبالغة في استكشاف أمره، حتَّى إذا وضح ما ظُنَّ به؛ بالغتَ في الإنكار عليه، والتنكيل به، على قَدَرِ ذَنْبه، ومقتضى جُرْمه، وطالعتني بجلية فعله.

وجملةُ من القول: إنَّ عصامَ بنَ أحمدَ وإنْ كان قَصُرَ أو قَصَّرَ فما سرقَ ولا

(١) في الأصل: في.

(٢) في الأصل: كان.

تَحْيِفُ، وَلَا تَوَلَّى زَرَاعَةً مَا اسْتَمَرَّهَ عِنْدَ هَذَا الدَّخْلِ. وَالْبَلَدُ بَارْتِفَاعِهِ وَمُتَصَرِّفِهِ
مَوْكُولٌ إِلَيْكَ، مَعُولٌ فِيهِ عَلَيْكَ، وَالْقَدْرُ الَّذِي يَقَعُ مِنَ التَّفَاوُتِ بَيْنَ تَقْدِيمِ الْكُيُولِ
وَتَأْخِيرِهَا، وَتَنْفِيقِ الْغَلَّاتِ وَتَرْتِيبِهَا مَعْرُوفٌ. وَلِهَذَا الْفَصْلُ الْوَاحِدُ وَكَلِمَتُ
وَاسْتُكْفِيتَ، فَأَعْطِ النَّصِيحَةَ حَقَّهَا، وَوَفِّرْ عَلَيْهَا حَظَّهَا، وَهَبْ لِيْلِكَ وَنَهَارِكَ،
وَاشْغَلْ أَوْقَاتَكَ وَسَاعَاتِكَ بِهَا، وَعَرِّفْنِي مَا تَأْتِيهِ وَقْتًا وَقْتًا، وَتَدَبَّرْهُ أَمْرًا أَمْرًا، وَقَدْ
كَفَانِي مَا أَخْبَرْتَنِي بِهِ فِي اخْتِلَالِ الْأُمُورِ، وَاضْطِرَابِ الشُّؤْنِ، فَاجْعَلْ آئِنَ مَا
تَخَاطَبُ بِهِ بِذِكْرِ مَا تَسْتَصْلِحُهُ وَتَسْتَدْرِكُهُ، وَتَتَلَفَاهُ وَتَنْظُمُهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْعَزِيزُ.

وله

في نَفْسِي أَنْ أَخَاطِبَكَ مِنْذُ زَمَانٍ بِخَطِّي، فلم يَتَّفَقْ ذَلِكَ؛ لَتَرَاكُمِ عملي وشغلي،
فَالصُّورَةُ مُتَغَيِّرَةٌ عَمَّا عَهِدْتَ، والحَالُ بخلافِ مَا شَهِدْتَ؛ لَأَنَّ مَوْلَانَا أَلْبَسَنِي
أَثْوَاباً مِنَ التَّشْرِيفِ والاعْتِمَادِ، والإِيثَارِ والإِحْمَادِ، زائِدةً على مَا تَطَوَّقْتُهُ عِنْدَ
حُضُورِكَ مِنْ إِكْرَامِهِ، وَقَسَمَ لِي مِنْ فَوَائِدِ إِنْعَامِهِ، فلا يَكَادُ يَتَّفَقُ أَمْرٌ، أو يَعْرِضُ
نَفْعٌ وَضَرٌّ، إِلَّا آثَرَ أَنْ أَبَاشِرَهُ ^(١) بِنَفْسِي، وَأَفْصَلَهُ فِي مَجْلِسِي، والله يَحْفَظُ عَلَيَّ ظِلَّهُ،
وَيَدِيمُ لِي رَأْيَهُ، وَيَقِيمُنِي بِحَقُوقِ خِدْمَتِهِ، وَيُعِينُنِي عَلَى شُكْرِ نِعْمَتِهِ.

وقد أَكْثَرَ السُّعَاةُ بِذِكْرِكَ، وَأَقَامُوا الْأَسْوَاقَ فِي أَمْرِكَ، وَجَرَى فَلَانٌ عَلَى عَادَتِهِ
فِي تَشْقِيقِ الْكُتُبِ، وَبَثَّ الْفُيُوجَ وَالرُّسُلَ، وَمتى رَأَى فَخَامَةً أَلْفَاظِهِمْ، وَضَخَامَةً
أَدْرَاجِهِمْ ^(٢)، ربما قَدَّرَ وِراءَهَا تَحْصِيلاً، وَظَنَّ بَعْدَهَا خيراً كَثِيراً - وَعَرَفُوا مَا أَرَاهُ
بِكَ، وَأَوْجَبَهُ لَكَ؛ / [١٠٠أ] فَخَرَجُوا عَلَى جَمِيعِ مَا خَاطَبُوا، فِي إِخْفَاءِ مُحَاطَبَاتِهِمْ
عَنِّي، وَطَيِّهَا دُونِي، وَطَرِيقُهَا - كَيْفَ دَارَتْ - عَلَيَّ، وَمَصَبُّهَا - أَيْنَ جَرَتْ - إِلَيَّ،
وَقَدْ بُذِنَتْ فِي وَجْهِهِمْ، وَرُدَّتْ فِي صُدُورِهِمْ، وَأَنْشِبَتْ فِي حُلُوقِهِمْ، وَكُسِرَتْ فِي
نُحُورِهِمْ.

(١) فِي الْأَصْلِ: أَبَاشِرَ. وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَاهُ.

(٢) جَمَعَ دَرَجَ: وَرَقَ لِلْكِتَابَةِ.

وعرفَ مَوْلانا وليُّ النِّعمِ أنهم يَميلونَ على جانبِ السَّعاية، ويعتلقونَ أزمَّةَ^(١)
الوشاية؛ فلم يرفع بها حكى عنهم طَرْفاً، ولم يشغل بها وَرَدَ منهم سمعاً.

ولعلَّهم حضروا هناك فلاناً فشغلوا قلبه، وأوقروا أذنه، حتَّى خاطَبَ بعضُ
النَّاسِ بُرْقعةَ خائفٍ وَجِلٍ مما أُلقيَ إليه، مَرعوبٍ حَذِرٍ مما زُخِرَ لديه. وأَجَبْنَاهُ بما
أراه صورةَ القَوْمِ واضحةً، وأدَلَّةً على طريقتهم لائحة. وعليّ - يا سيِّدي - حِفْظُ
غَيْبِكَ ما أَمَدَدْتَنِي بِنُصْحٍ لهذا المَلِكِ تَوَثَّرَهُ، وَجَمِيلٍ تَوَثَّرَهُ، وَعَدَلٍ تَبَسَّطَهُ، وَمَكَانٍ
تَعَمَّرَهُ، فلا يقدحَنَّ في نفسِكَ ما تأتيه هذه الفِرْقَةُ، ولا يثلمَنَّ في صَدْرِكَ ما تجنيه
هذه العُصْبَةُ؛ فَسَعِيْهَا باطلٌ، وَكَيْدُهَا خامِلٌ. ولا وجهَ - أيضاً - لأنَّ تُظْهَرَ هذا؛
فتجعلَ لما ارْتَكضُوا فيه وزناً، أو توهمَ أنه مما يشغلُ فِكْراً، وداوِ أَمْرَكَ بدوائه،
وعالجَ عَمَلَكَ بعلاجه، واشتغل بالتَّقَرُّبِ إلى مَوْلانا وليِّ النِّعمة وقد رَفَعَكَ،
وَأَنْبَتَكَ واصْطَنَعَكَ.

وإذا وَصَلَ الحَمْلُ الذي أريد أن يكون الهمُّ أَجْمَعُ موهوباً له، ومقصوراً عليه،
ومشغولاً به، وجارياً معه، فقد تَوَصَّلْتُ إلى الزيادة في الدُّعاء لك؛ تقويةً لِمُنْتَبِكِ،
وإضعافاً لِحَسَدَتِكَ.

وقد شافهتُ فلاناً بما لم يجز أن أسطرَّه، ولم يَصْلُحْ أن أضْمِنَّه ما أَصْدَرَهُ. ومحلُّ
فلانٍ من مَوْلانا لطيف، ومكانه من رأيه - أعلاه الله - قريب، فهو متجاوزٌ رتبةً

(١) في الأصل: أذمة، تحريف.

الحُجَّابِ إِلَى مَنْزِلَةِ النَّدَمَاءِ وَالشُّمَّارِ. وَسَبِيلُ تَسْبِيهِهِ أَنْ يَكُونَ مُرَوَّجاً، وَمَا لَهُ أَنْ
يَكُونَ مُقَدِّماً، وَلَا بَأْسَ إِنْ كَاتَبْتَهُ وَبَاسَطْتَهُ، فَلَمَّا يَخْلُفُكَ بِهِ مِنْ مَنَابٍ جَمِيلٍ مَوْقِعٌ
أَحَبُّهُ لَكَ وَأَوْثَرُهُ فَيْكَ، وَتَكْتُبُ لِأَرْبَابِ النَّظَرِ أَجْمَعَ بِمَا أَنْفَذْتَهُ مَعَ فُلَانٍ، فَلْيُيَدِّمُوا
الدُّعَاءَ لِهَذَا الْأَمِيرِ عَلَى ^(١) حُسْنِ رِعَايَتِهِ، لِكَافَّةِ رَعِيَّتِهِ. وَالسَّلَامُ.

(١) فِي الْأَصْلِ: عَنْ.

وله

وَصَلَ كِتَابُكَ وَعَرَفْنَا مَا ذَكَرْتَهُ فِي الْأَبْوَابِ أَجْمَعِ، وَاسْتَدَلَّلْنَا مِنْهُ وَمِنْ سَائِرِ مَا وَرَدَ عَلَى رِضَاكَ مِنْ نَفْسِكَ بِالتَّجَوُّزِ، وَمِنْ الْمَعَامِلِينَ بِالتَّحَكُّمِ. وَلَيْسَ لِهَذَا نَصَبْنَاكَ، أَوْ بِهَذَا أَمَرْنَاكَ، تَذَكَّرْ مَرَّةً أَنَّ الْمُقَاتِلِينَ يَمْتَنِعُونَ مِنَ التَّزَامِ الْعَبَرِ^(١)، وَيُطْمَعُونَ فِي وَقَعٍ / [١٠٠ ب] نَظَرُ، وَتَزَعُمُ تَارَةً أَنَّ الْقُبَاضَ الثَّقَاتِ لَا يَوْجِدُونَ بِقَاشَانَ^(٢)، وَتَلْتَمِسُ إِخْرَاجَهُمْ مِنْ أَصْبَهَانَ، وَتُنْهِي إِلَيْنَا أَنَّ أَهْلَ رَاوَنْدِ^(٣) يَتَكَرَّهُونَ خُرُوجَ غُلَامٍ إِلَيْهِمْ، وَوَلَايَتَهُ كَجَارِي الْعَادَةِ عَلَيْهِمْ، وَتَحْكِي عَنْهُمْ مَا يَقْتَضِي التَّأْدِيبَ، وَيَسْتَدْعِي التَّقْوِيمَ.

وقد استظهرنا هذا الخطاب فيما أنكرنا، ففارق طريقة التواني والمقاربة، واعدل عن سمت التضييع والمراقبة، وخذ نفسك باستيفاء الحقوق وإجباؤها عن آخرها، واجتمع مع أبي منصور على تهذيب الأمور وتثقيفها، ومن كانت عليه مقاطعة، في السنة الماضية، فهي الآن له أوجب وألزم، فلا تحل عن أحد معقوداً، وطالبه بهال الصهان موفوراً. وأما القبض فالزم كلاً من وجوه البلد، وثقات

(١) انظر ص ٩٩ حاشية (١).

(٢) انظر ص ١٠٠، حاشية (١).

(٣) بليدة قرب قاشان وأصبهان. ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩.

الناحية، وتُتَاء^(١) الصُّقْع تَوَلَّى طائفةً منه، فإن كَرِهَ أحدهم القيامَ بذلك؛ فليُقيمَ صاحباً له، مسكوناً عنده، يلتزمُ عهده، ويودعُ خطّه الديوانَ بدركٍ ما يصير في قبضته.

وأما أهلُ راوُندَ فحذّرهم مما أجروا إليه، وأزجرهم عن معاودة ما اجترأوا عليه، فليس للرعيّة أن تختارَ العزَلَ والتَّولية. وأمّا الغلمانُ والفُرسانُ المقيمون هناك للحماية، فأزحَ عِلَّهم في المشاهرة والجراية، وأنفذَ درَجَ كتابك عريضةً بأساميتهم وأصنافِ المقرّر لهم، والاستقبالِ الذي أزحت عنه في مُعاملة سنة ثمان عِلَّهم، بمشيئة الله. وتشدّد في أمر الغلات، واحظُرْ نُقلها إلى الحوْمة، على جاري الرّسم في كلِّ سنة.

ومتى انتهيتَ إلى بابٍ، وقبضُك عاتقٌ عن إثيانِ الواجب منه، فاذكره لأبي الوفاء وأبي منصور، فما عندهما انقباضٌ لأمرٍ، ولا اعتصامٌ بعذر، واعملْ على أن تغنى عن الهزّ والبعث، والتحريكِ والحثِّ، بما تستأنفه من جدٍّ واستنفادٍ للوسع، فإنّا - مع استحقاقِ الأرضِ بما تنظمُ - نحاسبُ على النّقيير، ونعاقبُ على القُطْمير، فرأيتُك.

(١) تناء: جمع تاني: الدهقان. قال السمعاني: التاني نسبة إلى التّناية (التّناء) وهي الدّهقنة، ويقال لصاحب الضياع والعقار: التاني. الأنساب، ج ١، ص ٤٤٣. وأصله في اللغة: قَطَنَ وأقام. وبه سُمّي التاني الذي هو المقيم ببلده. وتُتَاء الكورة: أهلها وسكّانها. تاج العروس (تناً).

وله

كتابي - يا سيدي - والأمور بهذه الحضرة - أدام الله بهجتها - على غاية الاستقامة، والحمد لله، وأنا مُعافٍ بدولة مولانا الأمير مُؤَيَّد الدولة، والشكر لله.

وقد كتبت إليك يا مولاي كتاباً [ما]^(١) تمكّنت من إشياعه^(٢)، ولا قدرت على استيفاء أبوابه؛ شغلاً مني بمهمات، وفّرني مولانا عليها، واعتمدني لها.

وورد كتابك؛ فحسبته خلص إليّ من / [١٠١ أ] أثناء النجوم؛ توقّعا لما تحمله من ذكر المال واجتماعه، والوقت المقدّر لإصداره، فيزول عتب مولانا عنك، وتحول استزادته إحماداً لك، فأخلف ظني، وأخطأ تقديري. وعلاّم الغيوب يشهد بما يتزاحم على قلبي من أصناف الانزعاج متى رأيته - أدام الله تمكينه - مُستبطئاً لك، مُستقصراً لفعلك، بعد الرضا التام، والمحمة الشديدة، والتقريط الجم، والأوصاف البليغة. وقد - يشهد الله - بُت ما أمكن، وقمت بالعدر ما اتّجه، ثم تراخي أمر المال في أضيق وقت، ومع أمس حاجة، حتى رأيت ما أورده في الاحتجاج عنك يكاد يولد عليّ ضجراً، فأُسكِت، وتركت الكلام لوقته وصمت. وأرجو أن يُيسّر الله - بلطفه - حمداً وافراً كثيراً، يقع موقعاً لطيفاً، ويسدّ مسدداً عظيماً، فييسط من لساني ما انقبض، ويُطلع من استرسالي ما عزب.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل: إشياعه.

وبالأمس أُخْرِجَ مُحَمَّدٌ خَلِيفَةُ الْحَاجِبِ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - إِلَى مُسْتَقَرِّكَ - يَا مَوْلَايَ -
بكِتَابٍ أَطْلَعْتُهُ وَاخْتَصَرْتَهُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا رَسَمَ، وَبَسَطْتُهُ وَإِنْ حَذَفْتَ بَعْضَ مَا مِثْلَ.

وَأَنْتَ - يَا مَوْلَايَ - أَحْزَمٌ وَأَعْرَفٌ مِنْ أَنْ تُبَصِّرَ مَوَاضِعَ الرُّشْدِ، وَتُدَلَّ عَلَى
سَوَاءِ الْقَصْدِ، فَنَاشِدْتُكَ - يَا سَيِّدِي - أَنْ تُبَيِّضَ ^(١) وَجْهَ إِخْوَانِكَ، وَأَهْلَ وَدَّكَ،
بِحَمِيدِ صُنْعِكَ، وَجَمِيلِ رِفْدِكَ، فَإِنَّ الْأَمْرَ إِنْ تَرَخِيَ يَسِيرًا، أَوْ تَدْفَعُ قَلِيلًا، أُخْرِجَ
أَبُو الْوَفَاءِ الْحَاجِبُ عَلَى الْجَمَازَاتِ، مُسْتَدْعِيًا لِلْمَالِ وَمُقْتَضِيًا، وَوِطْأَتُهُ تَثْقُلُ،
وَمُؤُونَتُهُ تَعْظُمُ، وَالْقَالَةُ تَقْبُحُ، وَالصَّدِيقُ يَجْزَعُ، وَالْحَاسِدُ يَشْمَتُ. وَمَا يَبْعَثُنِي عَلَى
هَذِهِ الْإِطَالَةِ إِلَّا الْضَنْ بِمَحَلِّكَ، وَالْمَنَافَسَةُ فِي وَدَّكَ، وَالْحَرْصُ عَلَى بَقَاءِ مَوْقِعِكَ،
مِنْ وَلِيٍّ نَعْمَتِنَا وَنِعْمَتِكَ، وَمَالِكٍ مُهَاجِنًا وَمُهَاجَتِكَ.

وَأَرْجِعُ لغير هذا: قَدْ عَرَفْتَ مَوْلَانَا مُودَعَ كِتَابِ فُلَانٍ إِلَيْكَ، وَبَطْلَانٍ مَا أَحَالَ
بِهِ عَلَيْكَ وَقَرَّرْتُ الصُّورَةَ فِي تَوْفِيرِ الْمَضْرُوفِ إِلَى الْفُيُوجِ ^(٢) عَلَى تَمَامٍ وَوُفُورٍ. وَأُحْمَدُ
الْغَلَامُ أَنْتَظِرُهُ، وَأَنْتَ - يَا مَوْلَايَ - لَا تَوَخَّرُهُ؛ فَرَبِّمَا اتَّفَقْتُ نَهْضَةً، فِي أَقْرَبِ مَدَّةٍ.
وَإِذَا لَمْ تَلْحَقْنِي تِلْكَ الْمَادَّةُ مِنَ التَّسْبِيبِ؛ وَقَعَ تَنْقُصٌ فِي الْأُهْبَةِ، وَكُتِبُكَ مَتَوَقَّعَةً،
وَأَرْجُوهَا لَا تَتَأَخَّرُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(١) فِي الْأَصْلِ: إِنْ لَمْ تَبَيِّضْ.

(٢) انْظُرْ ص ١٦٦، حَاشِيَةُ (١).

وله

قد^(١) كَاتَبْنَاكَ ابْتِدَاءً وَجَوَاباً بِمَا قَصَرْنَا عَلَى ذِكْرِ الْمَالِ وَحَمْلِهِ، وَمَسَاسِ الْحَاجَةِ
وَدَعَائِهَا، وَأَعْلَمْنَاكَ أَنَّ مِثْلَكَ يُقَدَّمُ وَيُرْفَعُ، وَيُوَلَّى وَيُضْطَنَعُ لِمِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي
التَّقَرُّبُ / [١٠١ ب] فِيهَا فَرَضَ عَلَى الْخَدَمِ وَالْأَشْيَاعِ، وَبَذَلَ الطَّاقَةَ مَعَهَا حَتَّمُ
عَلَى الْمُتَصَرِّفِينَ وَالْأَتْبَاعِ، وَضَيَّقْنَا عَلَيْكَ سُبُلَ الْمَحَاجَزَةِ وَالتَّأْخِيرِ، وَأَبْهَمْنَا دُونَكَ
طُرُقَ الْمَدَافِعَةِ وَالتَّقْصِيرِ، وَحَضَضْنَاكَ عَلَى مَا تَحْصُلُ بِهِ الْمَحْمَدَةُ الدَّائِمَةُ، وَتُدَّخَرُ
عَنْهُ الْخُطُوَةُ الصَّادِقَةُ.

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّكَ قَدْ جَدَدْتَ وَاجْتَهَدْتَ، وَقَمْتَ وَقَعَدْتَ، وَاضْطَرَبْتَ
وَاحْتَلَّتْ؛ وَاسْتَخَرَجْتَ وَتَمَحَّلْتَ، وَأَنَّ حَمْلَكَ هَذَا يُوْفِي عَلَى كُلِّ الَّذِي حُمِلَ مِنْ
تِلْكَ النَّوَاحِي وَعُهُدَ، فَنَهَضْتُنَا تَقَرُّبَ - بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ - وَالْمَوْزُنَ - كَمَا تَعْلَمُ -
تَثْقُلُ وَتَعْظُمُ، وَمَا مِنْ أَوْلِيَانَا وَحَاشِيَتِنَا إِلَّا مَنْ قَدْ وَعَدْنَاهُ بِهَذَا الْحَمْلِ وَمَنَيْنَاهُ،
فَلْيَكُنْ بِحَيْثُ يَسُدُّ مَسَدًا عَظِيمًا، وَيَقَعُ مَوْقِعًا لَطِيفًا، وَأَظْهَرُ مَا يُعْرِفُ مِنْ كِفَايَتِكَ
وَعَنَائِكَ، وَمُنَاصَحَتِكَ وَوَلَائِكَ، وَأَعْرِضْ عَنِ الرَّاحَةِ، وَارْفُضْ الدَّعَاةَ، وَاسْتَغْنِ
بِالْمَعَامِلِينَ، وَجِدَّ بِالْمَخَالِطِينَ؛ فَالْقَلِيلُ لَا يُقْنِعُ، وَالْيَسِيرُ لَا يُنْجِعُ، وَالَّذِي يُرْضِي
مِنْكَ التَّكْثِيرُ وَالتَّوْفِيرُ، وَتَجَنَّبُ الْاِقْتِصَادَ وَالتَّعْذِيرَ.

(١) فِي الْأَصْلِ: وَقَدْ.

وقد دعت الصورةُ إلى ضرورة^(١) متابعة الكتب ومُظاهرة الرُّسل، وأخرجنا هذا الركابيَّ بعد أن أمر بالإسراع والتعجُّل، وحذَّر من الإبطاء والتلُّوم، ونحن نتوقَّع كتابك بمبلغ الحمدِ وقتَ صَدْرِهِ، فالحالُ تمنع دون احتمالِ المطاولة، والإحالة على الحواجز المانعة^(٢)، والعوارضِ الشاغلة، والأيام - بل الساعات - محصورةٌ معدودة، ومُحصاةٌ عليك محسوبة، إلى أن تُسقطَ عنا الشغلَ، وتخطَّ الكَلَّ، وتقدِّمَ الحملَ؛ فإنَّ التَّوانيَّ إنَّ عرضَ في ذلك عَرَضَ بمكانك لدينا، وتخيِّفَ حُقوقَك علينا، وبعثَ على أمورٍ أنتَ بحزمك وتيقُّظك تُغني عنها، ولا تُخوِّج إلى شيءٍ منها، إن شاء الله.

(١) في الأصل: الضرورة.

(٢) في الأصل: الممانعة.

وله

عاد الجوابُ عَمَّا خاطبْتُ به الأستاذ؛ فأفاد سُكوناً إلى سلامته، وَفَرَّ اللهُ منها حَظَّهُ، وَحَفِظَهَا وسائرَ ودائعها عِنْدَهُ، وأعقب انزعاجاً؛ لتأخُّرِ المال عن الوقت الذي قَدَّرْتُهُ، وتَعَذَّرَ حملُه على ما التمسْتُهُ وأرَدْتُهُ، وبالله ما أرتاب، بمنابِ الأستاذ في هذا الباب، وإن استبطأتُ واستزدت، وراجعتُ وعاوَدْتُ، غيرَ أَنِّي أَحِبُّ أَنْ يُخْضَرَ من عزائمه أَدْعَاها إلى تَسْهِيلِ^(١) ما أُوْثِرُهُ، ويُعْمَلَ من لطائفه أَدْنَاهَا من تقريبٍ ما أنتظره؛ ليتسَهَّلَ - بعونِ الله - التعجُّلُ إلى هذا البيجار^(٢)؛ فالإبطاءُ عنه عَجْزٌ، والتأخُّرُ دونه / [١٠٢ أ] ضَعْفٌ، وترك السَّبْقِ إليه وَهْنٌ.

وإن اتفقت حالُّ أفصح فيها عن طاعتي للأَمِيرِ السَّيِّدِ وَلِيِّ نِعْمَتِي فهذه؛ كيلاً يحسبَ صنائعهُ، لديَّ ضائعة، لا تصادف زكاءً، ولا تنتج غناءً. وإن قَرَّبَ انكفاءُ الأستاذ فهو ما أقترَحُهُ، وأحرصُ عليه وأحبُّه؛ ليكونَ ما أوردته وأصدرته^(٣) عن رأيٍ منه ومَشُورَةٍ، واستضاءَةٍ بما يشحذُ من بصيرة، ويقوِّي من عزيمة. والأستاذ - أدام الله عزَّه - يُنْجِزُ ما وَعَدَ في استِصْحابِ أكثرِ ما تَتَّسَعُ له المقدرة، وتَتَوَجَّهُ فيه الحيلة؛ فالنهضة لا تُمكن، والخواصُّ على استبطاء، والعِلْمَانِ على اقتضاء، لا سِيَّما

(١) في الأصل: تسهَّلَ.

(٢) انظر ص ١٢٤، حاشية (١).

(٣) في الأصل: وأصدر.

والأمرُ المواجه يقتضي الزيادة في الإحسان^(١)، ويبعث على مُضاعفة النَّظَر
والإنعام؛ ليباشروا الخطب بصدورٍ منسوحة، وآمالٍ منبسطة.

ثم الله - تعالى - وليُّ إنجازِ مواعيده، بحسب ما يعرفُ من نيات عبده، وهو
المأمولُ لإدامة أيامِ مَوْلانا الأميرِ السَّيِّدِ عاليِ الكلمة، مُتظاهرِ البسطة، ساميِ
الرأية، باقيِ الدَّعوة، لا ترتقي هَمُّ الأيامِ إلى ذروة عِزِّه، ولا يُحُلُّ الزمانُ عُقْدَةَ
مُلْكِهِ، إنه فعَّالٌ لما يريد.

فإن رأى الأستاذُ أنْ يديمَ إيناسي بكتِّبه، ويعلمني أنْفَ ما يتجسَّمُه، ويتطوَّعُ
به، ويؤثره في أمرِ المال؛ لا اعتدَّ بحسبه، ويقفني على خَبْرِهِ، ويُباسطني في مُهمِّه؛
فعل.

(١) في الأصل: الإحسان به.

وله

عادَ الجوابُ عن كتابي إليه بِذِكْرِ المالِ المطلقِ للخَوَاصِّ، وما وصفه في حالِ النّاحية، وارْتِفاعِها، والنُّجومِ التي يقع الاستِداءُ عنها؛ فانزعجتُ وقلقتُ، واستبطأتُ واستزدتُ، وعجبتُ من حُؤُولِ الأستاذِ عَمَّا عرفتُه، وألفَتُه، في الشَّمْرِ لما يعرُضُ من مُهمّاتي لديه، ويُلقني من مآربي إليه. وقد علم أنّ الإنظارَ والانتظارَ بمكانٍ، ما كانت الأمورُ ساكنةً، والجيشُ هادئةً، وأنّ الحربَ لا تُمهّلُ، والخطبُ [لا]^(١) يُنظرُ، والرجالُ لا تجهّزُ للقتالِ، إلّا بالأموالِ.

وإذا كان الأميرُ السَّيِّدُ قد أمرني بالاستعدادِ للخروجِ، واستعجلني للنُّهوضِ، وعَوَّلَ بدواوينِ خَوَاصِّي على مالِ أرَّجان^(٢)، وكتبَ الأستاذُ بأنّ مدّةَ حُصوله شهرانٍ، فهل إلى النّهضة سَبِيلٌ، وهل إلى امْتِثالِ المرسومِ طريقٌ؟! ألا يعلمُ الأستاذُ أنّ المجمعَ الذي يهابُ بي إليه مجمعُ يرمقه الوليُّ / [١٠٢ ب] المناصح، ويرقبه العدوُّ الكاشح؟! وأنّ خواصِّي إذا لم يباشروا تلك الحالَ بأحسنِ زينة، وأجمل هينة، وأوفرِ عدّة؛ تَصَوَّرَتْ بصورة يُتفادى منها، ولا يُصبرَ على الغضاضة فيها؟!

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) مدينة في إقليم فارس في الجنوب الغربي من إيران. وعامة العجم يسمونها أرغان. انظر ما كتبه عنها ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ١٤٢.

ولم يكن الأمير السيد ليعول بي على مال^(١)، أبوابه مُرتجّة، وطُرُقُه مُبْهَمة، وليس للحيلة فيه مَسَاغٌ، ولا لِلتَّمَحُّلِ في تحصيله مجال. وما أدفع ما قاله الأستاذ وأوردَه، وشرحه ووصفه. غير أنّ كُورة أَرْجان لا تضيقُ، وقد حَصَرها الأستاذ، إذا جَدَّ واجتهد، واحتال ولطف، عن القَدْرِ المطلق لأصحابه، لا سيَّما وهو مَصْرُوفٌ إلى أجمع الجهات لحُظوظِ الدَّوْلة، وأدعاها إلى جمال المملكة.

والذي يزعجني ويُحْوجُّني أنّ الذِّكْرَ قد اضطربَ باستدعائي إلى الباب لهذا المهمِّ، فإنَّ وَقَعَ في حَمْلِ المال تأخيرٌ، أو أبطأ به تَعْذِيرٌ، وتأخَّرْتُ عن مُزاولة الخطب؛ لم أدِرِ إلى ماذا يُنسَبُ تأخُّري، وعلى أي وَجْهٍ يُحْمَلُ هذا. ولو احتجْتُ إلى الخروج منفرداً لما أبطأتُ عن موقفٍ أبْذُلُ فيه مُهْجَتِي عن مالِكٍ رَقِي ونَعْمَتِي، والأستاذ يقضي الحقَّ كُلَّهُ في هذا الأمرِ، ويتَوَخَّى ارْتِمَانِ أَقْصَى الشُّكْرِ في هذا الوقت، ولا يدعُ طريقاً يُفْضِي إلى ما التمسْتُ إلّا سَلَكَه، ولا يغادرُ ظَهراً يُدْني مما حاولتُ إلّا ركبَه، فما اعتدَّ ما تحمَّله إلّا معونةً تكلَّفَها من خالصِ ماله، ولا يظنُّ ما بسطتُ من القَوْلِ عن سوءِ ثَقَةٍ بمعتقدِهِ، أو صرفِ ظَنَّةٍ إلى إشفاقه، غير أنّ السُّمْعَةَ التي تخوَّفْتُها، والقالة التي تحامَيْتُها، تَصَوَّرَتَا لي؛ فبعثتا على ما كتبتُ، واستفزَّتا لما أوردتُ، وأنشده الله ونعمة الأمير السيد أن يترخَّص في مُطاوَلَةٍ أو مُدافعة، أو يُحْجَجَ إلى مُرافعةٍ ومُراجعة، فقد وثق لي ما أعرُفه من حرصه على

(١) في الأصل: أموال.

مَسَرَّتِي، وَتَنَكُّبِهِ لَمَّا يَنْتَجُ وَخَشْتِي بِأَنَّ كِتَابِي يَحْضُرُ عَلَى تَقَرُّبِ الْبَعِيدِ، وَيَهْزُ لِتَسْهِيلِ الْعَسِيرِ.

وَلَعَلَّ الْأُسْتَاذَ يَفْكَرُ فِي أَنَّهُ إِذَا أَجَابَ إِلَى مَا أَرَدْتُ بَعْدَ الْعُتْبِ، وَحَصَّلَ مَا أَتَطَلَّعُ بِتَصْرِيفِ الْعَامِلِينَ بَيْنَ الرَّفْقِ وَالْعُنْفِ، ظَنَنْتُهُ - أَيْدَهُ اللَّهُ - قَصَّرَ عِنْدَ أَوَّلِ مَا خَاطَبْتُهُ، ثُمَّ تَشَمَّرَ لَمَّا عَاتَبْتُهُ، وَمَعَاذَ اللَّهِ؛ إِنَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ مُخْبِرٌ بِصَدَقِ فِي ذَلِكَ، مُتَشَمِّرٌ لِقَضَاءِ حَقٍّ. وَسَاعَاتِي مَوْهُوبَةٌ لَتَرْقُبِ مَا يَكْتُبُ - أَيْدَهُ اللَّهُ - مَقْصُورَةٌ عَلَى أَنْتَظَارِ مَا يَرِدُ مِنْ جِهَتِهِ، وَإِذَا تَفَضَّلَ بِهَا ابْتِغَايَتُهُ؛ كَانَ قَدْ رَهَنَ عِنْدِي مَنَّةً تُوفِي عَلَى الْمُنَنِ الْغَرَّ، وَتُرَبِّي عَلَى الْأَيَادِي / [١٠٣ أ] الزُّهْرُ، وَتَوْجِبُ مِنَ الْإِحْمَادِ مَا لَا تَأْخُذُ الْأَيَّامُ جِدَّتَهُ، وَمَنِ الْاِعْتِدَادِ مَا لَا يَتَحَيَّفُ الزَّمَانُ مَادَّتَهُ. فَإِنْ رَأَى أَنْ يَوْفَرَ فِكْرَهُ وَخَوَاطِرَهُ، وَآرَاءَهُ وَهَمَمَهُ، عَلَى تَوْجِيهِ هَذَا الْمَالِ - فَمَا يَحْسِبُ حَالاً كَهَذَا ^(١) يَنْبِئُ بِهَا عَنْ عِنَايَتِهِ بِمَا عَنَانِي، وَاهْتِمَامِهِ بِمَا خَصَّنِي - فَعَلَّ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(١) فِي الْأَصْلِ: لِهَذِهِ.

فصل

قرأتُ كتابك - أطل الله بقاءك - فانبسط لساني بالمناب، واتَّجه لي الخطابُ في كلِّ باب. وأوردتُ على مَوْلانا ما وَجِب، واصفًا لِنَيْتِكَ وطاعتك، وبذلك في رِضاه أَقْصى اسْتَطاعتِكَ، ومَحَبَّتِكَ للتَقَرُّبِ نِهايةَ جِدِّكَ ومَقْدِرَتِكَ. وتصرَّفتُ في وَصْفِ ناحيتك، وشمول الكَساد لِغَلَّاتِها، على كَثرةِ آفاتِها، وشرحتُ صُورةَ غَلَّاتِ المجاور، وكيف يَبْعَثُ بالرُّخصِ، وَصُرِفْتُ بالوَكُوسِ، وقلتُ: إِنَّ مَعوَّلَكَ في تَوَجُّيه ارتفاعك كان على ما يمتارُه أَهلُ كِرْمان^(١)، فإنهم الآن كالمستغني عن نُجْعَتِهِ، لَخُصْبِ بِلَدَتِهِ.

ووقع ذلك أَجْمَلُ مَواقِعِ القَبولِ، وزال - يعلمُ الله - عني شغلٌ عظيم، وسقطَ دوني هَمٌّ كبير، فالْمَطْلَعُ على ما تُجِنُّ القلوبُ، وتجمَعُ الصُّدورُ، يشهد مساهمتي إياك، وعنايتي بما عَنَّاكَ، ومَحَبَّتِي لَزِيادِ صورتك جمالاً عند وليِّ نِعْمَتنا ونِعْمَتِكَ، وإني إذا رأيتُ توجيهُ أَذْنِي عَتَبِ إِيْلِكَ، وتسليطَ أَيْسَرِ اسْتِبْطَاءِ عَلَيْكَ؛ حَرَجَ صَدْرِي، وذَهَبَ عَلَيَّ أَمْرِي، وإذا شَاهَدْتَ أَحْمَادَهُ، وقد تَوَفَّرْتُ عَلَيْكَ، وَرِضاهُ، وقد حَسُنَ عَنكَ؛ قَوِي قَلْبِي، وَشُدَّدَ مِنْ أَرْزِي. والسلام.

(١) كِرْمان (بكسر الكاف، وقيل: بفتحها): ناحية كبيرة معمورة ذات بلاد ومدن وقرى، تقع بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، وجنوبيها الخليج العربي. السمعاني، الأنساب، ج ٥، ص ٥٦؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥٤.

الكتاب السَّابِعُ عَشَرَ

فِي التَّوَلُّدِ وَالْمَوْتِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ
وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ

كتاب

وَصَلَ أَنْفًا مِنْ خِطَابِكَ مَا آنَسَ مُتَنَاوِلًا [و] ^(١) مَفْضُوضًا، وَمَقْرُوءًا
وَمَعْرُوضًا، وَسَرَّني الله - تعالى - بعافيتك، لا زالت مُرْتَبِطَةً لَدَيْكَ، مُسْتَضْجِبَةً
أَقْسَامَ النِّعْمَةِ إِلَيْكَ. واعتدلتُ بما وَعَدْتَنِيهِ عَنْ نَفْسِكَ - أمتع الله بها، ودفعَ
المحاذِرَ عنها - إِدْمَانًا لِلْمَكَاتِبَةِ، واستمدادًا مِنَ الْآدَابِ بِالْمُوَاطَبَةِ. وأرجو أن يكونَ
الإنجازُ مِنْ هَمِّكَ، والوفاءُ مِنْ عَزْمِكَ، فما اقْتَنَى امرؤُ ^(٢) ولا اقْتَنَيْ لَهُ أَفْضَلُ مِنْ
عِلْمٍ يَنْوَهُ بِاسْمِهِ، وَيَنْبَهُ عَلَى قَدْرِهِ، وَيَزِيدُ فِي قِيَمَةِ نَفْسِهِ، / [١٠٣ ب] قضاءً مِنْ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ^(٣) - رضي الله عنه - حين قال: قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ ^(٤)، وكَلَّا أَنْ
يَقُولَ: مَا يَمْلِكُ. وقد تَقَدَّمتُ فِي بَابِ فُلَانٍ بِمَا اقْتَضَاهُ كِتَابُكَ فِي مَعْنَاهُ، فَأَدِمْ
مَسَرَّتِي بِمَا تَدِيمُهُ؛ مُرَاعَاةً بِأَخْبَارِكَ، وَمُنَاجَاةً بِأَوْطَارِكَ، إِنْ شَاءَ اللهُ.

(١) زيادة يقتضيها التناسب.

(٢) في الأصل: لمرو.

(٣) يعني: علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٤) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص ٢٧.

وله

كتابي - أطل الله بقاء الشيخ - عن سلامة في النفس، أسأل الله صلّتها
بسلامة العافية، وحسن الخاتمة، وأن يلفظ لنا في تخليص النفوس من الشبهات،
كما هدانا في دينه الذي ارتضاه بالبينات، وأحمده قبل وبعد على إفضاله، وأسأله
الصلاة على النبي وآله.

ووصل كتاب الشيخ؛ فسررت - يشهد الله - باسمه موقعاً على عنوانه، ثم
بخبر سلامته؛ فإني أعتده جمالاً لإخوانه وزمانه، وإني لأتحسر على قربهِ وجواره،
وأأأسف على ما يفوت من شفاهه وجواره، وأرجوه لا ينسانا في الدعاء؛ فإننا لا
نساه في الثناء، ومتى اجتمع عندنا أهل العلم، ذكرنا لهم ما خصه الله به من الفضل.

وعلى هذا الذكر فقد كان هذا البلد من البلاد المستغلقة على أهل عدل الله
وتوحيده، والتّصديق بوّعه ووعيده. هذا وفي فقهاءه وفور، وفي الفضل به^(١)
ظهور، وقد أعان الله على بث كلمة الحق، وسمع الأكثر على لين ورفق، وليس
تمنعني كثرة شغلي من الانتصاب في بعض ليالي للمذاكرة والتّبيين، والتكشيف
والتخليص؛ فقد صلح خلق كثير، والحمد لله رب العالمين، وبه نستعصم من
أفعال، لا تشبه الأقوال، وهو حسبنا في كل وقت وحال.

والشيخ - أدام الله عزّه - يسر بمخاطباته، ويؤنس بخبره، وخبر أبي سعد،
- أعزّه الله - وعارض حاجاته، إن شاء الله.

(١) في الأصل: فقهاءها... بها.

وله

إلى أهل الصَّيْمَرَةِ^(١)

كتابي - يا إخواني ومشايخي - عن سلامة تجمع النَّفْسِ والذِّين. والحمدُ لله ربَّ العالمين، وصلواته على النبيِّ محمدٍ وآله أجمعين.

وَوَصَلَ كِتَابُكُمْ؛ فَسَرَّني بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ من استقامةِ أحوالِكُمْ، وسألتُه^(٢) أَنْ يبلِّغَكُمْ في دينكم ودُنْيَاكُمْ غايةَ آمالكم مُتَوَقَّعاً؛ / [١٠٤ أ] إذ كنتم - بحمد الله ومنَّه، وطَوَّلَه وفَضَّلَه - المشتهرين^(٣) بالذَّبِّ عن تَوْحيد الله وعدله، وصِدْقِه في وَعْدِهِ ووَعْدِهِ، وكان بلدُكم من بين البلاد كَغُرَّةِ أدهم، وشهابٍ في ليلٍ مظلم، وما في النِّعَمِ أَجَلٌ مَوْقِعاً، وأهناً مَشَرَعاً، من النِّعْمَةِ في القولِ بالحقِّ والدُّعاءِ إليه، والتدبُّن به والبُعْثُ عليه، ومَهَانَةٍ من شَبَّهَ اللهَ بخلقه، فتتابعَ في جَهْلِهِ، أو جَوَّرَه في فعله، فشكَّ في حُسْنِ نَظَرِهِ وطَوَّلَه. والحمدُ لله الذي جَمَعَ على الصِّدْقِ^(٤) آراءنا،

(١) الصَّيْمَرَةُ: موضعان، أحدهما بالبصرة على فم نهر معقل، وفيها عدة قرى، والثانية بلدٌ بين بلاد الجبل وخوزستان، على يسار القاصد من همذان إلى بغداد. وقد وصفها ياقوت. معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٣٩. ولعل الثانية هي المقصودة هنا.

(٢) يريد: سألتُ اللهَ.

(٣) في الأصل: المنتهزين.

(٤) في الأصل: على كل الصديق.

وحى من مكائد الشيطان أهواءنا، يزيدنا تسديداً وتأييداً، وتثيتناً وتمهيداً،
ويوفقنا لمصالح الأعمال، كما وفقنا لمصالح الأقوال.

وكان في الواجب أن أبدأكم بالمواصلة، والمكاتبه والمراسلة، ولكنكم سبقتم
إلى الجميل كما توجبه أديانكم الصحيحة، ونياتكم الصريحة. نسأل الله اجتماعاً
حيث لا فرقة، وأنساً حيث لا وحشة، فإنما نحن له وبه، ونواصينا في ملكه وبيده،
إليه نفوض، وبه نستعين، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وقد عرفت شكركم لفلان؛ فاعتقدت له عن ذلك وداً وعهداً، وأوجبْتُ
شكراً ومحمداً، ووجدتني المخصوصَ بها أزل^(١) إليكم، واستمدَّ به عليكم، وقد
خاطبته معتداً بما أتاه، حاضاً على إتمام ما أنشاه.

وأنا أسألكم - أيديكم الله - أن تُسهِموا لي في أدعيتكم ليلاً ونهاراً، وسيراً
وجهاراً؛ ليكفين الله شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، ويختم لنا بخير أفعالنا، ويتابع
ألطافه في تخفيف المآثم، وردِّ المظالم، وتجديد التوبة، والتحرُّز من الحوبة.

ولولا أن الرسول خرج مستعجلاً لأُصحبته بعض ما صَنَفْتُ، وأبليتُ
وألَفْتُ، وقد أمرتُ بجميع ما أُستصلحه لكم، وسينفذ من بعد - بمشيئة الله -
إليكم. ومما أسركم به: أن الجبر^(٢) خصوصاً كان استولى على هذه البقاع، فحين

(١) أزل: أسدى.

(٢) في الأصل: الخبر، والأرجح ما أثبتناه، فالمقصود مذهب الجبرية.

يَسِّرُ اللَّهُ وَرُودِي إِيَّاهَا؛ انْكَشَفَتِ الشُّبُهَةُ، وَزَالَ الْعَمَةُ، وَقَوِيَ الْحَقُّ وَأَهْلُهُ، وَرَجَعَ
كَثِيرٌ مِّنَ الدِّينِ هُمَّةً، وَلِلَّهِ الشُّكْرُ، وَلَهُ الطَّوْلُ وَالْمُنُّ، فَلَا تَدْعُوا مَكَاتِبِي بِأَخْبَارِكُمْ،
وَحَاجَاتِكُمْ وَأَوْطَارِكُمْ.

وله خُطْبَةُ نِكَاح

الحمدُ لله ناظِمِ الأَشْتَاتِ، ومُسَبِّبِ الأَرْحَامِ المتشابكاتِ، وجامِعِ القُلُوبِ / [١٠٤ ب] بعدَ افتراقها، ورادِّها عن تَبَايُنِها لَاتِّفَاقِها، حَمْدًا يُزَلِّفُ لَدَيْهِ، وَيُقَرِّبُ إِلَيْهِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى الصَّادِعِ بِأَوَامِرِهِ، وَالدَّالِّ عَلَى زَوَاجِرِهِ، مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَخْيَارِ.

وإنَّ أَحَقَّ ما اسْتَعْمَلَهُ الخالون^(١)، وَلَحَقَ بِهِ التالون: كَتَبُ اللهُ الَّذِي تَعَبَّدَ بِهِ عِبَادَهُ، وَأَظْهَرَ فِيهِ مُرَادَهُ، فَمِمَّا حَضَّنَا عَلَيْهِ، وَأَهَابَ بِنَا إِلَيْهِ: طِيبُ النِّكَاحِ، الْمُغْنِي عَنْ خُبْتِ السَّفَاحِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ﴾ الآية^(٢).

وذكر فلان بن فلان عقيلتكم فلانة بنت فلان خاطباً، وبذل لها من الصَّدَاقِ رَاغِباً، فَخَذُوا بِأَدَبِ اللهِ؛ إِجَابَةً إِلَى مَا حَاوَلَهُ، وَتَصَدِيقاً لِمَا أَمَلَهُ، خَارَ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ.

(١) في الأصل: العالون، تحريف. والمقصود: الماضون السابقون.

(٢) سورة النور، من الآية ٣٢، وتكملتها: ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ^٤ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ^٥ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ^٦﴾.

الْبَابُ الثَّامِنُ عَشَرَ
فِي غُرُورِ وَتَوَقُّعِ الْغُرُورِ

فصل

ذلك إذا تسهّل زاد في تراجع الأعداء على أعقاب الحُسور، وأدراج الإقصار والقُصور، وقد تقرّر من الأمر، ما يوجب عليّ إدامة الشكر؛ إذ كنتُ - يشهد الله - أفرّض طاعة الأمير على نفسي فريضةً، لا أريد عنها سوى إحماده مَعُوضَةً.

توقيع

ما حسبتُ فلاناً وإن علّت حكّمته، وارْتفعت كلمته، يشجّع لتأخير المرسوم لفلان، وهو يعلم كيف تخصّصه بي، وتقذّمه أكفائه في مجلسي، وأنه من لا يكادُ يبعد ليلاً ونهاراً عن مرّمي طرّفي. وقد تلحقُ العامي السّكرة، إذا ملكته من الإهمال نشوة، فأنبهه من رقدته قولاً، قبل أن أنبّهه فعلاً، وليعدّ ذمّ فلانٍ له حمداً، أستبدل من الإعراض عطفاً. والسلام.

فصل

مُطاولة سيّدي تُستلذّ، وتقطّيعُ ساعات الصّوم بمثلها يُستحبّ، ولكنّ

الشمس قد عادت كالمرآة في كَفِّ الأشل، كأنَّ الأرض تجذبها بمرَس، وتكسوها
السماء لباسَ ورَس، وآخرُ دعواي أن الحمد لله ربَّ العالمين.

فصل

فلانٌ قد أغلق بابي الأداءِ والحمل، وسهّل طريقَي التأخيرِ والمطل، وأجرى
/ [١٠٥ أ] أصحابَ التَّسيبات مجرى واحداً في التأخر والمنع، وصارت الكتبُ
تصدر إليه، فيعيّرها عيناً عمياء، وأذنأ صمّاء. ويجب أن تُبهم عليه طرق المدافعة،
وتأخذ دونه بمنافذ المطاولة، ولا تقنع بمواعيد، قد استراح إلى اتّصالها، وأخذ
ينجزها بأمثالها.

فصل

مؤلاي يعلم أن فلاناً خدمني صغيراً وكبيراً، وفارق صاحبه، ليس لأنّ
مرّعه كان جديباً، ولكن^(١) ليزداد إمراعاً، وقد ازداد عندك إمعاراً^(٢)، فليأذن له
سيّدي في العود إلى حضرتي؛ لئلا يُطلّ حقّه، ويهدر ذمامه، إن شاء الله.

(١) في الأصل: وليكن. وهو تحريف.

(٢) الإمعار من أمعرت الأرض: لم يكن فيها نبات. لسان العرب، ج ٥، ص ١٨١ (معر).

تَوْقِيعٌ إِلَى عَامِلٍ

بَلَّغْنِي أَنْكَ عَزَمْتَ عَلَى تَفْرِقَةِ غَلَّةِ السُّلْطَانِ فِي الرَّعِيَةِ كُرْهًا، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لَكَ، وَلَا أَمْرَكَ سُلْطَانُكَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - وَلَيْتَ مَا فَعَلْتَهُ عَامًّا لَمْ يُفْعَلْ، فَإِنَّ عَادِيَّتَهُ كَثُرَتْ، وَعَائِدَتُهُ قَلَّتْ. فَأَجِرْ - أَيَّدِكَ اللَّهُ - أَمْرَ الْقَوْمِ فِي الرِّفْقِ وَالْإِحْسَانِ مَجْرَاهِمِ الْأَوَّلِ، بَلْ زِدْهُمْ بِحَسَبِ زِيَادَةِ إِحْسَانِ اللَّهِ عِنْدَ مَوْلَانَا وَعِنْدِي فِي خِدْمَتِهِ، وَأَشِعْ ذَلِكَ؛ لِتَكْتَسِبَ النُّفُوسُ عَنْ ضَعْفِهَا قُوَّةً، وَعَنْ خِيفَتِهَا أَمْنَةً.

فَصْلٌ

وَصَلَ فَلَانٌ الْيَوْمَ بِوُصُولِ الْحَمْلِ:

فَلَمْ أَذِرْ أَنَّ الْحَاجِيَّةَ وَضَلُّهَا عَلَى الْقَلْبِ أَحْلَى أَمْ نَزُولِي عَلَى نَجْدٍ؟
وَأَنَا مِنْذُ الْغَدَاةِ أَسْأَلُهُ عَنْ أَخْبَارِ مَوْلَانَا، فَكَأَنِّي أَجْدَحُ الْمِسْكَ فَتِيقًا، وَأُصْبِحُ
الرُّوْضَ أَنْيَقًا، لَا زَالَتْ أَخْبَارُ مَوْلَايَ أَنْفَاسَ الْأَسْحَارِ.

فَصْلٌ

أَبُو فَلَانٍ مُشَاهِدُهُ أَبْعَدُ مِنَ النُّجُومِ، فَلِمَ ذَلِكَ؟ أَلَا أَنَّهُ مِنْ عَنَائِتِي عَارٍ، أَوْ مِنْ
إِجَابِ مَوْلَايَ خَالٍ، أَوْ لَكثْرَةِ مَنْ يُسَاقِقُهُ فِي الْخَفَّةِ وَالْقُرْبِ مِنْ مَجْلِسِي إِذَا ثَقُلَ

بعض أعضائي على بعض، وتبرّمتُ بالنظر إلى الأرض؟ وليس الحملُ عندي
بعذر، فإنَّ ما له عنه بمعزل ومعدل. ومَوْلَاي يُعْتَبُه أو يكتبُ رجعتَه؛ لأقيمَ له
البدل، وأكفَى مراجعته، إن شاء الله.

توقيع على ظهر كتاب لابن جحا الكوفاني

لو استغنى مؤثوقٌ بوُدّه، مسكون إلى عهده، عن الإذكار بنفسه، والدلالة على
صحة عقده؛ لكنتَ يا أخي - أطل الله بقاءك - ذلك الإنسان؛ لاعتمادي
سريرتك الخالصة، ومودتك الصادقة.

والله يعلم أني آنسُ إلى ذكرك إذا مرَّ بسمعي، واسمك إذا خطر بفكري،
فكيف بكتابك إذا قابل طرفي، وأوجب لك ما لعلّي لا أوجبُه من خلّص^(١)
/ [١٠٥ ب] إخواني إلا لأفرادٍ وأعيان، يعزُّ أمثالهم في الزّمان، فخاطبني متى
نشطت، واسترسل في حاجاتك كيف أثرت. وإن جريت فيما يخصُّك على
الانتقباض الذي هو طبعك، فكاتبني بحاجات إخوانك؛ ليعرفوا موقعك من
إيثاري، ومحلك من اضطفائي واختياري. سقاك الله فروّاك، وحيّاك وأحيّاك،
وهو حسبي، وصلواته على النبيِّ محمدٍ وآله.

(١) (من خلّص) مكررة مرتين في الأصل.

تَوْقِيعٌ عَلَى رُقْعَةٍ لِابْنِ جَحَا

أَنْتَ الْإِخُ دِينًا، وَالصَّدِيقُ يَقِينًا، وَكَلْفَةُ التَّجَشُّمِ مَوْضُوعَةٌ عَنْكَ - أَطَالَ اللَّهُ
بِقَاءَكَ - لِقَوَّةِ التَّحْقِيقِ، وَلَوْ عَرَفْتُ مَقَامَكَ حَيْثُ أَصْحَرْتَ؛ لَكَدَدْتُ النَّازِرَ طَالِبًا،
وَاسْتَنْجَدْتُ الطَّرْفَ رَائِدًا. وَلَوْ وَقَفْتُ عَلَى اعْتِيَادِكَ الْبَابِ؛ لَرَبَّبْتُ مَنْ يَتَلَقَّاكَ
مَكْرَمًا، وَيُوَصِّلُكَ مُؤَثِّرًا. وَدُونَ الْغُيُوبِ، أَسْتَارُ لَا تَكْشِفُهَا الْعَيُونُ وَالْقُلُوبُ.
وَمَتَى نَشِطْتَ لِلْحَضُورِ؛ انْفَرَجَتْ أَغْلَاقُ الْأَبْوَابِ، وَتَجَافَتْ أَعْطَافُ السُّتُورِ،
وَقَالَتِ الدَّارُ: مَرْحَبًا.

الباب التاسع عشر

في الفوائد والآثار في فنونها

وهي الكتب الغريبة المعاني في مبانيها

فَصْلٌ فِي صِفَةِ الْخَرْكَاهَاتِ^(١)

... سَبِيلُهَا: أَنْ لَا يَتَخَلَّلَهَا مَا يَضْعُفُ عُودَهُ، وَيَهِنُ مَتْنُهُ، أَوْ يَقَعُ فِيهَا ذَوَاتُ
الْعُقْدِ وَالْأَبْنِ^(٢)، أَوْ يُتَجَوَّزَ فِي أَصْبَاغِهَا وَأَذْهَانِهَا، فَتَشَقَّقَ^(٣) عِنْدَ تَدَاوُلِ الرِّيحِ
إِيَّاهَا، وَأَنْ يَبَالِغَ فِي انْتِقَاءِ أَصْوَابِهَا، وَالتَّنَاهِي فِي عَرَكِهَا.

(١) الخركاه: الخيمة.

(٢) الأبن: جمع أبنة: العقدة في العود أو في العصا. لسان العرب، ج ١٢، ص ٤ (أبن).

(٣) في الأصل: فيتشقق، بالياء. والصواب ما أثبتناه.

وله

عتابُ كاتبٍ تراجعَ في صناعته

كنتُ ابتدأتُك بالمخاطبة، وحَضَضْتُكَ في آلاتِ الكتابة على المداومة
والمواظبة، فأجدُ خطَّكَ يزدادُ على الأيام ويُستجد، ثم أهملتَ التعهّد، واستعملتَ
التَّجَوُّزَ، وصار ما تكتبه مُضطربَ الحروف، مُتضاعفَ الضَّعْفِ والتَّخْرِيفِ.

وجعلتُ أتأوّلُ لك يوماً بقلمٍ لم يُستجد^(١) برّيه، ويوماً بمدادٍ لم يساعد جريّه،
إلى أن صارت رداءةُ الخطِّ سُنَّةً لك وسَنَناً، ورَسَماً ثابتاً مُرتَهاً؛ فقدّمتُ هذا
الخطابَ مذكّراً، ورجوتُ ألا تُحوِّجَ إلى مثله منكرّاً.

وإياك وإياك^(٢) واضطراري! فتأبّر على المَشَقِّ / [١٠٦ أ] والتَّسْوِيدِ، واهتمَّ
بالتَّصْحِيحِ والتَّجْوِيدِ، واعملْ على أن تقومَ حرفاً حرفاً من خطِّكَ، وتَتَصَوَّرَهُ في
نفسِكَ قَبْلَ تَصْوِيرِهِ بِيَدِكَ، وليكنْ لك مَنْ يُوقِفُكَ على مَوَاضِعِ التَّقْصِيرِ
والتَّضْجِيعِ؛ لِأَتَبَيِّنَ الزِّيَادَةَ فيما يَرُدُّ مِنْكَ وقتاً وقتاً، قَبْلَ أَنْ أَوْسِعَكَ تَهْجِيناً وَمَقْتاً.
والسلام.

(١) في الأصل: يستجب، تحريف.

(٢) في الأصل: وإياك وإياك.

وله

في تكذيب أراجيف العامة

دَلَّ كتابُكَ على أراجيفَ تَرَدَّدَ بين العَوامِّ، في أخبار مدينة السَّلام، وما أدري
أَيُّ اختلافٍ، قاضٍ للإرجاف؟ وقد ذلَّلَ اللهُ لَمَوْلانا الملك السَّيِّدَ رِقابَ الزمان،
وملَّكَه أَعَنَّةَ الأيام، واستصَفى له ما لم تحلِّمْ به ملوكُ العرب، وأكاسرُ العجم،
وانضافت الشاماتُ إلى العراقيين في الانقياد، وترتَّبَ العمَّالُ في جميع البلاد، ودانت
طواغيتُ الروم، وتقرَّبَ المغربيُّ^(١) برسولٍ بعدَ رسول، وصار بنو حَمْدانَ كرميمٍ،
طاحَ في ريحٍ عقيم، ومُلِكتُ قِلاعَهُم التي لم تُتَزَعْ منذ مئة وخمسين سنة، مملوءةً
ذخائر، مشحونةً غنائم، والشمسُ لا سبيلَ إلى سَترِها، وتغطيةِ أمرِها.

وقد عاد - حَرَسَ اللهُ أيَّامَه، ونَصَرَ أعلامَه - إلى حَضرةِ الخِلافة، ومجلسِ
الإمامةِ بآثارٍ في الذَّبِّ عن البَيِّضة، وأَيادٍ^(٢) في الذَّبِّ عن الحُوْزة، ومقاماتٍ في
تزايدِ البسطة، وتضاعفِ العِزَّة، أَسَلَمَتِ المنابذين للأيدي والأفواه، وكَبَّتْهم على
الرؤوس والجباه، تُجَبَّى إليه ثمراتُ كلِّ أرض، وتُسَمِّحُ له الدنيا ذاتُ الطُّول
والعرض، فالحمدُ لله على ما أَسْنَى، والحمدُ لله على ما سَنَى، ولا زال مَوْلانا الملكُ
السَّيِّدُ والأَميرُ المؤيَّدُ آخِذِينَ بِأفاقِ المجد، مادَّيْنِ لِرُواقِ الملك، إنَّ اللهَ يفعلُ ما هو
لبَلادِهِ أَصلَحُ، ويمكِّنُ مَنْ هو بعبادِهِ أَرأَفُ.

(١) لعلَّه قصد الخليفة الفاطمي.

(٢) في الأصل: والزيادة.

وله

في إعفاء مَنْ استَعْفَى من بهاء التلقب
والوعد بما سواه من أنواع التّشريف

كتابي - أطل الله بقاء الأمير - عن سلامة مولانا الأمير المؤيد، واتصال
السّعادات إلى عالي حَضْرته، واقتران البركات بسامي كلمته. والحمد لله،
وصلواته على النبي محمد وآله.

وكنْتُ خاطبُ الأمير بالسبب الذي استعاد فلاناً إلى الحَضْرة، وعاد في
الجواب / [١٠٦ ب] ما دلّ على أنه لو أُصْدِرَ بتلك الجملة، واقتصر دون اللَّقْب
على اللّواء والعهد والخُلعة؛ لكان ذلك أدعى إلى محبّته، وأدنى إلى مَسْرَته، وجدّد
القول في الاستعفاء من اللَّقْب، والاكتفاء بما سواه من الرُّتب، وخاطبَ حَضْرَةَ
مولانا بما قدّمتُ إصداره؛ فعرف - أطل الله بقاءه - بُغيته وإيثاره، وقال - حَرَسَ
الله مُلكه -: إِنَّا حَسِبْنَا اللَّقْبَ أَوْقَعَ بقلبه، وآثر في نفسه، وإذا كَرِهَهُ فلا إكراهَ على
التّشريف، ولا امتناعَ من التّخفيف.

وإنّ فلاناً مُنْهَضٌ في الأسبوع بالخَلَع التي يَعْرِفُ اللهُ مِيَامِنَهَا، ويُفِيضُ
مَحَاسِنَهَا، واللّواء الذي يَلْوي أيدي المنازعين، ويُلوي بالمنابذين والمقارعين،
والعهدُ أَشْرَفُ ما عُهِدَ في أمثاله، وأولى ما قدّمه السلطانُ لأمرائِ أَعْمَالِهِ. وكتابُ

مَوْلَانَا تَقْتَرُنُ^(١) بِهِ هَذِهِ الْمَخَاطِبَةُ. وَإِنَّ مَوْلَانَا الْأَمِيرَ رَأَى إِصْدَارَهَا مَعَ مَجْمَزَيْنِ،
يَصْلَانِ مُسْرِعَيْنِ، وَمَا يَلِي هَذِهِ الْمَخَاطِبَةَ يَنْبِئُ - بِمَشِيئَةِ اللَّهِ - عَنْ فُصُولِ^(٢) فُلَانٍ،
وَالنَّصِّ عَلَى الْيَوْمِ الَّذِي نَهَضَ فِيهِ عَنِ الْحَضْرَةِ - أَجَلَّهَا اللَّهُ.

(١) فِي الْأَصْلِ: يَقْتَرُنُ.

(٢) الْفُصُولُ - هُنَا -: الْخُرُوجُ، وَفِي الْأَصْلِ: فُضُولُ.

وله

في الإنباء عن الوحشة لمفارقة ولي النعمة

كتابي - أطل الله بقاء مولاي ورئيسي - وحالي منذ فارقت الباب المعمور
حال من أدخل الجنان، حتى إذا عرف نعيمها كيف تُسبغ، ونعيمها كيف يُخلص،
ودرجاتها كيف تسمو، وقطوفها كيف تدنو؛ راعه الخروج منها، فلم يكشف
غمته كاشف، ولم يدفع حسرتة دافع، وهل للخلود عوض فتقبله النفوس،
وتطمئن عليه القلوب؟! والله ولي إعادتي إلى ظلّ الظليل، وكنفه^(١) الشريف
العميم.

وأخر كتابي عن مولاي حتى اليوم؛ لأنني عدت فتعاون علي من الحمى
والقلق خصمان يدفعاني بينهما، وضعت طاقتي عنهما. وقد كنت عن أحدهما
عاجز القوة، قاصر المنّة، فكيف إذا اجتمعا! هذا والبعد عن الحضرة العالية أشدّ
وقعا، وأحرّ لذعا؛ لأنه فوت شرف كان يسطرّ باع المطاولة، وتراخي مجد كان
اكتسابه لسان المنافرة، وليس الذي يخصّ الجسم أذاه، كالذي يشترك فيه النفس
والجاء.

وشغلي الآن الدعاء لمولانا؛ فقد كان في تواتر تلك النعم، وتظاهر تلك المنح

(١) في الأصل: وكنف.

ما يشغل عن الفكر في ارتفاع أقدارها، واتساع أقطارها، / [١٠٧ أ] والآن أخذت أتبعها، فلي عند ذكر كل واحدة منها جهة ساجدة، ودعوة صادقة، وقرب - كما أوجب الله - متصلة، وزلف - إن شاء الله - متقبلة. فأما انزعاجي لفراق مولاي فانزعاج الساري زال قمره، والروض تخطاه مطره، ومن هذا الذي يتعد عن فرد دهره، وشمس فصله! ومن يستمد محاسن قوله، كما يستظهر بمكارم فعله، فتبقى له جانحة لم تلتهب قلقاً، ولم تشتعل أسفاً! على أني حاضره بنيتي، ومسايره بطويتي، والمرء يسير بقلبه، وإن أقام بشخصه. والله لطائف تعيد الدار أدنى منها أمس، وأخرى بالسرور والأنس، فإن رأى مولاي أن يعين^(١) على سقمي وهمي بكتبه جلاء الأحزان، وشفاء الأبدان، ويصرّفني على أمره ونهيه؛ فعَل، إن شاء الله.

(١) في الأصل: يعيد.

وله في وَصْفِ شِعْرِ

وَصَلْتُ لَكَ قَصِيدَةً هِيَ السَّحْرُ أَوْ أَدُقُّ، وَالْمَاءُ أَوْ أَرْقُ، قَدْ جَمَعْتُ إِلَى
السَّلَاسَةِ مِثَانَةٍ، وَإِلَى السُّهُولَةِ رِصَانَةً، فَكَأَنَّ الْفَحْلَيْنِ أَبَا فِرَاسٍ وَأَبَا حِزْرَةَ^(١) أَنْشَرَا
فِي مِسْكَكَ، وَانْخَرَطَا فِي سِلْكِكَ، فَنَحَتَ هَذَا لَكَ صَخْرَهُ، وَأَسَاحَ لَكَ ذَاكَ
بَحْرَهُ^(٢). وَحَسْبُكَ بِشِعْرٍ وَقَفَ إِعْجَابِي وَتَعَجُّبِي إِزَاءَهُ، حَتَّى كَرَّرْتُ قِرَاءَتَهُ،
وَأَدْمُتُ اسْتِقْرَاءَهُ. هَذَا وَأَكْثَرُ مَا أَسْمَعُ - مِنْذُ الْيَوْمِ - يُصْدِي الرِّيَّانَ، وَيُصْدِي
الْأَفْهَامَ. لَا زَالَ عَوْدُكَ فِي الْفَضْلِ صَلِيْبًا، وَغُصْنُكَ مِنْهُ رَطِيْبًا. وَقَدْ اغْتَفَرْتُ لَكَ
الْغَارَةَ الشَّعْوَاءَ، وَإِنْ كُنْتَ فِيهَا لِقْوَةً شَعْوَاءَ، فَأَمَّا النِّعْمَةُ الَّتِي هِنَأْتُ بِهَا، فَثُوبٌ
مَدْحُكَ طُرَّتُهُ، إِنْ لَمْ يَكُنْ طَرَفًا شِعْرُكَ غُرَّتُهُ. وَفَلَانٌ حَبْدًا هُوَ فِي السُّجَرَاءِ، فَلْيُوَلِّ
إِيصَالَ جَوَابِهِ، مَنْ تَوَلَّى إِصْدَارَ كِتَابِهِ.

(١) يعني الفرزدق وجريراً.

(٢) يشير إلى قول الأخطل، وقد حُكِّمَ بين الفرزدق وجريراً: «الفرزدق ينحت من صخر، وجريراً
يغرف من بحر»، فلم يرض جريراً بذلك، وكان سبب الهجاء بينهما. ويروى هذا القول لابن
الأخطل مالك، ويروى لشبَّه بن عقال. انظر: الأغاني، ج ٨، ص ٨١، ص ٣١٥، ج ١١،
ص ٦١.

وله

وَصَلَّ كِتَابُ الشَّرِيفِ سَيِّدِي وَ مَوْلَايَ زَائِدًا فِي بَرِّهِ، عَاضِدًا سَابِقَ فَضْلِهِ،
وَأَنَسَ اللَّهُ رَبُّعِي وَسَمَّعِي بِخَبَرِ سَلَامَتِهِ، وَصَلَّ اللَّهُ خَطَامَهَا، وَحَرَسَ أَيَّامَهَا.
وَعَرَفْتُ مَا رَأَى مِنْ إِتْمَامِ عَزِيمَتِهِ فِي الْحَجِّ، وَتَبَيَّنْتُ لَهُ أَمَارَاتِ الْخَيْرِ وَالنُّجْحِ. وَإِنَّمَا
يَقْصِدُ الْبَيْتَ الَّذِي رَفَعَ جَدُّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - قَوَاعِدَهُ، وَأَعْلَى أَبَوِهِ
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - مَفَاخِرَهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَوَاقِفَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ مِنْ
أَجْدَادِهِ الْكَرَامِ، وَأَبَائِهِ الْعِظَامِ، حَيْثُ يَهْبِطُ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ عَلَى رَسُولِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ.

تلك منازل ورثها بشرفه العميم، ومفخره العظيم. فالحمد لله الذي أوضح
/ [١٠٧ ب] في ذلك دليله، وسهل سبيله، كما أثار حُجَّتَهُ، وَرَفَعَ فِي الذَّرِيَّةِ الزَكِيَّةِ
درجته، وأحسن الله أداؤه، وأطال في طاعته بقاءه، وزكى عمله، وبلغه في مضيئه^(١)
وانكفائه أمله. وأنا أسأله - أدام الله عزه - إذا يسر الله وروده الحرمين، ووقوفه
في المشعرين، وتنقله بين المعرف والمحصب، وطوافه بالبيت المعظم، واستلامه
الحجر الأسود، وقيامه على بئر زمزم، وسعيه بين الصفا والمروة، ودخوله - إن
دخل - إلى الكعبة، ثم إذا قرب من مشهد رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ -

(١) في الأصل: مضيئه.

زائراً، وعدل إلى البقيع مُسَلِّماً، وعاد إلى الغرِّي^(١) والحائر^(٢) - صلواتُ الله على سُكَّانِهما: سيِّد الأوصياءِ وسيِّد الشهداءِ - أنْ يذكرني في أدعيتِه، ويتوسَّل عني برسول الله - صلى الله عليه - والسادة من ذرِّيته، ويكون ما يلتمسُه لي العافية في الدِّين والدنيا، والسعادة في الخاتمة والعُقْبى، والتَّوفيقَ لردِّ المظالم، والخروج من التبعات، والتوبة من السيئات، والتباعد من الشبهات، فتلك وديعتي إليه، وأمانتي قد أخرجتُها إليه.

وأما النيابة عن سيِّدي الشريف فلا أطيلُ القول، فيشهدُ الله أني - مع ما آتاني الله من حَظٍّ دينٍ ودنيا - لا أدفعُ نَفْسي عن أيسرِ أمرِه؛ تقرباً إلى خير الأولين والآخرين جدِّه صلَّى الله عليه. وسينفذ مني إلى فلان ما يزيدُه بصيرةً في التكفُّل بتلك الأسباب، وهؤلاء الأصحاب، إن شاء الله.

(١) البقعة التي فيها قبر علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) البقعة التي دفن بها الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام.

وله

إلى الأستاذ الرئيس أبي العباس^(١)

وَصَلَ كِتَابُ مَوْلَايَ؛ فَلَصِقَ بِيَدِي، وَنَدَيْ عَلَى كَبْدِي، وَلَمْ أَدْرِ بِمَاذَا أَنْعَتَهُ وَقَدْ
مَلَأَ قَلْبِي وَمَلَأَ صَدْرِي! وَكَيْفَ أَصِفُهُ وَقَدْ أَمْتَعَ نَفْسِي وَرَفَعَ طَرْفِي! وَهَلْ أَقُولُ:
نَسِيمُ الرِّيَاضِ تَدْرَجَتْ الشَّمَالُ عَلَى أَنْوَارِهَا، وَأَغْرَيْتِ الصَّبَا بِإِخْرَاجِ أَسْرَارِهَا؟ أَمْ
أَقُولُ: الْحَيَاةُ عَادَتْ فِي الْجَسَدِ، وَالرُّوحُ سَرَى فِي الْبَدَنِ؟ فَلَهُ عَلَى كُلِّ مُسْتَحْسَنِ
أُنِيقَ فَضْلٍ، وَعِنْدَ كُلِّ حَضَارٍ سَبْقٌ وَخَصْلٌ. وَحَسِبْتُ انْبِسَاطَ مَوْلَايَ فِيهِ مَوَاهِبَ
قَصَرَتِ الْأَمَانِي عَنْهَا؛ فَطَالَ إِحْسَانُ اللَّهِ بِهَا، وَمَنَائِحَ رَقَدَتِ الْأَمَالُ فِيهَا؛
فَاسْتَيْقَظْتُ عَيْنُ أَفْضَالِ اللَّهِ عَنْهَا، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَعِيدَنِي اللَّهُ فِيهِ لِأَفْضَلِ عَادَتِهِ،
وَيَعِيدَنِي فِيهِ بِلُطْفِهِ وَرَأْفَتِهِ، فَأَقْرَأَ كِتَابَهُ مَبْتَسِمًا^(٢) عَنْ خَطِّهِ، كَمَا قَرَأْتَهُ مُنْتَظِمًا لِللَّفْظِ؛

(١) هو أبو العباس الضَّبِّي. وقد أورد هذا الكتاب - باستثناء جزء بسيط منه - الثعالبي، وقدمه
بقوله: سمعت أبا جعفر الطبري الطبيب المعروف بالبلاذري يقول: إن للصاحب رسالة في
الطب لو علمها ابن قُرة وابن زكرياء لما زادا عليها. فسألته أن يعيرنيها إن كانت عنده... إلى أن
ظفرت في نسخة الرسائل المبوبة للصاحب برسالة قدّرتها تلك التي ذكرها أبو جعفر، ووجدتها
تجمع - إلى ملاحاة البلاغة ورشاقة العبارة - حُسْنَ التصرّف في لطائف الطب وخصائصه،
وتدلّ على التبحّر في علمه وقوة المعرفة بدقائقه، وهذه نسختها، وأكثر ظني أنه قد كتبها إلى أبي
العباس الضَّبِّي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٣٧.

(٢) في الأصل: متبسّمًا، وأثبتناها (مبتسّمًا) للتناسب؛ فبعد: منتظماً.

لأجمع تحجيل المسرة إلى / [١٠٨ أ] غرّتها، وأقرن حجة الأنس إلى عمرتها، والله يفعل ما يريد، وهو اللطيف المجيد.

قد عرفت ما شرحه مولاي من أمره، وأنبا عنه من أحوال جسمه؛ فدلّني جملة على بقايا في البدن يحتاج معها إلى الصبر على التنقية، والرفق بالتصفية. فأما الذي يشكوه من ضعف معدته، وقلة شهوته، فلا مَرين: أحدهما: أن الجسم - كما قلت آنفاً - لم يُنقّ فتفتق الشهوة الصادقة، وترجع العادة السابقة. والآخر: أن المعدة إذا دامت عليها المطفئات، ولزّت بها المبرّدات؛ ضعفت؛ فتقلّ الشهوة، ويضعف الهضم، ومع ذلك فلا بدّ مما يطفئ ويغذي، ثم يمتنك من بعد أن يتدارك ضعف المعدة بما يقوي منها، ويزيل العارض المكتسب عنها، كما يقول الفاضل جالينوس: قدّم علاج الأهم، ثم عدّ فأصلح ما أفسدت.

والإقراض في أواخر الحميات خير ما نُقيت به الكبّد، وأصلحت به العروق، وقوي به الطّحال؛ ليتمكّن من جذب [العكر]^(١)، لا سيما والذي وجده مولاي ليس الذنب فيه للحميات التي وجدها، والبلدة التي وردها، فلو صادف الهواء المتغيّر جسداً نقيّاً من الفضولات؛ لما أثر هذا التأثير، ولا طول هذا التطويل، وإنما اغترّ مولاي بأيام السلامة؛ فكان ينبسط في أنواع الطعام، ويُسرف في تناول الشراب؛ فامتلاً الجسم من تلك

(١) زيادة من يتيمة الدهر.

الكيموسات^(١) الرديئة، ووردَ بلداً شديداً التحليل، مضطرب الأهوية؛ فوجدت النفس عوناً على حلّ ما انعقد، ونقض ما اجتمع. وسيتفضل الله بالسلامة؛ فتطوّل صحبتُها، وتتصلّ مُدَّتُها؛ لأنّ الجسدَ يخلص خلاص الإبريز إذا زال عنه الحبثُ، وسُبِك ففارقه الدَرَنُ.

وأما الرَّعْشَةُ التي يتألم مَوْلَاي منها، ويضيقُ صَدْرًا بها، فليست - والله - محذورة العاقبة، وإنما لتزول بإقبال العافية، فالرَّعْشَةُ التي يُتَخَوَّف منها، هي التي تعرض من ضعف القوة الحيوانية، كما تعرض للمشايع وتؤدي - بمشاركة الدماغ - إلى كثيرٍ من العظام^(٢). فأما هذه التي تُعتاد بعقب الحمى؛ فهي على ما

(١) الكيموس: لفظة يونانية / سريانية تسربت إلى العربية في كتابات الحكماء والأطباء، يعبرون بها عن المادة أو الخلط أو الطبيعة (الطبايع الأربع)، ويصفون من خلالها فوائد الأغذية. جاء في مفاتيح العلوم: «الكيموس: المادة. يقال: هذا الطعام يولد كيموساً رديئاً أو جيداً، يعني به ما يولده في البدن من الغذاء». وقد وضع جالينوس الطبيب كتاباً في الكيموس، ترجمه ثابت الناقل والطبيب. ويبدو أن هذا الكتاب أو ترجمته كان متوفراً بين أيدي المشتغلين بالطب والأدوية العرب والمسلمين؛ فاستُخدمت هذه اللفظة وانتشرت كثيراً في كتب الطب والعلاج والدواء والنبات والأغذية والطبخ.

يُذكر أن بعض العرب قبل الإسلام كان قد عرفها؛ فاستخدمها قُس بن ساعدة الإيادي بمعنى الحاجة إلى الطعام، حيث قال في إحدى خطبه في تمجيد الله عزّ وجلّ: ليس له كَيْفِيَّة ولا كَيْمُوسِيَّة. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٢٠٤؛ القفطي، إخبار العلماء، ص ٩٢؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ١٩٧ (كمس).

(٢) في اليتيمة: وتؤدي لمشاركتها الدماغ كثيراً من العظام.

قال جالينوس في تَقْصِيهِ الْفُضُولِ: من أنَّ حُدُوثَهَا يكون، إذا شاركت العُروق
- التي تحدث فيها العِلَّةُ - الْعَصَبَ، وتزولُ عنه بزوال الفضل.

وَعَجِبَ مَوْلَايَ مِنْ تَكَرُّهِهِ شَمَّ الْفَوَاكِهَ، وَلَا عَجَبَ إِذَا عَرَفَ السَّبَبَ؛
/ [١٠٨ ب] فَإِنَّ الْعَفْوَنَةَ الَّتِي فِي الْعُرُوقِ قَدْ طَبَّقَتْ رَوَائِحُهَا آلَاتِ الشَّمِّ؛ فَمَا
يَصِلُ إِلَيْهَا مِنَ الرَوَائِحِ الزَكِيَّةِ يَرُدُّ عَلَى النَّفْسِ مَغْمُورًا بِتِلْكَ الرَوَائِحِ الْخَبِيثَةِ؛
فَتَتَكَرَّرُهَا وَلَا تَقْبَلُهَا، وَتَأْبَاهَا وَلَا تَوْثَرُهَا. وَهَذَا قِيَاسٌ بَيْنَ عَلَى مَا كَشَفَهُ
الْأَفْرُودِيسِيُّ^(١).

أَلَا يَرَى مَوْلَايَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ الْحُلُوهَ تَوْجِدُ فِي فَمِ ذِي الصَّفْرَاءِ بَطْعَمَ الْأَشْيَاءِ
الْمُرَّةِ، لَا سِتِيلَاءِ الْمَرَارَةِ الْمُضَادَّةِ لِلْحَلَاوَةِ، عَلَى آلَاتِ الذُّوقِ وَالْمَضْغِ وَالْإِدَارَةِ.
وَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى مَا حَكَمْنَا بِهِ أَوَّلًا مِنْ أَنَّ هُنَاكَ فَضْلًا لَا يُمْكِنُ الْهَجُومُ عَلَى تَحْلِيلِهِ؛
لَمَّا يُخْشَى مِنْ سُقُوطِ الْقُوَّةِ، وَإِنْ كَانَ مَا لَمْ يَخْرُجْ مَا لَمْ يُوَثِّرْ بِوُفُورِ الصَّحَّةِ.

وَأَنَا أَحْمَدُ اللَّهِ؛ إِذْ لَيْسَتْ شَهْوَةٌ سَيِّدِي مُتَزَايِدَةً، فَالشَّهْوَةُ الْغَالِبَةُ مَعَ الْأَخْلَاطِ
الْفَاسِدَةِ تُغْرِي صَاحِبَهَا بِالْأَكْلِ الزَّائِدِ، وَتَعَرِّضُهُ لِلْمِزَاجِ الْفَاسِدِ، إِلَّا أَنَّ التَّغْذِيَّ لَا
يَجُوزُ إِهْمَالُهُ دَفْعَةً، وَالتَّبَرُّمُ بِهِ ضَرْبَةٌ؛ فَإِنَّ الْبَدَنَ إِذَا احْتَاجَ إِلَيْهِ وَجَبَ لِلْعَلِيلِ أَنْ
يَتَنَاوَلَهُ تَنَاوُلَهُ الدَّوَاءِ الَّذِي يَصْبِرُ عَلَيْهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ فِي دَقَّةِ الْحِمِيَةِ وَتَرَكِ الرُّجُوعِ أَوَّلَ

(١) الإسكندر الأفروديسي: أحد الحكماء المعاصرين لجالينوس. شرح كتب أرسطاطاليس المنطقية

والحكمة، وقد جرى بينه وبين جالينوس محاورات عديدة. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول،

ص ٧٣.

[فـ]^(١) أول، إلى عادةِ الصَّحة، إِماتَةً للشَّهوة، وحياءً للقوَّة.

وجالينوس شَرَطَ في المعالجات أجمعَ اسْتِحْفاظَ القُوَى؛ لأنَّ الذي يفعلُه الضَّعْفُ لا يتداركه أمرٌ، إلَّا أنَّ ذلك بإزاء ما قال الحكيمُ الأولُ بُقْراط في البدن السقيم: إنك متى زدته غذاءً زدته شرًّا، وهو نفسه يقول: إنَّ الحُمِيَّة التي في نهاية الدِّقَّة ليست بمحمودة، والطَّرْفان من الإسراف والإجحاف مذمومان، والواسطة أسلم. أغنى الله مَوْلَاي عن الطَّبِّ والأطباء، بالسَّلامة والشفاء.

وقد كتبتُ في كذا ما يغني اهتمام سيِّدي به عن ترديد ذكره:

وإذا رميتَ إلى ابن عزمٍ حاجةً فاعلمْ بأنَّ جناحها يَسْتَيْسِرُ

(١) إضافة من يتيمه الدهر.

وله

جوابُ كتابِ فَتْحِ وَرَدَ مِنَ الشَّرِيفِ أَبِي طَالِبِ السَّيْلِقِيِّ^(١)

هذا كتابُ الشريفِ سيّدي طَلَع، أم عهدُ الشباب رَجَعَ؟ وخطابُه أسفر، أم لقاءُه تيسَّر؟ والربيعُ ضحكٌ وابتسم، أم بيانه ظهرَ فَبَهَرَ؟ والزمانُ أعتبَ، بعدما أذنب، أم حوارُه ثلّي وسُمِع؟ والوصلُ بعد الهجرِ أُتيحَ وقُدِّر، أم صوبُ العقولِ من بين يديه / [١٠٩ أ] اعتنَّ وعرض؟ وعشِيَّاتُ الحمى لذتْ بمهَبِّ نَسِيمِها، أم فَقَرٌ من سِحره تجلّت في سِلْكِ نَظْمِها؟ وساعاتُ اللّوى أسعفتْ بضمِّ الشَّتِيتَيْن، ودفعتْ بالقرب في صَدْرِ البَيْن، أم رتعت العَيْنُ في حَديقَةِ بيانه أظارَ البلاغة، وحواملُ الحَطابة؟ وغرّةُ الدهرِ انتهزتْ من أثناءِ نوائبِها السُّودِ، أم لمُع من أفكارِه تراءت من خللِ السُّطور؟ وصفحةُ العَفْوِ تجلّت لموبِقٍ من جرائمه، أم صحيفتُه حدّثت عن غرِّ فوائده؟ والهدايةُ أُتيحت للحيرانِ وقد أُخذَ عن مَراشدِه، أم تهنّئته أقبلتْ مقتبسةً من محاسنه ومحامدِه؟ والفقيرُ عاجلته الثروةُ ناسخةً بؤسائه بنعمائه، أم مناجاته توشّحت بحُللِ فهمه وحِلاه؟ والنزاعُ نُقِعَ بالاجتماعِ غليلُه، أم كلامُه سُهّل في المسامع سبيلُه؟

نعم وصلَ الكتابُ؛ فكان مَنى النفسِ، وقُرّة الطَّرَفِ، وأنشراحَ الصَّدْرِ،

(١) آل السيلقي: أسرةٌ من الأشراف العلوية، يمرّ ذكرهم كثيراً في كتب الأنساب. انظر على سبيل

المثال: ابن فندق، فهرس الألقاب.

وَبَرْدِ الْكَبِدِ، وَالشِّفَاءَ بَعْدَ السَّقَمِ، وَغَايَةَ الْأَمَلِ، وَنَهَايَةَ الطَّلَبِ، وَمِظَنَّةَ الْوَطَرِ، وَغَايَةَ الْمَرَادِ، وَنُهْيَةَ الْمُرْتَادِ، وَفَرَحَةَ الْإِيَابِ، وَإِصَابَةَ الْغَرَضِ الْأَبْعَدِ، وَالشَّمَاتَةَ بِالْعَدُوِّ الْأَنْكَدِ، وَالْعَيْشَ الَّذِي يُقَالُ فِيهِ: سَمَحٌ، وَيُقَالُ: غَضٌّ، وَيُقَالُ: رَطْبٌ؛ فَرَأَيْتُ بِهِ فَتْحًا ثَانِيًا، وَنَصْرًا تَالِيًا، وَأُنْسًا نَامِيًا، وَعَيْشًا رَاضِيًا، وَخَيْرًا وَافِيًا، وَسُرُورًا صَافِيًا، وَاقْتَبَسْتُ عَنْهُ عِلْمًا جَمًّا، وَأَدَبًا غَمْرًا، وَفَضْلًا دَثْرًا، وَوَجْهًا مِنْ الزَّمَانِ طَلْقًا، وَجَانِبًا مِنَ الْخَيْرِ سَمَحًا، وَقُلْتُ لَهُ: أَهْلًا وَسَهْلًا، وَسَعَةً وَرُحْبًا، وَلَمْ لَا، وَهُوَ كِتَابٌ [عَتْرَةٌ] ^(١) خَيْرَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَحُجَّتُهُ مِنْ أَرْضِهِ، وَالْهَادِي إِلَى حَقِّهِ، وَالْمُنْبِئُ عَلَى حُكْمِهِ، وَالِدَاعِي إِلَى رُشْدِهِ، وَالْآخِذُ بِفَرْضِهِ، وَالْمُؤَدِّبُ بِنَدْبِهِ، وَالْمَصْرِفُ بَيْنَ إِبَاحَتِهِ وَحَظَرِهِ، وَالْمُؤَيِّدُ مِنْ عِنْدِهِ، وَالْمُحْتَجِّجُ بِهِ عَلَى جِنِّهِ وَإِنْسِهِ. مُخْتَارٌ مِنْ أَكْرَمِ الْمَنَابِتِ، مُتَتَجِّبٌ مِنْ أَشْرَفِ الْعَنَاصِرِ، مُرْتَضًى مِنْ أَعْلَى الْمُحَاتَدِ، مُؤَثَّرٌ مِنْ أَعْظَمِ الْعِشَائِرِ، مُعْتَمِّمٌ مِنْ أَفْخَمِ الْقِبَائِلِ، مَعْضُودٌ بِالْمَعْجَزَاتِ الْغَرِّ، مَرْفُودٌ بِالْدَّلَالَاتِ الزُّهْرِ، لَا تَخْبُو نَارُهُ، وَلَا يُوَضِّعُ مَنَارُهُ، وَلَا يَتَحَيَّفُ سَنَاهُ وَسَنَاوُهُ، هُدًى بِهِ الْخَلْقُ مِنْ ضَلَالَةِ سَوْدَاءَ دَهْمَاءَ، وَعُلَّمُوا بِهِ مِنْ جَهَالَةِ رَبْدَاءَ جَهْلَاءَ. مُبَارَكٌ مَوْلِدُهُ، سَعِيدٌ مَوْرِدُهُ، قَاطِعَةٌ حُجَّتُهُ، سَامِيَةٌ دَرَجَتُهُ، سَاطِعٌ صَبَاحُهُ، مَتَوَقِّدٌ مِصْبَاحُهُ، / [١٠٩ ب] مَظْفَرَةٌ حُرُوبُهُ، مَيْسَرَةٌ خُطُوبُهُ، نُسِخَتْ بِمِلَّتِهِ الْمَلَلُ، وَبَشَّرَعَتْهُ الشَّرْعُ، وَبِنْحَلَّتْهُ النَّحْلُ، وَبَكَلِمَتِهِ الْكَلِمُ، وَبَأُمَّتِهِ الْأُمُّ، وَبِسُنَّتِهِ السُّنَنُ، وَصَارَ الْعَاقِبَ وَالْخَاتِمَ، وَالْقَاطِعَ وَالْجَازِمَ، قَدْ أَفْرَدَ بِالزَّعَامَةِ وَحْدَهُ، وَخَتَمَ بِأَنْ لَا

(١) زيادة يقتضيها السياق.

نبيّ بعده؛ فاستوفت دعوته شرق الأرض وغربها، ومسحت برّ الدنيا وبحرها، وأذعنت له سودُّ الرجال وحُمُرُها، وذلت لعزته صيدُ الملوك وكُبُرُها، وصار المخالفون سرّاً، يضطرون إلى اعتزاءٍ إليه جَهراً، والمنحرفون عنه إذماناً، يحقنون دماءهم بالانحياز معه إعلاناً، يُفصح بشعاره على المنابر، وبالصلاة عليه في المحاضر، وتعمُرُ بذكره صُدُورُ المساجد والمنابر، ويستوي في التَّطامُنِ لأمره حالُتا الغائب والحاضر، والوارد والصادر، لم يكتب كاتبٌ إلا ابتداءً مُصلياً عليه، ولم يَحْتَمِ إلا بردّ السلام والتحيّة إليه، كأنهم مُسَخَّرُونَ غيرُ مُؤَثَّرِينَ، ومُجَبَّرُونَ^(١) غير متخيَّرين، لطفاً من الله جَمَعَهُم على فضيلته، وألَّفَهُم على جديليته. ذلك سيّدُ الأوّلين والآخِرِينَ رسول الله، صَلَّى الله عليه وعلى آله^(٢) أجمعين.

[و]^(٣) إِنَّ لِلشَّرِيفِ مَعَ هَذَا شَرَفًا آخَرَ تَضَعُ لَهُ الْأَفْلَاكُ حُدُودَهَا وَجِبَاهَهَا، وَتَلْتَمُ النُّجُومُ أَرْضَهُ: أَفْوَاهَهَا^(٤) وَشَفَاهَهَا، يَنْضَافُ إِلَى ذَلِكَ الْمَجْدِ الَّذِي يَلْحَظُ الْجُوزَاءُ مِنْ عَالٍ، وَيَطُولُ عَلَى السَّمَاءِ كُلِّ مَطَالٍ - بِمَنْ إِسْلَامُهُ سَابِقُ^(٥)، وَمَحَلُّهُ سَامِقٌ، وَمَجْدُهُ بَاسِقٌ، وَذَكَرُهُ نَجْمٌ طَارِقٌ، وَسَيْفُهُ قَدَرٌ وَبَارِقٌ، وَعِلْمُهُ بَحْرٌ

(١) في الأصل: ومجبورون.

(٢) أقحم أحدهم بعدها: «وأصحابه». وهي ليست من أصل الكتاب. انظر تعليقنا في صفحة ٧، حاشية (٥).

(٣) زيادة منّا.

(٤) في الأصل: وأفواهها.

(٥) هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

دافق، وإمامته لواء خافق، ونظير هارون^(١) عند المشاكلة، وباب المدينة^(٢) عند المشابهة، بدر يوم بدر بل شمسُه، وأخو المصطفى بل نفسه، مصلي القبلتين، والهاشمي من الهاشميين، كُفُو أشرف النَّسَم، وأكرم الكرائم في الأمم. نسله أعزُّ نسل، وأصله أفضل أصل، به تُحلّ المشكلات، وإليه تُرجع العضلات، ولداه الشمس والقمر، و«لولا عليٌّ لهلك عمر»^(٣). سيفه أمّ الآجال، ورمحه يتمّ الأطفال، وحملته رفع السدود، وصولته كسر البنود، قوى الله به أزر المسلمين، وأفشى القتل في المشركين. قيّم^(٤) الجنان، وباب الرحمة والرضوان. ثاني أصحاب الكساء^(٥) في إذهاب الرجس، وحامل لواء الحمد عن يمين العرش، وصاحب

(١) إشارة إلى ما ثبت من أن النبي ﷺ قال لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»، متفق عليه

من حديث سعد بن أبي وقاص، رواه: البخاري ح (٣٧٠٦، ٤٤١٦)، مسلم (٢٤٠٤).

(٢) إشارة إلى ما يروى من قول الرسول ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»، رواه الحاكم، المستدرک،

ج ٣، ص ١٣٧ (٤٦٣٧)، ص ١٣٨ (٤٦٣٨، ٤٦٣٩).

(٣) قالها عمر بن الخطاب لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - في حادثة المرأة التي ولدت لستة

أشهر، وإرادته رجمها واحتجاج عليّ على عمر في أن لا رجم عليها، وترك عمر رجمها. ابن عبد

البر، الاستيعاب، ص ٣٣٩.

(٤) القيم: السيد. وفي الأصل: قسيم.

(٥) يشير إلى ما يروى من أن الرسول ﷺ جلّ على عليّ وفاطمة والحسن والحسين كساء وقال:

«اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي...» إلخ، رواه الترمذي، السنن، ج ٥، ص ٦٩٩ (٣٨٧١)؛

وأحمد، المسند، ج ٦، ص ٢٩٢، ص ٣٠٤.

الحَوْض^(١) يسقي مَنْ شَايَعَ، وَبَايَعَ، / [١١٠ أ] وَيَمْنَعُ مَنْ نَاصَبَ وَنَازَعَ. ذاك أمير المؤمنين - صلوات الله [عليه]^(٢) - تختصُّ أوصافه عن المشاركة، وتخلص نعوته عن المزاحمة.

وهذا - أطال الله بقاء سيدي - بابٌ إذا اشتغل به استنفد البحر مداداً، وبُسِطَ الأرض بياضاً وسواداً، ونباتها وشجرها أقلاماً^(٣)، وأنفاس البشر خطاباً وكلاماً. وإنما ذكرت من الدائرة نقطة، ومن البحر قطرة؛ لأکید مُنَاصِباً، وأغیظ مجانباً.

وأرجع للكتاب. نعم، وحمد الشريف سيدي ربّه على هذا الفتح الكريم منصبه، العظيم مرقبه، البهي مطلعّه، السني موقعه، الرفيع مناطه، الواضح سراطه، السابق رهانه، القائم برهائه، الشاهد أثره، السائر خبره، المرفوع ضبعه وباعه، المشبوح بسطه وذراعّه، الصادق سحابه ونوؤه، الصادع

(١) عند أهل السنة: صاحب اللواء والحوض هو رسول الله ﷺ. قال ﷺ: «بيدي لواء الحمد»، رواه الترمذي، ج ٥، ص ٣٠٨، ص ٥٨٥، ص ٥٨٧ (٣١٤٨، ٣٦١٠، ٣٦١٥، ٣٦١٦)، وغيره. وقال ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»، رواه البخاري في صحيحه، (ح ١١٩٦، ١٨٨٨، ٨٥٨٨، ٧٣٣٥)؛ ومسلم في صحيحه، ح (١٣٩١). وفي حديث آخر: «أنا قرطكم على الحوض»، رواه البخاري من حديث ابن مسعود، ح (٦٥٧٥، ٦٥٧٦، ٧٠٤٩)؛ ومسلم، ح (٢٢٩٧)، وروي من حديث غيره، وأحاديث البايين كثيرة.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) في الأصل: أقلامها. والصواب ما أثبتناه.

صباحه^(١) وضوؤه. وكيف لا يكون كذلك ومولانا الملك السيّد فاتح تدبيره، ومبتدئ تقريره، ومنشئ سحابه، ورافع حجابيه، ومهنئ دواعيه، ومثقف مساعيه، والقاسم له لحظة في حفاي سريره، وقادمة من جناحي تقريره، وإذا عزم فقد أوقع، وإذا أمر فقد نفذ، وإذا قال فقد ارتسم، وإذا صال فقد انتقم، ولأه الأرض خلفاؤه، وجنود الأقاليم أولياؤه، والقدر يخدم أمره، والقضاء يتبع حكمه، والدهر يمثل رسمه، والزمان يتقبل أخذه وتركه^(٢). ومولانا الأمير المؤيد مناهض الخطب بنفسه وميراسه، وناهض له بصولته وبأسه، ومرجف الأرض بسنايك خيله، وحوافر الجياد تحت الأجداد من جيشه، ورام ثغر الأعداء بكيدة - وهو يرتقي مناكب الجبال الرواجح، حتى يحطمها إلى بطون الأباطح - ومعتمدة صدورهم بأيده. ودونه ما تضع كل ذات حمل عند حملها، وتخف الغبراء وتهجر ثقلها، وملاقيهم - بعد ذلك - برجال يسترسلون إلى المنايا، كأن رحماً تجمعهم دانية، ويأنسون بالحروب كأن أمّا تكفلهم حانية، فلم تمض إلا ساعة، حتى^(٣) أقيمت على المخازيل الساعة، وعلم أن الجيل^(٤) أخس جيل. وكل هذا من تفضل الله على مولينا - أدام الله علاهما - لا يدعيان حولا ولا قوة إلا به، ولا يريان عوناً ولا نصرة إلا منه، يسجدان سجدات الشكر، ويعفّران لمالك الخلق

(١) في الأصل: صاحبه.

(٢) مبالغة شديدة من الصاحب.

(٣) في الأصل: ساعة قد أقيمت.

(٤) الجيل: سكان جيلان. انظر مقدمة التحقيق ص م.

والأمر، علماً بأنّهما عباده، إلا أنه - تعالى - استكفاهما أمور العباد، واسترعاهما
سُبُل / [١١٠ ب] الصّلاح والرّشاد.

وأقول: لم يؤت الشريف سيّدي من بيانٍ وبلاغة، وإحسانٍ وإجادة، ولسنٍ
وإصابة، وسلاقةٍ وذراقة، ولكنّ الأمر جلّ في نفسه؛ فحسر القرائح عن وصفه،
وقصر الأوهام عن علمه، وقبض الأيدي عن عدّ فضائله، وأياس القلوب من
حصر مناقبه، واستوى في الإخبار عن كُنْهه، والإنباء عن حَقّه، والتحدّث بنعمة
الله في إشراق نجمه، وعُلُوّ قدّحه - حالta القادر والعاجز، والكامِل والناقص،
والمفضول والفاضل، والصّامِت والناطق، والمُسهب والمقتصر، والمُطنبِ
والمقتصد، والمُكثر والمختصر، والفصيح اللَّهجة، والمرمي بالكُنّة، والميسر لرقّة
العذبة، والممنوّ بغلظ الأسلة. بلى لِنُوءِ النبوة توفيقٌ يأخذ منه الشريف بحظّ
السّابق، وحقّ الوارث، والمعلّى من قدّاح الياسر، فكلامه فضلٌ، وكتابه في نفسه
أصلٌ، يبلغ بالقول اليسير الغرض البعيد، وبالإياء القليل المطلب الشّديد،
وبالنكّته يلقيها جملةً، ما يعجز خطباء إياد عن تقصّيه برهنةً، فهو سُلالةٌ من أوتي
جوامع الكَلِم وقال: «أنا أفصحُ العرب»^(١)، ختماً على الأفواه أن تعارضه، وعلى
الألسنة أن تناقضه، بنفسه هو وبأنفس الناس أجمعين!

(١) معناه صحيح، لكن لا يُعلم إسنادُه، ولا من خرّجه؛ فلا أصل له. وروى الطبراني في المعجم
الكبير، ج ٦، ص ٣٥ من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - رفعه: «... أنا أعرب
العرب، ولدني قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر، فأني يأتيني اللحنُ؟!» قال الهيثمي في
مجمع الزوائد، ج ٨، ص ٤٠١: «فيه مبشر بن عبيد، وهو متروك». وانظر: التلخيص الحبير
لابن حجر العسقلاني، ج ٤، ص ١٣ «أنا سيد ولد آدم».

شوقي إلى الشَّريف سيّدي شوقٌ لو تقاسمته ربيعةٌ ومُضَرٌّ، وتقارعت عليه
العربُ والعجمُ، واشتركت فيه الطوائفُ والأُممُ، وجُعِلَ فوضى تغمُرُ القلوبُ،
وشورى تملأ الصدورُ، ونُهِيَ تسعُ^(١) النفوسُ؛ لما كان فيهم إلا ملتهبُ الجوانح
صبوةً، ومتأججُ الأعضاء غلّةً، وسائحُ الدَّمع غصّةً، وعازبُ الصَّبْرِ حَسرةً،
ومهزوزُ الأعطاف لوعةً، وممتلىءُ الأحشاء غمةً، وهل يسعُ غيرُ هذا وقربه الرُّوحُ
والراحة، والأنس والغبطة، والسرورُ والبهجة؟! خُلِقَ عظيمٌ، وشَرَفَ عميمٌ،
وطَبَعَ كريمٌ، وعَهْدَ قويمٌ، ولسانٌ فصيحٌ، وعَقْدٌ صحيحٌ، ومَجْدٌ صريحٌ، وتواضعٌ
لم تتمش^(٢) فيه نخوةٌ، وتسمُح، بل سباحة غمرة، وعشرةٌ يكاد ماؤها يقطرُ،
وثغرُها ييسمُ. يعطي من نفسه ما لا يُستحقُّ، ويُسمح عنها بما هو الحقُّ، وقد
أصبح - مع ذلك - محفوظُ الوقارِ، ساميُ المقدارِ، محظوظُ الأطوارِ، محميُّ
الذمارِ، عزيزُ الجوارِ، يُخشى سطوه، كما يُرجى حلمه، وتُحذرُ صواعقه، كما تُشام
بوارقه، ويُتخوفُ نكاله، كما يُتَشَوَّفُ إفضاله، فلا خيرَ فيمن لم يجمع سلاسةً
/ [١١١ أ] وشدةً، وسكوناً وحدةً، وسهولةً ومرونةً، وليناً وخشونةً، وانقياداً
وجماحاً، وطمَاحاً وإسماحاً. واللهُ المسؤولُ اجتماعاً على حالٍ تشرح الصِّدْرُ، وتشدُّ
الأزرَ، وتُظَاهِرُ النَّصْرَ، وترفعُ القَدْرَ، وتعلي الذِّكْرَ، وتوجب الغلبةَ والقَهْرَ، وتُلزِمُ

(١) في الأصل: (يغمر.. يملأ.. يسع) بالياء.

(٢) في الأصل: يتمش، بالياء.

الأعداء الصُّغَر، وتسلَّط على بقاياهم الدَّهَر، وتقسم لنا العيش السَّهْل ولهم البقاء
الوَعْر، إلى أن يكونوا حصائد السُّيوف، بعد أن تتساقط أنفُسُهم نفوساً بأيدي
الحسرة، وطرائد الحتوف، بعد أن تتهافت قواهم قوَّة قوَّة بعوادي الكرية، فلا بقاء
نجيح، ولا فناء مُريح. وهذا دعاءٌ اغتنمتُ أن يؤمَّنَ عليه الشريفُ سيِّدي؛ فإنَّ
الإجابة - سيِّدي - هناك مرَّجوةٌ، وآية الإسعاف متلوةٌ، وعادة الإفضال مبلوَّة.

ما زلتُ أترصد وقتاً يفسح لي في الكتاب إلى الشريف سيِّدي فلا أجده،
وأتحين زماناً يخلص لخاطري في إجابته فأستبعده، ثم قلتُ: مالي وللتَّصنُّع وقد
أسقط الله عني كلفته، ورفع بيني وبينه عُلقته! فلم لا أُملي إملاءً أسرع من سلَّة
سارق، أو لمعة بارق؟!

كخطفة^(١) برقي أو كنظرة مغرمٍ على حذرٍ أو ردَّ طَرْفِ المراقب^(٢)

فأمليتُ، وأنا لا أعلم كيف أحتُّ خاطري ويدَ كاتبِي، وأستعجلُ لساني
وبَنانَ ناسخي، وبقي أن يكونَ الشريفُ يسترُ الزَّلَلَ، ويتجاوزُ الهفوة، ولا يكشفُ
السقطة، ويُغمضُ على العثرة، ويُغضِي على الخلَّة؛ فإني له ومنه، ومختلط بالولاء
معه غير مُمتازٍ عنه، ومحاسني - إن كانت - فله جمالها، وإليه مالها، وعنده مستودعها،

(١) في الأصل: وخطفة.

(٢) البيت للوأواء الدمشقي من قصيدة طويلة له، والرواية في ديوانه، ص ٢٦: «كخفقة قلب أو

كقبلة عاشقي * على حذر...»

وفي أفقه مطلعها، وبروضه زهرها، وفي سمائه قمرها، ومقابحي - إن أُحصيت -
فعليه عهدتها، وفي ذمته تبعثها، وهو المقنع بعارها، المتلفع بشنارها، والمرمي
بناها، والمقصود بحبائلها وحبالها، وقد قال الصادق^(١) - عليه السلام - : نحن
الأعلون وشيعتنا العلويون، وقبله ما روي: مولى القوم منهم، فليحسب لنفسه ثم
ليحاسب، وليثبت ثم ليطالب، وليقض حقي بطي الكتاب إن لم يكن في نشره
فائدة، وإخفائه إن لم يكن في إبدائه غنيمة باردة، فهو عندي من الكلام الذي لا يفتح
السمع له إلا حجاباً ضيق المسلك، ولا يشرع له القلب إلا مجازاً ضنك المشرع:
/ [١١١ ب] ويسى^(٢) بالإحسان ظناً لا كمن هو بابنه وبشعره مفتون^(٣)

(١) الإمام جعفر بن محمد.

(٢) في الأصل: وأسىء، والصواب ما أثبتنا.

(٣) البيت من قصيدة طويلة لأبي تمام. ديوانه بشرح الخطيب التبريزي، ج ٣، ص ٣٣١.

وله

عَهْدٌ لَعَلَوِيٍّ وَلِيَّ النَّقَابَةِ بَيْنَ الذَّرِيَّةِ الطَّيِّبَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

الشریف أبو القاسم زید بن محمد بن الحسین الحسني - أدام الله عزّه.

قد استخرنا الله كثيراً، وصَلَّينا على النبيِّ محمدٍ وآله الذين طَهَّرَهم من
الرَّجْسِ تطهيراً، واعتمدناك لما كان جَدُّكَ - رحمه الله - معتمداً له من نقابةِ
العَلَوِيَّةِ - أَيْدَهم الله - بحضرتنا، وفي أطراف مملكتنا، إعظماً لهذه الذرِّيَّةِ الزكِيَّةِ،
والشجرة النبويَّةِ عن أن يتولَّى الحُكْمَ بينها، والنَّظَرَ في أحوالها، طبقات الحُكَّامِ
الخارجين عن جُملة الأسرة، وربَّقة العِترَةِ. فكنْ من الاتقياء لله - تعالى - على ما
يكون عليه مَنْ شَرُفَ ببِنوةِ النبوةِ، وكان سُلالةَ الرسالة. والقرآنُ العظيم - الذي
يجمعُ المواعظَ، وينظم المِراشدَ - على جَدِّكَ - صَلَّى الله عليه وعلى آله - نَزَلَ،
والإنذارُ فيه بدأ الأقرب من عشيرته فالأقرب، فأحقُّ النَّاسِ بالسَّداد، وأولاهم
بالرَّشاد: مَنْ نشأ في حِجْرِ الإمامَةِ والوصِيَّةِ، وانتمى إلى الدَّوْحَةِ الطَّيِّبَةِ الرضِيَّةِ،
وكان جَدُّه رسولَ الله - صَلَّى الله عليه - وأبوه سيِّدُ الأئمَّةِ الراشدين - صَلَّى الله
عليهما وعلى ألهما أجمعين.

وحُطَّ هذا النسبَ - الذي غشاه الله ملابسَ التعظيم، وآتاه جوامعَ التفخيم،
وقدَّمه على مفاخر الأولين والآخرين - عن أهل الدَّعوة^(١)، والمتحلين اسم

(١) في الأصل: الدولة.

النسبة. وَمَنْ عَثَرَ بِهِ مِنْهُمْ؛ فَأَشْهَرُ ذِكْرِهِ، وَغَيْرُ أَمْرِهِ، فَأَجْدَرُ الْمَنَاصِبِ بِالْحِرَاسَةِ
عَنِ الدُّخْلَاءِ، وَالْحِمَايَةِ عَنِ الْأَذْعِيَاءِ: مَنْصَبُ كَانَ الْمُصْطَفَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ الْأَذْنَيْنِ - أَصْلَهُ وَنَجَرَهُ، وَذَرِيَّتُهُ ^(١) مَجْدَهُ وَفَخْرَهُ، وَوَفَّ شَيْوَخَ هَذَا الْبَيْتِ
- أَيَّدَهُمُ اللَّهُ - حَقَّ الْإِكْرَامِ، وَفَرَضَ الْإِعْظَامَ، بِحَسَبِ مَوَاقِعِهِمْ مِنَ الصَّلَاحِ،
وَمَرَاتِبِهِمْ مِنَ السَّدَادِ، وَمَنَازِلِهِمْ مِنَ الْعِلْمِ، وَمَحَالِّهِمْ مِنَ السِّتْرِ، وَاكْنَفِ بَاقِيهِمْ
- أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - بِالْإِعْزَازِ وَالْإِثَارِ، وَتَوَخَّ غَابِرَهُمْ بِالْإِعْذَارِ وَالْإِنْذَارِ. وَمَنْ زَاغَ عَنِ
الطَّرِيقَةِ، وَلَمْ يَرُدَّهُ الزَّجْرُ إِلَى حُسْنِ الْبَصِيرَةِ؛ فَخَذَ بِأَدَبِ جَدِّكَ، فَقِيهِ الْعَرَبِ وَسَيِّدِ
بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ كَثِيرًا وَسَلَّمْ عَلَى أَهْلِهِ ^(٢) تَسْلِيمًا - فِي كَفِّ مَعَرَّتِهِ،
وَدَفْعِ / [١١٢ أ] مَضَرَّتِهِ؛ لِئَلَّا يَقَعَ مِنْ أَحَدٍ مَا يَهْجُنُ عَلَوْ نَسَبِهِ، وَيَتَحَيَّفُ فَضْلَ
حَسَبِهِ، فَإِنَّ الْمُنْتَمِي وَإِنْ كَانَ عَظِيمًا، فَهُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَى تَقْوَى اللَّهِ شَدِيدًا.

وَابْعَثِ الْأَشْرَافَ عَلَى إِحْسَانِ مُعَامَلَةِ سَائِرِ الرَّعِيَّةِ، وَصِيَانَتِهِمْ عَنِ الْاِمْتِهَانِ
وَالْأَذْيَةِ؛ فَقَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ - كَمَا وَصَفَ اللَّهُ - رَوْوْفًا
رَحِيمًا ^(٣). وَمَهْمَا وَعَظَّتْهُمْ بِهِ وَذَكَرَتْهُمْ، وَهَدَيْتَهُمْ إِلَيْهِ وَبَصَّرَتْهُمْ، فَاسْبِقْ إِلَيْهِ، وَقَدِّمْ

(١) فِي الْأَصْلِ: وَدَرَعَهُ.

(٢) أَقْحَمَ أَحَدُهُمْ بَعْدَهَا: «وَصَحْبِهِ». وَهِيَ لَيْسَتْ مِنْ أَصْلِ الْكِتَابِ. انْظُرْ تَعْلِيلَنَا فِي ص ٧ حَاشِيَةِ
(٥).

(٣) يَشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ
حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ، آيَةُ ١٢٨.

العمل عليه؛ ليقْتدُوا بك، ويهتدوا بمذهبك. واعلم أَنَّا كما حَمَلْنَاكَ مِنْ أَمَانَةِ اللَّهِ ثَقِيلًا، وَقَلَدْنَاكَ عَظِيمًا جَلِيلًا، فَسَنُوسِعُكَ إِحْسَانًا وَتَقْدِيمًا، وَإِكْرَامًا وَتَأْيِيدًا، وَإِنْعَامًا وَتَخْوِيلًا، وَنَرْسُمُ إِجْرَاءَ نَظَرِنَا وَصِلَاتِنَا، وَعَطَايَانَا وَهَبَاتِنَا، لِلْعَلَوِيَّةِ - أَيْدَهُمُ اللَّهُ - عَلَى يَدَيْكَ، وَتَفَرِّقَتِهَا لَدَيْكَ، فَاسْتَمَدَّ هَذَا الرَّأْيُ بِسُلُوكِ أَرْضَى الْمَذَاهِبِ وَأَحْمَدِهَا، وَأَهْدَى الْمَسَالِكِ وَأَسْعَدِهَا، وَلَا تَدْعُ مَشَاوِرَةَ أُولَى الْعِلْمِ وَالرَّأْيِ مِنَ الْعَلَوِيَّةِ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - عَمُومًا، وَالشَّرِيفِ أَبِي طَالِبِ الْحُسَيْنِيِّ - أَيْدَهُ اللَّهُ - خُصُوصًا، وَاللَّهُ وَلِيُّ تَوْفِيقِكَ وَهِدَايَتِكَ، وَعِصْمَتِكَ وَكِفَايَتِكَ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

الباب العشرون
في السور
وهي السور المختلفة المعاني

[وله^(١)]

كتابي ومولانا الأمير المؤيد متّصل أمداد النعم، مرفوع عماد الكلم، وعبدّه سالم بامتداد ظلّه، والله الحمدُ شكراً لله.

ووصل كتاب مولاي بعد تراخي العهد به، واستيهام طرق السكون لتأخّره، فقد علم أنّ المخاطبات بأنبائه أقوات النفس، ولها أوقات في الورود، فإذا تدافعت عدم القرار، وملكت الأفكار. وعلمت أنّ الذي بطؤ به، الشغل بالخروج إلى الأعمال الميمونة، ومشاهدة النعم الموفورة، فإنها بهرت العقول قبل العيون، وفاتت الأحلام قبل الظنون.

وإن كان كلُّ أبي مستوعرٍ، وقصّي متعذرٍ، متى قصدته الهمة العالية مصحّباً يدور الفلك بتقريبه، ويخفُّ القدر في تسهيله. والله يديم سلطان مولانا؛ ليحرس الدنيا كما ملكها، ويحوطها كما افتتحها، بمنّه الواسع، وصنعه الجميل.

وقرب الانكفاء، بطالع البسطة والعلاء، إلى السرير الأعظم، لا زال خصائصه مسدوداً بمولى الأمم، وصدره / [١١٢ ب] معموراً برّب الملك والكرم الأعظم،

(١) زيادة منا.

بشرى تَعِيهَا المِسامعُ، وتتهنأُ معها المِنحُ الجوامعُ، ويكَبُّ لها الباطلُ لوجهه، ويخِرُّ
عندها الضَّلالُ ليدِه وفِمِه.

وكتابُ مَولاي من العسكرِ مَرغَبُ النَّفسِ ومَرَقَبُ النَّصرِ، وانتظامُ أمرِ كذا
وما يجري معه؛ أمرٌ كان القضاءُ تضمَّنَه، يومَ ألقى مَولانا ظِلَّهُ.

وله

كتابي عن سلامةٍ ونعمةٍ، مسبغها سكونٌ ظلّ الخدمة. والحمدُ لله.

وتطلّعتُ خَبَرَكَ فأبطأ إبطاءً، وشغل الفكرَ وإن لم يضيق العذر؛ لعلمي بطيئك
المنازل، وإدراجك المراحل. وكنا تفاوضنا عودَ فلانٍ من النهرِوان^(١)، وقلتُ: إنَّ
ذلك لمستقبل حُسْنَى وإحسان، فلم يخطئ ظنِّي، ولم يبطئ زَجْرِي؛ لأنَّ صدره كان
بالخلع المباركة، واللواء الميمون، والعهد الكريم، ثم أفكرَ مولانا في أنَّ ذلك إذا
تأخَّر عنه اللَّقبُ وَجَدَ التَّشْرِيفَ مُتَحِيفاً من بعض جوانبه، مُحِلاً برسمٍ من
مراسمه؛ فاستعاد فلاناً؛ لينضاف اللَّقبُ المتخيرَ إلى سائرِ ما استجزل فيه الشرف،
وأوعزَ في مخاطبة الأمير بهذا الذِّكر؛ ليُعرفَ وفورُ الاهتمام بمواقع الفخر، ويؤمنَ
عليه ذهابُ الخاطر مع سوء الفكر؛ وإنبائك بالأمر؛ لتمثله، وتعرفَ آخره، كما
عرفتَ أوله. وأنا أنتظرُ إيابَكَ، وقبلة كتابكَ، وأخباركَ وآرابَكَ.

(١) كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي.

وله

كتابي، ونعم الله عند مولانا الأمير - أدام الله سلطانَه - مُتَّصِلَةُ الْوُرُودِ،
مَتَّصِمَةٌ أَقْسَامِ السَّرُورِ، وأنا سالمٌ في ظلِّه الظَّلِيلِ، وبرأيه الجميل. والله الحمد.

وَوَصَلَ كِتَابُكَ يَذْكُرُ عَرَضَكَ - بِخَضْرَةِ الْأَمِيرِ صَاحِبِ الْجَيْشِ - مَا
اسْتَصَحَبْتَ، وَمُجَاوِرَةَ بَرِّهِ قَوْلًا وَفِعْلًا لَمَّا تَطَلَّعْتَ وَارْتَقَبْتَ، إِلَى سَائِرِ مَا تَصَرَّفَ
- أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَاءَهُ عَلَيْهِ - مِنْ بَوَاعِثِ الْكَرَمِ وَدَوَاعِيهِ، وَبَسْطِ الْجَمِيلِ وَالْإِغْرَاقِ فِيهِ،
وَعَرَضْتُهُ؛ فَاعْتَدَّ مَوْلَانَا بِمَا تَظْهَرُهِ الْأَيَّامُ زَائِدَةً فِي الثِّقَةِ، وَمُضَاعِفَةً لِلْمُودَةِ السَّابِقَةِ،
وَقَالَ - أَدَامَ اللَّهُ تَمَكِينَهُ -: إِنَّا لَوْ لَا طَفْنَا كِفَاءَ مَا عِنْدَنَا مِنْ إِكْبَارِهِ، لَتَكَلَّفْنَا مَا لَا
حَصَرَ لِأَقْدَارِهِ، لَكِنَّا عَلِمْنَا أَنَّ الْقَلِيلَ إِذَا اعْتُمِدَ بِهِ حِفْظُ نِظَامِ الْإِسْتِرْسَالِ، وَمَا
يَجِبُ مِنَ الْإِنْبِسَاطِ / [١١٣ أ] عِنْدَ امْتِزَاجِ الْأَحْوَالِ؛ لَمْ يَكْتَسِبْ هِجْنَةً، وَلَمْ
يُوجِهُ^(١) ظَنَّةً.

وَأَوْبُكَ الْآنَ مَتَطَلَّعَ، إِذَا رَأَى الْأَمِيرُ ذَلِكَ وَأَوْجَبَهُ، وَاهْتَمَّ بِهِ فَلَانَ وَسَبَّهَ،
فَأَنَّهُ خَبَرَكَ عَلَى تَلْخِيصٍ^(٢)؛ إِذْ قَدْ أَبْطَأَ مِنَ الْمُجَمِّزِينَ مَنْ تَقَدَّمَكَ، وَكَذَلِكَ مِنْ
صَحْبِكَ، وَأَذْكَرُهُ أَحْوَالِكَ.

(١) فِي الْأَصْلِ: يُوَجِّهَ.

(٢) يَقْصِدُ: تَبْيِينُ.

وله

باب التَّفَتِّي^(١) بِأَصْبَهَانَ كُنْتُ أَغْلَقْتُهُ، بَلْ أَوْثَقْتُهُ، وَاقْتَدَى مَوْلَانَا بِي فِي ذَلِكَ؛
فَرَدَمَهُ، وَسَدَّ ثَلَمَهُ، إِلَّا أَنَّ الشَّاذَّ يَقَعُ مِنْ حَيْثُ لَا يُتَوَقَّعُ.
وَوَرَدَ الْبَابَ صَبِيٌّ بِقَرَبِ فَلَانٍ، اضْطَرَّه إِلَى الْخُرُوجِ إِعْرَاضَ أُنَيْسِيَّانِ^(٢) آذَاهُ
بِالدَّعَاءِ إِلَى التَّفَتِّيِّ مَعَهُ - فَتَّ اللَّهُ عَضُدَهُ وَأَضْلَعَهُ - وَمَوْلَايَ يَزْجُرُهُ زَجْرًا، يَصِيرُ
حَصْرًا؛ لَيْسَلَمَ هَذَا الضَّعِيفُ عَلَيْهِ، وَيُمْكِنُهُ الْمَقَامُ عَلَى أَبَوِيهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(١) التَّفَتِّي: الانخراط فِي سَلَكِ الْفُتُوَّةِ. وَهِيَ مِنْهَجٌ أَخْلَاقِي يَقُومُ عَلَى الزَّهْدِ الْمُرْتَبِطِ بِالْفَضَائِلِ
وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ. انْظُرْ مَقْدِمَةَ مُحَقِّقِي كِتَابِ الْفُتُوَّةِ لِلسُّلَمِيِّ.
(٢) تَصْغِيرُ (إِنْسَان).

وله

وَصَلَ كِتَابُكَ؛ فَأَنْسْتُ لَوْ قَوَّعَ الطَّرْفُ عَلَيْهِ، وَامْتَدَادِ الْيَدِ إِلَيْهِ، وَفَضَضْتُه؛
فَجَمَعَ وَفَاقًا وَخِلَافًا، وَأَطْلَعَ شِيَاثَ أَخْيَافًا^(١).

فَأَمَّا الشُّكْرُ وَالْاعْتِدَادُ، وَالْإِخْلَاصُ وَالْاعْتِقَادُ، فَأُمُورٌ أَنْتَ تَسْتَغْنِي عَنْ
ذِكْرِهَا خَبْرًا وَنَشْرًا، بَعْدَ مَا قَتَلْتَهَا عِلْمًا وَخُبْرًا، فَكُلَّ مَعْرِفَتِهَا إِلَيَّ، وَلَا تَسْتَرْذُ فِيهَا
لَدَيَّ.

وَأَمَّا فَلَانٌ فَقَدْ كُنْتَ أَحَبُّ أَنْ يَتَّفِقَ مُقَامُكَ بِأَصْبَهَانَ وَلَمَّا بَعْدَ عَنْهَا، فَتَشَاهِدُ
تَوْفُرًا تَرُقُّ حَوَاشِيهِ، وَتَرُوقُ نَوَاحِيهِ، كَمَا تَسْتَحِقُّهُ^(٢) عَلَيَّ، وَعَلَى مَنْ هُوَ مِنِّي. وَأَتَى
عَلَيَّ أَنَّهُ خَارِجٌ بَعْدَ أَيَّامٍ، وَوَاصِلٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - قَبْلَ مُفَارَقَتِكَ أَصْبَهَانَ، فَيَتَلَفَى
بَعْضَ الْحَقِّ إِنْ أَعُوزَ كُلُّهُ، وَيُؤَدِّي عَنِّي مَا لَا يُؤَدِيهِ إِلَّا مَثْلُهُ.

وَأَمَّا مَا شَغَلَتْ بِهِ مِنْ أَفْكَارِكَ فِكْرًا، وَمِنْ سُطُورِكَ سَطْرًا، فِي إِزْجَافٍ زَيْدٍ،
وَإِخْتِلَافٍ عَمْرٍو، فَلَوْ شِئْتَ لَكَفَيْتَ نَفْسَكَ وَإِيَّايَ كُلْفَتَهُ، وَصُنْتَ يَدَكَ وَسَمْعِي
عَنْ أَنْ تَتَرَدَّدَ^(٣) جِلْدَتَهُ، فَمَثْلُهُ لَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ أَفْوَاهٍ مَا نَطَقَتْ صَوَابًا، وَلَا قَالَتْ إِلَّا

(١) أخيفاً: مختلفة. لسان العرب، ج ٩، ص ١٠٢ (خيف).

(٢) في الأصل: يستحقه.

(٣) في الأصل: يبرر، وتترد: تعرك.

كذاباً، لا سيّما وأنت تعلم أنّ سمعي حَرَمٌ لا تدخله بُنَيَاتُ الكلام، وهَنَاتُ الطغام.

واستدعيت مهمّاتي، فخذ - إن لم يكن وفاؤك ظَهْرِيّاً، وعَرَضُك سَابِرِيّاً^(١) - / [١١٣ ب] للشيخ المرشد - أدام الله عزّه - شَرَحَ كذا من الفقه، وقد رأيت جُلّه عندي؛ إذ ذكرت موقعه من كُتُبي، ولكنه بين هُجَّتَيْن: من اختلاف الخطّ والتقطيع، وسُبَّتَيْن: من فَقْدِ التَّصْحِيح^(٢) والتّتميم، فارتدّ - إذا عدت لي - نسخة تجمع التمام والحُسن والصحّة.

وخراجك قد قلت فيه لفلانٍ ما يزيل عنك الشغل، ويميطُ دونك الثقل، والتَّسْوِغُ الثاني قد أجريت ذِكرَه في المجلس الشريف، وأنا - إن شاء الله - ألطف في التذكير، والله ولي التيسير. فاكتب - أيّذك الله - ما أقمت، ثم إذا انصرفت، فاذكر حاجاتك كيف اخترت وأحببت، إن شاء الله.

(١) السُّبَرُ والسَّابِرِيُّ من الثياب الرقاق. وكلُّ رقيقٍ سابريٍّ. وعَرَضُ سابريٍّ رقيق ليس بمُحَقَّق. ويضرب به المثل لمن يعرض عليك ما أنت عنه غنيّ، كالرجل يعلم أنك نزلت دار رجلٍ ضيفاً، فيعرض عليك القُرَى، أي العَرَض الذي لا يُبالغ فيه، وإنما يُقال للمجاملة كما نقول اليوم. انظر: لسان العرب، ج ٤، ص ٣٤١ (سبر)، ج ٧، ص ١٨٢ (عرض)، ج ١١، ص ٤٦٨ (علل)، ج ١٢، ص ٣١٢ (سوم).

(٢) في الأصل: الصحيح.

وله

وَصَلَتْ رُقْعَتُكَ؛ فَذَكَرْتَ فِيهَا مِنْ شَكَاتِكَ - مَسَحَهَا اللَّهُ بِإِدَامَةِ مُعَافَاتِكَ -
مَا شَغَلَ قَلْبِي، وَقَسَمَ فِكْرِي، وَاللَّهُ يُهْدِي لَكَ مِنَ الْعَافِيَةِ أَفْسَحَهَا وَطَنًا، وَأَثْبَتَهَا
مُرْتَهَنًا، بِمَنِّهِ.

وَفَلَانٌ وَرَدَ كِتَابُهُ بِذِكْرِ مَا لَقِيَ فِي طَرِيقِهِ أَجْمَعٍ، مِنْ بَرٍّ تَجَاوَزَ الْقَصْدَ إِلَى
السَّرَفِ، وَجَازَ كُلَّ غَايَةِ أَمَدٍ، وَأَنَّهُ - حِينَ وَصَلَ - تَلَقَّاهُ الْأَمِيرُ مُتَنَاهِيًّا فِي التَّوْفَرِّ،
وَمَوْفِيًّا أَقْسَامَ التَّفَضُّلِ، فَأُورِدَ بِهِذَا الذِّكْرُ، مَا اسْتَنْفَدَ طَاقَةَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ، فَوْقَ
بَحْضَةِ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ الْطُفِّ مَوَاقِعِ الْإِعْتِدَادِ، وَاسْتَجَزَلَ مِنْ إِحْمَادِهِ أَكْمَلَ السَّهَامِ
وَالْأَقْسَاطِ.

وَقَدْ أَنهَيْتُ جَلِيَّةَ مَا وَرَدَ إِلَى الْحَضْرَةِ الْعَالِيَةِ إِنْهَاءَ الْمَشَارِكِ الْمَخْلَصِ، وَالْمُشَايِعِ
الْمُتَخَصِّصِ، فِي كُلِّ الَّذِي يَتَّصِلُ بِجَنْبَةِ الْأَمِيرِ مَوْلَايَ، وَاللَّهُ يَزِيدُ الْأَحْوَالَ قُوَّةَ
أَسْبَابِ، وَقُرْبَ أَنْسَابِ، بِمَنِّهِ.

وله

كتابي يومَ كذا، وقد تقدّمتُ اليومَ بتقديم مَضاربي إلى سَحْنَة^(١)؛ لأنْهَضَ - بمشيئة الله - بكرّةً، مُواجهاً الحَضْرَةَ البهيّةَ، والله يَعْرِفُ في ذلك الخيرَ، ويلقّي النُّجَحَ والعافية.

وكانت عليّ في تهذيب هذه الأعمال - التي فَسَدَتْ على الأيام، واضطربت على الزمان - أَشْغَالٌ وَأَثْقَالٌ، ولم أَحْسِبْهَا تنزاحٌ في مدّةٍ قريبة، ومهلةٍ يسيرة، إلّا أنّ سَعَادَةَ الخِدْمَةِ الشريفة تُسَهِّلُ العَسِيرَ، وتُقَرِّبُ^(٢) البعيد، وحداني / [١١٤ أ] على فَضْلِ التعجّل، والزيادة في التشمّر، أنّ الكتبَ من المجلس الشريف توالّت إليّ، بالبعث على البدار، والحثّ على تقديم الفراغ، للمهمّات التي يلزم التّصرفُ على تَقْرِيرِها، والتخفّفُ في تقديمها.

ووَصَلَ كتابُك؛ فتكافأ موقعُهُ وتوقُّعُهُ، وأنسَ مطلعُهُ ومودّعُهُ، وأحمدتُ ما تصرّفتَ فيه إجمادي سائرَ أحوالك، واعتقدتُ فيه اعتقادي في كافّة أفعالك؛ بأني أنكرتُ إيرادك - في جملة^(٣) اعتذارك - أنك حسبتَ كتبك لا تُتَرَقَّبُ؛ فلذلك

(١) قال ياقوت: إنها موضعٌ بين بغداد وهمدان، وقيل: بلد بالقرب من همدان. معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩٥. وهي شمال خرائب الدينور اليوم. انظر ما جمعه عنها لسترنج في بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٢٥.

(٢) في الأصل: يسهل... ويقرب، بالياء.

(٣) في الأصل: جملة.

خففت، ومخاطباتك لا يؤبهُ لها؛ فكرهت المواظبة وأقصرت، وما علمت أنك - بعد - من اليقين بموضعك لديّ في هذه الدرجة القريبة، والمعرفة الضعيفة، وقد كانت لك في المعاذير فُسحة، وفي مذهب القول سعة، فلم أُلجأت نَفْسك إلى أضيق السُّبل وأوعر الطُّرق، ولَعَمري إنّ كثيراً من الناس بالرتبة التي ظننت نَفْسك بها - حاشاك منها - فإنك إذا كتبت كان سعيك مشكوراً، وإذا أعتبت عوتبت طويلاً، ولم نظنّ بك إلاّ جيلاً.

وقد عرفت ما بَشَّرتني به من تَمَثُّل فلان وإِقْبَالِه، والفضل من ظاهر حاله، وما شاهدته عند استقباله، وأنا أرجو أن يهب الله له ولي فيه عافية، يمتدُّ ثوبها، وتثوب القوّة معها؛ فإنّ الذي يبلغني من ضَعْفِه قد أضعف المنّة، وإنّ لم يضعف الظنّ بالله والثقة، كفاه الله بالسّلامة، وشفاه بلطائفه الخاصّة والعامة. وقد عرفت ما أصدرته إلى الحضرة البهيّة؛ فحمدتُ الله على معونته لك، وتوفيقه إياك.

وكتب فلان بأنّ العدد نقص عن التوظيف شيئاً؛ فنتج ذلك في المجلس الشريف عتّباً، ولا أدري كيف أخاصمك لنفسك؛ فإنك تُثَلِّم في الكثير بتحيّيف اليسير، وتُزِيلُ محمّدة الجليل بانتقاص الدقيق، مع معرفتك بمسألة مولانا عن هذا الباب مُستقصياً، والتماسه الحساب به مستوفياً.

وله

وَصَلَ كِتَابُ مَوْلَايَ؛ فَأَفَادَنِي مِنْ بَرِّهِ مَا قَدْ سَبَقَ إِقْرَارِي بِالْقُصُورِ عَنْ
الْوَاجِبِ فِيهِ شُكْرًا وَاعْتِدَادًا، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَقْصِرُ نِيَّةً وَاعْتِقَادًا.

فَأَمَّا الَّذِي بَشَّرَنِي بِهِ مَوْلَايَ مِنْ إِنْعَامِ مَوْلَانَا فِي اخْتِيَارِ يَوْمٍ لَوُرُودِي الْبَابِ
/ [١١٤ ب] المعمور، فَفَوْقَ كُلِّ أَمَلٍ وَمَأْمُولٍ، لَمْ تَبْلُغْهُ هَمَّتِي، وَلَمْ تَشْجَعْ لَهُ مُتَّتِي؛
إِذْ أَسْعَدُ يَوْمٍ وَوَقْتُ لَأَمْثَالِنَا مِنْ أَصَاغِرِ الْخَدَمِ وَأَنْشَاءِ الدَّارِ، يَوْمٌ يُمَثِّلُونَ بِإِزَاءِ
السَّرِيرِ الْأَعْظَمِ مُقْبِلِينَ عَلَى الْأَرْضِ بِالتَّقْبِيلِ^(١)، وَلَكِنْ نَفَحَاتِ الْإِحْسَانِ مِنْ مَلِكِ
الْأَمْلَاكِ^(٢)، وَفَلَكَ الْأَفْلَاكُ - أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ - لَا حَصَرَ لَهَا وَلَا حَدَّ. وَأَنَا عَامِلٌ
عَلَى مَا مَثَّلَ، وَمُرْتَسِمٌ، بِإِذْنِ اللَّهِ. وَالَّذِي أَهَّلَ لَهُ السَّلَاطُ أَبُو نَصْرٍ - أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ -
تَلْقِينًا لَهُ وَتَرْتِيبًا، وَتَشْرِيفًا وَتَقْرِيبًا، يَزِيدُ أَوْلِيَاءَ الدَّوْلَةِ وَخَدَمَهَا انْشِرَاحَ صُدُورٍ
وَارْتِفَاعَ نَوَاطِرَ، وَالْمَدَاهِنِينَ فِي فَرَائِضِهَا وَلَوَازِمِهَا حَرَارَاتِ صُدُورٍ، وَمَرَارَاتِ
قُلُوبٍ.

(١) يشير إلى وروده رسولا إلى عضد الدولة بهمذان من أخيه مؤيد الدولة، يبذل له الطاعة،
وذلك سنة ٣٧٠هـ، الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ص ١٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٧،
ص ٣٩٣.

(٢) من الألقاب التي حرص ملوك البويهيين على حملها: اللقب الفارسي القديم شاهنشاه أي ملك
الملوك. انظر ص ٤٣، حاشية (١).

وقد بادرتُ بكتابِ مَوْلَايَ - أدام الله تأييده - إلى حَضْرَةِ مَوْلَانَا الأَمِيرِ المُوَيَّدِ
- أدام الله أيامه - علماً بأنه يهتَزُّ لما اتَّفَقَ، ويتحقَّقُ أنَّ عِنايته به، هي التي شفَعَتْ إلى
الرأيِ العالِي له، لا زال كُلُّ مَرْمُوقٍ ومَلْحُوظٍ مُستَمِدّاً خَيْرَهُ وجَاهَهُ بِطَاعَةِ للحَضْرَةِ
العَالِيَةِ يلتزِمُها، وخدمةٍ يُخلصُها، ولمحةٍ يستمدُّها، ونظرةٍ يُتَفَضَّلُ عليه بها.

وله

كتابي - أطل الله بقاء قاضي القضاة^(١) - عن سلامة يسوغها تفضل الله الشامل، وإحسان فوق ما يأمله الآمل. والحمد لله رب العالمين، وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين.

ووصل كتاب قاضي القضاة - أدام الله عزه - فكان أنسي به، مشتقاً من أنسي بقربه، فأما تفضل مولانا - أعز الله نصره - فالصنيعة فيه عند قاضي القضاة - أدام الله عزه - مُصيبة طريق المصنع، وواقعة أكرم موقع، ولا غزو أن در الغمام، وقطع السيف الحسام، أدام الله أيامه، ولا أفقد إغراسه وإنعامه.

وفلان قد كان وقى في بابه، ما استقلت معه المنوي في عقابه، وإذ قد حكى قاضي القضاة براءة ساحته؛ فقد سرني أن انصرفت اليد عن مساءته.

وما بيني وبين قاضي القضاة يكبر عن الشكر، لا بل عن إجراء الذكر. فأما أنا فالعافية سابعة علي، والسعادة خالصة لي وإلي، والله حمد ذلك. / [١١٥ أ] بل أنسي مدخول، ونشاطي معلول، لشكاة مولاي أبي العباس^(٢)، والله أسأل أن يقيه، ويبقيه، ويكفيه، ويعافيه.

(١) هو عبد الجبار بن أحمد.

(٢) هو أبو العباس الضبي.

الأمر الذي أوّماً إليه قاضي القضاة من حديث أصحابنا ببغداد^(١)؛ إذ قد جرت فيهم ضروبٌ، وتردّدتْ خُطوبٌ، ورأيتُ الصّواب في تركِ مخاطبةِ المزكّي لنفسه، المعجّبِ بدَرْسِهِ، فأمسكت، وللجُملةِ تفصيل، وإذا التقينا - بمشيئة الله - قلتُ.

وقد استحضرتُ فقهاءَ هذا البلد في فُرص الفراغ؛ فرأيتُ قوماً بهم الاستفادة والتعرّف، والاستعلامُ والتفهّم، وأجملُ ما فيهم التصوّن، ثمّ أنّ لا تنازعَ بينهم في أمر الدنيا ولا تشعّب، بل جميعهم كاليدِ الواحدة يردّون مَورداً، ويصدرون مصدراً، وما بهم عن سماع الحقِّ بعدُ، بل ثمّ إصغاءٌ وقُرب، وليس يخطئهم التقريبُ والرفق، ومن عند الله التوفيقُ والرُّشد.

هذا وفيهم من يتجاوزُ هذه الطبقةَ، ويعتمدُ الموافقةَ في مقامٍ على تقرُّر أحوال الدّينور، فإن استقرّت - كما أريد - كفيّتُ الخروجُ إليها، وإلا أَلَمْتُ أياماً خمسةً بها، ثم أنكفئ إلى الحُضرة، فإنّ البعدَ عنها يتركُ النفسَ في جانبِ الفُتور، والأملَ في ناحيةِ القُصور، إلّا أنّ أهلَ هذه البلدة منذُ مُدٍّ عليها ظلُّ العَدلِ كمن أحييَ وهو رَميم، وأنبتَ وهو هَشيم. نسألُ الله توفيقاً لما يُرضيه، وتَسديداً فيما يُمضيه، وهو حَسبي ونعم الوكيل.

(١) في الأصل: ببغداد، وهي لغة في (بغداد).

لستُ أذكر تشوُّقي قاضي القضاة، أكلُّه إلى علمه، وأسأله استشهاد نفسه:
فعلى القلوبِ من القلوبِ شواهدُ وعلى الصدورِ من الصدورِ دلائلُ^(١)

(١) اقتبس صدره - مع تحوير - من بيت بكر بن النطّاح المشهور:

وعلى القلوبِ من القلوبِ دلائلُ بالودِّ قبل تشاهد الأشباح
وزاد عليه على نسقه محاكياً له.

وله

كتابي ومولانا محبُّو من النعم بما يتجلّى صنْعُ الله فيه باهراً للعيون، مُحَقَّقاً للظُّنون. والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلواته على محمدٍ وآلهِ أجمعين.

وتأخّرتُ كتبي عن مولاي؛ لكرورِ عللٍ عليّ صارت حلفاً لازماً، وطبعاً ثانياً، حتّى عادت الصّحةُ كطارقٍ مستغرّب، وطاريٍّ مستبدّع. / [١١٥ ب] وعولتُ في المهمّات أجمع على ما يُنهيهِ أبو فلان؛ فقد عرف في كلّ بابٍ ما عرفته، وعلم منه ما علمته، وقد نهض منذ أيام، والله ييسّر المنائح أين توجّه الخدم عن الباب المعمور، والأمر المتبوع، بمنه.

وكان مولاي - أدام الله عزّه - بشّر بما تيسّر في كذا، فابتسمتُ ثغورُ الأمل، واذنت بنهاية المراد في أقرب أمدٍ. لا زالت عزائمُ مولانا غنائم لأوليائه، وصواريّ على أعدائه، وكتابُ البشريّ بغيّة الطّرف؛ ليجلّوه، والروح ليغذّوه.

آخر الباب العشرين
وبه تمامُ هذا المجموع من الديوان
والحمدُ لله حق حمده
والصلاة على النبي محمد وآله
وفرغ من كتابته
أبو الحسن علي بن أحمد بن زكريا
المعروف بابن الشصاص البغدادي
بهمذان
في شهر رمضان من سنة سبع وخمسين وخمس مئة

ملحق
رسائل أخرى
للصاحب بن عباد

هذه مجموعةٌ أخرى من رسائل الصّاحب بن عبّاد، جمعتها - وسع الطاقة - من المصادر المختلفة، أثرتُ وَضَعَهَا في هذا الملحق؛ ليطلع عليها مَنْ يجد لديه اهتماماً بأدب الصّاحب، وهي في موضوعاتٍ مختلفة، لا تبعد عن أغراضه المعروفة، والمصنّفة في هذا المختار من رسائله.

نسخةُ كتابٍ وردَ من الصَّاحِبِ إلى أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن سَعْدَان^(١)

كتابي - أطال الله بقاء الأستاذ مولاي ورئيسي، أدام الله تأييده ونعماءه - يومَ كذا، ومولانا الأميرُ السَّيِّدُ فخر الدولة شاهنشاه - أطال الله بقاءه، وكَبَت أعداءه - فيما يرفعُ اللهُ من قواعد مُلكه، ويعضدُ يَمَنَ سواعدِ عِزِّه، ويعمُّ من استظهاره، ويفسحُ من أفنية استيلائه واقتداره، على ما تقرُّ به عيونُ أولياء الدولة، وأنصارِ البَيْضَةِ، وحمّةِ الحَوْزَةِ، وثقات الدعوة، وأنا سالمٌ. والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وآله أجمعين.

وعندي للأستاذ مولاي كتبٌ أنا رهينُ برّها، وعبدُ شُكرِها، وما عن تقصيرٍ في حقّها ذهبتُ عن الإجابة، ولا لإقصارٍ عن فرضها قبضتُ يدي عن الكتابة. وكيف وقد علمَ مَنْ له الخَلْقُ والأمرُ، وسواءٌ عنده السرُّ والجرُّ، أنّي لم أستفد منذ دهر، لا أضبط أطرافهُ امتداداً، ولا أحصي أيامه تعداداً، موهبةً في نفسي أكرم منبتاً من وده، وفي صدري أوكد موثقاً من عهده، ولكن حوادثُ اعترضت وأجحفت، وكوارثُ ألحَّتْ فألحبت، وأتت اللَّيالي بما لم يُحسَبَ طروقُه، وهجمت الخطوبُ بما لم يُرتَقَبْ حدوثه، ومضى أمير الأمراء^(٢) وسعيد السعداء، رضوانُ الله عليه،

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج ٦، ص ٣٤٦-٣٥١. وابن سعدان هذا هو وزير شرف الدولة

ابن عضد الدولة البويهبي.

(٢) المقصود مؤيّد الدولة، المتوفى سنة ٣٧٣هـ.

فعادَ النهارُ أسودَ، والعيشُ أنكدَ، والملِكُ أغبرَ، بل أربَدَ، وأصبحتُ خصوماً
والحياةَ خصمٌ يُمالُ عليه، والموتُ سلَّمٌ نحنُ إليه.

وقد كان - قدَّسَ اللهُ مثواه، وكرَّمَ مأواه - عند بلوغِ الأمرِ إلى حيث لا مطمعَ
في العُمُرِ، أشارَ إلى مولانا الأمير السَّيِّدِ فخر الدولة إشارة الناصِّ، وعيَّنَ على ذكرِهِ
بالاسمِ الخاصِّ^(١)، عالماً بأنَّه سدادُ الأمرِ، وسِدادُ الثغرِ، والكافلُ معه بالشملِ
حتى يجتمع، وبالحبلِ حتى يتَّصل، وبالشعثِ حتى يُلَمَّ، وبالنشرِ حتى يُضَمَّ،
فحقَّقَ اللهُ مَحِيلَتَهُ في حياته، وحفظَ حَقِيقَتَهُ بعد وفاتِهِ. وقبل ذلك ما كان - سوَّغَهُ
اللهُ تعالى رضوانه - كلَّفَني الاستمالةَ به - أدام اللهُ سلطانه - لتُمارَ تلكَ الأحقادُ
عن الصدورِ، وتُقاَرَّ عواطفُ النفوسِ والقلوبِ، ويتساهَمَ إحسانُ اللهِ الموفورِ، لا
سيما وقد تَخَوَّنَ الدهرُ الملكَ السعيدَ طَوَّدَ الأطوادَ، وعَضَّدَ الأعضادَ؛ فوجب أن
يُزادَ في التَّنَاضُرِ، ويحصَّنَ المُلْكُ بالتظاهرِ. وبذلتُ جَهْدَ النَّاصِحِ، وهَدَيْتُ بالأدبِ
الصَّالِحِ، إلى الطريقِ الواضحِ، فشنى الأميرُ السَّيِّدُ فخرُ الدولة عِنايَتَهُ عن نَيْسابورِ
لإعادة الأُلُفَّةِ، وجدَّ على سَمَتِ جُرْجانَ ماحياً للنَّبْوةِ، إلا أنَّ القضاءَ سبقَ فلم
يلحق، وفَرَطَ فلم يدرك، وقُبِضَ أميرُ الأمراءِ - قدَّسَ اللهُ روحه - إلى قبضةِ
الرحمةِ، والصَّلواتِ الجَمَّةِ، بعد أن ذلَّلَ الخصومَ، وأدالَ القرومَ، واسترقَّ الأعداءَ،

(١) يؤكدُ الصَّاحِبُ هنا أن مؤيِّدَ الدولة قد نصَّ - قبل وفاته - على تولية أخيه فخر الدولة. وهذا
ينافي ما جاء في المصادر، حيث رفض مؤيِّدُ الدولة أن يستخلف حينها سألَه الصَّاحِبُ ذلكَ،
وقال: «أنا في شغلٍ عن هذا، وما للملِكِ قدر مع انتهاء الإنسان إلى مثل ما أنا فيه؛ فافعلوا ما بدا
لكم». الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ص ١١٦؛ وانظر: ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٤٠٩.

وساس الدُّهُمَاءَ، واستَقَلَّ بالأعباء، وخَلَّفَ أَطِيبَ الأبناء. فخدمتُ الدولة بالضبط بقدر ما استطعتُ، وتكَلَّفْتُ بِقَدْرِ ما كَفَلْتُ له واتَّسعت، إلى أن عادَ مَوْلانا فخرُ الدَّولةِ إلى منصبِهِ الممهودِ، وسَريره الموروث، ورواقِ عزِّهِ الممدود، ومستقرِّ مُلكِهِ المنصور؛ فتجلَّتْ الغُمَمُ، ونهَضَتِ الهِمَمُ، وقَوِيَتِ المُنُنُ، وانزاحتِ الظُّلَمُ، وأصْفَقَتِ الكافَّةُ، ونَزَلَتِ الرحمةُ والرافةُ، وشفى اللهُ صدورَ قومِ مؤمنين^(١)، ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

ورأى أهلُ البصائر أنْ قد أعادَ اللهُ الدولةَ أَجَدَّ ما شُوهِدَتْ، وأشَبَّ ما عُوهِدَتْ، نافضةً غُبَارَها، رافعةً مَنَارَها، خافِقةً بلوائِها، مُستعليةً على أعدائِها، مُرسيةً بدعامتها عند مَنْ يُوفِّيها نُذُورَها، ومفوضةً زعامتها إلى مَنْ يَحْمِيها محذورها. فكان من أول ما فاتحته - حَرَسَ اللهُ ملكه - فقرأتُ منه صحيفةَ السعادة، وأخذتُ منه بوثيق الإرادة؛ ما أعلمنيهِ من عُكُوفِ هَمَّتِهِ على عِمارة ما أثَّلَهُ الأُمراءُ السعداءُ بينهم قبل انخراطها في سلك الاتفاق، وانحطاطها في شِعْبِ الائتلاف، ودعا الأُمراءُ السادة من أهلِهِ - بحقِّ الكِبَرِ وفضلِ التَّجريبِ لأَطوارِ الدَّهرِ - إلى التَّنَاصُرِ والتَّنَاصُفِ، والإِعراضِ عن التَّباعِدِ والتَّخالُفِ، ورَفْضِ المنافسةِ التي تهيجُ كوامِنَ النفوسِ، وتُثِيرُ سَواكِنَ القلوبِ، فقد آتَى اللهُ تعالى في

(١) اقتباس من الآية ﴿قَتَلُوهُمْ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَضْرِكُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ

صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾، سورة التوبة، الآية ١٤.

(٢) سورة الزمر، من الآية ٧٥.

التَّهَاسُكُ فُسْحَةٌ، وَلَمْ يُوجَدْ فِي الْمَشَاحِنَةِ الْمَبَايِنَةِ رُخْصَةٌ. هَذَا وَلَوْ كَانَتْ عَلَى أَشَدِّ تَضَاقُيقٍ وَأَتَمِّ تَقَارُبٍ، لَوَجَبَ أَنْ يُتَسَاهَمَ عَلَيْهَا؛ فَإِنَّ يَسِيرَ الْحِظِّ مَعَ التَّعَاوُنِ وَالتَّأْزُرِ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِهِ مَعَ التَّقَاطُعِ وَالتَّدَابُرِ. فَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ، وَيَبْغِي تَجَاوُزَ سَابِقِ الْوَصِيَّةِ وَالْحُكْمِ؛ كَانَتِ الْجَمَاعَةُ يَدًا عَلَيْهِ، إِلَى أَنْ يَفِيءَ لِلْحَسَنِ، وَيَعُودَ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لِلطَّرِيقَةِ الْمِثْلِي. فَأَمَّا الَّذِي عِنْدَهُ - أَعْلَى اللَّهِ جَدَّهُ - لَمَوْلَانَا الْأَمِيرِ صَمْعَصَامِ الدَّوْلَةِ وَشَمْسِ الْمِلَّةِ، فَلَا نَصَبَابُ بِالْمُودَّةِ الَّتِي لَا مَطْلَعَ مِنْ بَعْدِهَا، وَلَا مَنَزَعَ مِنْ وَرَاءِ حَدِّهَا، وَبِالْإِشْفَاقِ الْمُنْتَاهِي إِلَى حَيْثُ لَا اقْتِرَاحَ وَرَاءَهُ لِلْمُرِيدِ، وَلَا اسْتِزَادَةَ لِلتَّمَسِّ الْمَزِيدِ، وَاللَّهُ يَمْنَعُ بَعْضًا بَبَعْضٍ، وَيُمَدُّ هَذِهِ الظَّلَالِ عَلَى بَسِيطِ الْأَرْضِ، حَتَّى لَا يُعْرَفَ لَهَا مِنْ سِوَاهُمْ مَلِكٌ يُطَاعَ، وَلَا مَالِكٌ يَقَعُ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

وَأَرْجِعْ إِلَى مَا افْتَتَحْتُ لَهُ الْمَخَاطَبَةَ: كَانَ كِتَابُ الْأَسْتَاذِ الْأَوَّلِ قَدْ مَلَأَ الْيَدَيْنِ فَضْلًا، وَحَمَلَ الْكَاهِلَ ثِقْلًا، وَأَيَقَنْتُ أَنَّ أَوْلَى الْمُودَّاتِ بِالثِّقَةِ الْوَكِيدَةِ، وَأَحْرَاهَا بِالِاسْتِقَامَةِ الشَّدِيدَةِ، مُودَّتُهُ الَّتِي طَلَعَتْ مِنْ أَفْقِ فَضْلِ، وَشَيَّدَهَا كَرَمُ أَصْلِ، فَأَتَتْ تَبَرُّعًا مِنْ غَيْرِ اسْتِجْلَابٍ، وَتَطَوُّعًا مِنْ دُونِ اسْتِكْرَاهٍ، وَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ نِعَمَ النَّاهِضِ بِحَقِّ الْمَقَاطَعَةِ، وَإِنْ حَازَ بِالْمُبَرَّةِ الرِّتَبَةَ السَّابِقَةَ، وَوَجَدْتُهُ قَدْ بَذَلَ مِنْ نَفْسِهِ فِي الْمَشَارَكَةِ، مَا لَوْ كَلَّفْتُهُ إِيَّاهُ لَكُنْتُ مُتَحَكِّمًا، أَوْ مَائِلًا عَلَى جَانِبِهِ مُتَسَحِّبًا، فَغَدَوْتُ أَرَى الْحَالَ بَيْنَنَا أَوْلَى مَا أَصْرَفُ الْهَمَمَ إِلَى حِفْظِهِ مِنْ جَوَانِبِهِ، وَأَوْكُلُ الْفِكْرَ بِحِرَاسَتِهِ، عَنِ الدَّهْرِ وَنَوَائِبِهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَتِيجَةُ مَا قَدَّمَهُ، وَثَمَرَةُ مَا تَجَشَّاهُ، وَإِلَّا فَقَدْ عَلِمَ الْأَسْتَاذُ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ سَدَّ خِصَاصَ الْمَجْلِسِ الَّذِي سَدَّهُ، وَإِنْ لَمْ يَسُدَّ

في الكفاية والبراعة مَسَدَّه، كاثرنِي فَحَقَّقْتُ، وباسطني فَتَقَبَّضْتُ، لا تقصيراً بالواحد، ولكن علماً بالمصادر والموارد.

فلما وجدتُ مَنْ جَمَعَ مَزِيَّةَ الاستقلال، إلى كَرَمِ الخلال، وشرفِ النِّجار، إلى مَنْ كان أهلاً للإكبار، وَمَنْ هَنَّتْ به الأمور قبل أن يُهِنَّا، وأولاه الله أدبَ الصدورِ قبل أن يُؤلِّي؛ أرسلتُ نفسي على سَجِيَّتِها، وأعدتها لفطرة أَوْلِيَّتِها، وظننتُ الله قد أنشَرَ الفضلاء الأعيان الذين كنتُ أَتَجَمَّلُ بودادِهِم، وأتَكَثَّرُ باعتقادِهِم، وأنستُ قَلَّةَ الصديق من بعدهم. والآن حين أَعْتَبَ الزَّمانُ فغفرت له أكثر جَرَائِرِهِ، وسحبتُ ذيلَ التجاوزِ على مُعْظَمِ جرائمِهِ، وَرَدَ بعده كتابانِ جعلَا التفضُّلَ منه عادةً، والبرَّ إبداءً وإعادة. ولو قد وَفَيْتُ بما سبق، لوفَيْتُ الحقَّ في ما لِحَقَّ، إلا أني إلى الآن معذور أو معتذر، ومقصر أو مقتصر. ولئن كانت محامدُ الأستاذ مولاي تسابق يقينَ العارف، وتستغني عن لسان الواصف، إني قد خطبتُ في مجلس مولانا الأمير السَّيِّدِ فخرِ الدولة فيها بخطبٍ إن لم تُفتَحِ بالتحميد فقد شُحنتِ بالتعظيم، وإن لم تكن قُرئت على دَرَجِ المنابر، فقد تُليَّت في أشرف المحاضر، وحَقَّقْتُ عنده أنَّ الأستاذَ مولاي يرى الخِدْمَتَيْنِ خِدْمَةً واحدةً، ويعدُّ الغائبةَ شاهدةً، واعتدَّ لذلك أشدَّ اعتداد، فأسلف عنه أتمَّ إحماد. وقد نفذ إليه عن حضرته العالية ما ليس بغاية يُوقف عندها، حتى تُردَفَ مع استقرار المخاطبات بما يجب بعدها، بمشيئة الله، وإذ قد جَمَعْنَا الله على ما جمع فالانقباض هُجْنَةٌ، والاحتشامُ وَصْمَةٌ.

وكنْتُ - أدامَ اللهُ تَأْيِيدَ الأستاذ - وقد يَسَّرَ اللهُ مِنْ سَدِّ الثُّلَمَةِ ما استدعت

النفوس أن ينسُدَّ، وسَهَّلَ من ارتدادِ الظُّلْمَةِ ما استبعدتِ العقولُ أن يرتدَّ - آملُ
ظَفَرًا بما لم أَزَلْ أَنَازعُ إليه، وأقارع الآمالَ عليه، من اعتزالِ الأشغال التي كان
يحسنُ الانقطاع إليها، وفي الأيام بقيّة، والعمُرُ في إقباله، والنشاطُ في استقباله،
والشبابُ بحالِه، والأشدُّ على استقلاله؛ إلا أنَّ مولانا الأميرَ خاطبني في هذا
الباب بمخاطباتٍ لم أستطع معها أن أبلغَ ما أردتُ، وأيمَّم إلى حيثُ قصدتُ،
وأنتهي في التعظيم، إلى ما لا يُقسَمُ للمشارك القسيم، فلم أُطِقْ شُكْرَ نعمته، إلا
بأن أتطوَّقَ فَرْصَ خدمته، وأوردتُ هذا الفصلَ اعتذاراً إلى الوفاء وأهله، من
النظر بعدُ ما لا تُورِّخُ السَّيْرُ بمثله، وإن كان الله قد أدالَ من القنوط اللازم
بالإحسان الفائض، وانتضى للملك أكمل سائس، وأشرفَ رائض.

وقد خاطبتُ أبا العلاء في كلِّ باب بما يُؤدِّي فيه حقُّ المناب، وعلى ذكره فإني
أرعى له حقوقه التي لديّ، ووسائله إليّ، أن أدِّي إليّ عن الأستاذ مولاي ما كتب
بالإخلاص على سواد القلب، وجعل المودّة شريعة لا تُعَقَّبُ بالنسخ؛ فإن رأى
مولاي الأستاذ أن يخاطبني بما يخاطبُ الموثوق به، المسكونُ إليه، المعتمدُ منه ما لا
استظهار عليه، ويقرّر عند مولانا الأمير صَمَصامِ الدَّوْلَةِ وشمسِ المِلَّةِ، أي وإن
غَبْتُ فخادمٌ متصرِّفٌ بإخلاصٍ حاضر، وعبدٌ قد ورثه كابراً عن كابر، ويصرفني
بين أمره ونهيه؛ فعل، إن شاء الله تعالى.

رسالة كتبها إلى أبي عليّ الحسن بن أحمد
في شأن أبي عبد الله محمد بن حامد^(١)

كتابي هذا صَدَرَ عن محبةٍ، وقد أرخى الليلُ سُدُولَهُ، وسَحَبَ الظلامُ ذِيُولَهُ،
ونحن على الرحيل غداً - إن شاء الله - إذا مَدَّ الصباحُ غُرْرَهُ، قبل أن يسبغ
حجُولَهُ. ولولا ذاك لأطلته كوقوف الحجاج على المشاعر، ولم أقتصر منه على زاد
المسافر؛ فإن المتحمّل له وسيعُ الحقوق لديّ، حقيقٌ أن أُتعب له خاطري ويديّ،
وهو أبو عبد الله الحامدي أعزّه الله تعالى، كان وافانا مع ذلك الشيخ الشهيد، أبي
سعيد الشيبلي السعيد - رفع الله منازلَه، وقتل قاتله - يكتب له؛ فأنسنا بفضله،
وأنسنا الخيرَ من عقله. فلما فجع بتلك الصحبة، وبما كان له فيها من القربة، لم
يرض غير بابي مشرعاً، وغير جنابي مرتعاً، وقطع إليّ الطريق الشاقّ مؤكّداً حقاً لا
يشقُّ غباره، ولا يُنسى على الزمان ذماره^(٢). وكنت على جناح النهضة التي لم
يستقرّ نواها، ولم تبّن حصباها، ولم تلق عصاها، فأمرج الحر المبتدأ الأمر، القريب
العهد بوطاة الدهر، حامل عليه بالمركب الوعر، فرددته إليك - يا سيدي -

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٩٢-٢٩٣، وقال عنها: «وسمعت الأمير أبا الفضل عبيد الله
ابن أحمد - يقصد الأمير الميكالي - يسردها، فزادني جريها على لسانه وصدورها عن فمه
إعجاباً بها»؛ وأوردها أيضاً ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج ٨، ص ١٦٧؛ ياقوت، معجم
الأدباء، ج ٢، ص ٢٧٦-٢٧٧.

(٢) الذّمار: ما يحمى ويدافع عنه كالشرف والحرم والمملك.

لتسهّل عليه حجابك، وتمهّد له جنابك، وتترصّد له عملاً خفيف الثقل، نديّ الظلّ، فإذا اتفق عرضته عليه، ثم فوّضته إليه، وهو إلى أن يتفق ذاك ضيفي، وعليك قِراه، وعندك مربّعه ومشتاه، ويريد اشتغالاً بالعلم ليزيده في الاستقلال، إلى أن يأتيه - إن شاء الله - خبرنا في الاستقرار، ثم له الخيار: إن شاء أقام على ما وليته، وإن شاء لحق بنا ناشراً ما أوليته. وقد وقّعتُ له إلى فلان بما يُعينه على بعض الانتظار، إلى أن تختار له - أيّذك الله - كلّ الاختيار، فأوعز إليّ بتعجيله، واكفني شُغل القلب بهذا الحرّ الذي أفردني بتأميله، إن شاء الله تعالى وحده.

رقعة إلى القاضي أبي بشر الفضل بن محمد الجرجاني
عند وروده باب الرِّيِّ وافداً عليه^(١)

تحدثت الركابُ بسيرٍ أروى إلى بلدٍ حططتُ به خيامي
فكدتُ أطير من شوقي إليها بقادمةٍ كقادمة الحمام
أفحق ما قيل من أمر القادم؟ أم ظنُّ كأماني الحالم؟ لا - والله - بل هو درك
العيان، وإنه ونيلُ المنى سيان، فمرحباً - أيها القاضي - براحتك ورَحْلِكَ، بل
أهلاً بك وبكافة أهلك. ويا سرعة ما فاح نسيم مسراك، ووجدنا ريحَ يوسف^(٢)
من رِيّاك، فحُثَّ المطيَّ تزلُّ غلتي بسُقياك، وتزحُ غلتي بلُقياك، ونُصَّ على يوم
الوصول؛ لنجعله عيداً مشرفاً، وننَّخذَه موسماً ومعرفاً. وردَّ الغلام أسرع من
رجع الكلام؛ فقد أمرته أن يطيرَ على جناح نسر، وأن يترك الصَّبا في عقال
وأسر^(٣).

سقى الله داراتٍ مررت بأرضها فأدَّتكَ نحوي يا زيادَ بن عامرٍ
أصائل قربٍ أرتجي أن أناهلها بلُقياك قد زحزن حرَّ الهواجرِ

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٩٣-٢٩٤؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج ٢، ص ٢٧٧.

(٢) إشارة إلى الآية ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾،
سورة يوسف، الآية ٩٤.

(٣) في ثمار القلوب للثعالبي، ص ٤٤٩: يقال في الإسراع: استعارَ جناح نسر، وترك الصَّبا في عقالٍ
أسر.

كتب الصّاحب إلى القاضي عبد الله بن محمد بن أحمد بن
الفرح بن فروخ القزويني، أبي محمد بن أبي زرعة
ويُعرف بابن متويه
وهو فقيهٌ حافظٌ عالمٌ بالأنساب والتواريخ^(١)

كان^(٢) - يا شيخني، أطل الله بقاءك، وأحسن عن حُسن العهد جزاءك -
فإنك إذا بخلت الأيام باقترابك، سمحت لنا بكتابك، فنفكّه عن ليلٍ يضمّ عطفِي
نهاره، ونفضّه عن نسيم غراره، ونذكر به ما نذكره للأعرابي بيرف لمع بوهبين،
وسحابٍ نشأ إزاء يَبْرين، أو الحجازي هبّت عليه الصّبا من مرمى الجمار،
واشتاقت داره عند عبد الدار. نعم، ووصل ما أنشأت كعهد الوصال، وكالماء
الزلال، وكالسّحر الحرام والحلال؛ فامتنع السمع بروايته، وأرتعنا الطّرف في
حدائقه، وكدنا نقدّمك في الكتابة على آل الجراح ووهب، ولولا كراهة الغلوّ
لارتقينّا بك في الخطابة إلى ذؤابة مخزوم وعبد شمس، فأما هاشم، فلها المثل
الأكبر، ودونها السواد الأعظم، وكيف كنتَ فقد أوقدتَ للبيان ناراً تفرع كلّ نار،
وترفع بين هندي وغار.

ونعود لوصف الشوق: فنَدّعي أن لواعجنّا أكثر من لوائحك، وجوانحنّا

(١) الرافعي، التدوين، ج ٣، ص ٢٣٨-٢٤٠. وبعض جملة في ج ٢، ص ١٣٧.

(٢) لم أهدِ لِكُنْه (كان) هنا. لكن الراجح عندي أن النشر السيء والسقيم لهذا الكتاب المهم هو
الذي جعل (كان) مفتتح هذا الكتاب.

أحمى به من جوانحك، وبرهان ذلك أنا حين استطعنا ورود قزوين جئناك نمتطي
صهوة الشمال، ونقتعد غارب الجنوب.

ها أنت منذ حولين كاملين، قد أنكرت هذا المعروف، وتركت هذا المحصب،
فلا حجة مقبولة ولا عمرة مبرورة، ولا تلبية في الأشهر الحرام، ولا هدي بالغ
الكعبة للأمم، ولعمري إنك حين تصدّرت ثملي المسانيد، وتهجر المقاطيع، وترفع
الأحاديث، وتضع المراسيل، وتعدل أشياخ الشام تعصباً، وتجرح رواة الكوفة
تغضباً؛ أحوجت إلى أن يسافر إليك ولا تسافر، ويهاجر نحوك ولا تهاجر، وتشدّ
الرحال إلى بلدك، وأنت ملازم لعقر وطنك، توهم أنك على السنّ متزايد الوهن،
تنهض بمعاونٍ، وتسعى بمقارن، فرفقاً رفقاً، إنّ الصدق أولى أن يكون حقاً.

شهدتُك ببغداد طوراً في المدرعة، وتارة في المرقعة، لم يخطّ الشعر بخديك،
فكيف أن يخطّك الشيب بعارضيك! تطير ولا تسير، فكيف صرت الآن من
المعمّرين الذين أدركوا الهجرتين، وصلّوا القبلتين، وشهدوا بيدٍ حنين، ورأوا
قبل الإيلاف، هاشم بن عبد مناف! ولا بأس فقد احتملناك هذا العام الماضي على
ظلع، وقبلنا عذرك تمشي على جمع، فإذا أتاك - عمرنا الله وإياك - ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ
النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾^(١)، فتجشّم إلينا، واطلع من ثنّيات الوداع علينا، وكن أمانى
تقدر وتمنى، وآمالاً تقرب وتدنى، وسامرنا بألفاظ تتشابهن بدائع، ومعانٍ
تتناصفن محاسن.

(١) سورة يوسف، من الآية ٤٩.

أخّرتُ الإجابة عن كتابك غيظاً، لما أفقدتني من الأنس باقترابك، وكدت أحسن غلامك حولاً أفزع، ثم ردتني عواطف الإيثار، وخشيت أن يأخذ منك الحسود بالشار، بل أشفقت من أن ينشد قول البحري الطائي في حمولة البروجدي وزير أحمد بن عبد العزيز العجلي حين أبطأ غلامه نصر ببابه، وكاد يئأس من إياه:

ليت شعري أفات نصرًا حمائم^(١) أم تأتت له المتالف غيلَه
ينقضي ذكره فلا خبرٌ عنه — — ولا أوبة يُبين قُفولَه
وعليكم كفالَةٌ أن تثيخوا — — مُرسِل المدح أو تردّوا رسولَه^(٢)

ثم غلامك هذا يصلح أن يكون من وفود العرب على أكاسرة العجم؛ فإنه صبر حتى أفلح، وأقام حتى أنجح، وكأنه - على عُجمته - من الدهاة الذين يستنبطون نُطف القلوب، ويتعلّقون بأطراف العيوب، تفرّس وأيقن أن مدافعتنا إياك ليست عن سخط وتنكّب، وإنما هي عن فكاهاة وتعتّب؛ فجعل يردّد، إن كان ممن يُنشد:

وَلَلْبُطْءُ تَشْفَعُهُ بِالنَّجَا ح خيرٌ من العَجَلِ الخائبِ
والله يسقي عهدك العهد، ويكفيك السنة الجهاد، والأرض الجهاد، و(سلام

(١) في الأصل: أمات نصرٌ حمائمًا، لكنني أثرت ما في ديوان البحري.

(٢) ديوان البحري، ج ٣، ص ١٦٤٣.

الله والسقيا سجلاً^(١) على بلدٍ تحلّه فيه روايله، ويدوم طلّه، وسقى الله بلداً نخله
يدوم درّه^(٢).

وأعلم - وخير القول أصدقه - أن لا وابل عندكم ولا طلّ، ولا ماء ولا
ظل، غير سيديّ الشريفين الجعفرين، ومن سواهما بين طيلسان ابن حرب^(٣)
وخفيّ حنين. والسلام.

(١) هذا تضمن لصدر بيت من قصيدة طويلة للبحري، أولها:

أجز من غلة الصدر العميد وسكن نافر الجأش الشرو
وعجز البيت: (على تلك الضرائح واللحود).

ديوانه، ج ١، ص ٥١٨.

(٢) هذه الجملة «وسقى دره» وردت في ج ٢، ص ١٣٧ فقط. ويلاحظ أن سوء تحقيق الكتاب
أفقدنا فهم المعنى المقصود.

(٣) ذكر الثعالبي كيف صار طيلسان محمد بن حرب مضرب المثل في البلى والخلوقة. ثمار القلوب،
ص ٦٠١.

وكتب إلى القاضي ابن متويه أيضاً^(١)

كتابي عن سلامة لو سلم عهدك من التكدير، وودُّك من التغير، فلم تكن معرضاً جافيه، وهاجراً نائيه، لا يخطر الرعاية ببالك، ولا تجعل الزيارة شغلاً من أشغالك، كلا بل لزمتم قزوين، لزوم الدائن المدين.

كأن جرجان جرّت عليك الطوائل، ونصبت لك الحبائل. ثم تقدر أني أسمع عذرك! وإن نَمَقَّتَه بفصول بيانك، وشققتَه بطول لسانك - هيهات إن العذر المستعير ضوء الصباح بوضوحه، والمستمد سنة البدر بظهوره، وإذا انتهى إليّ كاد الشك يعمي صفحته، والريب يغطي صحيفته، فكيف بمعاذير ليست لها قوادم فينهض، ولا قوائم فترسخ، وإنما هي ألفات مُدَّت على جلدة الماء لا توجد حتى تعدم، ولا ماتت خُطَّت على صفحة الهواء إلا تُرَقَم حتى تُفقد، وما الشأن في هذا وذاك، بل الشأن في الشوق إليك، نصل بحرّه، ونتقلّب على جمهره، وأنت بريء منه، وبعيد عنه، اعتصاماً بالغلظة، واعتلاقاً بالقسوة، حتى أكاد أنشد:

وفيك الذي لو كان يضبط من أذى لَخَفْتُ لديه عندنا أمّ مِلْدَم^(٢):
قساوة أصحاب الحديث ونوْكُهم وتيه المغني في جنون المعلم
حاشاك من البيتين، إلا ذكر القساوة التي عنها تصدر وتورد، وبها تحلُّ

وتعقد.

(١) الرافعي، التدوين، ج ٣، ص ٢٤٠-٢٤٢.

(٢) يعني الحمى.

وقد وصل كتابك - أيّديك الله - فلم يندَ على كبدي، ولا خطى بناظري
ويدي. وما أصنع بالكتاب والبغية كاتبه! وكيف أقنع بالخطاب والمنية صاحبه!
وكنت أحسبك لو احتجت إلى أن تركب البحر الأخضر، وتقطع الطين الأسود،
وتنزود الكبريت الأحمر؛ لَمَا طويّتي ثلاث سنين.
وقدماً قيل: أيا أهل قزوين السلام عليكم فليس لكم ولا عندكم عهد! وقد
ذمتك حتى أحسبني أسأتُ العشيرة أو الأدب، غير أن القارئ لكتابي يعلم أنه
وسيلةٌ إلى قُربك، واستعاذة من بعدك، والسلام.

وكتب إلى عليّ بن عبد الملك بن العباس بن خالد النُّحوي،

أبي طالب الخالدي^(١)

في جواب كتاب له^(٢)

ما أعلم - يا شيخني، أطل الله بقاءك - أتساقط إلينا ودائع الأصداف، أم
ألفاظاً تُزَفّ مشرقة الأطراف؟ وتعيد لنا روائع الشباب، أم كلاماً يرقّ ولا بَرَدَ
الشراب؟!

فأما حضور مَنْ حضر، وأنت غائب فلن يضرّ، ومكانك من الاعتداد مَكِين،
وأنت لسُوَيد الفؤاد قَرين، وقد بانت عقائلُ بل نمرات عقول وقلائد، خُلِقن من
عُرُرٍ وحُجُول، وخلفك في عرضها رواية إن لم يبلغ في الفضل مداك، فقد استعار
عند النشيد شباك، عبارته معسولة، وإشارته مقبولة.

فأما أمدُّك في الفضل فهيّهات أن يبلغه وارد، وإن نزل علينا عطارده، وهنيئاً
لمصرِّك، إن عُدَّ فضلك في فضله، ولعصرِّك، إن اعتدَّ مثلك من أهله. والسلام.

(١) المتوفى سنة ٣٩٩هـ وقيل سنة ثمان.

(٢) الرافعي، التدوين، ج ٣، ص ٣٧٨-٣٧٩.

وكتب إلى قاضي^(١)

ووصل كتابُ القاضي؛ فأعظمتُ قدرَ النعمة في مطلعهِ، وأجللتُ محلَّ
الموهبة بموقعهِ، وفَضَضْتُه عن السَّحرِ الحلال، والماءِ الزُّلال، وسرحتُ الطَّرْفَ
منه في رياضِ رَقَّتِ حواشيها، وحُلِّلِ تَأَنَّقَ واشيها؛ فلم أَتَجَاوِزْ فصلاً، إلَّا إلى
أخضرَ منه فصلاً، ولم أَتَخَطَّ سطرًا، إلَّا إلى أحسنَ منه نظمًا ونثرًا.

(١) العسكري، ديوان المعاني، ج ٢، ص ٨٣٠.

وكتب

إلى أبي سعيد الشيبلي^(١)

قد رأى شيخُ الدَّولتين^(٢) كيف الكَلَفَ بسادتي من أهل ميكال^(٣) - أيدهم الله - بين ودُّ أضمِّره على البُعْد، وإيثارٍ أظْهره على تراخي المزار، وتقريظٍ يمليه عليَّ المَلَّوان^(٤)، ومدحٍ أنطقُ فيه بلسان الزَّمان، حتى إنَّ ذكْرهم إذا جرى على لساني اهتزَّتْ له نفسي، وفَضْلهم إذا جرى على سمعي انفرج له صَدْرِي؛ فتلك عصبةٌ خيرٌ فَضْلُها باهر، وشرفُها على شرف النِّماء زاهر، وشجرةٌ طيبةٌ أصلُها ثابت وفرعُها في السماء ناظر، والله يتمُّ أَعْدادها، ولا يعدمني ودادها. وإذا كان إكباري لهم هذا الإكبار فكلُّ منتسبٍ إلى جنبهم أثيرٌ لديّ، كثيرٌ في يديّ. وطراً عليّ فلانٌ منتسباً إلى جملتهم، وحبّاً الجملة، ومُعْتزياً إلى خدمتهم، ونِعْمَتِ الخدمة، ففرَّزناه^(٥) عن طَبْعِ سَمَح، وَلَفْظِ عَذْب، وصلةٍ نشرٍ بنظم؛ فإن شاء قال: أنا الوليد، وإن شاء قال: أنا عبد الحميد؛ ولم أعْظِم بمن خرَّجته تلك

(١) الحصري، زهر الآداب، ج ١، ص ١٢٥.

(٢) لقب أبي سعيد أحمد بن شبيب الشيبلي، لأنه خدم الدولة السَّامانية، والدولة البويهية، فلقَّب

صاحب الجيشين، وشيخ الدولتين. الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٢٧٧.

(٣) آل ميكال أسرةٌ عريقةٌ بنيسابور.

(٤) الملوان: الليل والنهار.

(٥) فررناه: اخترناه، والفر في الأصل: اختبار أسنان الدابة ليعرف سنّها.

النعمة، ونتجتَه تلك السُّدَّة أنْ يأخذَ من كلِّ حسنة بعُرْوَةٍ، ويقدح في كلِّ نارٍ
بجذوة؛ وأنسنا بالمقام مُدَّة، أَكَّدَتْهَا شَوَافِعُ عِدَّة، إلى أنْ تذكّرَ مَعَاهِدَ رَأْيٍ فِيهَا
الدَّهْرَ طَلْقًا، والزمانَ غُلَامًا، والفضلَ رهنًا، والإفضالَ لِيْزَامًا؛ فحنَّ حنينَ
الرُّكَّابِ، ورَكَّبَ عَزِيمٍ^(١) الإِيَابِ.

(١) العزيم: العدو الشديد.

وكتب

إلى الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير^(١)

قرأتُ للأمير مولاي خطاباً يحمل قرعاً وغمزاً، وإن كان الغرض فيه إذكارةً وهزاً. ولم أكن - يعلم الله تعالى - مستوجباً لمثله، ولا متصدّياً لسلوك سبّله؛ لأنّي لستُ فيما ألزمنيّه مشمّراً، وبذلتُ في الجهد ممكناً ومعتذراً. كل ذلك لأن أدّخر بالاجتهاد ذخيرة الرّضى والإحماد من موالاته، ألا إنّ لكل مرامٍ وقتاً لا يتأخّر عنه الدّرك ولا يتقدّمه، ولا يتقدم النجاح ما لم يجرّ به قلمه.

وأبو الفرج عبد السلام قد تحمّل في هذا المعنى بما يغني عن تكلف الإطناب، وتطويل شرحه في الكتاب. وإذا ذكر أبوابه، وأنا بفي الإنابة عنها منابه، وحكم مولاي الأمير فيه قضاءه، وولاه عدله؛ رجوتُ أن أكون معذوراً، إن لم أكن مشكوراً.

(١) الشيزري، جمهرة الإسلام، ص ٩٠٠.

وكتب أيضاً إلى قابوس بن وشمكير^(١)

قد وفق الله الأمير مولاي فيما قرّره وراه، ثم قدّمه وأمضاه. لا زالت عزماته
كوامل في الصّلاح، وكوافل بالنّجاح، وأعانني الله على ما أنويه من نيابةٍ تُحقّق
الوعد والضّمان، وتصدّق الظّن واللّسان. وقد أعدت في عاجل الحال سعداً
لجملة الحال من الجواب أدّي إليه حسن الأداء، فيما يجمل وارداً، فوثقتُ منه
بحسن الإبقاء فيما أودع عائداً. وأنا مشمّر لصدق المناب، مستمطر بنوء
الإنجاب، والله وليّ التيسير والتسهيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) الشيزري، جمهرة الإسلام، ص ٩٠٠.

وله^(١)

تخيّل الأمير مولاي - أدام الله تأييده - مني ارتياباً بفَضْمِ عَقْدِهِ، وفي التقدير عدلٌ وظلمٌ. وظنّ بي امتراءً بكرمِ عهده، وبعضُ الظنِّ إثمٌ. فلو حال النجمُ عن مسراه، وحرار القمر في مجراه، لما حوّرت على دله بُخلاً، ولا تمثّلت من عقده حلاً؛ إذ الأمير مولاي - أدام الله تأييده - أفسح في الحزم مذهباً، وأعلى في العزم مرقباً، من أن تُمرَّ أسبابُ الفضل ثم ينقضها، وتُمدَّ أطناب البرّ ثم يقبضها، كلاً ومَن جعل المحاسنَ محبوسةً على مجده، والميامنَ منقوصةً حتّى يكملها بيده! ولكني أعظم ما وهب الله منه بما يحلُّ برأيه على هُجنة التذكير، وأعان على وفائه من جراءة المقادير، ولوع^(٢) الشفيق بسوء الظن داء قديم، ومعاذ الله كل دواء كريم.

فأمّا المهمل الذي أشار مولاي الأمير - أدام الله تأييده - إليه، واستحلف مناي عليه، فإنني فيه عند حكمه، وعبدُ رَسْمه، ولو قدرتُ ثم سخرت النجوم مهدياً سُعودها إليه، ومعرّباً نُحوسها على مَنْ يميل عليه، لظنّني^(٣) قريبَ المطلب، قصير الباع والمنكب، فلينعَمْ بمكاتبتني أمراً ونهياً، يجذّني جدّاً وسعيّاً، إن شاء الله تعالى.

(١) الشيزري، جمهرة الإسلام، ص ٩٠٠-٩٠١.

(٢) كذا، ولعلها وولوعٌ.

(٣) كذا، ولعلها لظنّنتني.

رقعةٌ في ذكر مُصحفٍ أُهدي إليه^(١)

البرُّ - أدام الله الشيخ - أنواعٌ، تطول به أبواعٌ^(٢)، وتقصر عنه أبواع، فإن يكن فيها ما هو أكرم منصباً، وأشرف منسباً؛ فتحفةُ الشيخ إذ أهدى ما لا تُشاكله النعم، ولا تُعادلُه القِيم: كتابَ الله وبيانه، وكلامه وفرقانه، ووحيه وتنزيله، وهُدهد وسبيله، ومُعجز رسول الله ﷺ ودليله، طبع دون معارضته على الشفاه، وختم على الخواطر والأفواه؛ فقصر عنه الثقلان، وبقي ما بقي المَلَوَان. لائِحٌ سراجُه، واضحٌ منهاجُه، منيرٌ دليلُه، عميقٌ تأويلُه، يقصم كلَّ شيطانٍ مريد، ويذل كلَّ جبارٍ عنيد.

وفضائلُ القرآن لا تُحصى في ألف قران؛ فأصِفُ الخطَّ الذي بهر الطَّرْف، وفاق الوصف، وجمع صَحَّة الأقسام، وزاد في نخوة الأقلام، بل أصفه بترك الوَصْف، فأخباره آثاره، وعينه فراره، وحقاً أقول: إني لا أحسب أحداً - ما خلا الملوكة - جمع من المصاحف ما جمعت، وابتدع في استكتابها ما ابتدعت، وإن هذا المصحف لزائدٌ على جميعها زيادةُ القرعة على الغرة، بل زيادةُ الحجِّ على العمرة. لقد أهديته عِلْقاً نفيساً وما يهدي النَّفيسَ سوى النَّفيسِ

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٢) أبواع: جمع باع، أي الذراع.

فصل

من كتاب له إلى ابن العميد

صَدَرَ جواباً عن كتابه إليه في وَصْفِ البحر^(١)

وصل كتاب الأستاذ الرئيس صادراً عن شطّ البحر بوصفٍ ما شاهد من عجائبه، وعَيْن من مَراكبه، ورآه من طاعة آلائه للرياح كيف أَرادتها، واستجابة أدواتها لها متى نادتها، وركوبِ الناس أشباحها والخوفُ بمرأى ومسمع، والمنون بمرقب ومطلع، والدهر بين أخذٍ وترك، والأرواح بين نَجاة وهُلك، إذا أفكروا في المكاسب الخطيرة؛ هان عليهم الخطر، وإذا لاحت لهم غرر المطالب الكثيرة؛ حُب إليهم الغرر^(٢)، وعرفتُ ما قاله من تَمَنّيه كوني عند ذلك بحضرته، وحصولي على مساعدته. ومَن رأى بحرَ الأستاذ كيف يزخر بالفضل، وتتلاطم فيه أمواج الأدب والعلم؛ لم يعتب على الدهر فيما يفتيه من منظر البحر، ولا فضيلة له عندي أعظم من إكبار الأستاذ لأحواله، واستعظامه لأحواله، كما لا شيء أبلغ في مفاخره وأنفس في جواهره، من وَصَفِ الأستاذ له، فإني قرأتُ منه الماء السَّلْسال، لا الزلال، والسحر الحرام، لا الحلال. وقد علم أنه كتب ولما أخطر بفكره سعة صدره، فلو فعل ذلك لرأى البحر وشلاً لا يفضل عن التبرّض^(٣)، وثمداً لا يكثر عن الترشف. وكم من جبالٍ جُبتَ تشهدُ أنّك الـ سجالٌ وبحرٍ شاهدٌ أنّك البحرُ^(٤)

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٩٥-٢٩٦، وقال عنه الثعالبي: «وكان أبو بكر الخوارزمي يحفظه، وكثيراً ما كان يقرؤه، ويعجب السامعون من فصاحته، ولم أره يحفظ من الرسائل غيره».

(٢) الغرر: الخطر والمهالك.

(٣) الوشل: القليل من الماء، والتبرّض: التبّلغ بالقليل.

(٤) للمتنبّي، ديوانه، ص ١٩٠، والرواية فيه: جبّت تشهد أنني.. شاهد أنني.

وكتب الصّاحب في وَصْف قَنْفِزٍ أَهْدَاهُ^(١)

قد أتحفْتُكَ - يا سيدي - بعِلْقِ نفيسٍ يتعجب المتأمل من أحواله، ويحارُّ الناظر في أوصافه، ويتبدّلُ المعبر في آياته، فما تعرف بديهة النظر أمِنَ الحيوان أم هو من الجِهاد؟ أم هو من الشجر أم من النبات؟ ومن الناطق هو أم الصامت؟ أم من الحارّ أم من البارد؟ أم من الرطب أم من اليابس؟ حتى إذا أعطى متدبّره النظر؛ أوفى حقوقه، والفحص؛ أكمل شروطه، علم أنه حيٌّ سلاحه في حصنه، ورامٍ سهامه في ضمنه، ومقاتل رماحه على ظهره، ومخاتل سرّه خلاف جَهْره، ومحاربٌ حصنه من نفسه، يلقاك بأخشن من حدّ السيف، ويستتر بألين من مسّه، حتى إذا حذر جمع أطرافه فتحسبُه راوية قتاد أو كرة حرشف، ومتى أمن بسط أكنافه وهي أمضى من الأجل، وأرمى من ثعل، إن رآته الأراقم^(٢) رأت حينها، أو عاينته الأساود عاينت حتفها، صعلوك ليل لا يحجم عن دامسه، وحارسٌ ظلام لا يجبن في حنادسه.

كمغشّم الفتيان غير مهبل سهداً إذا ما نام ليل الهوجل^(٣)

(١) العسكري، ديوان المعاني، ج ٢، ص ٩١٨-٩٢٠.

(٢) في الأصل: رأت الأرقم.

(٣) هذا من قصيدة لأبي كبير الهذلي، لكن الصاحب تصرّف في هذا البيت، أو لعلها رواية أخرى، فهو كما يروى في المصادر:

فأتت به حوش الفؤاد مبطناً سهداً إذا ما نام ليل الهوجل

انظر على سبيل المثال: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٤٩٩؛ ديوان الهذليين، ج ٢، ص ٩٢، والهوجل: الثقيل.

لجرمه من الضبِّ شَبَه، ومن الفأر شَكَل، ومن الورل نسبة، ومن الدلدل سَبَب، ولم أعمّه عليك، هو أنقَد، ولذلك قيل: مَنْ لم يذق غماضاً، ولم يرقد حِثّاً، بات بليلة الأنقد.

وذكره الشَّيْهَم، وهو الشَّيْظَم، وأنثاء عيمة معرفة - لا يدخل الألف واللام عليها كتحوط^(١)، ودجلة، وكحل - ، ولا أعنيك: هو القنفذ.

ومن أحواله: أن العرب تسلخ جلده فتخرجه كالشحمة البيضاء، وتجعله من أنفاس مآكلها، وأفخر مطاعمها، حتى تراه أرفع من الأفاعي، وأنفع من الجرذان، وتدعي جهلة الأعراب إنه من مراكب الشيطان - وهو أطف من الفرس حساً، وأصدق سمعاً، وقد جاء في المثل: «أسمع من قنفذ»^(٢). ومن أوابده: أنه يسود إذا هرم، ويصير كأكبر^(٣) ما يكون من الكلاب وأعظم، ويشبه به ركب المرأة عقب التنف والنورة؛ ولذلك قال ابن طارق في أرجوزة له:

يصيرُ بعدَ حلقهِ ونُورَتِهِ كقنفذِ القفِّ اختبى في فروتِهِ

ويُشبَّه السَّاعي والنَّمَام به؛ لخبثه ومكره واضطرابه في ليله، قال أيمن بن خريم^(٤):

(١) السنة الشديدة.

(٢) الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، ج ١، ص ١٧٤.

(٣) في الأصل: كأبر.

(٤) هو أيمن بن خريم بن فاتك من بني أسد، أدرك خلافة عبد الملك بن مروان. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٣٦٨.

كُفْنُفَذِ الرَّمْلِ لَا تَخْفَى مَدَارِجُهُ خَبٌّ إِذَا نَامَ لَيْلُ النَّاسِ لَمْ يَنْمِ^(١)
وقال عبدة بن الطبيب^(٢):

قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ حَدَجُوا^(٣) قَنَافَذَ بِالنَّمِيمَةِ تَمَرُّعُ
وقال جرير:

يَدْبُونُ حَوْلَ رِكْيَاتِهِمْ دَيْبَ الْقَنَافِذِ فِي الْعَرْفِجِ^(٤)
فخذه - يا سيدي - مُتَّعًا، واقبله شاكرًا برِّي فيه، فاحتطَّ عليه احتياطًا
الشَّحِيحَ عَلَى مَالِهِ، وَالْجَبَانَ عَلَى رُوحِهِ، وَرَاغِبٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي حَفْظِهِ، وَاسْأَلْهُ
إِطَالََةَ عَمْرِهِ، وَهُوَ حَسْبِي وَنَعَمَ الْوَكِيلُ.

(١) ديوانه، ص ٥٧.

(٢) من بني سعد بن زيد مناة بن تميم. ابن همدون، التذكرة الحمدونية، ج ٣، ص ٣٥٠. وقد أورد البيت ضمن قصيدة طويلة.

(٣) حدجوا: حملوا ونظروا. لسان العرب، ج ٣، ص ٢٣١ (حدج).

(٤) يُنسب لعبدة بن الطبيب في الحيوان للجاحظ، ج ٦، ص ٥٦١. وينسب للفرزدق، ديوانه، ج ١، ص ١١٨.

وكتب إلى بعضهم يُعاتبه في صغر كتابه إليه^(١)

كتابي وعندي نَعَمٌ من أعظمها خلوصٌ ودّك، وبقاء عهدك.
ورَدَ لي كتابٌ حسبته يطير من يديّ لِحَفَّتِهِ، ويلطفُ عن حسيّ لِقَلَّتِهِ، وعهدي
بك تروي إذا سقيت، وتجزل إذا أعطيت، فما الذي أحالك، وبدل حالك؟! أملاًل
أم كلاًل أم إقلال؟ وليس عندي أنك تملُ صديقاً صدوقاً، وشفيقاً شقيقاً، ولا
عندي أنك تكلّ ولو ملأت الأرض كلاماً، وشحنت صفحات الجوّ نظاماً، ولا
عندي أنك تقلّ وبحرُ فضلك فيّاض، وثوب علمك فضفاض، فما أملكُ وقد
نبوّت، وزهدت وجفوت، إلا أن أصبرَ على هجرتك، كما تمتعتُ بصِلَتِكَ؛ لتكونَ
عندي نسخةُ أخلاقك إذا قربت وبعدت، ووصلت وصددت، وأكره أن أطيّل
وقد قصّرت، وأكثرَ وقد أقللت، فتسأمني كما سئمتَ عادتك، وتتركني وقد
تركتَ شيمتك، فأحبُّ أن تُطالعني بأخبارك، وعوارضِ أوطارك، إن شاء الله
تعالى:

إذا أنت عاتبتَ الصديقَ ولم يكنْ	يودُّك لم يعتبك حينَ تعاتبه
ومن يرعَ شرقيّ البلادِ سوائه	وغربيّها ^(٢) يملكه صاحبه
ومن يخلطِ الماءَ الزُّلالَ بآجنٍ	من الماءِ تخبثُ ما تطيبُ مشاربه

(١) العسكري، ديوان المعاني، ج ١، ص ٣٥٢-٣٥٣.

(٢) كلمة ساقطة، أخلّ سقوطها بالوزن.

وكتب يمدح صديقاً له^(١)

تصفّحت أوطار القلوب، فلم أجد أحسن من قُربِه، وتأملتُ أشخاصَ
الخطوب، فلم أرع بأفطع من بُعدِه. محاسنُه أنوارٌ لم تُحجب بسُجوف، ومباسمُه
شموسٌ لم تتصل بكُسوف، وألفاظُه تذكّرني بالشباب ورِيعانه، بل بأفنان الصِّبا
وفتيانِه.

وكتب في فصل^(٢)

وتمثلت لي أخلاقك التي لولاها لم يسلس الماء، ولم يرق الهواء، ولم تُرعَ
الحقوق والذمم، ولم يُعرف المجدُّ والكرم، أخلاقٌ جدُّ غير أخلاق، لا تأخذ
الأيام جدَّتها، ولا تنتهج^(٣) الليالي بردتها.

(١) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، ص ٤٣٩.

(٢) العسكري، ديوان المعاني، ج ٢، ص ٩٩٧-٩٩٨.

(٣) كذا.

وكتب في التهنئة^(١)

وصلني ما أهلني الأميرُ الجليل مولاي - أدام الله تأييده - من عالي لفظه،
وسامي لحظه. فلو أن كتاباً كَفَّرَ عنه البدو والحضر، وتغفَّرَ له الشمس والقمر،
لكان ما أَمَلْتَهُ عليه، وتولَّته يُمنَاه. لا جَرَمَ أني قد جعلتُ يومَ وُروده موسمَ عزِّي
الذي أُرَاعِي فَضْلَهُ، وأطوفُ بأبياتِ مجده، وأجعلُ شعائره التي أعظَّمُها، مناسكَه
التي ألتزمُها.

التحدُّثُ بما أتى الأمير مولاي، مكارمُ عطست بأنفٍ شاهق، وتدلَّت على
النجم من حالق.

فأما ولائي للأمير مولاي، فإني وإن وصفته، فقد عشقته وما أنصفته؛ إذ
كانت ودائع النفوس، ومخايلُ الصدور لا تنجلي لألسنة الكلام، ولا لأسنة
الأقلام؛ ولأنني مذ حلتُ تمائمي، وعقدتُ عزائمي، لم أملكُ زمامَ طاعتي بعد
الأمراء السادة أولياء نعمتي أحداً غيرَ الأمير مولاي - أدام الله تأييده - فليعتبر
أمرأً ناهياً، وليختبر غادياً، كما اختبر بادياً، يجذني أطوع منه إلى الكرم، وأسرع من
راحته إلى بذل النعم؛ إذ المعالي تعُدُّني في الأمير مولاي، بأكثر مما ضحكت عنه
ثغور سلطانه، ومهدت أيدي البسيطة من مكانه، وما كان فألي ليخطئ، ولا

(١) الشيزري، جمهرة الإسلام، ص ٨٩٩.

تقديري^(١) لبيطى، وعرفت المَهْمَ الذي توَكَّدتِ العنايةُ باعتيادي لإكفائه، وجمع
السَّفارة في المشورة في إمضائه، وتَأَتَيْتُ له من وجهه، واعتمدت غرضه بسهمه،
وقمتُ بهذه الحضرة نائباً فيما نفذ إلى الحضرة الجليلة^(٢)، خاطباً للمقام الذي أراه،
في طاعته ورضاه، شريعة لا أخلُّ بآدابها، وفريضة لا أنفكُ عن قضائها.
أبو الفرج عبد السلام ذو الهجرة القديمة، والمحجَّة القويمية، قد أَلِفْتُ ما
يورده ويؤدِّيه، وتبرَّكت بما يُسفر ويسافر فيه، وسمع مني ما يُنهيهِ مجَمَلاً، إلى أن
يثبت القول مفصَّلاً، فليوقَّع الأميرُ مولاي - أدام الله تأييده - إليَّ بأمره ونهيه؛
فإنَّه يتوجَّج باهتمامه إلى سامعٍ مطيع.

(١) في الأصل: تقدير.

(٢) وردت: الجليلة، والأرجح ما أثبتناه.

تهنئة بولادة بنت^(١)

أهلاً وسهلاً بعقلية النساء، وأمّ الأبناء، وجالبة الأصهار، والأولاد الأطهار،
والمبشرة بإخوة يتناسقون، نجباء يتلاحقون:

فلو كان النساء كمثل هذي لفصّلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهلال^(٢)

والله يعرفك يا مولاي البركة في مطلعها، والسعادة بموقعها، فادّرع - يا
سيدي - اغتباطاً، واستأنف نشاطاً، فالدنيا مؤنثة، والرجال يخدمونها، والذكور
يعبدونها، والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية، وفيها كثرت الذرية. والسماء
مؤنثة، وقد زينت بالكواكب، وحليت بالنجم الثاقب. والنفس مؤنثة، وبها قوام
الأبدان، وملاك الحيوان. والحياة مؤنثة، ولولاها لم تتصرّف الأجسام، ولا عُرف
الأنام. والجنة مؤنثة، وبها وعد المتقون، ولها بُعث المرسلون، فهنيئاً هنيئاً ما
أوليت، وأوزعك الله شكر ما أعطيت، وأطال بقاءك ما عُرف النسل والولد، وما
بقي الأمد، وكما عمّر كُبد^(٣).

(١) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٩٠؛ تحسين القبيح، ص ٤٧؛ الواحدي، الدعوات والفصول،
ص ٧٩؛ الحصري، زهر الآداب، ج ١، ص ٣٤٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٥، ص ١٣٤؛
العباسي، معاهد التنصيص، ج ٤، ص ١٢٦.

(٢) البيتان لأبي الطيّب المتنبي في رثاء شقيقة سيف الدولة الحمداني. ديوانه، ص ٢٦٧.

(٣) كُبد: اسم آخر نسور لقمان بن عاد، سمّاه بذلك لأنه كُبد فبقي لا يذهب ولا يموت، حسب
الرواية التي ترويها العرب عن لقمان الذي بعثته عاد في وفدّها إلى الحرم يستسقي لها. انظر:
لسان العرب، ج ٣، ص ٣٨٥ (كُبد).

إِيَّاكَ أَنْ تَسْخَطَ الْإِنَاثَ فَكَمْ أَنْثَى غَدَتْ فِي فَخَارِهَا عَلَمَا
كَالشَّمْسِ وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَكَالـ سَجَنَةِ وَالنَّارِ فَاشْكُرِ النِّعْمَا
هَذَا هُوَ الدَّرُّ فَادَّخِرْ لَهَا عِقْدًا وَإِنْ كَانَ سِلْكُهُ قَلِمًا^(١)

تَهْنِئَةُ بُولَادَةِ وَلَدٍ^(٢)

كَتَبْتُ، وَأَعْطَاكَ الْمُلْكُ مُهْتَزَّةً مُرْتَاحَةً، وَفِي كُلِّ نَفْسٍ مَسَرَّةً وَرَاحَةً. شَدَّ اللَّهُ
أَزَرَ مَوْلَانَا الْمَلِكِ بِالطَّالِعِ عَلَيْهِ وَلَدًا ذَكَرًا، الْمُضَافَ إِلَيْهِ سِنْدًا وَعُنْصُرًا، يُلَوِّحُ
لِأَلَاءِ الْمَجْدِ عَلَى أَسَارِيرِهِ، وَيَتَطَاوَلُ سُمُومِ اسْمِهِ بَيْنَ مَنِيرِ الْعِزِّ وَسَرِيرِهِ. ذَاكَ الْأَمِيرُ
أَبُو فَلَانِ الصَّاعِدُ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ الْحِظِّ فَوْقَ سِمَاكِ السُّعُودِ، الْمُتَنَاوِلِ ذَوَائِبَ
النُّجُومِ عَنْ قَعُودِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَصَلَ فَخْرَ الدَّوْلَةِ بِأَنْسِهَا، وَشَفَعَ فَلَكَ الْأُمَّةَ بِسَبِيهَا. إِنْ
الْحَمْدَ مِنْ عَزَائِمِ الْأُمُورِ، وَأَوَّلَ مَا فُرِضَ عَلَى الْعَارِفِ الشُّكُورِ، وَأُمْتَعَ اللَّهُ مَوْلَانَا
بِأَكْرَمِ مَوْهَبٍ، بُشِّرَ بِأَكْبَرِ مَطْلُوبٍ، حَتَّى يَتَكَفَّلَ بِإِسْعَادِ أَوْلِيَائِهَا الْقَمَرَانِ، وَإِشْقَاءِ
أَعْدَائِهَا مَنَاحِسُ الدَّبْرَانِ.

وَلَدٌ نَجِيبٌ طَلَعَ عَلَى أَبِي حَمِيدٍ، فَالْتَفَّ غُصْنٌ عَلَى شَجَرِهِ، وَاحْتَفَّ هَالًا
بِقَمَرِهِ، فَاسْعَدَكَ اللَّهُ بِهْ ثَمَرَةَ الْفَوَادِ، وَخَلَبَ كَبِدَ، بَلْ أَكْبَادِ.

(١) هذه الأبيات لم يوردها إلا الواحدي.

(٢) الواحدي، الدعوات والفصول، ص ٧٥.

وَكُتِبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْعَلَوِيَّةِ بِأَنَّهُ رَزَقَ مَوْلُوداً
يَسْأَلُهُ أَنْ يُسَمِّيَهُ وَيُكْنِيَهُ، فَوَقَعَ فِي رُقْعَتِهِ^(١)

أَسْعَدَكَ اللَّهُ بِالْفَارِسِ الْجَدِيدِ، وَالطَّالِعِ السَّعِيدِ، فَقَدْ - وَاللَّهِ - مَلَأَ الْعَيُونَ قُرَّةً،
وَالنُّفُوسَ مَسْرَةً مُسْتَقَرَّةً. فَالاسْمُ: عَلِيٌّ لِيُعْلِيَ اللَّهُ ذِكْرَهُ، وَالْكُنْيَةُ أَبُو الْحَسَنِ لِيُحَسِّنَ
اللَّهُ أَمْرَهُ، فَإِنِّي أَرْجُو لَهُ فَضْلَ جَدِّهِ، وَسَعَادَةَ جَدِّهِ.
وَقَدْ بَعَثْتُ لِتَعْوِيذِهِ دِينَاراً فِي مِئَةِ مِثْقَالٍ، قَصَدْتُ فِيهِ مَقْصَدَ الْفَالِ، رَجَاءً أَنْ
يَعِيشَ مِئَةَ عَامٍ، وَيَخْلُصَ خِلَاصَ الذَّهَبِ مِنْ نُوبِ الْآيَامِ.

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ١٠١؛ الواحدي، الدعوات والفصول، ص ٧٦؛ العباسي، معاهد
التنصيص، ج ٤، ص ١١٩.

وكتب يذكر ولداً^(١)

رزقُ كتابي، ونعمُ الله تأتينا أمداداً، وتستصحبُ وفوراً وازدياداً، ومن أجدها وروداً، وأحضرها سُعوداً ما استقبلناه.

فالحمدُ لله أحسنُ فواتحِ الشاكرين، والصلاةُ على محمدٍ وآله الطاهرين، فقد رزقنا، عزَّ اسمُهُ، ولداً ذكراً سويّاً جعله الله سريّاً، وأعطانا به عطاءً سنيّاً، وطلع بأيمنِ الطَّوَالعِ، وحلَّتْ به البُشرى أكرمَ المواقعِ، وللعينِ بُرودُه القُرَّةُ الكُبرى، وللنفسِ بمولده القوَّةُ العُظمى. والله نسألُ أن يُوزعنا حقَّ ما أُولى، ويوفِّقنا لمقابلته بالتي هي أُولى، فإنَّ منائحه، تعالى جدُّه، وإنْ كانتَ لدينا، سهلةُ المواردِ، عذبةُ المشارعِ، فإنَّ منحه الابنِ، الوزرُ والعُضدُ والنَّصرُ، وهو الصَّارمُ الذَّكرُ، والطالعُ بأوضحِ العُدْرِ المختصَّةِ بِسُموِّ المَدارجِ، وارتفاعِ المطالعِ والمَسارِجِ، حَبانا به، فرفعَ رغبةً صادقةً، ومسألةً آنفةً، تتبعَ أخرى سابقةً في إمتاعنا به ما عَرَفَ الإمتاعُ، وآملُ من عنده الحفظَ والدِّفاعَ.

(١) الواحدي، الدعوات والفصول، ص ٧٥-٧٦.

وكتب

تهنئةً بتزويج أم وتعزيةً بموت أب^(١)

الأيام - أطل الله بقاءك - تجري على أنحاءٍ مختلفة، وشعبٍ متفرقة،
وأحكامها تتفاوت بيننا بما يسوء ويسرّ، وينفع ويضرّ. وبلغني من نفوذ قضاء الله
في شيخك - رحمه الله تعالى - ما أزعجني وأبهم طرق السلوة دوني، وإن كان من
خلفك غير خارج عن رؤية الأحياء ولا حاصل في زمرة الأموات، والله يأسو
كلمك، ويسدّ ثلمك. وقد فعل ذاك بأن أتاح الله لك بعد أبيك أباً لا يقصر عنه
شفقةً عليك، وحنواً وإيثاراً لك وبرّاً، وقد - لعمري - وفقت حين وصلت
بحبلك حبله، وأسكنت الكبيرة - حرسها الله - ظلّه؛ لئلا تفقد من الماضي - عفا
الله عنه - إلا شخصه. فالحمد لله الذي أرشدك لما يعيد الشمل مجتمعاً بعد فراقه،
والعدد موفوراً بعد انتقاصه، حمداً يقضي لك بالمسرة، ويحسم دونك موادّ
الوحشة، ويكفيك ثواب ما قضيتّه من الحقّ، وتحملته فيه من الأوق^(٢)، إنه فعّالٌ
لما يريد.

(١) العسكري، ديوان المعاني، ج ١، ص ٢٥٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٥، ص ١٤٠.

(٢) الأوق: الثقل. لسان العرب، ج ١٠، ص ١٢ (أوق).

وكتب تهنئةً بقدم^(١)

قد جدّد الله - وله الحمد - جمال الدنيا، وضاعف بهاءها وزادها محاسن ترفل
في حللها، وتبخر في حليها، واكتنفها بميامن يمرع جناها، ويفتح بالخيرات
أبوابها؛ ما استأنف - جلّ اسمه - من النعمة الشاملة، والمِنَّة الكاملة، في تقريب
ركاب مولانا - أطال الله بقاءه، وكبّت أعداءه، وكبّ حُسادَه، وزادهم رَغماً،
بزيادته تعالى إياه نَعماً، لا ير حلّ مُقيمها، ولا يتحيّف عميمها، ما اختلف
العصران، وتعاقب النيران، واستقبل به في وفدته ما ينقاد له أقصر الإِسار،
ويحتوي عليه أبعد غايات الاختيار، بمَنّهِ وجوده.

(١) العسكري، ديوان المعاني، ج ١، ص ٢٥٤-٢٥٥.

وكتب في ذم القلم^(١)

على أتي - يا مولاي - أنشأت هذه الأحرف وحوالي أعمال وأشغال لا يسلم
معها فكر، ولا يسمح بينها طبع، وتناولت قلماً كالابن العاق، بل العدو المشاق،
فإذا أدركته استطال، وإذا قومته مال، وإذا حشته وقف، وإذا أوقفته انحدر. أجدل
الشق، مضطرب المَشَق^(٢)، متفاوت البري، معدوم الجري، محرّف القط، مشج
الخط. ثم رأيت العدو له عنه ضرباً من الانقياد لأمره، والانخراط في سلوكه،
فجهدته على رَغَمه، وكدته على صَغَره، لا جَرَم أن جناية اللجاج بادية على
صفحات الحروف لا تخفى، وعادية المحك لائحة على وجوه تتجلى.

وكتب في ذم قلم، فأبدع^(٣)

وليس العجب إلا من قلم مُنيت به لا يستقر إذا تأنيت، ولا يستمر إذا
جريت، طوله عرض، وإبرامه نقض، تستغيث الحروف من التواءه، وتستأنس

(١) العسكري، ديوان المعاني، ج ٢، ص ٨٢٩-٨٣٠.

(٢) في الأصل: الشق.

(٣) العسكري، ديوان المعاني، ج ٢، ص ٨٢٨.

السطور من استوائه، إن قلتُ: سر؛ وقف، وإن حشّته بالأنامل؛ قَطَف، فالفاظي في سِنِّه مأسورة، ومعاني في شقيّه محصورة. وقد صبرتُ عليه ألبسه مع سوء عِشرته، وأستمحّه مع فضل عسرتّه، وأقول: لعلّه يصلح بطول المداراة، وعساه ينجح بكثرة المناواة، وهو يزداد نفاراً، ويتضاعف زللاً وعثاراً.

وكتب في وصف كتاب^(١)

ومن هذا الذي لا يحبُّ أن يُواصل عِلْمَ الفضل، وواسطة الدهر، وقرارة الأدب والعلم، ومجمع الدراية والفهم؟ أم من لا يرغب في مُكاثرة من ينتسب الربيع إلى خلقه، ويكتسب محاسنه من طبعه، ويتوشح بأنوار لفظه، ويتوضّح بآثار لسانه ويده.

ووصل كتابه فارتحتُ لعنوانه قبل عيانه، حتى إذا فضضتُ ختامه أقبلت الفكرة تتكاثر، والدُررُ تتناثر، والغُررُ تتراكم، والنكتُ تتزاحم. فإذا حكمتُ للفظه بالسبق أتت أختها تنافس، وأقبلت لِدَيْها تفاخر، حتى استعفيت من الحكومة، ونفضتُ يدي من غبار الخصومة، وأخذت أقول: كُلُّكِنَّ صَوَادِرُ عَنْ أَصُولٍ، بل أصل واحد؛ فتسالمتُ، ونواقدُ عن معدنٍ فاردٍ؛ فتصالحن، وقد وليتُ النظرَ بينها مَنْ كَمُلَ لنسج بُرودها، ووفى بنظم عُقودها.

(١) العسكري، ديوان المعاني، ج ٢، ص ٨٢٩.

ومن جَيِّدِ الأدعية ما كتب الصَّاحِبُ أَبُو القاسمِ بن عَبَّاد^(١)

أَسْعَدَ اللهُ سَيِّدَنَا بِالْفَضْلِ الجَدِيدِ، والنَّيْرُوزِ الحَمِيدِ، سَعَادَةً مُتَّصِلَةً المَادَّةِ،
حَافِظَةً لَجَمِيلِ العَادَةِ مُؤَذِّنَةً بِظَاهِرِ العِزِّ والبَسْطَةِ، وتَزَايِدِ السَّرُورِ والغِبْطَةِ، مُؤَمِّنَةً
مِنْ عَوَادِي الأَيَّامِ، وبَوَادِرِ الزَّمَانِ، وأَرَاهُ سَادَتِي الفَتِيَانِ قَدْ اقْتَفَى كُلُّ مِنْهُم
مَجْدَهُ، وَحَكَى فِي طَلَبِ المَعَالِي أَبَاهُ وَجَدَّهُ، وَجَعَلَ سَيِّدَنَا آخِذًا مِنْ كُلِّ مَا دُعِيَ بِهِ
وَيُدْعَى بِهِ فِي الأَعْيَادِ، بِأَجْزَلِ الأَقْسَامِ وَأَوْفَرِ الأَعْدَادِ.

وكتب^(٢)

وَاللهُ يُدِيمُ لِمَوْلَانَا وَلِيَّ النِّعَمِ التَّمَكِّينَ والبَسْطَةَ، والْعُلُوَّ والقُدْرَةَ، والعِزَّ
وَالنُّصْرَةَ، وَلَا يَسْلُبُ القُلُوبَ مَا أودَعَهَا مِنْ مَحَبَّةِ دَوْلَتِهِ، وَلَا يُعَدِمُ الصُّدُورَ مَا
ضَمَّنَهَا مِنْ خَشْيَةِ صَوْلَتِهِ؛ لِيَزْدَادَ أَوْلِيَاؤُهُ بَصِيرَةً فِي مُنَاصَحَتِهِ، وَيُضْطَرَّ أَعْدَاؤُهُ إِلَى
اسْتِعْطَافِهِ وَاسْتِقَالَتِهِ، إِنَّهُ قَدِيرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَإِلَيْهِ أَرْغَبُ فِي زِيَادَةِ مَوْلَانَا مِنْ
فَضْلِهِ، وَصِلَةِ المُنَاجِحِ بِسَعْيِهِ وَعِزِّمِهِ، وَتَعْرِيفِهِ المِيَامِنَ فِي ارْتِحَالِهِ وَحُلِّهِ، وَتَوْفِيقِهِ لِمَا
يَحْفَظُ رَأْيَ وَلِيِّ نِعْمَتِهِ، وَيَسْتَدِيمُ المَقْسُومَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدَتِهِ.

(١) العسكري، ديوان المعاني، ج ٢، ص ٨٤٧.

(٢) العسكري، ديوان المعاني، ج ٢، ص ٨٤٩.

وكتب^(١)

وليس بدع أن يجودَ كلامُه، وتعتدل أقسامُه، ويتهدّب بيانُه، ويتّسع جناهُ، وقد راض العلومَ حتى أعطته زمامَها، ومارس الآدابَ حتى ملّكته خطامَها، فإنَّ عُدَّ الفقهَ كان البازل الذي ذلّل الفحولَ مُصاولةً، وإنَّ ذُكرَ الكلامَ كان الجبلَ الذي فرّع الأطوادَ مُطاولةً، وإنَّ تصرّفَ في أيام الناس وأخبارهم، وفحص عن سيرهم وآثارهم، حاضِرَ مُحاضرة الأفراد، وكاثِرَ مُكاثرة الأحاد، وإنَّ جُوري في سوائر الأمثال، وفقر الأشعار؛ تَرَكَ المُجاري لا يدري أيّ طريقٍ يركب! وأي مذهبٍ يذهب! وأمّا الخطابةُ فهو جُذيلُها المُحكّك، وعُذيقُها المُرجّب^(٢)، وقد سلّمت إليه اختياراً من مواليه، واضطراً من مُعاده.

فصل

من كتاب في الغضائري^(٣)

الغضائريُّ، وما أدراك ما الغضائري! استزاد إلى الجمال جمالاً، وعاد بدراً وكان هلالاً، فإن شئت فالغصن ميّالاً، وإن شئت فالدّعص^(٤) منهالاً:

(١) العسكري، ديوان المعاني، ج ٢، ص ٨٥١.

(٢) الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، ص ٣١.

(٣) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٨٤-٢٨٥.

(٤) الدّعص: الكثيب من الرمل. لسان العرب، ج ٧، ص ٣٥ (دعص).

كأنَّ جميع الناس يلقون وجهه
 بناظرُك المفتون، والحبُّ شاملُ
 رويدك إن أحببت فالغصنُ مائلُ
 وإنْ تَصُبُّ بعد الدَّعْصِ فالدَّعْصُ هائلُ
 وهو يهدي إليك سلاماً كرقّة خدّه، ونسيم عَرفه، وغزارة دمعك من بعده:
 سلاماً كما رقّ النسيم على الصّبا
 وجاء رسولُ الورد في زمن الوردِ
 تأبى - أيها العبدُ الصالح - إلّا أن تغمسنا معك في مزح المازح:
 ألا ربّ ذي مزحٍ يحرك حبله
 وحبلُ التّقى من قلبه مُحَصَّدٌ شَزْرُ^(١)

فصل^(٢)

وما الشأن إلّا في أنك تنتقل في الهوى تنقّل الأوفياء، وتتميّل في الحبّ
 كشارب الصّهباء، فمرّة الغضائريّ، حتى إذا حسبنك قد صرت له وصار لك،
 وعلق بك أمله وأملك، بعث قديماً بحديث، وتليداً بطريف، واستهوتك حبائلُ
 القمّيّ، فقمت تفتل في حبله، وتحرض على وصله، ثم تطمع أن تضم ضداً إلى
 ضدّ، وتجمع سيفين في غمد، وهيهات! إنّ الغضائري قد أبلغه ذلك فازورّ وتنمرّ،
 وغار وتنكرّ، وقد كان له عزمٌ في المسير إلى أصبّهان، ففتر بفتور صَبوتك، وخفّ
 بظهور نبوتك:

(١) حَبْلٌ مُحَصَّدٌ: مُحْكَمٌ مَفْتُولٌ. والحبل المشزور: المفتول، وهو الذي يُفْتَلُ مما يلي اليسار، وهو أشدّ

لَفْتَلَه، أو المفتول إلى فوق. لسان العرب، ج ٣، ص ١٥٢ (حصد)، ج ٤، ص ٤٠٤ (شزر).

(٢) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٨٥.

نَقْلُ فَوَادِّكَ حَيْثُ شَتَّ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ^(١)
وقد جعله بعض الشعراء: للحبيب الآخر^(٢). وأما نحن فننشد لكثيراً:
إِذَا مَا أَرَادَتْ خُلَّةٌ أَنْ تَزِيلَنَا أَبْنَا وَقَلْنَا: الْحَاجِبِيَّةَ أَوَّلُ^(٣)
والله يسقي عهدك صَوْبَ الْعَهَادِ، ويعيدنا وإياك على البعاد.

رقعة استزارة^(٤)

هذا اليوم - يا سيدي - طاروني^(٥)، يعجبني نوؤه الفاختي، وإذ قد غابت
شمس السماء عنا، فلا بد أن تدنو شمس الأرض منا. فإن نشطت للحضور،
شاركتنا في السرور، وإلا فلا إكراه ولا إجبار، ولك متى شئت الاختيار.

(١) لأبي تمام. الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ٥٣٣.

(٢) هو ابن طباطبا العلوي؛ قال:

دع حبَّ أول من كلفت بحبه ما الحبُّ إلا للحبيب الآخر

كما في الصناعتين للعسكري، ص ٤١٨.

(٣) ديوان كثير عزة، ص ٢٥٥.

(٤) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٨٦؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج ٤، ص ٣٨٠؛

العباسي، معاهد التنصيص، ج ٤، ص ١٢٥.

(٥) خز طاروني: نوع من الحرير. الزخشي، أساس البلاغة، ص ٣٨٩ (طرن).

وفي مثلها^(١)

غداً - يا سيدي - ينحسر الصَّيَّامُ، وتطيب المُدَّام، فلا بد من أن نقيم
أسواق الأنس نافقةً، وننشر أعلام السرور خافقة، فبالفتوة فإنها قسَم للظُّراف،
يفرض حسن الإسعاف، ولو أن المروءة حاجة محتاج، بادرتها ولو على جناح
الرياح، إن شاء الله تعالى.

أخرى^(٢)

نحن - يا سيدي - في مجلسٍ غنيٍّ إلا عنك، شاكرٍ إلا منك، قد تفتحت فيه
عيون النّرجس، وتورّدت فيه حدود البنفسج، وفاحت مجامر الأترج، وفتقت
فارات النّارنج، وأنطقت ألسنة العيدان، وقام خطباء الأوتار، وهبت رياح
الأقداح، ونفقت سوق الأنس، وقام منادي الطّرب، وطلعت كواكب النّدماء،
وامتدّت سماء النّد، فبحياتي لما حضرت؛ لنحصل بك في جنة الخلد، وتتصل
الواسطة بالعقد.

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٨٦؛ العباسي، معاهد التنصيص، ج ٤، ص ١٢٥.

(٢) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٨٦؛ من غاب عنه المطرب، ص ١٢٠؛ العباسي، معاهد

التنصيص، ج ٤، ص ١٢٥.

فِي مِثْلِهَا^(١)

نحن - وحياتِك - في مجلس راحه ياقوت، ونورُه دُرٌّ، و نارنجه ذهبٌ،
ونرجسُه دينارٌ ودرهم، ويحملهما زبرجد، وألسن العيدان تخاطب الظُّراف، بهلُمَّ
إلى الأقداح، لكنّا بغيبتك كعقد غُيِّبَت واسطته، وشبابٌ أخذت جدّته، فأحبّ أن
تكون إلينا أسرع من الماء في انحداره، والقمر في مداره.

فِي مِثْلِهَا^(٢)

عندنا أترجّ كأنه من خُلقك خُلق، ومن شمائلك سُرق، و نارنَجٌ ككُراتٍ من
سَفَنِ ذُهَبَت، أو ثدي عذارى خُلِقَتْ، مَجْلِسٌ أخذت فيه الأوتار تتجاوب،
والأقداح تتناوب، أعلامُ الأنس خافقة، وألسنُ الملاهي ناطقة، مجلسٌ قد فرش
بساطه، وبُسطت أنماطه، ومُدَّ سِماطه، بين آسٍ مخضود، ووردٍ منضُود، ودنَّ
مفصود، ونايٍ وعُود، في مجلسٍ تحفّنا بدور، والكاسات بيننا تدور، قد نشأت
غمامة اليد، على بساط الورد.

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٨٦؛ العباسي، معاهد التنصيص، ج ٤، ص ١٢٦.

(٢) الثعالبي، لباب الآداب، ص ٢٣٨.

فِي مِثْلِهَا^(١)

مجلسنا - يا سيدي - مفتقرٌ إليك، معوّلٌ في إغنائه عليك، وقد أبت راحه أن
تصفو إلا أن تتناولها يُمنّاك، وأقسم غناؤه لا طاب أو تعيه أذنّاك، فأما خدودُ
نارنجِه فقد احمرّت خجلاً لإبطائك، وعيونُ نرجسِه فقد حدّقت تأملاً للقائك،
فبحياتي عليك لما تعجّلت، وما تمهلّت؛ لئلا يخبث من يومي ما طاب، ويعود من
همّي ما طار.

نحن لغيبك، كعقدٍ غيّبت واسطته، وشبابٍ أخذت جدّته، إذا غابت شمسُ
السماء عنّا، فلا بدّ أن تدنو شمس الأرض منّا، أنت ممّن ينتظم به شمل الطّرب،
وبلقياه يبلغ كلّ إرب، ثبّ إلينا وثبة الغزال، واطّلع علينا طلوع الهلال في غرة
شوّال، جشم إلينا قدّمك، واخلع علينا كرمك.

(١) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٨٧؛ خاص الخاص، ص ٢٦؛ لباب الآداب، ص ٢٣٨؛ من
غاب عنه المطرب، ص ١٢٠. وأورد بعضها الحصريّ - بلا نسبة - في زهر الآداب، ج ١،
ص ٤٥١.

في مثلها^(١)

صرنا - أيّد الله مولانا - في بستانٍ كأنه من خُلِقَ خُلِقَ، ومن خُلِقَ سُرق،
فرأينا أشجاراً تميل فتُذكر تبريحَ الأحباب، وقد تداولتهم أيدي الشراب، وأنهاراً
كأنّها من يد مولانا تسيل، أو من راحته تفيض. وحَضَرنا فلانٌ فعلاً نجمُنا، ومُحمد
أمرنا، وتسهّل طريق الخير لنا، فلمّا دبّت الكؤوس فيهم ديببَ البرء في السّقم،
والنار في الفَحَم؛ رأى أن نجعل أنسنا غداً عنده، فقلت: سمعاً، ولم أستجز لأمره
دفعاً، والتمس أن أخلفه في تحشيم مولاي إلى المجمع؛ ليقرب علينا متناول البدر
بمشاهدته، ولمس الشمس بمطالعتة، فإن رأى أن يشفعني أسعفني، إن شاء الله
تعالى.

وكتب في وصف كتاب^(٢)

وصل كتابك؛ فجعلتُ يومَ وصوله عيداً أؤرّخ به أيامَ بهجتِي، وأفتتح به
مواقيتَ غِبْطتي، وعرفتُ من خبر سلامتك ما سألتُ اللهَ الكريم أن يصلّه
بالدّوام، ويرفعه على أيدي الأيّام.

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٨٧.

(٢) العسكري، ديوان المعاني، ج ٢، ص ٨٢٥.

وكتب أيضاً^(١)

وصل كتابه - أيده الله - يضحك عن أخلاقه الأرجة، ويتهلل عن عشرته البهجة، ويخبر عن رعاية الله إياه لما رأيتُ شمل الحرية به منتظماً، وشعب المروءة له ملتئماً، ويتحمّل من أنواع برّه ما أقصر عن ذكره، ولا أطمع في شكره، ويؤدّي من لطيف اعتذاره في أثناء عُتبه ما تزداد به أسباب السرور تمهّداً.

وله^(٢)

وصل كتابك، فكانت فاتحته أحسن من كتاب الفتح، وواسطته أنفَس من واسطة العقد، وخاتمه أشرف من خاتم الملك.

فصل^(٣)

أنا على طَرَف بستانٍ أذكّرني وردّه المتفتح بخُلقك، وجدوله السابح بطبعك، وزهره الجنّي بقُربك.

(١) العسكري، ديوان المعاني، ج ٢، ص ٨٢٥.

(٢) الثعالبي: خاص الخاص، ص ٦٤؛ ثمار القلوب، ص ٦٣٠.

(٣) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٨٧.

فصلٌ من كتاب آخر^(١)

علقتُ هذه الأحرف، وأنا على حافةٍ حوضٍ ذي ماءٍ أزرقٍ كصفاءٍ ودِّي لك،
ورقةٍ قولي في عتابك، ولو رأيته لأُسييتَ أحواضَ مأرب، ومشاربَ أمّ غالب،
وقد قابلتني شقائق كالزُّنُوجِ تَجَارَحَتْ فسالت دماؤها، وضعتُ فبقي
ذماؤها^(٢)، وسامتني أشجارٌ كأنَّ الحُورَ أعارتها أثوابها، وكستها أبرادها،
وحضرتني نارِ نِجاتٍ ككراتٍ من سفن ذهب، أو تُديّ أبكارٍ خلقتُ، وقد تبرّم
بي الحاضرون لطول الكتاب؛ فوقفْتُ وكففت، وصدفت عن كثيرٍ مما له
تشوّفٌ^(٣).

ومن رقعة^(٤)

مضيّت وشاهدتُ أحسنَ منظرٍ: فالأرضُ زمردة، والأشجارُ وشيٌّ، والماءُ
سيوف، والطيرُ قِيان.

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٣، ص ٢٨٧-٢٨٨.

(٢) الذمّاء: بقية النفس والقلب.

(٣) تشوّفت: تطلعت ورغبت.

(٤) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٣، ص ٢٨٨.

رقعةٌ في الاعتذار من هفوة الكأس^(١)

سيدي أَعَرَفُ بأحكام المروءة من أن يَهْدَى إليها، وأحرصُ على عمارة سبل الفتوة من أن يُحَضَّصَ عليها، وقديماً حُمِلَتْ أوزارُ السُّكْرِ، على ظهور الخمر، وطُوي بساطُ الشراب، على ما فيه من خطإٍ وصواب. وكنتُ البارحة بعقب شكاةٍ أضعفتني ونقلتني عن عادتي، واستعفيتُ السُّقاةَ غير دفعة، فأبَوْا إلَّا إلحاحاً عليّ، وإتراعاً^(٢) إليّ، وكرهتُ الامتناعَ خشيةً أن أوقع الكساد في سوق الأُنس، وتفادياً من أن يعقد على خنصر الثقل، فلما بلغتُ الحدَّ، الذي يوجب الحدَّ^(٣) بَدَر مني ما يبدر ممن لا يصحبه لبُّه، ولا يساعده عقله وقلبه، ولا غَرَوْ فموالاة الأبطال، تدع الشيوخ كالأطفال. فإن رأى أن يَقْبَلَ عذري، فيما جناه سُكْري، ويهبَ جُرْمي لمعرفة نيتي في صحوي، وإن أبى إلَّا معاقبتي جَعَلَهَا قَسَمَيْنِ بين المُدَام وبينِي؛ فعل، إن شاء الله تعالى.

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٨٨.

(٢) إتراعاً: إغداقاً.

(٣) الحدَّ الأولي: المقدار، والحدَّ الثاني: حدّ شارب الخمر (عقوبته) في الشريعة الإسلامية.

وكتب وقد أهدى باكورةً خلافٍ قد نور^(١)

قد نورت لتنوير الخلاف فضائل لا تُحصى، ومحاسن تطول أن تُستقصى، منها:
أنه أوّل ثغرٍ يبسمُ عنه الربيع ويضحك، ودرّ يعقد على القُضبان ويسبك، ولتأمله
أدكارٌ بقدود الأحاب، وتهيجُ لسواكن الاضطراب، وحمل إليّ قضيبٌ منه
ورداته متعادلة، ولذاته متقابلة، فأنفذته مع رقعتي هذه إليك، وسألتُ الله أن
يعيده ألفَ حَوْلٍ عليك، وقلت:

وقضيبٍ من الخلاف بديعٍ	مستخصٌ بأحسن التّرصيع
قد نعى شدة الشتاء علينا	وسعى في جلاء وجه الربيع
وحكى من أحبّ عرفاً وظرفاً	واهتزأزأثير ماء ضلوعي
رقّة ما نظمتُ نحو بديع الـ	مجد حاكي الربيع حُسن صناعي

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٣، ص٢٨٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج١١، ص٢١٨.

وكتب في جواب رقعة وردت عليه في التماس أشياء عدة^(١)

أما الكافور: فَأَخْرُتُهُ عَنْكَ تَطَيُّراً مِنْهُ، فَلَوْنُهُ لَوْنُ الْبَهَقِ^(٢)، بل لون البرص^(٣)، وهو مُفْرَط البرد، لا يصلح للشيخ ذي السن، يُخْشَى مِنْهُ الْفَالِجُ^(٤)، وتحذر معه اللَّقْوَةُ^(٥)، وترتفع له الحرارة الغريزية، وبفقدتها تفقد النفس وتنقص البنية، وهو بعد من طيب الأموات، أحياء الله أطول الحياة. ثم اسم الكافور يجانس اسم الكفر، وقد برأك الله منه ونزّهك عنه.

أما ماء الورد: فخير منه الماء القراح العذب الزُّلَّالُ، ألا ترى أن الطَّهَّارَةَ لا تجزى به، وهي تُجْزَى بِمَاءِ الْآبَارِ وَالسَّوَاقِي وَالْأَنْهَارِ، ثم لا يروى الظَّمَانُ، ولا يبرد غُلَّةُ^(٦) العطشان، وطالما رُشَّ عَلَى الْمَقَابِرِ، وَصُبَّ عَلَى الْأَكْفَانِ.
وَأَمَّا الْبَخُورُ: فمما لا يرغب فيه لذي ظرفٍ ومروءةٍ ولُطْفٍ، وقد ناسب لفظ

(١) الثعالبي، تحسين القبيح، ص ٨٧-٨٨.

(٢) البهق: بياض يعتري الجلد يخالف لونه، دون البرص. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٨٤.

(٣) البرص: داء معروف يصيب الجلد.

(٤) الفالج: ما نعرفه اليوم بالشلل النصفي. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٨٦، لسان العرب، ج ٢، ص ٣٤٦ (فلج).

(٥) اللقوة: داء يصيب الوجه؛ فيتعوج. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٨٦؛ لسان العرب، ج ١٥، ص ٢٥٣ (لقا).

(٦) الغلة: حرارة العطش. لسان العرب، ج ١١، ص ٤٩٩ (غلل).

البخور لفظ البَخر، وهو أسود كرية المنظر، كأنَّه أعضاء الزنج بثقت، أو جوارح الحبشة قطعت.

في إهداء أترجة^(١)

ما زلتُ - يا سيدي - أفكر في تُحفة تجمع أوصافَ معشوقٍ وعاشق، وتنظمُ
نعوتَ مَشُوقٍ وشائق، حتى ظفرتُ بأترجةٍ كأنَّ لوَّها لوني، وقد مُنيت ببُعدك،
وبُليت بصدك، وكأنَّ عَرَفها مُستعارٌ من عَرَفك، وظرفها مشقٌّ من ظرفك،
فكأنها بعضُ مَنْ لا أسميه، وأنا أفديهِ، فأنفذُها، وقلت:

مولاي قد جاءتك أترجةٌ من بعض أخلاقك مخلوقة
ألبسها صانعها حلَّةً من سَرَق^(٢) أصفر مسروقة

في إهداء أقلام^(٣)

قد خدمتُ دواة مولاي بأقلام تتخفّف بأنامله، وتتحمّل نفحاتِ فَواضله،
وتأثقت في بَرِّيها؛ فأتت كمناقير الحمام، واعتدال السَّهام، خمسةٌ منها مصرية

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٣، ص ٢٨٩-٢٩٠.

(٢) السرق: أجود الحرير. لسان العرب، ج١٠، ص ١٥٦ (سرق).

(٣) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٣، ص ٢٩٠.

مقومة، عليها حُلل مسهمة، وعشرة منها بيض كأياديهِ، وأيام مؤمليه، والله يُديم
له موادَّ نعمته، ويوفّقني لشرائط خدمته.

رقعة مداعبة^(١)

خبر سيدي عندي وإن كتمه عنّي، واستأثر به دوني، وقد عرفتُ خبره
البارحة في شربه وأنسه، وغناء الضيف الطارق وعِرسه:
وكان ما كان مما لست أذكره^(٢)

وجرى ما جرى مما لست أنشره، وأقول: إن مولاي امتطى الأشهب فكيف
وجد ظهره؟ وركب الطيّار فكيف شاهد جريه؟ وهل سلم على حُزونة الطريق؟
وكيف تصرّف؟ أفي سعة أم ضيق؟ وهل أفرد الحجّ أم تمتّع بالعمرة؟ وقال في
الحملة بالكرة، ليتفضّل بتعريفي الخبر فما ينفعه الإنكار، ولا يُغني عنه إلا الإقرار.
وأرجو أن يساعدنا الشيخ أبو مرة^(٣)، كما ساعده مرة، فنصلي للقبلة التي صلي
إليها، ونتمكّن من الدرّجة التي خطّب عليها، هذا وله فضل السبق إلى ذلك
الميدان، الكثير الفرسان.

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٩١؛ العباسي، معاهد التنصيص، ج ٤، ص ١٢٧. وبعض

فقره في ثمار القلوب، ص ٢٤٦.

(٢) هذا صدر بيت لابن المعتز، وعجزه: فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر.

(٣) أبو مرة: من كنى إبليس.

ومن رقعة مُداعبة أخرى^(١)

انفردت يا سيدي بتلك^(٢) انفرادَ مَنْ يحسب مَطْلَعَ الشمس من وجهها،
ومنبَت الدُرِّ من فمها، وملقَطَ الوردِ من خدِّها، ومنبَعِ السَّحر من طَرْفها، وحقاقَ
العاج من ثديها، ومبادئ الليل من شعرها، ومغرسَ الغصن في قدِّها، ومهيل
الرَّمْل في ردْفها، وكَلَّا إنها شوهاة وزهاة خرقاء خلقاء^(٣)، كأنَّها حياها أيام
المصائب، وليالي النوائب، وكأنَّها قُرْبُها فَقْدَ الحبائب، وسوءُ العواقب، وكأنَّها
وصلُّها عدم الحياة، وموت الفجأة، وكأنَّها هجرُها قوَّة المنَّة، وكأنَّها فَقْدُها ريحُ
الجَنَّة.

ومن كتاب مُداعبة^(٤)

الله الله في أخيك، لا تظهرُ كتابَه فيحكم عليه بالماليخوليا^(٥) وبالتخايل
الفاسدة، فقد ذكر جالينوس أن قوماً يبلغ بهم سوء التخيل، أن يقدِّروا أجسامهم

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٩١.

(٢) يريد امرأة.

(٣) الورهاء: الكثيرة الشحم، والخرقاء: الحمقاء، والخلقاء: البالية الرثة.

(٤) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٩٢.

(٥) الماليخوليا: أحد الأمراض العصبية.

زجاجاً؛ فيجتنبوا ملامسة الحيطان خشية أن يتكسروا، وحكى أن قوماً يظنون أنفسهم طيوراً؛ فلا يغتدون إلا القرطم^(١)، والحظ كتابي دفعةً ثم مزقه، فلا طائل فيه، ولا عائد له، ولا فرج عنده. وعلى ذكر الفرج فقد كانت بهمذان شاعرةً مجيدة تُعرف بالحنظليّة، وخطبها أبو علي كاتب بكرٍ، فلما ألحَّ عليها وألحفَ، كتبتُ إليه:

أَيْرُكُ أَيْرُ مَالِهِ عِنْدَ حِرِّيْ هَذَا فَرَجٍ
فَاصْرِفْهُ عَنِ بَابِ حِرِّيْ وَادْخُلْهُ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ

هذه - والله - في هذين البيتين أشعرُ من كبشة أمِّ عمرو، والخنساء أخت صخر، ومن كعوب الهذليّة، وليل الأخيلىّة.

فصل

من كتاب له إلى أبي العلاء الأسدي
في الملاطفة والمداعبة^(٢)

ذكرت أن أدهمك قطع الدهر رباطه، أو قطع الموت نياطه^(٣)، ووصفت

(١) القرطم: نبات يتخذ منه صبغ أحمر.

(٢) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٨٤.

(٣) نياطه: عروقه.

الحمار الذي استعضته، فلا أدري أقرطته، أم عضدته! وقد كتبتُ بابتياح مركوب
لك يعبوب، أو يعسوب، أو مرجوب^(١)، بل رمستُ أن يُقادَ إليك في كيس
أعجر^(٢)، فإن شئتَ فاتركه عندك أشهب، وإلا فابتع به أدهم أو أشقر، والتوقيع
درج كتابي فليوصل، والنقدُ عند الحافر، وبه يملك الخفّ والحافر، ويجنب الأعزّ
السائل، والأقرح النادر.

(١) يعبوب: الفرس السريع الطويل، أو الجواد السهل في عدّوه، والبعيد القدر في الجري.

واليعسوب: فحل النحل وأميرها، واسم فرس للنبي ﷺ. والمرجوب: المهاب والمعظم.

(٢) الأعجر: الممتلئ.

الكشافات العامة

- الحديث الشريف والأثر
- الأقوال المأثورة
- الأعلام
- الأقوام والطوائف والجماعات
- الأمكنة والبلدان
- الألفاظ والمصطلحات الحضارية
- الأمثال
- الشعر
- المصادر والمراجع
- المحتوى

الحديث الشريف والأثر

«أنا أفصح العرب» ٤٩٦

«أنا مدينة العلم وعليّ بابها» ٤٩٣

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى» ٤٩٣

«الدّال على الخير كفاعله» ١٤٤

«رفقاً بالقوارير» ٣٢٥

«اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي» ٤٩٣

«هذه ثم ظهور الحصر» ٣٢٥

الأقوال المأثورة

«قيمة كلّ امرئ ما يحسن» . علي بن أبي طالب ٤٥٩

«لولا عليّ هلك عمر» . عمر بن الخطاب ٤٩٣

الأعلام

إبراهيم عليه السلام ٤٨٣، ٣٠٣	البرمكي = الفضل البرمكي
إبراهيم بن القاسم ٢٥٠	البروجردى ٥٣٧
إبراهيم بن محمد الحاجب ١٣٢، ١٠٨	بشار بن برد ٣٣٤
إبراهيم بن المرزبان ٣١	بشر بن مروان ٢٤٦
أحمد بن إبراهيم الضبيّ (أبو العباس)	بقراط ٤٨٩
٣٥١، ٣٥٢، ٤٣٧، ٤٨٥، ٥١٧	بكتاش الحاجب (أبو الهيجاء) ١٢٧
أحمد بن إبراهيم (أبو عيسى) ١٩٤	بكتكين (أبو الوفاء) ١٤
أحمد بن عبد العزيز العجلي ٥٣٧	تأبط شرّاً ٣٢٤
أحمد بن محمد بن المحتاج ٤٤	جالينوس ٤٨٦، ٤٨٨، ٤٨٩، ٥٨٠
أساتكين (أبو الجيش) ٣٨١، ٣٨٢	ابن جحا الكوفاني ٤٧٠، ٤٧١
أبو إسحاق الكاتب ٢٤٢	جركاس بن وشمكير ١٢
إسفسهلا بن كورنكيچ ٨٩	جرير ٤٨١، ٥٥٢
الإسكندر الأفروديسي ٤٨٨	جعفر بن أبي طالب ٢٦٩
إسماعيل بن صبيح ٢٧٨	جعفر الصادق ٤٩٩
الأعشى ٣٣٥	الحجاج بن يوسف ٣٢٦
أيمن بن خريم ٥٥١	أبو الحسن (?) ٣٧٧
ابن بابويه ٢٣٩	أبو الحسن (السلار) ٢٣١
البحثري ٥٣٧	أبو الحسن (القاضي) ٣٨٢
بختيار ٣٧، ٣٩	الحسن بن أحمد (أبو علي) ٥٣٢

ركن الدولة ١٢٨، ١٢٩، ٢٤١، ٣٣٥	الحسن بن سهل ٢٧٨
الزبرقان بن بدر ٣٣٥	أبو الحسن (الشريف) ٢٠٨
زياد بن شهاكويه (أبو حرب) ١٢	أبو الحسن بن سيمجور ٤٨
أبو زيد ابن أبي القاسم بن مقرن ٤١٤	الحسين بن أحمد بن سعدان (أبو عبد الله)
زيد بن محمد بن الحسين الحسني الشريف	٥٢٦
(أبو القاسم) ٥٠٠	الحسين بن أحمد بن عبد الله بن هارون
أبو سعد (؟) ٤٦٠	(أبو علي) ١١٢
سعد بن محمد الحاجب (أبو القاسم)	الحسين بن العباس الزيدي العلوي (أبو
٣٨	عبد الله) ٤٢٢
أبو سعيد الشيبني ٥٣٢، ٥٤٣	الحسين بن محمد (أبو منصور) ٩٩
أبو سعيد بن المهلب ٣١٩	الخطيئة ٣٣٥
سليك المقانب ٣٢٤	أبو حفص (؟) ٣٣٧
شمس المعالي = قابوس بن وشمكير	ابن حماد (؟) ٣٨٣
أبو الشمقمق ٣٣٣	ابن حمدان (أبو تغلب) ٢٤، ٢٥
الشنفرى ٣٢٤	الحنظلية (شاعرة) ٥٨١
الصاحب بن عباد ٣	خالد بن دثار ٣٢٦
صخر (أخو الخنساء) ٥٨١	أبو خبيب ٣٠٦
صدقة بن أحمد ١٣١	الخنساء ٥٨١
صمصام الدولة وشمس الملة ٥٢٩، ٥٣١	دعيميص الرمل ٣٢٤
ابن طارق (شاعر) ٥٥١	ربيعة الرقي ٣٣٣

عبد الجبار بن يزيد ٣٢٦
عبد الحميد الكاتب ٢٨٧
عبد الرحمن بن أحمد بن جعفر (أبو القاسم) ١٠١
عبد السلام (أبو الفرج) ٥٥٦، ٥٤٥
عبد بن الطيب ٥٥٢
عثمان (؟) ٣٤٩
أبو عثمان (؟) ٢٩٢، ٢٩١
عصام بن أحمد ٤٤٠
عضد الدولة وتاج الملة ٦١، ٤٣
ابن عكبر ٢٣٩
عكبر بن إبراهيم ٢٤٢، ٢٤١، ٢٤٠
أبو العلاء (؟) ٥٣١، ٤١٣
أبو العلاء الأسدي ٥٨١
أبو العلاء ابن أبي القاسم بن مقرن ٤١٣
ابن علويه (؟) ٣٨٣
علي (؟) ٦١
أبو علي (؟) ٤١٣، ٢٤٣
أبو علي (كاتب بكر) ٥٨١
علي بن أحمد الخراويني (أبو القاسم) ٢٩٩

أبو طالب (الشريف)
أبو طالب الحسيني (الشريف) ٥٠٢
أبو طالب السيلقي (الشريف) ٤٩٠
أبو طاهر (نائب القاضي عبد الجبار بن أحمد) ٣٨٤، ٣٨٣
طاهر بن محمد (أبو الوفاء) ٢٧
الطائع لله (ال خليفة) ٦٦، ٤٧
الطبري (؟) ١٠٠
عامر بن فهيرة ٣٢٤
عباد بن العباس ٣٣٥
عباد بن المطهر (أبو الفرج) ٣٣٥، ٣٣٣
أبو العباس (؟) ٣٧٧، ٣٣٧
أبو العباس تاش ٦١، ٥٠، ٤٩
العباس بن فيلسار ٣٨
عبد الله بن أريقط ٣٢٤
عبد الله بن محمد بن أحمد بن الفرج بن فروخ القزويني (أبو محمد) بن أبي زرعة = ابن متويه
عبد الجبار بن أحمد القاضي (أبو الحسن) ٣٨٣، ٨٠، ٦٥

أبو الفرج الحناط ٢٧٧	علي بن أبي طالب ٣١١
الفرزدق ٤٨٢، ٣٣٥	علي بن عبد الملك بن العباس بن خالد
الفضل البرمكي ٣٣٤	الخالدي النحوي (أبو طالب) ٥٤١
الفضل بن العباس ٣٣٤	علي العلوي (أبو الحسن) ٥٥٩
قابوس بن وشمكير ٨، ٤٧، ٥٠، ٦١،	أبو علي ابن أبي القاسم بن مقرن ٤١٣
٥٤٦، ٥٤٥	علي بن كامه (أبو الحسن) ١٠، ٣٢، ٣٣،
أبو القاسم (?) ٢٩٦، ٤٢٤	٣٤
أبو القاسم بن مقرن ٤١٣	علي بن محمد الحسيني الشريف (أبو
قيصة (أبو قطن) ٣٣٥	الحسن) ٤٢٧
القمي ٥٦٧	عمرو بن براق ٣٢٤
كبشة (أم عمرو) ٥٨١	ابن العميد ٥٤٩
كثير عزة ٥٦٨	ابن عنرة ٢٣٩
كعوب الهذلية ٥٨١	أبو عيسى (?) ١٢٧، ٢٣٨
لشكرستان بن لنكرين ١٥	أبو عيسى الكردي ٣٨٥
ليلي الأخيلية ٥٨١	أم غالب ٥٧٤
المتمس ٢٤٧	الغضائري ٥٦٦، ٥٦٧
ابن متويه (القاضي) ٥٣٥، ٥٣٩	فائق الخاصة ٤٩، ٥٠، ٦١
محمد (أمير؟) ٣١٦	أبو الفتح (?) ٣٢٥
محمد (نائب أبي الوفاء الحاجب) ٤٤٨	أبو الفتح بن أبي الفضل بن العميد ٢٧٣
أبو محمود (?) ٢٢٦، ٢٤٥، ٢٤٦،	فخر الدولة ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٣٠،
٤٠٩، ٢٤٩، ٢٤٧	٥٥٨

محمد بن إبراهيم بن سيمجور (أبو

الحسن) ٤٨، ٤٥

محمد بن أحمد الكاتب ١٠٣

محمد بن حامد الحامدي (أبو عبد الله)

٥٣٢

محمد بن الحنفية ٣١٩

محمد بن عبد الرزاق ٤٤

محمد بن ماکان ٤٤

محمد بن منصور بن زياد ٣٣٤

محمد بن يحيى بن خالد ٣٣٤

ابن مخارق الهلالي ٣٣٥

المرزبان بن إسماعيل (أبو نصر) ٣٤، ٣٢

أبو مسلم (?) ٣٣٧

مصعب ٢٤٦

المطيع لله (ال خليفة) ٤٥، ٤٤

المغربي (?) ٤٧٧

أبو منصور (?) ٤٤٥، ٤٤٦

منصور بن قراتكين ٤٤

أبو منصور بن محمد ١٢٧

أبو منصور بن ركن الدولة = مؤيد الدولة

مؤيد الدولة ١٤، ٦٥، ٧٥، ٨٠، ٨٩،

٩٨، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٨، ١١٢، ١١٧،

١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٦،

١٢٧، ١٣١، ١٣٩، ١٥٠، ١٥٧، ٢٧٧،

٣٤٢، ٣٤٣، ٤٢٥، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٤٧

نصر (غلام البروجردي وزير أحمد بن

عبد العزيز العجلي) ٥٣٧

أبو نصر (السلار) ٥١٥

النظام ٢٩٢

النوشجان بن عبد المسيح (أبو عيسى)

٣٣٦

هارون عليه السلام ٤٩٣

أبو الهذيل ٢٩٢

أبو الهول الحميري ٣٣٤

و شمكير بن زيار ٤٥

أبو الوفاء الحاجب ٤٤٦، ٤٤٨

وهسودان بن محمد ٣١، ٣٣، ٣٤

يحيى بن محمد بن زيادة العلوي (أبو

محمد) ٣٠١، ٣٠٢، ٣١٠

يوسف عليه السلام ٥٣٤

يونس بن حبيب ٣٣٥

يزيد بن أسيد ٣٣٣

يزيد بن حاتم المهلبى ٣٣٣

يزيد بن مزيد الشيباني ٣٣٣

الأقوام والطوائف والجماعات

أهل قم ٣٧١	آل إسحاق بن بندار ٢٤٦
أهل كرمان ٤٥٦	آل الجراح ٥٣٥
أهل ميكال ٥٤٣	آل أبي طالب = الأشراف
الأوس ٢٢٢	آل سامان ٥٤
أولاد أبي القاسم بن مقرن ٤١٣	الأتراك ٢٣٩، ٦١، ٣٨
البرزيكاني (أكراد) ٣٨٧	الأحابيش ٢٢٣
تجار أصبهان ٤٢٠	الأشراف العلوية ١٩٣، ١٩١، ١٨٨،
الثنوية ٢٩٢	٥٥٩، ٥٠٢، ٥٠٠، ٤٩٩
الجرجانية ٢٤٠	الأعراب ٥٥١، ٣٨
الجيل ١٠، ٤٩٥	أكاسرة العجم ٥٣٧، ٤٧٧
بنو حامد ٤٣٧	الأكراد ١٣١، ١٢٣، ١٠٩، ٦١، ٣٨،
الحبشة ٥٧٧	٣٨٧، ٣٧٤، ٢٤١، ٢٤٠، ٢٣٩، ٢٣٨
بنو حمدان ٤٧٧	أهل البيت ٤٣
الخراسانية ٤٨، ٤٦، ٤٢	أهل أصبهان ٣٧٩، ٣٦٧
الخزرج ٢٢٢	أهل راوند ٤٤٦، ٤٤٥
الخسروية (أكراد) ٢٤٠	أهل الصيمرة ٤٦١
الدَّيْلَم ٤٠٤، ٤٠٣، ١٥٨، ٣٧، ١٥	أهل قزوین ٥٤٠
ربيعة، الربيعية ٤٩٧، ٣٢٨، ٢٢٢، ٢٨	أهل قصبه الدينور ١٢١

قريش ٢٤٧	رواة الكوفة ٥٣٦
القفص ٤٢٠	الروم ٢٠، ٢١، ٢٤، ٢٢٥، ٤٧٧
القَمِيَّة ٢٢١	الزنج، الزنج ٥٧٤، ٥٧٧
قيلة ٢٢٣	سَعْد ٢٧، ٢٢٢
كُتَّاب خراسان ٤١٧	الشهجان (أكراد) ١٢٣، ٢٤١
بنو لاحق ٣٨١، ٣٨٢	بنو شيبان ٢٥
مخزوم ٥٣٥	عبد الدار ٥٣٥
مضر، المضرية ٢٢٤، ٢٦٩، ٣٢٨، ٤٩٧	عبد شمس ٥٣٥
ملوك العرب ٤٧٧	بنو عبد المطلب ٥٠١
هاشم بن عبد مناف ٢٦٩، ٥٣٥، ٥٣٦	العجم ٢٥٨، ٤٧٧، ٤٩٧
الهاشميون ٤٩٣	العرب ١٣٢، ٢٣٩، ٢٥٨، ٤٧٧،
وائل ٢٢٢	٤٩٧، ٥٥١
ولاة خراسان ٤٣	عرب الشام ٢٤
وهب ٥٣٥	العلوية = الأشراف
اليمنية ٢٢٤	العميدية ٢٢١

الأمكنة والبلدان

بوزنجر ٢٦٢	أرّجان ٤٥٣، ٤٥٤
البيت المعظم (الكعبة) ٣٠٣، ٤٨٣	أردبيل ١٣٦، ١٣٩
التيمرتان ١٢٢، ١٢٤	أردستان ٣٢٥
الجل، الجبال (إقليم، طريق، بلاد) ١٣٥	إستراباد (ظاهر، باب) ٧، ١٣
جبل ذي بحار ٢٣٦	أصبهان، أصفهان (أعمال، نواحي،
جبل شهريار ١٠	أطراف، أكتاف، أسواق، مجامع، خانات،
جبل معتق ٢٤٥	مسجد) ٥٨، ٥٩، ١١٢، ١٢٢، ٢٣٩،
جبل منور ٢٣٦	٢٤٧، ٢٧٩، ٣٦٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٢،
جبل يذبل ٢٤٥	٤١٨، ٤٢٠، ٤٣٨، ٤٤٥، ٥٠٩، ٥١٠،
جرجان (ظاهر) ٩، ١١، ١٣، ١٤، ٤٢،	٥٦٧
٥١، ٦١، ٦٦، ٢٣٢، ٢٤٦، ٢٧٩،	الأهواز ٣٦، ٣٨
٥٣٩، ٥٢٧، ٣٠٠	البحر الأخضر ٥٤٠
الحائر ٤٨٤	بخارى ٤٨
حرة بني سليم ٢٣٦	البصرة ٢٧، ٣٦، ٢٢٢
الحَرَمَان ٢٠٩	بغداد / مدينة السلام (ظاهر) ٣٧، ٣٨،
الحَطِيم ٣٠٣	٤٠، ١٣٥، ٤٧٧، ٥١٨، ٥٣٦
حُلوان ٣٨	البيق ٤٨٤
حليانا (?) ١٨٦	

سَحْنَة ٥١٣	خُراسان (حدود، طريق) ٤٧، ٥١، ٦١،
سُهْرَوَرْد ٨٠	٢٣٢، ٣٠٠، ٣٠٢، ٤١٧، ٤٢٠
الشامات ٤٧٧	خوزستان
شميران (قلعة) ٣٣	الدامغان (ناحية) ٤٥، ٢٣٢
شهریار = جبل شهریار	ديالِي ٣٩
الصفاء ٤٨٣	ديمرت ٣٠٠
الصَّيْمَرَة ٤٦١	الدَّيْنُور (قصبة، كورة) ١٢١، ٤٣٣،
طبرستان ٩، ١١، ١٢، ٦٦، ٤١٨	٥١٨
الطَّرْم ٣٣	ذوبحار = جبل ذي بحار
الطَّف ٣٠٧	الرار ١٠٨
طيبة ٣٠٨	راوند ٤٤٥، ٤٤٦
العراق ٣٠٢، ٣٣١، ٤١٨	الركن (مكة) ٣٠٣
العراقان ٢٧، ٤٧٧	الرَّيِّي (باب) ٨٠، ١١٧، ١٢٢، ٢٢١،
الغري، الغريان ٣٠٩، ٤٨٤	٣٧٩، ٤٠٣
فريزين ١٠٨	زرين رود (نهر) ١٠٦
قاشان ١٠٠، ١٠١، ١٢٧، ٤٤٥	زمزم (بئر) ٣٠٣، ٤٨٣
قزوين ٨٠، ٨٩، ١٢٢، ١٨٨، ١٩٠،	زنجان ٢٠١
٥٣٩، ٥٤٠	سارية ١٣
قم ٨٠، ١٢٢، ١٢٤، ٣٧١، ٣٨٨	ساوه ١٢٢
القمدان ١٠٣	سجن الحجاج ٣٢٦

المفاضة (طريق) ٣٢٤	قومس ٥١
مقام إبراهيم	كرمان ٤٥٦، ٤٢٠
منى ٣٠٣	الكعبة = البيت المعظم
منور = جبل منور	الكوفة ٥٣٦
نائبين ٩٨	كورة ماه الكوفة = الدينور
نسا (طريق) ٥١	الكوكبان (قلعة) ٣٤، ٣٣
النهر وان (جسر) ٥٠٧، ٣٨	مأرب ٥٧٤
النوبهار ١٤٥	المحصّب ٤٨٣، ٣٠٣
نيسابور (أحياء) ٤٦، ٥٠، ٥٤، ٦١،	المحمدية ٨٧
٥٢٧، ٣٠٩	مدينة السلام = بغداد
واسط ٣٧	المدينة المنورة ٢٢٢
ويمه ١٣	المروة ٤٨٣
همذان ٥٨١، ١٣٥	المشعر، المشعران ٤٨٣، ٣٠٣
يبرين ٥٣٥	مشهد الإمام علي بن موسى الرضا ٤٢٢
يزبل = جبل يذبل	مشهد رسول الله ﷺ ٤٨٣
يزد ٤٣٩	معتق = جبل معتق
	المعرّف ٤٨٣، ٣٠٣

الألفاظ والمصطلحات الحضارية

آلات ١٤٦	أسلحة ٦١
آلات الباعة ٨٧	الأسواق ٧٧، ٤٤٢
أبناء الدعوة ٢٧	أسواق أصبهان ٥٩
أبناء الدولة ٢٧٧، ٢٧٨	الأشراف العلوية ١٨٨، ١٩١، ١٩٣،
أبناء الدولة المتبوعة ٣٤٤	٣٧٣
أبناء الطرق ٣٨٦	الإصفهذ ١٦١، ١٦٢
أبناء العيث ١٢٢	أعشار ١٠٣
الأحكام ٨٣	أصحاب الأطراف ١٢٩
أدوات الباعة ٧٨	أصحاب الضياع والزراعات ٥٨
أرباب الإقطاعات ١٢٣	أصناف الأكراد ١٢٣
أرباب البياعات ٥٨	أصناف العلوم ٣٠٦
ارتفاعات، رفوع ٩٨، ١٢٩، ٤٣٣،	الأطراف ٥٥، ١٢٩
٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤١، ٤٥٣، ٤٥٦	أعمال الأحداث ٨٩
الأرصاء، الرصد ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٤٣٥	أعمال الحرب ٨٩
الأستاذ ٤٥١، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥،	أعمال الري ٧٥
٥٢٦، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١	أعمال الصلاة ٨٩
الأستاذ الرئيس ٢٧٣، ٢٧٤، ٤٨٥	أعمال المعاون ٨٩
الاستيذار ٢١٧، ٢١٨	أقاليم الدولة ٢٠، ١٢٧، ٤٩٥

أمير الأمراء ٥٢٧، ٥٢٦
 الأمير السعيد ٢٢٩، ٢٠١
 الأمير السيد ٤٠، ١٢٩، ١٣٠، ٤٥١،
 ٥٢٧، ٥٢٦، ٤٥٤، ٤٥٣، ٤٥٢
 أمير المؤمنين ١١، ٢٢، ٢٦، ٣٠، ٣٤،
 ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٧، ٥٠، ٥٤، ٦٦،
 ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ٤٩٤
 الأمير المؤيد ٩٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٥،
 ١٤٨، ١٤٩، ١٦٧، ١٧١، ١٧٢، ١٧٩،
 ١٩٤، ٢١٠، ٢١١، ٢٣٢، ٢٥٠، ٢٥٨،
 ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٧، ٣٤٩، ٣٥٤،
 ٣٥٩، ٣٩٤، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٢٠، ٤٣٩،
 ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٩٥، ٥٠٥، ٥١٦
 أنباط ٥٧
 أهل البيت ٤٣
 أهل الدعارة ٩٩
 أهل الذمة ٧٨، ٩٤، ١١٠، ١٢٨
 أهل الرأي ٣٩٧
 أهل الرساتيق والضياح ١٠٦
 أهل الصناعات ٤٩، ٣٣١

إقامة النداء ٥٩
 إقطاع، إقطاعات ١١٣، ١١٤، ١٥٨،
 ١٨٣، ١٩٤، ٢٥٢، ٢٦٣، ٣٨٦، ٤٠٣،
 ٤٤٦
 أقلام مصرية ٥٧٨
 الأكرة ١٠٧، ٣٨٦، ٤٣٣، ٤٣٤
 أكلة الراعي ٩٥
 الإمارة ١٩٦
 الإمام ٣٦، ٣٩، ٤٥، ٩٤، ١٣٢
 الإمامة ١٦، ٢٣، ٣٩، ٢٠٧، ٢٦٩،
 ٣٠١، ٤٩٣، ٥٠٠
 أمتعة الباعة ٧٨
 إمرة المؤمنين ٤٤
 أمناء حراسة العيار ٧٣
 أمناء القاضي ٧٠
 أموال ٦١
 أمور الدرب ١٣٢
 الأمة ٣٤، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٧، ٦٨، ٧٢،
 ٧٥، ٨٢، ٩٧، ١٠٢، ١٢٨، ١٩٣،
 ٢٤٢، ٢٩١، ٣١٢

البخور ٥٧٧	أهل الضياع ١٢٤
البذرة ١٣٢، ٤٨	أهل العلم ٤٦٠
البرص (مرض) ٥٧٧	أهل العيث والدعارة ١٠٤
بريد، بُرد ٢٤٦	أهل العيث والفساد ٣٧٤، ٢١٢، ٩٢
بساط ٥٧٠	أهل قصبة الدينور ١٢١
البهق (مرض) ٥٧٧	أهل المشرقين ٢١
البساط العالي ١٢٦	أهل المعاملات ٩١
البضائع ١٢٣	أهل الملة ٧٧
بضائع الباعة ٧٨	أوارجات ١١٣
بضائع التجار ٤٩	أولو الذمة ٧٧
بلاد الكفرة ٢١	أولو العهد ٧٧
بند، بنود (أعلام) ٤٨	أولو التجارة ٥٨
بيت المال ٤٣٨، ٢٥١، ٩٢، ٦٠	أولياء الدولة ٥٢٦، ٥١٥
البيجار، البيجارات ١٢٤، ٣٩٨، ٤٣٠،	الأئمة ٢٩١، ١٩٤، ٧٥، ٤٢، ٣٤
٤٥١	الباب ٤٠٠، ٣٥٩
البيعة ٤٧	الباب العظيم ٤٢٥
بيعة، بيع (كنيسة) ٢٤	الباب المعمور ٢١، ١٩٤، ٤٨٠، ٥١٥،
اليوتات القديمة ٢٢٠	٥٢٠
التاريخ، التواريخ ٥٣٥، ٢٦٤	باب الميدان العالي ٢٤٨
التجار ٩٩، ٦٠، ٥٩، ٥٨	البحر الأخضر ٥٤٠

جوالي ١٠٥، ١٠٣، ٩٤	تجار أصبهان ٤٢٠
جوبذ (متولي النهر) ١٠٧	التّراسون ٣٢٢
الحاجب ١٤، ٣٨، ١٠٨، ١٢٧، ١٣٢،	تقليد ٢٥٢
٤٤٨، ٤٤٤	تقليد الخراج ١١٢
الحافظ ٥٣٥	تقليد زعامة حجاج الري ١١٧
حافظو دروب البلد ٦٠	تقليد ولاية ١٠٣
الحاكم ٣٨٤، ٢٤٣	التّناء، التّناءات ٤٤٦، ١٢٣
حبس (سجن) ٣٨١، ٨٤، ٧٨	ثغر، ثغور ٤٠، ٤٩، ٨٥، ١٣٦، ١٣٩،
الحرارة الغريزية ٥٧٧	١٤٠، ١٤١، ١٥٠، ١٥٢
حراسة الطرق ٣٨٦	الثنوية ٢٩٢
حرب ابني قبيلة ٢٢٣	الجبر (مذهب) ٤٦٢
حرب ابني وائل ٢٢٢	الجراية ٤٤٦
حريم الخلافة ٣٥٦	الجرجانية ٢٤٠
الحساب ٥١٤، ٤٣٤، ٣٨٠	الجزائر ٢١٣
الحسابات ١٢٩	جزية ٩٤، ١٠٥، ١١٠
الحسبة ٧٥	جسر (النهر وان) ٣٨
حصن ٢٠٢، ٢٠١	الجصاصون ١٤٥
حضرتنا، الحضرة، حضرة: الأمير، أمير	جفان ٣٠٢
المؤمنين، بغداد، البهية، الجلييلة، الخلافة،	الجمازات ٤٤٨
صاحب الجيش، الملك، مولانا ١١، ٢٥،	الجمهور ٥٦، ٦٧، ٨١
٢٧، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٥٩، ٩٣، ١٣١،	جمهور الأئمة ٧٢

خاص السلطان ٣٨٢	١٣٥، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٦،
خاتم الملك ٥٧٣	١٤٩، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٦، ١٦٨، ١٧١،
الخاصة، الخواص ٤٥٣، ٣٨٣، ٣٧٠	١٧٣، ١٧٥، ١٨١، ١٩٤، ٢٠٢، ٢٠٥،
خانات أصبهان ٥٩	٢١٦، ٢٣٢، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٠،
ختم الأمير ١٨١، ١٢٧	٢٦٢، ٢٧٦، ٢٨٦، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٤١،
الخراج ٩١، ١٠٣، ١١٢، ١١٣، ١١٤،	٣٤٣، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٥،
٥١١، ١٢١	٣٧٢، ٣٧٥، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٧، ٣٩٨،
الخركاهات ٤٧٥ وانظر: خيام	٤٠٠، ٤٠٣، ٤١٦، ٤١٩، ٤٢٥، ٤٣٣،
الخسروية ٢٤٠	٤٣٨، ٤٤٠، ٤٤٧، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩،
الخطبة للطائع لله ٤٧	٤٨٠، ٥٠٨، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٦،
الخطبة للمطيع لله ٤٥	٥١٨، ٥٣٠، ٥٥٦
خطة مولانا ٢٨	الحقوق السلطانية ١٠٤، ١٠٩
خفارات ١٩٤	حكم القضاة السابقين ٧٢
الخلافة ١٦، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٣٥،	حلف ٢٢٢
٣٩، ٤٤، ٤٧، ٢١٣، ٣٥٦	حلف الأحلاف ٢٢٣، ٢٢٤
خلعة ٥٠٧، ٤٧٨	حلف الأحابيش ٢٢٣
خلفاء (نواب) القاضي ٣٨٣، ٨٥، ٧٠	حلف الفضول ٢٢٣
الخليفة ٣٩	حلف المطيعين ٢٢٣
خليفة الله ٤٠	الحنّاط ٢٢٧
خليفة (نائب) الحاجب ٤٤٨	حوض ماء ٥٧٤

الدهماء ١٧، ٤٣، ٦٩، ٩٣، ١١٩	الخنديق ١٥
دواة ٥٧٨	خنصر الثقيل (مصطلح موسيقي) ٥٧٥
الدواوين ٥٩	خيام ٦١
دواوين الخواص ٤٥٣	الدار ٣٥٩
دور الضرب ٧٣	دار الإمارة ٣٩٦
الدولة ٢١، ٣٠، ٤٠، ٥٢، ٥٥، ٥٩، ٦٢، ١٤١، ١٥٠، ١٥٩، ١٦١، ١٧١، ١٨٥، ١٩٩، ٢٣٢، ٢٣٦، ٣١٦، ٣٢٠، ٣٧٨، ٤٢٥، ٤٥٤، ٥٢٨	دار الإمامة ٢٥
دولة الأمير مؤيد الدولة ٩٨	دار الضرب ٩٣
الدولة البهية ٢٢٠	دار الضرب (بالمحمدية) ٨٧
الدولة الثابتة البنيان ٤١	دار المملكة ٣٧٩
الدولة السعيدة ٤٣٤	دار الهجرة ١٠٩
دولة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ٤٣	دار الهجرة العباسية ٤٣
الدولة العالية ٣١، ٢٣٤	درج (ورق) ٥٨٢، ٤٤٦، ٤٤٣
الدولة العباسية ٣٣	درهم ٥٧٠
الدولة القاهرة ١٧، ٢١٧، ٢٣٦، ٢٦٣، ٢٦٥، ٤١٩، ٣٥٩، ٣٥١، ٤٢٠	دروب البلد ٦٠
دولة مولانا الأمير مؤيد الدولة ٤٤٧	الدستورات ١٠٦، ١٠٩، ١١٣
دولة مولانا الملك السيد ١٤، ٢٢١، ٣٢٩	الdsaكر ٢٤١
	الدعوة ٢٧، ٣٣، ٣٦، ٤٧، ٦٢، ١٤١، ١٥٠، ١٦١، ٥٢٦
	دليل ٣٢٤
	دهاة (قرى) ٩٨

رساتيق ١٠٦، ١٢٣، ٣٨٦
رسالة ٣٣٠
رسم، رسوم، مراسم ٥٨، ٩٢، ١٠٤،
١٠٦، ١١٣، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨،
١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٤٨، ١٦٨، ١٧٤،
١٨٠، ١٩٤، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٢١، ٢٢٢،
٢٣٤، ٢٥٢، ٢٩٩، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٦،
٣٦٦، ٣٨٠، ٣٨٢، ٢٨٧، ٤٠٣، ٤١٩،
٤٢٨، ٤٣٣، ٤٤٦، ٤٦٧، ٤٧٧، ٥٠٧،
٥٤٧
رسول، رسل ٥٠، ١٢٧، ١٣٨، ١٥٨،
١٦٦، ١٧٠، ١٧٤، ١٩٤، ٢٤٠، ٣٢٢،
٣٢٩، ٣٤٧، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٥٠، ٤٦٢،
الرشانات ١٠٦
الرعية، الرعايا ٤١، ٥٥، ٥٩، ٧٥، ٧٦،
٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٩، ١١٣،
١١٤، ١٣٢، ٢٣٠، ٢٣٢، ٣٨٣، ٤٤٦،
٤٦٩
الرفوت ٩١، ٩٩، ١٠٤، ١٢٣
رفوع = ارتفاعات

الدولة الهاشمية ٣٩، ٤٣
الديارات ٢١٣
دينار ٥٧٠
دينار في مئة مثقال ٥٥٩
الديوان ١١٣، ١٢٤، ١٧٤، ٢٢١،
٤١٧، ٤٣٣، ٤٣٤
ديوان الأصل ١١٤
ديوان الزمام ١١٤
ديوان القضاء ٨٤
ديوان مؤيد الدولة ٤٣٣
ذخائر ٢٠، ٤٩، ٤٧٧
ذهب ٥٧٠
ذو الرياستين ٢٧٨
ذو البضائع ٥٨
راصد، عاشر ٦٠
راية، رايات ٢٢، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٤٧،
١٤١، ١٥٢، ١٧٠، ١٨٣، ١٩٤، ٢١٧،
٢٥٠، ٢٦٤، ٢٧٧، ٣٣١، ٤٢٥، ٤٥٢
الرايات الزرق ١٩
الرايات السود ٤٤

الركابي ٤٥٠	سكان الأرض ٤٠
رواة الكوفة ٥٣٦	السكة في دار الضرب ٩٤، ٨٦، ٧٣
الزانات (سلاح) ٥٣، ٣١	السَّالَر ١٧٩، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧،
زبرجد ٥٧٠	١٩٧، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٣،
زجاج ٥٨١	٢١٤، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٥٥، ٢٥٧،
زعامة حجاج الرِّيِّ ١١٧	٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٣٤٤، ٣٤٥، ٥١٥
زمرّدة ٥٧٤	السلطان ٤٠، ٩٧، ٩٩، ١١٤، ١٣٥،
الزّنار (لأهل الذمة) ٧٨	١٩٢، ١٩٤، ٣١٧، ٣٧١، ٣٨٦، ٣٩٦،
الزويينات (سلاح) ٥٣	٤٦٩، ٤٧٨
السابلة ٧٨، ٩٩، ٧٢	السلع ٧٧
السادة ٢٠٧، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٧٣، ٤٨٤	السنة الخراجية ١١٤
السبل ١٤٨، ١٨٣، ٢٤١، ٣٨٦	سنة كيسة ١٢٨
سجلات ديوان القضاء ٨٤	سوق الرقيق ٩٦
سدّ، سدود ١٠٦، ١٤٥	السوق ٢٤٦
السريّر، السريّر الأعظم ٣٦، ٣٩، ٥١٥	سيد الأوصياء ٤٨٤
سريّر (بمعنى التابوت) ٣٠٨	سيد الأولياء ٤٨٤
سريّر الملك (بالرِّيِّ) ٢٢١	السيد النبوي ٣٠٨
السعر ٤٤٠	شاطيء البحر ٢٣٥
سعيد السعداء ٥٢٦	شاهنشاه ٤٣، ٥٥، ٦١، ٥٢٦
السفير، السفارة ١٦٥، ١٦٩، ٢٠٠، ٢٣٣	شعار أمير المؤمنين ١٤

الصلح ٤٦، ٤٧	شعار الدعوة ١٠٨
صمصام الدولة وشمس الملة ٥٢٩، ٥٣١	شعار الدولة ٣٣
الضمانات ١٢٩	شعار المجاهدين ٥٣
الضمائم ١٢٠، ١٢٥، ٣٧٢	شمس المعالي (لقب قابوس بن وشمكير)
الضواحي ٥٥	٩، ٤٥٥
ضيعة، ضياع ٥٨، ١٠٦، ١٠٧، ١٢٤،	الشهود ٧١، ٨٥، ١٠١، ١٢٤
١٨١، ١٨٤، ٢٥٥، ٣٦٦، ٣٨٢، ٣٨٦،	الشهور الخراجية ١٢٨
٤٠٣، ٤٣٨	الشهور الهلالية ١٢٨
طاروني (خز) ٥٦٨	الشوارع ٧٧، ٧٨
طبقات الولاة ١٢٥	الشيخ ٤٨
الطرق ٩٢، ١٠٤، ١٢٣، ٣٨٦، ٣٨٧	شيخ أهل الرأي ٣٩٧
طهارة ٣٠٢	شيخ الدولتين ٥٤٣
طومار، الطوامير ٢٤٦، ٢٤٩	شيعة الدولة الهاشمية ٤٣
الطيبار (مركب نهري) ٥٧٩	صاحب بخارى ٤٨
عالم بالأنساب ٥٣٥	صاحب الثغر ١٣٦، ١٣٩
عامل، عمال ١٠٣، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٩،	صاحب الجيش ١٣٥، ١٤٣، ١٤٤،
٣٣١، ٣٥٥، ٣٨٠، ٤٣٥، ٤٣٩،	١٤٩، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٧
٤٧٧، ٥١٥	صاحب العيار ٨٧
العامة، العوام ٩٧، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧١،	صحن الدار ٢٤٦
٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٤٦٧،	الصدقات ١٠٣، ١٠٥، ١١٠
٤٧٧	صليان ٢٤

عمل، أعمال ١٦، ٩٨، ١٢٢، ١٤٦،	عبد ٧١
١٨٤، ٢٧٢	العبرة ٩٩، ٤٤٥
العميد ٢٧٣	العدول ٧١، ١٧١
العميدية ٢٢١	عرب الشام ٢٤
عهد ٧٤، ٧٥، ٨٠، ٨٥، ٨٨، ٨٩، ٩٦،	عرض سابري ٥١١
١١١، ٢٤١، ٢٥٥، ٣٤١، ٤٧٨، ٥٠٧	عريضة ٤٤٦
عهد عامل ١٠٣	عساكر السلطان ٣٨٦
عهد في الحسبة ٧٥	العسكر، العساكر ٣٨، ٤١، ٥٠٦
عهد لمتولي النهر ١٠٦	عشّار، عشّارون ٦٠
عهد لنقابة العلويين ٥٠٠	عشرون ألف درهم ١١٤
العوام = العامة	عضد الدولة وتاج الملة ٤٣
عود، عيدان (آلة العود) ٥٧٠	عطارد ٥٤١
العيار، المعايير ٧٣، ٧٦، ٨٦، ٩٣	علم، أعلام ٣٢، ٦٧، ٣٥٧، ٤٧٧
عيون ٩٣، ٩٩، ١٠٤	علم الكلام ٢٩٢
الغضائري ٥٦٦، ٥٦٧	العلماء ١٠٢، ٣١١
الغيار (لأهل الذمة) ٧٨	علوم الطبيعة ٣٤٨
الفالج (مرض) ٥٧٧	عمال الأرصاد ٤٣٥
فتح، فتوح ٢٧، ٢٩، ٣٤، ٣٦، ٤٠، ٤١،	عمال الحرب ١٢١
٤٢، ٥٦، ٦١، ٦٢، ٢٢٥، ٤٩٠، ٤٩١،	عمال الخراج ١٢١
٤٩٤	عمال معاون ٧٢، ٨٩، ١٢١

قرطاس ٣٢٩	فتوى ٧٣
القرطم ٥٨١	الفتوة ٥٧٥، ٥٦٩، ٥٠٩
قصبة ١٢١	الفرسان المقيمون للحماية ٤٤٦
قضاء الجانيين ٢٠٩	الْفُرْض ١٠٦
قضاء القضاة ٨٠	الفقهاء ١٩٣، ٨٣، ٧٥، ٦٩
قطّاع السبيل ٩٢	فقهاء الأمة ٦٨
قطع الطرق ١٢٦، ٢٣٩	الفقيه ٣٨٣
قلعة، قلاع ١١٩، ٢٣٣، ١٨، ١٧، ٩	فقيه العرب ٥٠١، ٣١١
١٨١، ١٨٤، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٥٥، ٢٦٦،	فلك الأمة ٥٥٨
٤٣٠، ٤٧٧	فهرست ديوان القضاء ٨٤
القمية ٢٢٠	الفيء ٤٠
قنطرة (النوبهار) ١٤٥	فيج، فيوج ٤٤٨، ٤٤٢، ١٦٦
القياسون ١٤٦، ١٤٥	فيل (يستخدم في الجيش الساماني) ٥٤
الكاتب، الكتّاب ١١٤، ١٠٣، ٥٥	القاضي، القضاة ٤١٣، ٣٨١، ١٠٠، ٧٠
١٢٤، ٢٤٢، ٢٨٤، ٣٥١	٤١٤، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٩، ٥٤٢
كاتب القبض ٣٨١	قاضي القضاة ٣٨٣، ٢٩٠، ٢٨٩، ٢٠٧
كاسات ٥٧٠	٣٩٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩
الكاغد ٣١٨	القانون ٤٤٠
الكافور ٥٧٧	الْقَبَاض ٤٤٥
الكبريت الأحمر ٥٤٠	القرء ٣٠٨

المتولون ١٠٧، ٣٧٢، ٤٤٠	كتاب أمان ١٨١، ١٨٣، ٤٢٦
متولي دار الضرب ٩٣	كتاب الجيش ١٥٨
متولي ديوان القضاء ٨٤	كتاب خراسان ٤١٧
المثبت ١٠٦، ١٠٩	كتاب القاضي ٧٠
مثقال ٥٥٩	كتاب الوالي ٩٣
مجامع أصبهان ٥٩	كرة، كرات ٥٥٠، ٥٧٠، ٥٧٤
المجلس ٢١٨، ٢٢٠، ٢٦٢، ٣٣١، ٣٤٧	كورة، كور ٥٨، ١٢١، ٣٩٧، ٤٥٤
٣٥٧، ٣٥٩، ٣٩٦، ٤٤٢، ٤٦٧، ٤٦٩	الكيوسات ٤٨٧
٥٢٩	لبس الغيار ٧٨
مجلس الإمامة ٤٧٧	اللقب ٤٧٨، ٥٠٧
مجلس الأمير ٥٣٠	اللقوة (مرض) ٥٧٧
المجلس الشريف ١٨١، ٢١١، ٣٥٨	اللاء، الألوية ٣٢، ٤٠، ٤١، ١٤١
٥١١، ٥١٣، ٥١٤	١٨٣، ٢٣٣، ٢٧٣، ٤٧٨، ٤٩٣، ٥٠٧
المجلس العالي ١٨، ١٨٣، ١٨٦، ١٩٦	ماء الورد ٥٧٧
١٩٨، ٢١٥، ٢٣٥، ٢٦٠، ٣٥٢، ٣٧٤	مال أرجان ٤٥٣
٣٩١	مال الأرصاد ٥٦
مجلس القضاء ٧٠، ١٠١	مال الضمان ٩٩
مجلس النظر ٤١٨	الماليخوليا (مرض) ٥٨٠
مجمّز، المجرّزة ١٣٥، ١٤٣، ١٤٤، ١٧٠	المتشبهة ١٢٣
٥٠٨، ٤٧٩	المتصرّفون ٩٣، ٤٤١، ٤٤٨

المصحف ٥٤٨	مجمع الأعيان ١٢٩
المِصْران ٦٠	المجهّزون ٥٨
المصهرجون ١٤٥	المحال ٧٧
المظالم ٤٨٤	محاضر ديوان القضاء ٨٤
المعاملات ٥٩، ٧٤، ٧٦، ٩١، ١٢٨	المذاهب ٧٤، ٣١٢
معاملة، المعاملة، معاملتهم، معاملته،	مرآة ٤٦٨
المعاملون، بالمعاملين، معاملتهم، ٩٨ ٥٩،	مراصد ١٠٣، ١١٨
٩٩، ١٠٤، ١٠٩، ١٢١، ١٢٩، ١٣٢،	المروءة ٣٠١، ٥٦٩، ٥٧٣، ٥٧٥
٢٥٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٧،	المسالك ١١٨، ١٢٣
٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٩، ٥٠١	مستحفظ القلعة ١٧
المعونة ٩٣	المسجد ٤٩٢
المعسكر ٧، ٤٠، ٥١، ٦١	المسجد الجامع ٨٦
مقاسم المياه ١٠٦	المسجد الجامع (أصبهان) ٥٩
المقاطعات ١٢٣	المسك ٣٠٨
مقر الدعوة ٣٧٩	المشافهات ٢١٨، ٣٣٠
المكايل ٧٦، ٩٥	مشاهرة ١٢٣، ٤٣٨، ٤٤٦
المكس ٥٨	مشايخ البلد ٦٠
الملك ٣٢، ٤٢، ١٨٥، ٢١٩، ٢٤٦،	مصارف الأقاليم ١٦٣
٢٦٥، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٣٣	مصالح الأمة ٤٢
ملك الأملاك ٥١٥	مصالح الدولة ٢٣٠
الملك السعيد ٥٢٧	مصانع المياه ٨٦، ١٤٣، ٣٨٦

الملك السيد ٧، ٨، ٩، ١٤، ١٦، ٢٠،	ناي (آلة موسيقية) ٥٧٠
٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١،	الندماء ٤٤٤
٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١،	نسخة، نسخ الكتاب (المنشور) ٥٦، ٥١،
٥٥، ٦١، ١٤١، ١٤٣، ١٤٥، ١٥٧،	٥١١، ٢٧٩، ١٨١، ٦١، ٦٠
١٦٧، ١٧٩، ٢٣٢، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٣،	نقابة العلويين ٥٠٠
٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٩، ٣٢٩، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٩،	النقود ٧٤
٣٦١، ٣٩٨، ٤٢٠،	النيروز ٥٦٥
ملك الملوك ٢٦٤	هدنة ٢٠
المملكة، الممالك ٥٨، ٦٦، ١١٤، ١١٩،	وجوه الجبايات ٨٩
١٣٥، ١٨٠، ٢٣١، ٢٥٨، ٤٥٤، ٥٠٠،	الوزارة ٢٣٣، ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٧٤،
منبر، المنبران، منابر ٤١، ٥٥، ٦٠، ١٠٨،	الوزير ٥٣٧
٢٢٦، ٤٩٢، ٥٣٠،	وطن ١٢٥
المنشور ١١٨، ١٢٧، ١٣٢،	وقف، وقوف (المساجد، الرباطات) ٤٩،
الموازن ٧٦، ٩٥،	١٠١، ٨٦، ٧٣
مولي أمير المؤمنين ١٠، ١٢، ٣٢، ٧٥،	وكيل مولانا ٤٣٣، ٤٣٤،
٨٠، ٨٩، ١٠٣، ١٠٨، ١٢٥،	الولاية ٢٥، ٣٠، ٥٢، ٦٦، ١٠٩، ١٢٠،
مولي مؤيد الدولة ١٤، ١٢٧،	١٢١، ١٢٥، ٣٦٨، ٣٦٩، ٤٣٩،
مولانا أمير المؤمنين ١٦، ٥٤،	ولاية خراسان ٤٣
مياومة ١٣٢	الولاية، الولايات ٤٧، ١٥٢، ٢٦٤،
ناحية، نواحي ٥٥، ٨٩، ٩٨، ١٠٣،	ولاية العهد، ولي العهد ٢٥٨، ٢٥٩،
١٢٣، ٢٣٢، ٢٣٤، ٣٦٩، ٣٨٣، ٣٨١،	ولي النعمة، النعم ٣١، ١٣٠، ٤٤٣،
٣٨٧، ٤٢٧، ٤٣٩، ٤٤٦، ٤٥٣،	٤٤٨، ٤٥١،

الأمثال

رَجُلٌ جَرَادٌ وَافَتْ بِهَا الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ	استعار جناح نَسْرٍ، وترك الصَّبا في عقل
١٢	أُسْر ٥٣٤
طيلسان ابن حرب ٥٣٨	أَسْمَعُ مِنْ قَنْفَذٍ ٥٥١
عَبْدٌ صَرِيحُهُ أَمَةٌ ٢٣٧	أَعَقَّ مِنْ ضَبٍّ ٤٠٨
قُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا وَقُعِقَتْ لَهُ الْحَصَا ٢٤٨	أَنْفَذَ مِنْ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ يَزِيدٍ ٣٢٦
قَلْبُوا لَهُ ظَهَرَ الْمَجَنِّ ٢٣٥	أَهْدَى مِنَ النِّجْمِ ٣٢٥
كَرِيمٌ طَاحَ فِي رِيحٍ عَقِيمٍ ٤٧٧	بَيْضَةُ الْعُقْرِ ٤٢٢
كَالْكَدْرِ يَرُدُّ الْمَشَارِعَ ٣٢٥	جَازَ الْجُوزَاءُ سَمْتًا ٢٦٩
كَالْمَرْأَةِ فِي كَفِّ الْأَشْلَلِ ٤٦٨	جَذِيلُهَا الْمُحَكَّكُ وَعُذِيقُهَا الْمَرْجَبُ ٥٦٦
كَمَا عُمِّرَ لُبْدٌ ٥٥٧	جَمَّالُ أَرْدِسْتَانٍ ٣٢٥
لِلْيَدَيْنِ وَالْفَمِ ٢٣، ٢٣٩	خُفِّي حُنَيْنٍ ٥٣٨
مُثْقَلٌ اسْتَعَانَ بِذَقْنِهِ ٢٣٧	دُعَيْمِيصُ الرَّمْلِ ٣٢٤
	رَبَّ طَائِرٍ بِجَنَاحِهِ إِلَى مَوْضِعٍ اجْتِنَاحِهِ ٢٣٧

الشعر

صدر البيت	قافيته	بحره	قائله	عدد الأبيات	الصفحة
فلما أن	الهجاء	الوافر	الخطيئة	٢	٣٣٥
كخطفة	المراقب	الطويل	الوأواء	١	٤٩٨
وللبطء	الخائب	التقارب		١	٥٣٧
إذا أنت	تعاتبه	الطويل		٣	٥٥٣
يصير	فروته	الرجز	ابن طارق	١	٥٥١
أيرك	فرج	مجزوء الرجز	الحنظلية	٢	٥٨١
يدبّون	العرفج	المتقارب	جرير	١	٥٥٢
لشتان	والمجدد	الطويل	أبو الشمقمق	٢	٣٣٣
يزيد	تزيد	الوافر	ربيعة الرقي	١	٣٣٤
فما جانب	بيارد	الطويل	أبو تمام	١	٣١٢
فلم أدر	نجد	الطويل		١	٤٦٩
سلاماً	الورد	الطويل		١	٥٦٧
ألا ربّ	شزّر	الطويل		١	٥٦٧
وإذا رميت	يستيسر	الكامل		١	٤٨٩
فضلان	الأخبار	مجزوء المنسرح	أبو الهول الحميري	١	٣٣٤
وكم من جبال	البحر	الطويل	المتنبي	١	٥٤٩
قد يجيد	مستعار	مجزوء الرمل	ابن الرومي	١	٢٧٩

٤١٤	١	مختلف النسبة	البسيط	الساري	من تلق
٥٤٨	١		الوافر	النفيس	لقد أهديته
٣٣٥	١	الخطيئة	البسيط	الكاسي	دع المكارم
٥٧٦	٤	الصاحب	الخفيف	الترصيع	وقضيب
٥٥٢	١	عبدية بن الطبيب	الكامل	تمرغ	قوم
٣٣٥	٢		الطويل	لمخارق	سرت
٥٧٨	٢	الصاحب	السريع	مخلوقه	مولاي
٣٢٧	١	أبو تمام	الخفيف	البخيل	وكان الأكف
٥٥٠	١	أبو كبير الهذلي	الكامل	الهوجل	كمغشم
٢٨٧	٢		مجزوء الرجز	خليل	هذا الزمان
٥٦٨	١	أبو تمام	الكامل	الأول	نقل
٥٥٧	٢	المتنبي	الوافر	الرجال	فلو كان
٥٦٨	١	كثير عزة	الطويل	أول	إذا ما
٥٦٧	٢		الطويل	شامل	كان
٥١٩	١		الكامل	دلائل	فعلى القلوب
٢٧٠	١		الطويل	طائلاً	وقد يدرك
٥٣٧	٢	البحري	الخفيف	غيلة	ليت شعري
٣٣٣	١	ربيعة الرقي	الطويل	حاتم	لستان
٣٣٤	٢	بشار بن برد	الطويل	حاكم	رأيت
٥٣٩	٢		الطويل	أم ملدم	وفيك الذي

٥٥٢	١	أيمن بن خريم	البسيط	ينم	كقنفذ
٣٣٥	١		الطويل	طاعم	فدعنا
٣٣٦	١	النوشجان بن عبدالمسيح	الطويل	ظالما	وإن ائتلاف
٥٥٨	٣		السريع	علما	إياك
٤٩٩	١	أبو تمام	الكامل	مفتون	ويسيء
٣٣٤	١	المخيم الراسبي	الكامل	أحياني	شتان
٣٠٠	٤	الصاحب بن عبّاد	البسيط	وأوطاني	يا أصبهان
٢٧٤	١	أبو العتاهية	المتقارب	إلاها	فلم تك

أنصاف الأبيات

٢٨٧	البحر	ما أعلم الدهر بمن أحب
٢٩٦	الطويل	كذا فليجلّ الخطبُ وليفدح الأمرُ
٢٣٦	بشر بن أبي خازم	ومن دون ليلى ذو بحرٍ ومنورٍ
٥٧٩	البسيط	وكان ما كان مما لست أذكره

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ). الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.
٢. أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، (د. ت).
٣. الإربلي، أبو البركات المبارك بن أحمد اللخمي المعروف بابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ). تاريخ إربل، وهو نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأمثال، تحقيق سامي الصقار، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، ١٩٨٠.
٤. ابن اسفنديار، بهاء الدين محمد بن حسن الكاتب (ت ٦١٣هـ). تاريخ طبرستان، بتصحيح عباس إقبال، جاب دوم، انتشارات بديدة (خاور)، تهران، ١٣٦٦.
٥. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني (ت ٤٣٠هـ). تاريخ أصبهان، تحقيق سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.
٦. الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت ٣٤٦هـ). مسالك الممالك، باعتناء دي خويه، الطبعة الثانية، مطبعة برييل، ليدن، ١٩٢٧.

٧. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي (ت ٣٥٦هـ). الأغاني، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٢٩٧هـ.
٨. الأصفهاني، أبو بكر محمد بن داوود الظاهري (ت ٢٩٦ أو ٢٩٧هـ). الزهرة، تحقيق إبراهيم السامرائي وآخر، الطبعة الثانية، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٥.
٩. ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي عبد الله (ت ٥٧٧هـ). نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨.
١٠. الباخريزي، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب (ت ٤٦٧هـ). دمية القصر- وعصرة أهل العصر، تحقيق محمد التونجي، الطبعة الأولى، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٣.
١١. البحري، أبو عبادة الوليد بن عبد بن يحيى الطائي (ت ٢٨٤هـ). ديوان البحري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، (د. ت.).
١٢. البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (ت ٢٥٦هـ). صحيح البخاري، دار القلم، بيروت، ١٩٨٧.
١٣. البصري، أبو الحسن صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت ٦٥٩هـ). الحماسة البصرية، تحقيق مختار الدين أحمد، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣.

١٤. البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ). خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ١٩٨٤.
١٥. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد الإسفراييني التميمي (ت ٤٢٩هـ). الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت).
١٦. البناكتي، أبو سليمان داود بن محمد بن محمد بن داود (ت ٧٣٠هـ). روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب المعروف بتاريخ البناكتي، ترجمة محمود عبد الكريم علي، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٧.
١٧. البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٤٤٠هـ). الآثار الباقية عن القرون الخالية، دار صادر، بيروت، (د.ت)، نسخة مصورة عن طبعة Sachau لينزج ١٩٢٣.
١٨. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله (ت ٤٥٨هـ). شعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.
١٩. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمود شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

٢٠. أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ). ديوان أبي تمام، شرح إيليا حاوي، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١.
٢١. _____ ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، مجلد ٣، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر، (د. ت.).
٢٢. _____ ديوان الحماسة، شرح المرزوقي (ت ٤٢١هـ)، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٣.
٢٣. التوحيد، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت ٤١٤هـ). الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وآخر، المكتبة العصرية، بيروت / صيدا، ١٩٥٣.
٢٤. _____ مثالب الوزيرين، تحقيق إبراهيم الكيلاني، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق / بيروت، ١٩٩٦.
٢٥. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ). الإعجاز والإيجاز، شرح إسكندر آصاف، الطبعة الأولى، المطبعة العمومية بمصر، ١٨٩٧.
٢٦. _____ برد الأكباد في الأعداد، تحقيق إحسان الشامي، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٦.
٢٧. _____ تحسين القبيح وتقبيح الحسن، تحقيق علاء عبد الوهاب محمد، دار الفضيلة، القاهرة، (د. ت.).
٢٨. _____ التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١.

٢٩. _____ . ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، (د.ت).
٣٠. _____ . خاص الخاص، تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤.
٣١. _____ . سحر البلاغة وسر البراعة، تصحيح عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
٣٢. _____ . الكناية والتعريض، تقديم علي الخاقاني، مكتبة دار البيان، بغداد / دار صعب، بيروت، (د.ت).
٣٣. _____ . لباب الآداب، تحقيق صلاح الدين الهواري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا / بيروت، ٢٠٠٣.
٣٤. _____ . من غاب عنه المطرب، تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٤.
٣٥. _____ . يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.
٣٦. ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٢٩١هـ). قواعد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٨٤.
٣٧. الجاجرمي، أبو المعالي المؤيد بن محمد (ق ٦ / ٧هـ). نكت الوزراء، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود، الطبعة الأولى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.

٣٨. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ). البيان والتبيين، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، (د.ت).
٣٩. _____ البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق محمد مرسي الخولي، الطبعة الرابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧.
٤٠. _____ الحيوان، تحقيق فوزي عطوي، الطبعة الثالثة، دار صعب، بيروت، ١٩٨٢.
٤١. الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر- (ت ٥٤٠هـ). المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، (د.ن)، طهران، ١٩٦٦.
٤٢. جوزجاني، أبو عمر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين محمد (ت بعد ٦٥٨هـ). طبقات ناصري، باهتمام عبد الحي حبيبي، انتشارات دنيای كتاب، تهران، ١٣٦٣.
٤٣. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري البغدادي (ت ٥٩٧هـ). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.
٤٤. الحاكم النيسابوري، ابن البيّع أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني (ت ٤٠٥هـ). المستدرک علی يد الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.
٤٥. ابن حبيب، محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ). المنطق في أخبار قریش، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥.

٤٦. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).
التلخيص الخبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، الطبعة الأولى، دار الكتب
العلمية، بيروت، ١٩٨٩.
٤٧. الحضري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني (ت ٤٥٣هـ). زهر الآداب
وثمر الألباب، تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب
العربية، (د.م)، (د.ت).
٤٨. ابن حمدون، أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت ٥٦٢هـ). التذكرة
الحمدونية، تحقيق إحسان عباس وآخر، الطبعة الأولى، دار صادر للطباعة
والنشر، بيروت، ١٩٩٦.
٤٩. الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي (ت ٢١٩هـ). مسند الحميدي،
تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، مكتبة المثنى،
القاهرة، (د.ت).
٥٠. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ) صورة الأرض،
بريل، ليدن، ١٩٣٨.
٥١. ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت حوالي ٣٠٠هـ). المسالك
والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، مصورة عن طبعة دي خويه، (د.ت).
٥٢. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ). كتاب العبر
وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي
السلطان الأكبر، طبعة دار القيروان المحققة بإشراف الأستاذ إبراهيم شبوح،
تونس، مختلف سني الطبع.

٥٣. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ).
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت،
(د.ت.).

٥٤. الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت ٣٧٨هـ). مفاتيح
العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت،
١٩٨٩.

٥٥. خواندمير، غياث الدين بن همام الدين بن جلال الدين بن برهان الدين
الشيرازي (ت ٩٤٢هـ). دستور الوزراء، ترجمة حربي أمين سليمان، الهيئة
المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠.

٥٦. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ). سنن أبي
داود، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت.).

٥٧. الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) تاريخ
الإسلام.

٥٨. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ). محاضرات
الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، الطبعة
الأولى، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤.

٥٩. الرافعي، عبد الكريم بن محمد القزويني (ت ٦٢٢هـ). التدوين في أخبار
قزوين، تحقيق عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

٦٠. الروذراوري، أبو شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين بن إبراهيم (ت ٤٨٨هـ). ذيل تجارب الأمم، تحقيق أبي القاسم إمامي، نشر- كجزء سابع لكتاب تجارب الأمم لمسكويه، الطبعة الأولى، دار سروش للطباعة والنشر، طهران، ١٩٨٧.
٦١. ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريح (ت ٢٨٣هـ). ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦.
٦٢. الزبيدي، محمد مرتضى- بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ). تاج العروس من جواهر القاموس.
٦٣. ابن الزبير، القاضي الرشيد (ق ٥هـ). الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، الطبعة الثانية، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٤.
٦٤. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ). أساس البلاغة، دار الفكر، (د. م)، ١٩٧٩.
٦٥. _____ المستقصى- في أمثال العرب، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧.
٦٦. ابن الساعي، أبو طالب تاج الدين علي بن أنجب الخازن البغدادي (ت ٦٧٤هـ). الدر الثمين في أسماء المصنفين، تحقيق أحمد شوقي بنين وآخر، الخزانة الحسنية، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.
٦٧. السُّلَمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد الأزدي (ت ٤١٢هـ). الفتوة، تحقيق إحسان الثامري ومحمد القدحات، الطبعة الأولى، دار الرازي، عمان، ٢٠٠٢.

٦٨. السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ).
الأنساب، تقديم عبد الله البارودي، الطبعة الأولى، دار الجنان، بيروت،
١٩٨٨.

٦٩. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين
الخضيري (ت ٩١١هـ). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد
أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار الفكر، (د.م)، ١٩٧٩.

٧٠. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٨هـ).
الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢.

٧١. الشيرازي، أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف (ت ٣٨٨هـ). رسائل
الشيرازي، تحقيق إحسان الثامري، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠.
٧٢. الشيزري، أبو الغنائم مسلم بن محمود (ت بعد ٦٢٢هـ). جمهرة الإسلام ذات
النثر والنظام، تحقيق محمد إبراهيم حور، الطبعة الأولى، المجمع الثقافي، أبو
ظبي، ٢٠٠٦.

٧٣. الصابي، أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون (ت ٣٨٤هـ). المختار من
رسائل الصابي، نقحة شكيب أرسلان، المطبعة العثمانية، بعبد / لبنان، ١٨٩٨.
٧٤. _____ . المتزح من كتاب التاجي، تحقيق محمد حسين الزبيدي،
وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٧.

٧٥. الصابي، غرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال بن
زهرون (ت ٤٨٠هـ). الهفوات النادرة من المغفلين الملحوظين والسقطات
البادرة من المغفلين المحظوظين، الطبعة الأولى، المكتبة الأزهرية للتراث،
القاهرة، (د.ت).

٧٦. الصابي، هلال بن المحسن (ت ٤٨٤هـ). رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤.
٧٧. صاحب بن عباد، أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني (ت ٣٨٥هـ). الروزنامة، تحقيق محمد حسن آل ياسين، الطبعة الأولى، دار المعارف للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٨.
٧٨. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ). الوافي بالوفيات، سلسلة النشرات الإسلامية الصادرة عن المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، دار النشر فرانز شتاينر، فيسبادن.
٧٩. الصولي، بو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ)، أدب الكتاب، تحقيق محمد بهجة الأثري، (د.ن)، (دم)، (د.ت).
٨٠. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ). المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٩٨٣.
٨١. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ). تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر، (د.ت).
٨٢. ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ). الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، (د.ت).

٨٣. ابن طولون، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الصالحى (ت ٩٥٣هـ). إنباء
الأمراء بأنباء الوزراء، تحقيق مهنا أحمد المهنا، الطبعة الأولى، دار البشائر
الإسلامية، بيروت، ١٩٩٨.

٨٤. العباسي، عبد الرحيم بن أحمد (ت ٩٦٣هـ). معاهد التنصيص على شواهد
التلخيص، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية بمصر، ١٩٤٧.
٨٥. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي
(ت ٤٦٣هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي،
الطبعة الأولى، دار الجليل، بيروت، ١٤١٢هـ.

٨٦. —————. بهجة المجالس وأنس المجالس وشحد الذاهن والهاجس،
القسم الأول، تحقيق محمد مرسي الخولي، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر،
القاهرة، ١٩٦٥.

٨٧. ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس بن أهارون الملطى (ت ٦٨٥هـ). تاريخ
مختصر الدول، الطبعة الأولى، مؤسسة نشر- منابع الثقافة الإسلامية، قم /
طهران، (د.ت).

٨٨. العتبي، أبو النصر محمد بن عبد الجبار (ق ٤ / ٥هـ). اليميني، تحقيق إحسان
الثامري، الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر- والتوزيع، بيروت،
٢٠٠٤.

٨٩. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي
(ت ٥٧١هـ). تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة،
دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.

٩٠. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت بعد ٣٩٥هـ). ديوان المعاني، تحقيق أحمد سليم غانم، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣.
٩١. _____ . كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي وآخر، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، ١٩٨٦.
٩٢. ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق / بيروت، ١٩٨٦-١٩٩٣.
٩٣. الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق (ت ٥٧٧هـ). تاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف عوض، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٤.
٩٤. الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي (ت ١١٠هـ). ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.
٩٥. ابن فندق، أبو الحسن علي بن أبي القاسم زيد البيهقي (ت ٥٦٥هـ). تاريخ بيهق، ترجمة يوسف الهادي، الطبعة الأولى، دار اقرأ، دمشق، ٢٠٠٤.
٩٦. لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، تحقيق مهدي الرجائي، الطبعة الأولى، مكتبة المرعشي النجفي / مطبعة بهمن، قم، ١٤١٠هـ.
٩٧. القالي. أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت ٣٥٦هـ). الأمالي، تحقيق علي محمد زينو الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨.

٩٨. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ). الشعر والشعراء، الطبعة الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٤.

٩٩. _____ . عيون الأخبار، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية. ١٠٠. قدامة، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي الكاتب (ت ٣٢٨ أو ٣٣٧هـ). الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١.

١٠١. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي (ت ٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الخامسة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.

١٠٢. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٢٢هـ). آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩.

١٠٣. القفطي، أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني (ت ٦٤٦هـ). إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار، بيروت (د.ت).

١٠٤. _____ . إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصورة عن الطبعة الأولى لسنة ١٩٥٠، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٥.

١٠٥. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، القاهرة.

١٠٦. كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي (ت ١٠٥هـ). ديوان كثير عزة، جمع وشرح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١.
١٠٧. الكلاعي، محمد بن عبد الغفور الإشبيلي (ق ٦هـ). أحكام صنعة الكلام، تحقيق محمد رضوان الداية، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥.
١٠٨. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد الربيعي القزويني (ت ٢٧٣هـ). سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
١٠٩. المافروخي، مفضل بن سعد بن الحسين الأصفهاني (ق ٥هـ). محاسن أصفهان، تحقيق جلال الدين الحسيني الطهراني، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس المّلي، طهران، (د.ت).
١١٠. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد النحوي البصري (ت ٢٨٥هـ). الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧.
١١١. المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي (ت ٣٥٤هـ). ديوان المتنبي، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، (د.ت).
١١٢. المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ). معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، (د.ت).
١١٣. المستوفي، حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر (ت ٧٥٠هـ). نزهة القلوب (المقالة الثالثة)، بتصحيح كي لسترنج، جاب أول، دنياي كتاب، جابخانه أرمغان، ١٣٦٢.

- ١١٤ . المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله (ت ٣٤٦هـ).
التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د.ت.).
- ١١٥ . مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي (ت ٤٢١هـ). تجارب
الأمم، تحقيق أبي القاسم إمامي، الطبعة الأولى، دار سروش للطباعة
والنشر، طهران، ١٩٨٧.
- ١١٦ . مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ).
صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي،
بيروت، ١٩٧٢.
- ١١٧ . ابن المعتز، عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد
(ت ٢٩٦هـ). طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الطبعة
الرابعة، دار المعارف بمصر، (د.ت.).
- ١١٨ . المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي البشاري
(ت ٣٨١هـ) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة دي خويه، مطبعة
بريل، ليدن، ١٩٦٧.
- ١١٩ . المكتبة العربية. ديوان الهذليين، وزارة الثقافة والإرشاد بفرعها المجلس
الأعلى لرعاية الفنون والآداب والمؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء
والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.
- ١٢٠ . ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الإفريقي المصري
(ت ٧١١هـ). لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤.

١٢١. مؤلف مجهول من القرن الرابع الهجري. حدود العالم، ترجمة يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢.
١٢٢. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري (ت ٥١٨هـ). مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب الحديث، الكويت، (د.ت).
١٢٣. ميرخوند، محمد بن خاوند شاه بلخي (ت ٩٠٣هـ). روضة الصفا، باهتمام عباسي زرياب، مهارت، تهران، ١٣٧٥هـ.
١٢٤. النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق الوراق (ت ٣٨٠هـ). الفهرست، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٩.
١٢٥. النشائي، أبو المجد أسعد بن إبراهيم الشيباني الإربلي (ت ٦٥٧هـ). المذاكرة في ألقاب الشعراء، تحقيق شاعر العاشور، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.
١٢٦. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ). نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. مختلف المحقق وسني النشر.
١٢٧. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٣هـ أو ٢١٨هـ). السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، الطبعة الأولى، دار الخير للطباعة والنشر، دمشق / بيروت، ١٩٩٦.

١٢٨. الهيثمي، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان المصري (ت ٨٠٧هـ). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
١٢٩. الوأواء، أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني، الدمشقي (ت ٣٨٥هـ). ديوان الوأواء، تحقيق سامي الدهان، المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٥٠.
١٣٠. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مثنويه النيسابوري (ت ٤٦٨هـ). الدعوات والفصول، تحقيق عادل الفريجات، الطبعة الأولى، (د.ن)، (د.م)، ٢٠٠٥.
١٣١. الوطواط، أبو إسحاق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبي (ت ٧١٨هـ). غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، دار صعب، بيروت، (د.ت).
١٣٢. ياقوت، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي (ت ٦٢٦هـ). معجم الأدباء، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١.
١٣٣. _____ . معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩.
١٣٤. أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصل (ت ٣٠٧هـ). مسند أبي يعلى، تحقيق حسين خليل أسد، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤هـ.

١٣٥. اليوسي، أبو علي الحسن بن مسعود بن محمد المالكي (ت ١١٠٢هـ). زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات معهد الأبحاث والدراسات للتعريب، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ١٩٨١.

ثانياً: المراجع

١٣٦. أدي شير. معجم الألفاظ الفارسية المعربة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٠.
١٣٧. التونجي، محمد. المعجم الذهبي (فارسي - عربي)، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢.
١٣٨. البلوشي، إبراهيم بن عطا الله. كرمان في العهد البويهي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٤.
١٣٩. الخطيب، عبد اللطيف. معجم القراءات، الطبعة الثانية، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٢.
١٤٠. الدوري، تقي الدين. عصر إمرة الأمراء في العراق (٣٢٤هـ - ٣٣٤هـ)، الطبعة الأولى، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٥.
١٤١. الدوري، عبد العزيز. تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، الطبعة الثالثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥.
١٤٢. زكي، محمد أمين. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ترجمة محمد علي عوني، الطبعة الثانية، (د.م) ١٩٦١.

١٤٣. صاحبة، محمد عيسى. المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٣.

١٤٤. صديقي، أمير حسن. الخلافة والملكية في إيران في العصر- الوسيط، ترجمة إحسان الثامري، الطبعة الأولى، دار الجمل، كولونيا / بغداد، ٢٠٠٧.

١٤٥. الكروي، إبراهيم سلمان. البويهيون والخلافة العباسية، الطبعة الأولى، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٢.

١٤٦. لسترنج، كي. بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وآخر، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.

١٤٧. مبارك، زكي. النثر الفني في القرن الرابع الهجري، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت).

١٤٨. يوسف، عبد الرقيب. الدولة الدوستكية، مطبعة اللواء، بغداد، ١٩٧٢.

ثالثاً: دراسات

١٤٩. تيمور، أحمد. تفسير الألفاظ العباسية الواردة في كتاب نشوار المحاضرة للتونخي، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مج ٢، ١٩٢٢، مج ٣، ١٩٣٣.

١٥٠ . الثامري، إحسان ذنون. آل محتاج أمراء الصغانيان - تاريخهم السياسي
ورعايتهم للحركة العلمية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي،
العدد ٢٩، يونيو ٢٠٠٥.

١٥١ . المحيميد، علي. إمارة بني حسنويه وعلاقتها بالدولة البويهية، مجلة التاريخ
العربي، الرباط، مجلد ٨، العدد ٢٧ لسنة ٢٠٠٣.

١٥٢ . الهاشمي، جلييلة. الإمارة الحسنية في الدينور والشهرزور، مجلة المجمع
العلمي الكردي العراقي، المجلد الثالث، العدد الأول لسنة ١٩٧٥.

المحتوى

هـ.....	مقدمة المحقق
٣.....	مقدمة المصنّف
٥.....	الباب الأول: في البشائر والفتوح
٧.....	كتابٌ صدر خلال الحرب الدائرة بين عضد الدولة وأخيه فخر الدولة
١٧.....	كتابٌ في فتح قلعة
٢٠.....	جوابٌ بشارَةٍ بتدليل الرُّوم وطلّبتها للهُدنة
٢٢.....	كتابٌ بُشّرَى بالانتصار على الحمدانيين
٢٧.....	جوابٌ فَنَح البصرة
٢٩.....	كتابٌ صدر خلال الصراع الدائر بين أمراء البيت الحاكم في أذربيجان
٣٥.....	كتابٌ صدر خلال الصراع الدائر بين عضد الدولة وابن عمه عز الدولة
٤٢.....	الفتح الأكبر بجُرْجان الواقع بين الخُراسانية
٥٦.....	نسخةُ الخطابِ بِإسقاط مال الأرصاد
٦١.....	نسخةُ الخطابِ بِالْفَتْحِ العظيمِ بجُرْجان
٦٣.....	الباب الثاني: في العهود
٦٥.....	عَهْدٌ قاضٍ ضُمَّ إلى أعماله أعمالٌ
٧٥.....	عَهْدٌ في الحِسبة
٨٠.....	عهدٌ بقضاء القضاة
٨٩.....	عهدٌ بأعمال الصلاة والحرب والأحداث والمعاون والجبايات

٩٨.....	عهدٌ بتقليد عمل نائين.....
١٠٠.....	كتابٌ إلى قاضي.....
١٠٣.....	عهدٌ عاملٍ إلى ناحية القمدان.....
١٠٦.....	عهدٌ بتولية أمرٍ وادي زرين رود.....
١٠٨.....	عهدٌ بتولية أمرٍ الرار وفريدين.....
١١٢.....	عهدٌ بتولية الخراج بأصفهان.....
١١٥.....	الباب الثالث في الأمان والأيمان والمواقفات والمناشير.....
١١٧.....	كتابٌ في التوصية بحجاج بيت الله الحرام.....
١١٩.....	كتابٌ أمانٍ من مؤيد الدولة.....
١٢٠.....	كتابٌ أمانٍ من مؤيد الدولة.....
١٢١.....	كتابٌ من مؤيد الدولة لأهل قصبة الدينور.....
١٢٢.....	شرطٌ من عاملٍ إلى مؤيد الدولة يتعهد فيه بما طُلب منه.....
١٢٥.....	كتابٌ أمانٍ من مؤيد الدولة.....
١٢٦.....	كتابٌ أمان.....
١٢٨.....	كتابٌ في مُراعاة أوقات المعاملات والكيسة من السنين.....
١٣١.....	كتابٌ من مؤيد الدولة إلى صدقة بن أحمد.....
١٣٢.....	عهدٌ بأمور الدرب والخفارة.....
١٣٣.....	الباب الرابع: في الوصاة بالحجيج والمصالح وأمر الثغور.....
١٣٥.....	كتابٌ في أمر الحجيج.....

- جوابُ كتابِ صاحبِ ثَغْرِ بالإِحمادِ له ١٣٦
- كتابُ في إِحمادِ صاحبِ ثَغْرِ ١٣٩
- كتابُ إلى صاحبِ الجيش ١٤٣
- جوابُ الكتابِ الواردِ في إِصلاحِ قَنْطَرَةِ النُّوْهَارِ ١٤٥
- كتابُ في أمرِ الحاج ١٤٧
- فصلُ في أمرِ الحاج ١٤٨
- كتابُ إلى صاحبِ الجيش ١٤٩
- كتابُ إلى صاحبِ ثَغْرِ ١٥٠
- كتابُ إلى صاحبِ ثَغْرِ ١٥٢

الباب الخامس: في الاستعطاف لقلوب أولياء الدعوة والتودد إليهم

- بمباطلتهم وما يقارب ذلك ١٥٥
- كتابُ تَوَدُّدٍ واعتذار من تأخيرِ إِطلاق ١٥٧
- كتابُ شخصي ١٥٩
- اعتذار وإِيجاب إلى الإِصْفَهَبَد ١٦١
- كتابُ في إِظهارِ المشايعةِ والبَسْط ١٦٣
- كتابُ في تَحْقِيقِ الأملِ وأمنِ المحذور ١٦٥
- كتابُ تَوَدُّدٍ واعتذار من أطراحِ الحِشْمَةِ ١٦٧
- كتابُ استعطافٍ وتَوَدُّد ١٦٩
- كتابُ شُكْرٍ ومُلاطَفَةٍ ١٧٠

كتابُ تَوَدُّدٍ وَشُكْرِ واستِعْطاف واعتداد	١٧٢
كتابُ تَأْنِيسٍ بِجَمِيلِ الرَّعَايَةِ، وَبَعْثٍ عَلَى الزِّيَادَةِ	١٧٤
الباب السادس: في إصلاح ذات البين والدعاء إلى الطاعة وتهجين	
العقوق بين ذوي الأرحام وما يشاكل ذلك	١٧٧
كتابُ في مشايعة وإطلاب وشفاعة إلى السَّلاَر	١٧٩
كتابُ في الدُّعَاءِ إِلَى الطَّاعَةِ وَالسُّكُونِ إِلَى كِتَابِ أَمَانٍ وَمَا بَسَطَ مِنَ الْأَمْنِيَةِ	١٨١
كتابُ في إِيْناسِ نافرٍ وإِحْمَادِ سَاعٍ	١٨٣
كتابُ إِلَى السَّلاَر	١٨٥
كتابُ في المصالحة بين الأشراف بقزوين	١٨٨
كتابُ آخر في الغرض نفسه	١٩٠
كتابُ إِصْلَاحٍ	١٩٤
كتابُ إِلَى السَّلاَر	١٩٧
كتابُ شَخْصِيٍّ	١٩٩
كتابُ إِلَى السَّلاَر	٢٠١
الباب السابع: في المدح والتعظيم	
كتابُ إِطْرَاءٍ وَتَعْظِيمٍ وَإِظْهَارِ عِنَايَةٍ	٢٠٥
تَقْرِيطٌ وَتَشْكُرُ	٢٠٧
كتابُ في الإِحْمَادِ وَالتَّأْنِيسِ وَالْبَسْطِ مِنَ الْأَمَلِ	٢١٠
تَشْكُرُ وَتَزَكِيَةٌ وَإِحْمَادٌ	٢١٣
كتابُ في الرِِّّ والإِحْمَادِ	٢١٥

- كتاب إلى الاستيذار في التأنيس وبسط الأمانة ٢١٧
- كتاب في إعظام النعمة فيما يكسب من الإحسان ويوفى فيه من لزوم الطاعة ٢١٩
- إيجاب وإيناس ورفع وتنويه ٢٢٠
- كتاب بذكر الحلف بين سعد وربيعة في البصرة ٢٢٢
- ثناء وتقريظ وإطراء وتعظيم ٢٢٥
- الباب الثامن: في الذم والتهجين ٢٢٧
- كتاب في تقبيح آثار غامط نعمة، والاعتذار مما ناله من نقمة ٢٢٩
- كتاب إلى السّار ٢٣١
- كتاب تقريع ٢٣٤
- كتاب تقريع ٢٣٥
- كتاب تقريع ٢٣٦
- كتاب في شأن الأكراد المفسدين ٢٣٨
- كتاب في شأن عكر بن إبراهيم الخارج على السلطة ٢٤٠
- كتاب إلى حاكم يهون عليه أمر أحد المخالفين ٢٤٣
- كتاب ذم وتهجين ٢٤٥
- كتاب في تهجين غاش لولي النعمة وذم طريقته ٢٥٠
- الباب التاسع: في التهاني والأجوبة عنها وما يجري مجراها ٢٥٣
- كتاب في تهنة بولادة وزيادة رتبة ٢٥٥
- تهنة بجعل ولد السّار ولي عهد ٢٥٨
- كتاب في الغرض ذاته ٢٥٩

٢٦١.....	تهنئة بمتجدد نعمة وعلو رتبة.
٢٦٣.....	جواب تهنئة بمزيد رتبة.
٢٦٥.....	كتاب تهنئة بتسلم قلعة.
٢٦٧.....	تهنئة بمتجدد الوزارة.
٢٧١.....	كتاب إلى صاحب الجيش.
٢٧٣.....	تهنئة بالوزارة إلى أبي الفتح بن أبي الفضل بن العميد.
٢٧٥.....	تهنئة بمولود.
٢٧٧.....	كتاب إلى أبي الفرج الحنّاط.
٢٨١.....	الباب العاشر: في التعازي.
٢٨٣.....	كتاب تعزية بوفاة إحدى السيدات.
٢٨٥.....	كتاب تعزية.
٢٨٦.....	كتاب تعزية بوفاة سيدة.
٢٨٧.....	كتاب تعزية.
٢٨٨.....	كتاب تعزية.
٢٨٩.....	كتاب تعزية إلى القاضي عبد الجبار بوفاة خاله.
٢٩١.....	كتاب تعزية بأحد المشايخ.
٢٩٤.....	كتاب تعزية بوفاة شاب.
٢٩٦.....	كتاب تعزية بوفاة شخص يدعى أبا القاسم.
٢٩٩.....	كتاب إلى أبي القاسم علي بن أحمد الحراويني يعزيه بابنه.
٣٠٠.....	أبيات للصاحب.

٣٠١.....	كتابُ تعزيةٍ في أبي محمد يحيى بن محمد بن زيادة العَلَوِيِّ
٣١٣.....	الباب الحادي عشر: في الإخوانيات والملاطفات والمداعبات
٣١٥.....	كتابُ شَوْقٍ واستزادةٍ وِبرٍّ وتَوَجُّعٍ لعَارِضِ عِلَّةٍ
٣١٨.....	كتابُ تَأْنُسٍ ومُداعبةٍ
٣٢٠.....	كتابُ تَوَدُّدٍ وَتَشْكُرٍ
٣٢٢.....	كتابُ مودَّةٍ
٣٢٤.....	كتابُ مودَّةٍ
٣٢٧.....	كتابُ إلى شريفٍ في الشوق والمحبة
٣٢٩.....	كتابُ إلى صاحب الجيش
٣٣١.....	كتابُ مودَّةٍ
٣٣٣.....	كتابُ مُداعبةٍ وعنايةٍ
٣٣٧.....	وله إلى الخطيبين
٣٣٩.....	الباب الثاني عشر: في التشكُّر وما يشاكله
٣٤١.....	كتابُ تَشْكُرٍ وإنباءٍ بمتجدد النِّعمة في مُؤَنَّفٍ تَبْجِيلٍ وَمَزِيدٍ تَرْتِيبٍ
٣٤٤.....	كتابُ تَشْكُرٍ وإظهارِ اعتدادٍ
٣٤٦.....	كتابُ تَشْكُرٍ واعتدادٍ
٣٤٨.....	كتابُ تَشْكُرٍ واعتدادٍ
٣٤٩.....	كتابُ تَشْكُرٍ
٣٥١.....	جوابُ تَشْكُرٍ عن مُتَجَدِّدِ رُبِّيَّةٍ بِمُسْتَخْلَصٍ وَمُتَحَمِّلِ نِعْمَةٍ
٣٥٤.....	كتابُ تَشْكُرٍ وَتَوَدُّدٍ

كتابُ تَشْكُرُ وتَوَدُّد.....	٣٥٦
كتابُ تَشْكُرُ وتَحْدُثُ بالنَّعَم.....	٣٥٨
كتابُ تَشْكُرُ وإطراء.....	٣٦١
الباب الثالث عشر: في الاستزادة والتقريع وما يجري مجرى ذلك.....	٣٦٣
كتابُ تَقْرِيعٍ وإنذار.....	٣٦٥
كتابُ في تحذير العامة من الخَوْضِ في الأراجيف.....	٣٦٧
كتابُ في زَجْرِ السُّفَهَاءِ مِنَ الْعَوَامِّ وإنذارِهِمْ بَعْدَ تَعَدُّدِ النَّعَمِ عَلَيْهِمْ.....	٣٧١
كتابُ إنذارٍ وتحذيرٍ من حَلِّ وِثَاقِ مَأْسُورِينَ من أهلِ الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ.....	٣٧٤
كتابُ عتاب.....	٣٧٦
كتابُ في التحذيرِ من الأراجيف.....	٣٧٨
كتابُ إنكارٍ على عاملٍ ظَهَرَ مِنْهُ تَقْصِيرٌ.....	٣٨٠
كتابُ إنكارٍ وتَقْرِيع.....	٣٨١
كتابُ إنكارٍ وتَقْرِيع.....	٣٨٣
كتابُ إلى أبي عيسى الكرديّ يذكره بما عليه من حراسة الطرق.....	٣٨٥
الباب الرابع عشر: في التَّنْصِلِ والاسترضاء وما يشاكل ذلك.....	٣٨٩
كتابُ اسْتِعْطَافٍ وَتَشْكُرُ واسترضاء وتَنْصِلُ.....	٣٩١
كتابُ في إبطالِ متوهمِ الظَّنِّ والإبانة عن السُّكُونِ إلى وَكِيدِ الْوَفَاءِ والعقد.....	٣٩٣
كتابُ تَنْصِلُ واعتذار وتَشْكُرُ.....	٣٩٤
جوابُ شكوى واستجفاء وتأنيس بُمَكَاتِيَةٍ وإجلال.....	٣٩٦
جوابُ تَنْصِلُ واعتذار من اجتياز هَارِبٍ وَالتَّخْلِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَجَازِ.....	٣٩٨

٤٠٠.....	كتابُ اعتذار.....
٤٠٢.....	كتابُ تَنْصُلٍ واعتذار يتعلّق بشؤون الضياع والإقطاع.....
٤٠٥.....	كتابُ تأنيس.....
٤٠٧.....	كتابُ عتابٍ وردّ على بعض الأمور الإدارية.....
٤٠٨.....	كتابُ عتابٍ واعتذار.....
٤١١.....	الباب الخامس عشر: في الشفاعات.....
٤١٣.....	توصيةٌ بأولاد أبي القاسم بن مقرن.....
٤١٥.....	عنايةٌ بذوي الحرّمات.....
٤١٦.....	التوقيع فيه.....
٤١٧.....	تقريظٌ وعنايةٌ وإخبارٌ عن شُكْرِ بِتَحْمِلِ نِعْمَةٍ.....
٤١٨.....	كتابُ توصيةٍ بأحد الأشراف.....
٤٢٠.....	كتابُ بشرى بانتهاء خطر القفص في كرمان.....
٤٢٢.....	توصيةٌ بأحد العلّوين.....
٤٢٤.....	كتابُ شفاعَةٍ.....
٤٢٥.....	كتابُ شفاعَةٍ.....
٤٢٦.....	كتابُ شفاعَةٍ.....
٤٢٧.....	شفاعةٌ بأحد العلّوين.....
٤٢٨.....	كتابُ تَنْصَحٍ وَتَشَفُّعٍ.....
	الباب السادس عشر في توصية العمال بتجلّب المال وإظهار العفاف
٤٣١.....	وحسن السياسة.....

٤٣٣.....	كتابُ ضُرٍّ وَنَفْعٍ.....
٤٣٥.....	كتابُ يتعلّقُ بشؤونِ عمالِ الأرصَادِ.....
٤٣٧.....	كتابُ يتعلّقُ بشؤونِ مالِ الخِراجِ.....
٤٣٩.....	كتابُ إلى عاملٍ ناحيةٍ.....
٤٤٢.....	كتابُ إلى عاملٍ ناحيةٍ.....
٤٤٥.....	كتابُ يتعلّقُ بشؤونِ الضرائبِ.....
٤٤٧.....	كتابُ يتعلّقُ بشؤونِ الضرائبِ.....
٤٤٩.....	كتابُ يتعلّقُ بشؤونِ الضرائبِ.....
٤٥١.....	كتابُ يتعلّقُ بشؤونِ الضرائبِ.....
٤٥٣.....	كتابُ يتعلّقُ بشؤونِ الضرائبِ.....
٤٥٦.....	فصلٌ يتعلّقُ بخِراجِ كرمانٍ.....
٤٥٧.....	البابُ السابعُ عشرُ: في الآدابِ والمواعظِ وما يقارِبُها.....
٤٥٩.....	كتابُ في الأدبِ والموعظةِ.....
٤٦٠.....	كتابُ إلى شيخٍ بشأنِ إصلاحِ بلدِهِ.....
٤٦١.....	كتابُ إلى أهلِ الصَّيْمَرَةِ.....
٤٦٤.....	خُطْبَةُ نِكَاحٍ.....
٤٦٥.....	البابُ الثامنُ عشرُ: فصولٌ وغُررٌ وتوقيعاتٌ ودُررٌ.....
٤٦٧.....	فَصْلٌ.....
٤٦٧.....	تَوْقِيعٌ.....
٤٦٧.....	فَصْلٌ.....

٤٦٨.....	فَصْلٌ
٤٦٨.....	فَصْلٌ
٤٦٩.....	تَوْقِيعٌ إِلَى عَامِلٍ
٤٦٩.....	فَصْلٌ
٤٦٩.....	فَصْلٌ
٤٧٠.....	تَوْقِيعٌ عَلَى ظَهْرِ كِتَابِ لَابْنِ جِحَا الْكُوفَانِي
٤٧١.....	تَوْقِيعٌ عَلَى رُقْعَةٍ لَابْنِ جِحَا الْكُوفَانِي
٤٧٣.....	الباب التاسع عشر: في الفوارد النادرة في فنّها
٤٧٥.....	فَصْلٌ فِي صِفَةِ الْحَرِّ كَاهَاتٍ
٤٧٦.....	عِتَابُ كَاتِبٍ تَرَجَعَ فِي صِنَاعَتِهِ
٤٧٧.....	كِتَابٌ فِي تَكْذِيبِ أَرَاخِيفِ الْعَامَّةِ
٤٧٨.....	كِتَابٌ فِي إِعْفَاءِ مَنْ اسْتَعْفَى مِنَ التَّلْقِيبِ التَّشْرِيفِ
٤٨٠.....	كِتَابٌ فِي الْإِنْبَاءِ عَنِ الْوَحْشَةِ لِمَفَارِقَةِ وَلِيِّ النُّعْمَةِ
٤٨٢.....	وَلَهُ فِي وَصْفِ شِعْرِ
٤٨٣.....	كِتَابٌ إِلَى شَرِيفٍ
٤٨٥.....	رِسَالَةٌ فِي الطَّبِّ إِلَى الْأَسْتَاذِ الرَّئِيسِ أَبِي الْعَبَّاسِ الضُّبِّيِّ
٤٩٠.....	جَوَابُ كِتَابِ فَتْحٍ وَرَدَ مِنَ الشَّرِيفِ أَبِي طَالِبِ السَّيْلَقِيِّ
٥٠٠.....	عَهْدٌ لِعَلَوِيِّ وَلِيِّ نَقَابَةِ الْأَشْرَافِ
٥٠٣.....	الباب العشرون: في الشوارد وهي الكتب المختلفة المعاني
٥٠٥.....	كِتَابٌ بِقَرَبِ الذَّهَابِ إِلَى حَضْرَةِ الْأَمِيرِ

٥٠٧.....	كتابُ بشأن العهد واللواء والخَلَع
٥٠٨.....	وله
٥٠٩.....	كتابُ بشأن التَّفَتِّي
٥١٠.....	وله
٥١٢.....	جوابُ على صاحب شكوى
٥١٣.....	وله
٥١٥.....	كتابُ استبشار بوروده حضرة عضد الدولة
٥١٧.....	كتابُ إلى قاضي القضاة
٥٢٠.....	كتاب اعتذار
٥٢٣.....	ملحق: رسائل أخرى للصاحب بن عباد
٥٢٦.....	كتابُ إلى الوزير ابن سعدان
٥٣٢.....	رسالةُ إلى الحسن بن أحمد في شأن محمد بن حامد
٥٣٤.....	رقعةُ إلى القاضي الفضل بن محمد الجرجاني
٥٣٥.....	رسالةُ إلى القاضي عبد الله بن محمد القزويني المعروف بابن متويه
٥٣٩.....	رسالةُ أخرى إلى القاضي عبد الله بن محمد القزويني المعروف بابن متويه
٥٤١.....	رسالةُ إلى علي بن عبد الملك بن العباس النحوي
٥٤٢.....	رسالةُ إلى قاضٍ
٥٤٣.....	رسالةُ إلى أبي سعيد الشيبني
٥٤٥.....	رسالةُ إلى الأمير قابوس بن وشمكير
٥٤٦.....	رسالةُ أخرى إلى الأمير قابوس بن وشمكير

٥٤٧.....	كتابُ اعتذار.....
٥٤٨.....	رقعةٌ في ذكر مصحفٍ أُهدي إليه
٥٤٩.....	فصلٌ من كتابٍ إلى ابن العميد.....
٥٥٠.....	كتابٌ في وصف قنفذٍ أهداه
٥٥٣.....	كتابٌ في العتاب
٥٥٤.....	مدحٌ لصديق.....
٥٥٤.....	مدحٌ لصديق أيضاً.....
٥٥٥.....	في التهئة
٥٥٧.....	تهئةٌ بولادة بنت
٥٥٨.....	تهئةٌ بولادة ولد.....
٥٥٩.....	رقعةٌ في التهئة بولادة أحد الأشراف وتسميته وتكفيته
٥٦٠.....	تهئةٌ بولادة ولد.....
٥٦١.....	تهئةٌ بتزويج أم وتعزيةٌ بموت أب
٥٦٢.....	تهئةٌ بقدوم
٥٦٣.....	في ذمِّ قلم
٥٦٣.....	في ذمِّ قلم أيضاً.....
٥٦٤.....	في وصف كتاب.....
٥٦٥.....	دعاء.....
٥٦٥.....	دعاء آخر
٥٦٦.....	في وصف كتاب.....

٥٦٦.....	كتابُ مداعبةٍ في الغضائري
٥٦٧.....	كتابُ مداعبةٍ آخر
٥٦٨.....	رقعةُ استزارة
٥٦٩.....	رقعةُ أخرى في الغرض نفسه
٥٦٩.....	رقعةُ أخرى في الغرض نفسه
٥٧٠.....	رقعةُ أخرى في الغرض نفسه
٥٧٠.....	رقعةُ أخرى في الغرض نفسه
٥٧١.....	رقعةُ أخرى في الغرض نفسه
٥٧٢.....	رقعةُ أخرى في الغرض نفسه
٥٧٢.....	في وصف كتاب
٥٧٣.....	في وصف كتاب
٥٧٣.....	في وصف كتاب
٥٧٣.....	فصلٌ في الشناء على صديق
٥٧٤.....	فصلٌ آخر
٥٧٤.....	رقعةُ في وصف بستان
٥٧٥.....	في الاعتذار من هفوة الكأس
٥٧٦.....	كتابُ أرسله مع هدية
٥٧٧.....	جوابُ رقعةٍ في الاستهداء
٥٧٨.....	في إهداء أترجة
٥٧٨.....	في إهداء أقلام

٥٧٩.....	رقعةٌ مداعبةٌ
٥٨٠.....	رقعةٌ مداعبةٌ أخرى
٥٨٠.....	رقعةٌ مداعبةٌ أخرى
٥٨١.....	فصلٌ من كتابٍ إلى أبي العلاء الأسدي في المداعبة
٥٨٢.....	وله في وصف قلعة
٥٨٥.....	الكشافات العامة
٥٨٧.....	الحديث الشريف والأثر
٥٨٧.....	الأقوال المأثورة
٥٨٨.....	الأعلام
٥٩٤.....	الأقوام والطوائف والجماعات
٥٩٦.....	الأمكنة والبلدان
٥٩٩.....	الألفاظ والمصطلحات الحضارية
٦١٣.....	الأمثال
٦١٤.....	الشعر
٦١٧.....	المصادر والمراجع
٦٣٩.....	المحتوى